

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم اللغة والنحو والصرف

آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية

متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير

إعداد

الطالبة / محاسن بنت أحمد بن محمود مولوي قربان

الرقم الجامعي : ٤٢٣٨٠١٨٧

إشراف

الأستاذ الدكتور / عليان بن محمد الحازمي

الفصل الدراسي الثاني

١٤٣٠/١٤٢٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص الرسالة

آراء محمود شاكر و جهوده اللغوية

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل القضايا اللغوية التي تناولها الشيخ محمود شاكر ؛ لإطلاع الباحثين على جهوده واجتهاداته اللغوية التي انفرد بها وتعريفهم بمنهجه في ذلك .
فالموضوع يهتم بالبحث عن الآراء اللغوية للشيخ ، ومعرفة منهجه في تفسير الألفاظ ومعالجة قضايا اللغة .

وقد تضمنت هذه الرسالة تمهيداً وثلاثة فصول وخاتمة ، عني التمهيد بحياة أبي فهر وآثاره ، وتناول الأحداث التي أثرت في اللغة العربية والثقافة في مصر ، وتحديث عن العصر الذي عاشه الشيخ ، وعني الفصل الأول بموقفه من اللغة ودعوات التجديد ، ووضح الثاني منهجه في التفسير ، فذكر منهجه في تفسير الألفاظ وتصويبها ، وكيفية تذوقه للغة ، واهتم بذكر آرائه في بعض علماء اللغة ، وتعرض الثالث لجهوده اللغوية ، فبين اهتمامه بمسائل النحو والصرف ، وبعلم معاني أصوات الحروف ، ووضح جهوده في إحياء اللغة ، واستعماله للغة العالية .

أما الخاتمة فبينت اهتمام الشيخ بالدفاع عن العربية والتراث وتنبهه لمعاني الألفاظ الحقيقية والمجازية ، ودقته في استخدام الألفاظ المترادفة ، واهتمامه بمعرفة أصول الكلمات ومشتقاتها ، واهتمامه بالسياق إذ لا يأخذ إلا ما يتفق مع السياق ، دون النظر إلى المؤلف ، واهتمامه بمعاني النحو ، واستخدامها في معالجة النصوص ، وتذوقه لمعاني أصوات الحروف ، فمنهجه التذوق وعدم التجمد عند نصوص اللغة والمعاجم ، وكانت اجتهاداته فروعاً عن قواعد أصيلة لا تنفك عنها ، اتسمت بالدقة وشدة الضبط في الاستشهاد .

وفي ضوء النتائج المذكورة أوصي بضرورة النظر إلى جهود اللغويين في تفسير الألفاظ وإلى استعمالهم للغة العالية لمعرفة الأجود عند العرب ، وضرورة الوقوف على شروح المستشرقين للتنبه لكل قول من شأنه الطعن في الدين والعربية .

الباحثة

محاسن أحمد قريان

Abstract

The Linguistic View points of Abi Fahr – Mahmoud Shakir , this Study aims at analyzing the Linguistic Issues that were Handled by Mahmoud Shakir , to show the researchers , his Efforts exerted in the field of Language that he has distinguished him in verification .The subject is giving interest to search for the Linguistic view points of the Sheikh, to Know his Method in interpretation of the syllables and Processing the Linguistic Issues .

This Study has included : a preface , three Chapters , and a conclusion . the preface handled the Biography of Mahmoud Shakir , his heritage , and shows the Previous Studies , the events that has affected Arabic Language ,and Culture in Egypt , and mentioned about the Era he lived , the first Chapter included his attitude towards the Language and the call for Innovation , while the second chapter shows his method in Verification of Heritage, so it mentioned about his method in interpretation of syllables and how to verify and correct it , and his tasting of the language, this chapter has given interest in mentioning the shaikh's viewpoints about some language scholars . the third chapter handled his linguistic efforts as it shows his interest in grammatical and Morphologic issues, and phonetics science , and clarifies his efforts in the rebirth of Arabic language , and his using of high standard Arabic.

The conclusion shows the Shaikh interest in defending the Arabic language and Heritage , and his awareness of the real and the Metaphoric syllables , and his accuracy in using synonyms , and his interest to know the Roots and derivations of words together with the context , as he only takes what coincides with the context disregarding the familiar , his method is to taste and not to just take whatever in the text or lexicons , his efforts were as branches of a deeply rooted fundamentals that has never been left behind , which were characterized by accuracy and standard adjustment in Quoting.

In the light of the above mentioned results , I do Recommend the necessity to look through efforts of linguists in interpreting the Syllables , and how they use the Standard Language to know the best with Arabs and the necessity to stop at the explanations made by orientalist and to pay attention to their attempts to deame Islamic religion and Arabic Language .

Researcher : Mahasen Ahmad Qurban

إهداء
إلى من حرمت الوفاء بحقهما :
أمي وأبي.
إلى من كانت لهم أياد بيضاء على البحث
والباحثة : أساتذتي
إلى من شجعني وأخلص لي في الدعاء :
إخوتي وأختي.
إليهم جميعا أهدي جهدي المقل

الباحثة

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وإمامنا وأسوتنا، من بعثه الله حجة على

العالمين، وعلى من دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإني استهلُّ شكري بالثناء على من هو أهلٌ لكل ثناء، فأشكر الله سبحانه وأحمده على

إعانتته لي في إتمام هذا العمل الذي أرجو أن يكون خالصاً لوجهه وأن يرزقني أجره.

ومن بعده تعالى، أتقدم بشكري وتقديري العميقين لسعادة المشرف على هذه الرسالة الأستاذ

الدكتور/ عليان بن محمد الحازمي، فموضوع البحث الذي بين أيدينا شيء من فضله علينا، وشيء

آخر هو إغداقه فيضاً من كرمه الذي تجلّى في تقديم النصح بتخليص البحث من الحشو والزيادة

منذ بداية هذا العمل حتى نهايته، فجزاه الله خير الجزاء، وبارك له في دينه ودنياه.

ومما يشرفني أن أتوجه بشكري واحترامي لسعادة الأستاذ الدكتور/ عبد الكريم بن علي

العوفي، وسعادة الأستاذ الدكتور/ محمود بن فرّاج عبد الحافظ؛ لتفضلهما بقبول مناقشة

رسالتي، ومنحي جزءاً من وقتها الثمين في سبيل إرشادي، وتصويب أخطائي، وتقويم هفواتي

التي فاتتني أو سهوت عنها، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وبارك فيهما.

كما أشكر جامعة أم القرى ممثلة في عميدها الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن ناصر القرني،

ووكيل الكلية للدراسات العليا الأستاذ الدكتور/ صالح بن سعيد الزهراني، ووكيل الكلية

الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الزهراني على حسن رعايتهم وتشجيعهم لطلاب العلم، فجزاهم

الله خير الجزاء.

ومما يسعدني أن أرفع جزيل الشكر وفائق الامتنان للأخت والصديقة العزيزة/ زكية فطاني،

على حسن تعاونها معي، فلها مني خالص الثناء، وصادق الدعاء بأن يوفقها الله ويرزقها العلم

النافع.

كما أتقدم بشكري وعرفاني لأخي الفاضل/ ماجد بن سعيد الزهراني، على ما قدمه لي

بكرمه وسعة صدره المعهودة من خدمات علمية أثرت هذا العمل، فله مني جزيل الشكر والاحترام.

ولا أنسى في هذا المقام أن أرفع جزيل الشكر وفائق الامتنان لرفيقة الدرب الفاضلة/ نجلاء

الدعيس، التي أسدتني النصيحة، وصدقتني المشورة، فأرجو من الله أن يوفقها، ويرزقها العلم

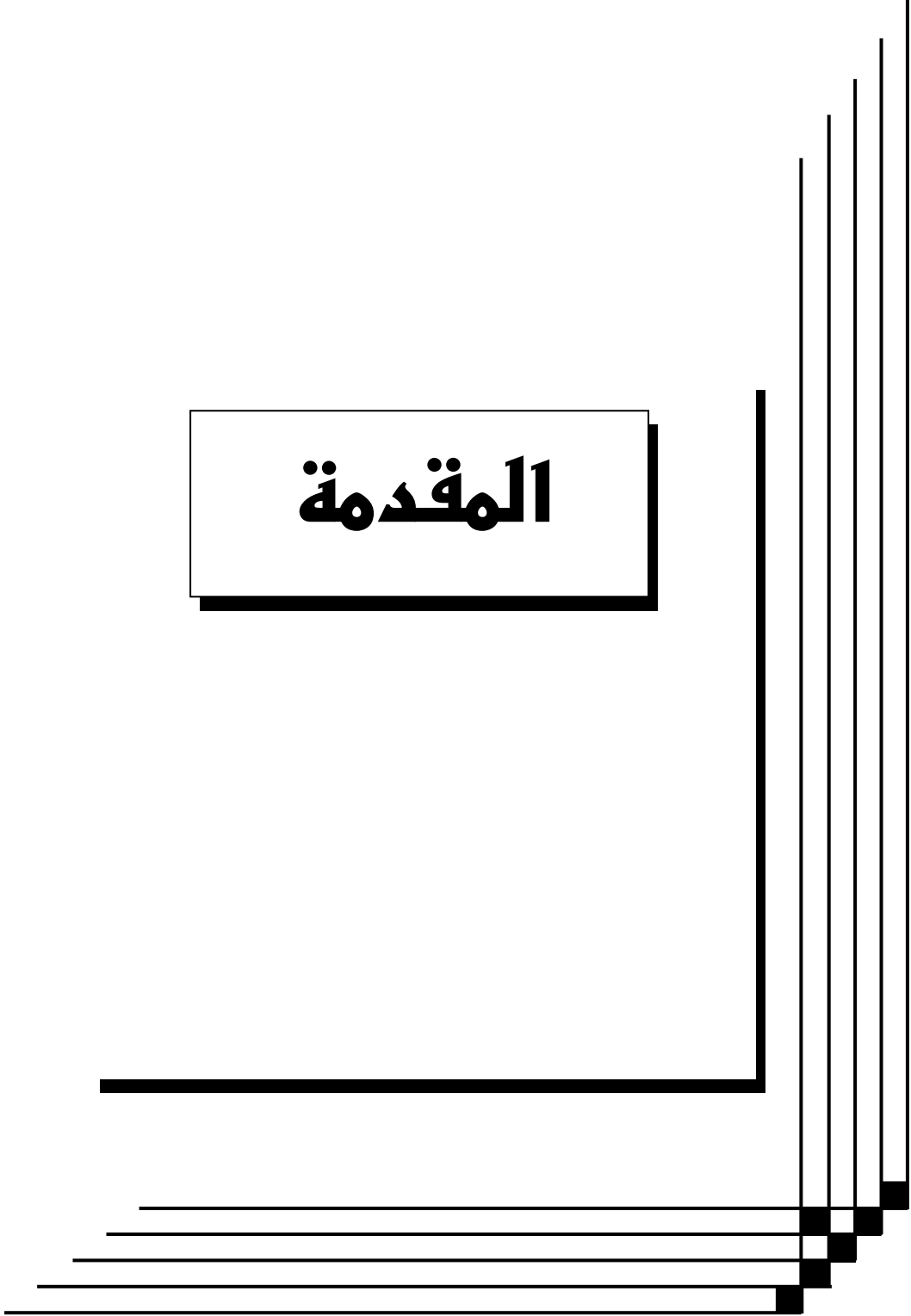
النافع.

وفي الختام يطيب لي أن أتقدم بوافر حبي وامتناني لأخوتي وأختي وكل من أخلص لي في الدعاء؛ لصادق رعايتهم، وخالص دعائهم، وغزير محبتهم، وأخص بالذكر منهم أخواي سلطان وعبد الملك، فقد كانا لي دوماً مصدراً للدعم والتشجيع، راجيةً من الله أن يحسن ثوابهم جميعاً، ويطيّل بقاءهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف السادة والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

المقدمة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فالعربية بحرٌ واسعٌ عميق ، يقف على شواطئه من سُحرِ جمال نظمها ، وفتنَ بروعة بيانها ،
لكن لا يغوصُ في أعماقه ويستكشفُ مَجْهُولَه إلا غَوَّاصٌ ماهرٌ قادرٌ على التأمل والإبانة ، يلطمُ
الأمواجَ بأناةٍ وصبرٍ ؛ ليتذوقَ بديعَ روائعها ، وأسرارَ محاسنها ، ومن ثمَّ يبين لنا أبرزَ خصائصها ،
وأجملَ مميزاتِها .

وقد غاص في أعماق هذا البحرِ الكثيرُ ؛ عشقاً لبدائع العربية ، وتَعْصُباً لمزاياها ، وكان شيخُ
العربية العلامةُ أبو فهر محمود محمد شاكر الأديبُ المحققُ واللغويُّ البارِعُ أحدَ أولئك
الغَوَّاصين المهرة ، الذي وهب حياته للدفاع عن تراث الأمة ، وأشتهر بإسهاماته القيِّمة التي
تناولت مختلفَ علومِ اللغة العربية ، وأشتهرَ بفضلِهِ ودفاعِهِ عن الدراسات الأدبية ، والفكرية ،
والحياة الثقافية ، والتراث الإسلامي ، إضافةً إلى مؤلفاته وتحقيقاته التي حملت بين طياتها
جهوداً لغوية عالية التقدير ؛ ذلك لأنه انكبَّ على التراث ومدارسة الشعر القديم ببصرٍ دقيقٍ
وإحاطةٍ تامَّةٍ بمعانيه ، فحلَّلَ النصوصَ ، وسبرَ أغوارها ، وتذوَّقَ الألفاظَ ، ونفدَ إلى مكائنها ،
واهتمَّ بالقضايا الصوتية ، والصرفية ، والنحوية الواردة في هذه النصوص ، كاشفاً عن جمالها ،
وبيان مناحي الحسن فيها .

وقد تميز الشيخ محمود شاكر عن غيره ، إذ لم يكتفِ بما وردَ في بطون المعاجم وكتب اللغة ،
ولم يرضَ أن يحصرَ نفسه فيما أوردت ، بل كان أديباً فنَّاناً نَوَاقِراً أدرك بحسنِ تذوِّقه من معاني

الألفاظ مالم يدركه غيره ، وعرف من معاني تراكيب النحو ما لم يعرفه غيره حين عرف طاقته المبدعة في إضاءة النصوص وتفسيرها .

لذا كانت له استدراقات على أصحاب المعاجم وأهل اللغة، ومخالفات لشراح الشعر القدماء ، واجتهادات لغوية فريدة احتاجت إلى الكشف والنظر .

لهذه الأسباب عزمْتُ على دراسة جهوده، وتحليلها، وبيان آرائه ما أمكن ذلك .

وتتحدّد مشكلة البحث في الوقوف على آراء الشيخ محمود شاکر واجتهاداته من خلال البحث في كيفية تفسيره للألفاظ ، ومعالجته للقضايا اللغوية في مختلف كتبه ومؤلفاته ما أمكن ذلك .

والنظر في هذه الإشكالية يقتضي معرفة موقفه من التجديد ، وكيفية دفاعه عن التراث ، كما يقتضي تبیین منهجه في تفسير الألفاظ ، والوقوف على اجتهاداته وطرق معالجته للقضايا اللغوية: الصوتية ، والصرفية ، والنحوية، والدلالية على حدّ سواء .

وقد سبقتني كثيرٌ من الدراسات الأدبية التي تناولت نتاجه بالتعريف والتحليل والنقد منها:

- ١- المتنبي بين طه حسين ومحمود شاکر ، لإسماعيل الشرقاوي .
- ٢- محمود محمد شاکر ، بين الدرس الأدبي والتحقيق ، لمحمود إبراهيم الرضواني .
- ٣- محمود محمد شاکر : سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم محمد الكوفحي .
- ٤- محمود محمد شاکر الأديب الناقد ، لإبراهيم محمد الكوفحي .
- ٥- الصورة الفنية في شعر محمود محمد شاکر ، لعبد الله خميس سنكر .
- ٦- مقالات حارس التراث أبي فھر محمود محمد شاکر ، دراسة : لإبراهيم بن محمد أبا ندى .
- ٧- محمود محمد شاکر شاعراً ، لأمانی حاتم بسیسو .
- ٨- محمود محمد شاکر : إسهاماته في البحث العلمي والتحقيق الأدبي ، لمحمد إبراهيم .
- ٩- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاکر ، جمع الدكتور : عادل سليمان جمال .

١٠- معجم محمود محمد شاكر ، لمنذر أبو شعر .

وهذه الدراسات يتضح منها أنها تهتم بالأدب ، مع ذلك فهي لا تخلو من الفائدة ، فقد استفدت منها ؛ لأنها عرضت الكثير من الآراء اللغوية ، كما استطعت أن أستخلص منها معلومات أفادت البحث خصوصاً .

وهذه الدراسة اللغوية لم يُتعرَّضُ لها من قبل - على حسب علمي - بالبحث والتحليل ، فهي تركزُ على القضايا اللغوية ، وتبحثُ عن جهودِ الشيخ من خلال دراساته ومؤلفاته المتعددة ، وتُسهمُ في توجيهِ الأنظارِ إلى آرائه، باعتباره مؤلفاً وأديباً له جهوده اللغوية في تفسير الألفاظ و معالجة قضايا اللغة ، و تُطلِّعُ الباحثين على منهجه باعتباره منهجاً له خصائصه ومميزاته في المستوى اللغوي .

وقد بُنيت هذه الرسالة على تمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة بنتائج البحث .

تناول التمهيدُ حياةَ الشيخ محمود شاكر ، آثاره ، ومؤلفاته ، وتحقيقاته ، إضافةً إلى الدراسات السابقة .

وتناول الأحداث التي أُنثرت في اللغة العربية والأدب والثقافة في مصر ، و الحديث عن العصر المضطرب الذي عاش فيه الشيخ محمود شاكر ، وهو عصر التجديد وما صاحبه من محاربة التراث .

وفي الفصل الأول كان الحديث عن موقف الشيخ من اللغة وقد ضمَّ هذا الفصل مبحثين :

المبحث الأول : كان عن موقفه من التجديد ؛ والمرادُ بذلك موقفه من الدعوة إلى العامية ، وموقفه من إلغاء الإعراب ، والدعوة إلى رسم العربية بالحرف اللاتيني .

المبحث الثاني : كان عن نظريته إلى اللغة ؛ وقد أُسْتُنْتِجَت هذه النظرة من خلال تحليله لنصوص التراث ، وحسن تذوقه لسحر اللغة وبيانها ، ومحاولاته الجادة في تنمية اللغة وإثرائها .

أما الفصل الثاني : فتناول منهجه في التفسير ، وقد ضمَّ هذا الفصلُ أربعةَ مباحث :

المبحثُ الأول: تناولَ منهجَ أبي فھر في تفسيرِ الألفاظ ، وطرقَ استنباطه لمعاني الألفاظ ، مع ذكر مصادر هذه المعاني .

والمبحثُ الثاني : تحدّثَ عن تصويباته اللغوية ، وكان هذا المبحثُ أوسعَ المباحث ، فقد ضمَّ أربعةَ أمورٍ هي :

١ . تصويب معاني الألفاظ في الشعر .

٢ . التصويبات اللغوية في الكتب المحققة .

٣ . تصويب معاني الألفاظ .

٤ . استدراكاته على المستشرقين .

وقد كان للشيخ محمود شاكر في كلِّ من هذه التصويبات منهجٌ يميّزه عن الآخر .

ففي تصويب معاني الشعر كان الحديثُ عن مخالفتِه للشرّاحِ القدماءِ في تفسيرِهم للألفاظِ ، وقد بيّنتُ فيه منهجَ الشيخِ في تصويبِ الألفاظِ ، وكيفيةَ اهتدائه إلى المعنى الصحيح الذي يتفق مع السياق ، وكانت غالبيةُ الشواهدِ هنا من كتابه " نمط صعب ونمط مخيف " .

أما في الأمر الثاني فوضّحتُ فيه تصحيحاته للتصحيفات التي أفسدت المعنى وأبهمتهُ ، وكان التركيزُ هنا على الكتبِ المحقّقةِ دون مؤلفاته ، لا سيما كتابُ تفسير ابن جرير الطبري ، الذي اشتمل على كثيرٍ من التصحيفات والأخطاء ، مما كلف الشيخ الكثير من الجهد والمشقة عند تحقيقه

أما في الأمر الثالث فقد ذكرتُ فيه رأيَ الشيخ محمود شاكر في ألفاظِ ألفِ الناسِ استخدامها واعتادوا عليها دون النظرِ إلى معناها الأصيل - على حدِّ تعبيره - ودون تحريرها ، وهذا نحو: "معنى الدين ، تسمية غير دين الإسلام ديناً ، معجزات الأنبياء ، إعجاز القرآن ، التحدي " .

كما ذكرتُ منهجه الدقيقَ المتميزَ الذي اتَّبعه في مدارسةِ هذه الألفاظِ ، كما حاولتُ التعليقَ على هذه الآراءِ ، ووضعَ الملاحظاتِ مستندةً ما أمكن على الشواهدِ القرآنيةِ وأقوال العلماء .

وفي استدرآكاته تناولتُ ما استدركه على المستشرقين ، تمثل ذلك في تصحيحه لمفاهيم ودلالاتٍ خاطئةٍ ، وضعها المستشرقون لبعض الألفاظِ بعد تفرغها من معانيها الأصيلة .

أما المبحث الثالث من هذا الفصل : فقد تعرَّضَ لتذوقه للغة ، لحسنها وجمالها ، فوضَّحَ عنايته بالإبانة عن مكنون أسرار الألفاظِ ، وما سلَّكته على السنة الشعراءِ من مجازاتٍ ودروبٍ و مدارجٍ ، كما تناولَ المصطلحاتِ البلاغية التي تعرَّضَ لها الشيخ محمود شاكر ، ومفهومها عنده ، وعند البلاغيين ، وكيفية توظيفه لهذه المصطلحاتِ لفهمِ النصوصِ الشعرية .

وفي المبحثِ الرابع : كان الحديثُ عن آرائه في بعضِ أهلِ اللغةِ ، وهي آراءٌ مُبعثرةٌ ، جُمعت من عدَّةِ مصادرٍ ، مع التعليقِ عليها .

أما الفصلُ الثالثُ : فقد تناولَ جهودَ الشيخ اللغوية ، وقد ضمَّ هذا الفصلُ أربعةَ مباحثٍ :

المبحث الأول : بيَّنتُ اهتمامه بمسائل النحوِ والصرفِ ، وفيه تحدَّتُ عن اهتمامِ الشيخ بنحوِ المعنى وعنايته بمعاني الحروفِ ، وذكرتُ آراءه التي تفرَّدَ بها وتفسيراته التي خالفَ فيها اللغويين ، وعلَّلتُ لهذه الآراءِ وعلَّقتُ عليها .

كما تحدّثتُ عن تفسيره لأزمنة الفعل عند سيبويه ، وبيّنتُ رؤيته لأثر الحروف على زمن الفعل وخلافه مع أهل اللغة في تفسيرهم لهذه الحروف ، موضحةً تعليقاته التي ذكرها لتعزير رؤيته .

كما أشرتُ إلى المسألة الصرفية الفريدة التي تناولها ، وهي مسألة : " همز ما ليس بمهموز " ، موضحةً خلافه مع أصحاب المعاجم في الشاهد المذكور ، وهو همز " تخطيت " .

وفي المبحث الثاني : تكلمتُ عن اهتمامه بسر من أسرار العربية وهو " علم معاني أصوات الحروف " مبتدئةً بذكر مقدّمة الشيخ ؛ ليسهل - كما ذكر - استيعاب هذا السر و غوامضه ، كما ذكرتُ آراء الشيخ وأقواله وتأمّلاته مع وضع عناوين جانبية لهذه الآراء ؛ ليسهل فهمها واستيعابها .

والمبحث الثالث : خصصتُ لكيفية اهتمامه بإحياء اللغة ، الذي تمثّل في أربعة أمور :

الأول : الاهتمام باللغة القديمة الفصيحة وأساليبها .

الثاني : إحياء الألفاظ المهجورة .

الثالث : التنبيه على الصيغ الصرفية المغفلة .

الرابع : اهتمامه بتوظيف الاشتقاق .

ففي الأول كان الحديث عن اهتمامه بإحياء أساليب العربية التي أُسْتُعْمِلت في الأزمان الغابرة .

وفي الثاني كان الحديث عن إحيائه للألفاظ المهجورة ، وكيفية استخدامه لها في مقالاته ؛

وذلك لأنها ظاهرة واضحة اتّسمت بها مقالات الشيخ .

وأما الثالث فكان عن تذييله على صيغٍ صرفيةٍ صحيحةٍ القياس ، أغفلتها كتبُ اللغة ولم تذكرها-على حدّ تعبيره-، ولما كانت هذه الصيغُ عربيةً محضةً ، وكان اهتمامُ أبي فهر منصباً على السياقِ حاولتُ ردّ هذه الصيغِ إلى قواعدِ اللغةِ وضوابطها ؛ لبيانِ مدى توافُقها مع قواعدِ اللغةِ ، وانسجامها مع السياقِ .

وفي الرابع تحدّثتُ عن قدرةِ الشيخِ أبي فهر على اشتقاقِ المصطلحاتِ والأفعالِ والمصادرِ ، وعن صورِ هذا الاشتقاقِ عنده ، مع التوضيحِ بالأمثلةِ والشواهدِ الواردةِ في جميعِ مقالاته .

كما أشرتُ إلى إسهاماته في إدخالِ عددٍ من المصطلحاتِ الجديدةِ للتعبيرِ عن وسائلِ واختراعاتِ حديثةٍ من نوعِ الطائفةِ النَّفَّاثَةِ ، وهي مصطلحاتُ وردتْ في مجلةِ المختارِ التي تولّى تحريرها الأستاذُ "فؤاد صروف" .

أما المبحثُ الرابع : فقد حُصِّصَ للحديثِ عن استعماله للغةِ العاليةِ ، والمرادُ بذلك اختياره للأحسنِ والأجودِ من الرواياتِ الواردةِ في الكتبِ التي حقّقها ، وقد يكونُ الخلافُ بين الرواياتِ في الحرفِ ، أو في بنيةِ الكلمةِ (الصيغةُ الصرفيةُ) ، أو في الحركةِ الإعرابيةِ (المسائلُ النحويةُ) ، أو في طُرُقِ تفسيرِ اللفظةِ ، وبناءً على هذه الأوجهِ كان تقسيمُ المبحثِ .

وقد حاولتُ المقارنةَ بين الرواياتِ المختلفةِ ، والتعليلَ لهذه المفاضلةِ التي اعتمدَ عليها الشيخُ في تحليله للنصوصِ ؛ حتّى نصلَ إلى الأسسِ التي اعتمدَ عليها في هذه المفاضلةِ .

ولتحقيقِ الأهدافِ المتوخَّاةِ من البحثِ ؛ رأيتُ الأخذَ بالمنهجِ الوصفيِّ التَّحليليِّ في الدِّراسةِ .

وأما الخاتمةُ فقد قدّمتُ فيها نتائجَ البحثِ .

وأخيراً الأمرُ الذي أودُّ أن أُشيرَ إليه ، هو أن الأديبَ المحققَ محمودَ شاكِرَ ذكر هذه الآراءِ والاجتهاداتِ عندِ مدارسته للشعرِ الجاهليِّ ، وعند تحقيقه لنصوصِ التراثِ ؛ لذا اضطررتُ إلى ذكر

هذه الشواهد سواء أكانت أبياتاً شعرية أم أقوالاً مأثورة عند تحليل آراء الشيخ ومدارسة قضاياها اللغوية ؛ مما أدى إلى كثرة الشواهد الشعرية في هذا البحث ، وثقلِ الهوامش أحياناً بترجمة الشعراء والأعلام المغمورين ، وتفسير بعض الألفاظ المبهمة .

وأنا إذا أقدم هذا العمل أقدمه على استحياء ؛ لأنه عمل لا يخلو من القصور والنقص ، وما هو إلا محاولةٌ بسيطةٌ لفتح نافذةٍ صغيرةٍ على جهودِ أبي فهر اللغوية .

وآخر قولِي أن أحمد ربي المنعم على ما أتم من فضله .

التمهيد

أولاً: حياة أبي فخر محمود شاكر، وآثاره.

ثانياً: الأحداث التي أثرت على الأدب العربي

في مصر، والعصر الذي عاشه الشيخ.

أولاً : حياة أبي فخر محمود محمد شاكر وأثاره

حياته وشيوخه :

هو محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر ، من أسرة أبي علياء ، من أشرف "جرجا" بصعيد مصر ، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما ، ولد في الإسكندرية ليلة عاشوراء من شهر الله المحرم ، سنة ١٣٢٧هـ ، الموافق أول فبراير سنة ١٩٠٩م ، وانتقل مع أبيه في سنة مولده إلى القاهرة ، وفيها نشأ وتعلم .

أسرته أسرة علم فوالده "محمد" عالم ، تولى منصب قاضي قضاة السودان ، وكذلك والدته من بيت علم ، أما أخوه " أحمد" ^(١) فقد كان عالماً كبيراً في الحديث ، خدم السنة وأخرج عدداً من كتبها ، وكان ميّالاً إلى الاجتهاد ، نافراً من التقليد والتعصب للمذاهب ، وكانت علاقة الشيخ محمود به أشبه بعلاقة التلمذة .

حين بلغ محمود السابعة دفع به والده إلى مدرسة " الوالدة أم عباس " في القاهرة عام ١٩١٦م ، كان لها أثر في نفسه ، حيث فُتِنَ باللغة الإنجليزية فنفر من العربية حتى سقط في شهادة الابتدائية ، وكان قوياً - كما يقول - في كل المواد عدا العربية ، فأصبح في سنة الإعادة كارهاً للدروس المعادة عليه ، فالتفت إلى العربية ، وكان لديه الوقت ليرود مجالس الثقافة ويستمع إلى الخطباء ، وطفق يقرأ ديوان "المتنبي" حتى حفظه ، فأولع بالعربية ، فكان ذلك مبتدأ ثقافته الثرة بها ، وفي سنة ١٩٢١م التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية ، وشغف بمادة " الرياضيات " فاتجه إلى القسم العلمي لأجلها ، وإن كان ذلك لم يصرفه عن قراءة التراث العربي ، وحين نال شهادتها كان قد أتم حفظ كتاب الله ، وفي هذه الأثناء توثقت علاقته بعلمين كبيرين من أعلام عصره أولهما الشيخ "سيد بن علي المرصفي" ^(٢) فقد قرأ عليه عدداً من كتب التراث ، وكانت للمرصفي طريقة في تذوق الشعر ، استولت على لب شاكر ، ودفعته إلى الإيغال في هذا الشعر وتقصى نوادره .

(١) أحمد محمد شاكر : عالم بالحديث والتفسير ، له : شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل في خمسة عشر جزءاً . ينظر : الأعلام ،

خير الدين الزركلي ، الطبعة الخامسة عشرة ، ٢٠٠٢م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج : ١ ، ص : ٢٥٣ .

(٢) سيد بن علي المرصفي : عالم بالأدب واللغة ، كان من جماعة كبار العلماء بالأزهر وله " رغبة الأمل " من كتاب الكامل . ينظر

: الأعلام ، للزركلي ، ج : ٣ ، ص : ١٤٧ .

وقد كان أثر الشيخ المرصفي على أديبنا كبيراً جداً، فقد أثار اهتمامه وصرف قلبه إلى الشعر الجاهلي، فانشغل بذلك شغلاً عظيماً، وعكف على قراءة دواوين الشعر الجاهلي وتذوقها حتى صار لهذا الشعر عنده طعمٌ وشذى، يباين ما عداه، بل صار يشعر بتباين ما بين أصحابه من الشعراء، وأن لكل نفسه الخاص.

أما الآخر فهو "مصطفى صادق الرافعي"، ففي عام ١٩٢٣م قرأ شاعر كتاب "المساكين" للرافعي، فأعجب بصاحبه، وكانت بينهما علاقة حميمة هي شيء من الصداقة والتلمذة، وكان الرافعي يقدر صاحبه الصغير السن، ويرفع من قدره، ويتوقع له مستقبلاً جيداً.

وحين أزمع شاعر الدخول إلى الجامعة رغب في كلية الآداب؛ ليدرس اللغة العربية، بيد أن دراسته في القسم العلمي في الثانوية لا تؤهله لذلك، فأسدى له "طه حسين" يداً بأن جعله يُقبَل فيها، إلا أن مكنته فيها لم يطل؛ لصراع نشب بينه وبين أستاذه "طه حسين" حول الشعر الجاهلي ونسبته، وفي السطو على آراء الناس وادعائها^(٣)، بعدها ترك الجامعة وهاجر إلى الحجاز، فأنشأ فيها - بناء على طلب من الملك عبد العزيز آل سعود (ت ١٣٧٣م) - مدرسة جدة الابتدائية، وعمل مديراً لها، وما لبث أن عاد إلى القاهرة، ولم يطل المقام، وعاش شبه عزلة فيها بين العاميين (١٩٢٩-١٩٣٥م) عكف فيها على كتب التراث، يقرأها، وفي هذه المرحلة أيضاً ابتدأ الكتابة في الصحف والمجلات كتابة حثيثة متواصلة، وهذه الفترة من حياته هي التي شكّلت حياته بكل ما فيها من صراعات ومعارك علمية بينه وبين خصومه، فمحنة الشعر الجاهلي كانت بدء التمزق في نفسه بل في حياته كلها، يقول: "صارت كلُّ معرفة اكتسبها، وكلُّ علم اقتبسه، وكل تجربة أخوضها، وكل إحساس انتفض له كأنه رتقٌ لهذا الفتق"^(٤). لقد كانت محنته تلك محنةً وأي محنة، إلا أن المنهج استتب له، واستبان له الطريق لا حياً، ففي عام ١٩٣٦م صدر كتاب "المتنبي"، فذاع ولقي القبول، وبعدها بدأ مرحلة جديدة^(٥).

(٣) ينظر: جبهة مقالات الأستاذ محمود شاعر، جمع: د. عادل سليمان جمال، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص: ١٠٤٤-١٠٥٠، ١٠٩٣-١١٨٩.

(٤) ينظر: نمط صعب ونمط مخيف، أبو فهر محمود شاعر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، مطبعة المدني، القاهرة، ص: ١٨٧، ٢٨٨، وتقرأ روايته لبدء ذلك الصراع في كتابه: المتنبي، دار المدني جده، ومكتبة الخانجي، القاهرة - بمصر،

١٤٠٧هـ، ص: ٨-٢٠.

(٥) المتنبي، ص: ٧٦-٧٩.

وبعد كتاب (المتنبي) توثقت صلة الشيخ شاکر بالمجتمع الأدبي ، ونشأت له صداقات ، لعلّ أعمقها ما كان بينه وبين " يحيى حقي " ^(٦) والشاعر " محمود إسماعيل " ^(٧) وكانا يقرآن له بالفضل لتبصيره إياهما بالكثير من شأن العربية .

صلاته بالمجتمع السياسي :

أ- سجنه :

كان للشيخ شاکر صلاتٌ بالمجتمع السياسي منذ حدثته ، فوالده وأخوه منتميان إلى الحزب الوطني القديم ، وفي أوائل الأربعينات جدد شاکر صلته بالحزب الوطني الجديد ، إلا أن صوته لم يكن خاضعاً للحزب ، فقد ناصبه العداء حين حاد عما يريد له أن يكون ، وقد سُجن مرتين ، أولاهما في عام ١٩٥٩م ؛ لمناصرة الثورة في مصر ، وتحقيق العدل الاجتماعي بالإصلاح الزراعي ، وهذا الرأي يُعدُّ صدمةً لأصحابه المتدينين ، الذين يرون هذا يساريةً مستهجنةً ، ولكنه استمر على رأيه ، حتى أوقعت السلطة بأولئك الساخطين ، ولكنه جاهر واستنكر هذا الأسلوب في معاملة المخالفين ، فأدخل السجن بعد أن حُدِّرَ فلم يبال ، وبقي فيه تسعة أشهر .

أما سجنه الثاني فكان لمدة ثمانية وعشرين شهراً ، تبدأ بنهاية شهر أغسطس ١٩٦٥م ؛ ذلك بعد اتهامه بسعيه لإثارة فتنة دينية بمقالاته " أباطيل وأسمار " والواقع أن كتاباته تنفي هذه التهمة ، إلا أن إشارته في " أباطيل وأسمار " إلى نصرانية " لويس عوض " كانت مدخلا لمن أراد النيل منه ^(٨) .

(٦) يحيى حقي : من رواد القصة القصيرة تتلمذ على الشيخ شاکر ، وله قنديل أم هاشم . ينظر : تنمة الأعلام للزركلي ، محمد خير رمضان يوسف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، دار ابن حزم ، بيروت - لبنان ، ج : ٢ ، ص : ٢٢٧ .

(٧) محمود حسن إسماعيل : شاعر مطبوع متمكن ، من شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث . ينظر : تنمة الأعلام ، ج : ٢ ، ص : ١٦٢ .

(٨) ينظر لحياة الشيخ محمود شاکر : دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية أبي فهر محمود محمد شاکر بمناسبة بلوغه السبعين ، لمجموعة مؤلفين ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ ، المقدمة ص : ١٤ . ينظر : شيخ العربية وحامل لوائها : أبو فهر محمود شاکر ، بين الدرس الأدبي والتحقيق ، تأليف : محمود إبراهيم الرضواني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ص ١٣-٣١ . ينظر : مقالات حارس التراث أبي فهر : محمود محمد شاکر دراسة : إبراهيم بن محمد أبا نمي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ص : ٩-٢١ . وينظر : أبو فهر محمود شاکر سيرته وحياته وآثاره ، مجلة الأدب الإسلامي ، ج : ٤ ، العدد ١٦ ، سنة ١٤١٨هـ عدد خاص بالشيخ شاکر ، نشر بعد وفاته ، ص : ١-٣٨ .

ب - إنشاء جمعية الشبان المسلمين وإسهامه بالكتابة في المجلات :

كان لأديبنا إنجازاً عظيم ، فهو صاحب فكرة "جمعية الشبان المسلمين" مع ابن خالته الأستاذ عبد السلام هارون ، وكان ذلك في عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م ، وكان غرض هذه الجمعية أن تنشر العلم عن طريق جماعة من علماء المسلمين في مختلف العلوم ، ولا يدخل هذه الجمعية إلا من توفرت فيه شروط العالم ، ولكنه تركها لتغيير الغرض الذي أنشئت من أجله ، وأصبحت العضوية فيها بدفع رسوم مادية واستخراج اشتراكات أياً كان هذا المشترك ودرجته العلمية .

وسبب إنشاء هذه الجمعية هو نشاط جمعية الشبان المسيحية والتي تدعو إلى ندواتها رجالاً يطعنون في الدين الإسلامي ، فأراد أبو فهر والأستاذ عبد السلام هارون إنشاء جمعية تناهض فكر هؤلاء وترد عليه ، وتنشر الحق بين المسلمين .^(٩)

بدأ أديبنا الكتابة في مجلة المقتطف منذ ١٩٣٢م ، ثم في مجلتي الرسالة والبلاغ وغيرها من الصحف السيارة آنذاك ، ولكنه كان على صلة دائمة بالكتابة في الرسالة إلى أن توقفت عن الصدور . وفي عام ١٩٣٨م أخذ امتياز إصدار مجلة العصور ، لتصدر أسبوعية بعد أن كانت شهرية ، وصدر منها عددان ، الأول في ١٩ نوفمبر ١٩٣٨م ، والثاني في ٩ ديسمبر ١٩٣٨م ، ثم توقفت عن الصدور بسبب قلة الإمكانيات المادية والتمويل لهذا المشروع .

وبناءً على دعوة صديقه "فؤاد صروف"^(١٠) صاحب المقتطف ، ساهم في اختيار وترجمة مواد مجلة المختار بدءاً من عددها الثاني ، ولكنه توقف بعد قليل ، وفي الفترة القليلة التي شارك فيها في إخراج "المختار" استطاع أن يقدم مستوى للترجمة الصحفية لم يعرف من قبل ، وأدخل عدداً من المصطلحات الجديدة في اللغة للتعبير عن وسائل واختراعات حديثة من نوع "الطائرة النفاثة" ، وما زال عدد من الصحفيين الحاليين يعتبرون عناوين "المختار" التي كان يصوغها نموذجاً يُحتذى في هذا الباب .^(١١)

(٩) ينظر: شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر .. ، للرضواني ، ص: ٢٤.

(١٠) فؤاد صروف: أديب رأس تحرير المقتطف ، مصري ولد ببيروت ، وله : آفاق العلم الحديث ، انظر: تنمة الإعلام ، ج: ٢ ،

ص: ١٥ .

(١١) ينظر شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر .. ، للرضواني ، ص ٢٥=٢٧.

وفي أوائل الأربعينات بدأت صلته بالحزب الوطني الجديد في سنة ١٩٥٠م ، وساهم بالكتابة في مجلة "اللواء الجديد" ثم انقطع عن الكتابة في الصحف والمجلات بعد إغلاق الرسالة القديمة في سنة ١٩٥٢م ، وتفرغ للعمل بالتأليف والتحقيق ونشر النصوص ، فأخرج جملة من أمهات الكتب .^(١٢)

منتدى الشيخ العلمي :

أ - ندواته العلمية :

كان الشيخ محمود شاكر من الذين عاشوا هموم الوجود العربي الإسلامي ، وانقطع لها ، وجعل هذا الهمّ شاغله في ليله ونهاره ، وفيما يكتب ، وفيما يقرأ ، وفيما يحدث من يرتادون مجالسه ، فكأن هذه الأمة العربية الإسلامية مع تنائي أقطارها ، واختلاف أجناسها هم أبناء أمه وأبيه ، فكان جديراً بأن يُلقَّبَ بـ"أديب الأمة" و"شيخ العربية" و"حارس التراث" .. الخ ، فقد كان يعقد الندوات العلمية ويُدّرس الشعر الجاهلي في بيته ، وكان يحضر درسه طالب الماجستير والدكتوراه^(١٣) ، وبدأت أجيال من دارسي التراث العربي والمعنيين بالثقافة الإسلامية ، من كافة أرجاء العالم الإسلامي ، يختلّفون إلى بيته ويترددون على مجالسه العلمية يأخذون عنه ، ويفيدون من علمه ومكتبته الحافلة التي يسرّها للدارسين والباحثين . فمن العالم العربي كله ، ومن العالم الإسلامي على تراميه ، تقبل شخصيات لا حصر لها ، تتباين بعضها عن بعض في الزي والمظهر والثقافة واللهجة والشواغل والمطامح ، ولكنها تلتقي كلها عند "محمود شاكر" ، تنقطع للفكر والدرس والتحدّث في أمور لا يُسمع ولا يُعرف عنها شيئاً في مكان آخر ، فقد كان صوته يدوي بالشعر الجاهلي ، ينشده تلاميذه ، ويخوض بهم لججّه ، ويكشف عن أسرارهِ ، ثم ينتقل إلى فنون أخرى من التراث ، يدلهم عليها ، ويرغبهم فيها .^(١٤)

(١٢) المرجع نفسه ، ص : ٢٨ .

(١٣) ينظر : د . علي جواد الطاهر ، وأنت تقرأ (محمود محمد شاكر) ، مجلة الفيصل ، العدد : ٩٦ ، جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ ، ص : ٥٥-٥٦ .

(١٤) ينظر : شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر الرضواني ، ص : ٢٨-٢٩ . ينظر : "الرجل والأسلوب" ، لفتحي رضوان ضمن

كانت هذه الندوات تُعقدُ في مساء يوم الجمعة من بعد صلاة المغرب ، وفيها ينقلبُ بيتُ الشيخ إلى ندوة أدبية وفكرية وسياسية ، بمعنى آخر ندوة في شتى الموضوعات .^(١٥)

وهذا لا يعني أن بقية الأيام لا يقصدُ فيها بيت الشيخ ، فقد كان منزله عامراً معظم أيام الأسبوع ، يمكث فيه الطلاب أحياناً من العصر إلى جنح الليل ، وربما يقصد الطلاب بيته في الضحى والمساء دون أن يظهر على الشيخ أي علامات التثاقل والإعراض .^(١٦)

ويعضد هذا القول ما قاله الشيخ " محمد عبد الخالق عزيمة " رحمه الله : وعلم الله ما ذهبت لزيارته يوماً إلا وجدت منزله حافلاً بكثير من أهل الفضل ورجال الأدب من مصر ومن البلاد العربية ، وقلما رأيت كتاباً أو ديوان شعر حققه بعض الأدباء في البلاد العربية إلا وجدت الإشادة بفضل الأستاذ محمود وتوجيهاته وما أفادوا من نوادر مكتبته .^(١٧)

ب - مشاركته في المؤتمرات العربية :

شارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات العربية من أهمها :

١ - مشاركته في الاحتفال للاحتجاج ضد الاعتداء الفرنسي على مراكش ، كان ذلك في ١٣٧٠/٥/٢٨ هـ - ١٩٥١/٣/٦ م ، حيث كان هو القارئ للقرارات التي تندد بالاحتلال ، وأقيمت الحفلة بدار الشبان المسلمين ، بالقاهرة .

٢ - كما لبى دعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وألقى فيها سلسلة من المحاضرات من الشعر الجاهلي وذلك في سنة ١٩٧٤ م ، وألقى أيضاً محاضرة طُبعت بعد ذلك بعنوان "في الطريق إلى حضارتنا" وقد كان ألقاها في جامعة الملك عبد العزيز في جدة مايو ١٩٧٤ م ، وقد حالت ظروفه دون تلبية كثير من الدعوات لحضور مؤتمرات وملتقيات عربية وإسلامية كثيرة .

٣ - انتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة بدمشق عام ١٩٨٠ م ، وتمّ انتخابه عضواً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في عام ١٩٨٢ م .

(١٥) ينظر: د . عبد القدوس أبو صالح ، الشيخ محمود شاکر كما عرفته ، مجلة الأدب الإسلامي ، ج : ٤ ، العدد : ١٦ ، سنة :

١٤١٨ هـ ، عدد خاص بالشيخ شاکر نشر بعد وفاته ، ص : ١٠ .

(١٦) ينظر: المرجع نفسه ، ص : ٦ .

(١٧) ينظر: دراسات عربية وإسلامية ، ص : ٤٥٤ .

وقد كرمته الدولة فأهدته " جائزة الدولة التقديرية في الآداب " عن عام ١٩٨١م؛ تقديراً لجهوده وإسهاماته المتعددة في خدمة تراث الإسلام ودرأيته الواسعة بعلوم العربية ، ومكانته المتميزة في تاريخ الفكر الإسلامي ، وتسلم الجائزة في احتفال أقيم مساء يوم الثلاثاء ٨ رمضان ١٤٠٢هـ / ٢٩ يونيو ١٩٨٢م .

وفي أواخر عام ١٩٨٣م نال جائزة الملك فيصل العالمية ، وتسلم الجائزة في ٢٥ فبراير ١٩٨٤م = ٢٤ من جمادى الأولى ١٤٠٤هـ بالرياض .^(١٨)

وألقى في هذه الحفلة كلمة نفيسة بعد أن حمد الله وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبر عن سعادته الغامرة بهذه الفرصة العزيزة النادرة ، جاء فيها " .. في القرن الخامس عشر ، ومنذ سمعت : بخبر إنشاء : "جائزة الملك فيصل العالمية " ، رأيت عالماً عربياً إسلامياً قد انتفض ، وهبّ يمسح عن وجهه غفوة طويلة ، ثم رأيت عالماً يموج بالشوامخ من علمائه وأدبائه وشعرائه ومفكره على اختلاف ألسنتهم وألوانهم يعدّون "فيصلاً" رجل هذه الأمة وسهمها حين طاشت السهام، وركناً من أركانها الشداد وقد وهت الأركان، فإذا ذكروا الجائزة المقرونة باسمه ، أثارَت في كلِّ نفسٍ وقلبٍ بشاشة الانتماء الحميم إلى عالمٍ عربيٍّ إسلاميٍّ متراحبٍ فوّار ، لا إلى عالمٍ لا يجمعنا وإياه انتماءً ولا شيعةً ، ما أجلّ ما رأيتُه يومئذٍ من عالم ، وما أروعها من حياة..."^(١٩) .

موقفه من طلابه :

لم يفتح شيخنا بيته لطلابه فحسب ، بل فتح قلبه وعلمه ، إذ يرى أنّ هذا الصنيعَ جزءٌ من واجبه تجاه الثقافة العربية الخالدة، وهذا الصنيع من الشيخ شاكر يجعل بيته مؤثلاً يوحى بثناء ونعمة ، إلا أنه لا يعير المال التفاتاً ، فمن صفاته الزهد فيه .

(١٨) ينظر: شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر ، للرضواني ، ص: ٢٩-٣١. وينظر مقالات حارس التراث أبي فهر ، لأبي نمي ، ص : ١٨ .

(١٩) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، لأبي فهر محمود محمد شاكر، بدون طبعة ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، دار المدني ، جدة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ص : ١٨٩-١٩٢ .

ومن صفاته الشدة والحدة والصرامة إلى حد الإيلام ، ولكن لا يستطيع أحد في جميع الظروف إنكار طبيته وبساطته وربما سذاجته ، فغضبه الثائر يخفي تحته روحاً متسامحة ، وغفراً لا نهاية له ، فهو كثيراً ما يتصاول مع جلسائه تصاول الأعداء ، ثم يتفرقون تفرق الأصدقاء .^(٢٠)

وإذا كان الشيخ يقسو على تلاميذه في حضورهم ، ويسفه آراءهم ، ويسخر منهم بأسلوب لاذع ، إلا أن كل ذلك لم يكن يصدر عن حقدٍ دفين أو صلفٍ مهين ، فما هو إلا والدٌ وموجهٌ يقسو ليزدجروا .

وكان إذا قسا عليهم في حضورهم فإنه يدافع عنهم في غيبتهم ، يتعصب لهم ، ويغار على سمعتهم ، وكان يببالغ في ذلك أحياناً ، ويتجاوز الحد في الثناء عليهم .

ولقد بلغ من كرم الشيخ ومروءته وإنسانيته ورغبته في إحياء التراث ومآثر السلف الصالح ، أنه كان يعين طلابه على ما يعترضهم في إعداد رسائلهم الجامعية ، ومعظمهم من طلاب الدراسات العليا ، كما كان يعلمهم منهجه الأمثل في طلب العلم وتحقيق التراث ، ولا يرضى عليهم بجهد أو وقت ، بل لا يتردد في تقديم الكتب إليهم بنفسه ، كما فتح لهم أبواب مكتبته العامرة ، لينهلوا منها ومن علمه الغزير ، وكانوا يرجعون دائماً إلى معرفته الواسعة ، وعبقريته المشهودة في حلّ المعضلات ، وفكّ المعميات ، وإذا أعياهم شعراً أو نثراً لم يجدوا له قائلاً فزعوا إليه ، فهداهم إلى اسم القائل واسم المصدر في أكثر ما يسألون ، وقرب إليهم الباقي ببعض ما يعرف.^(٢١)

وبالرغم من جدية الشيخ وحزمه وصرانته ، إلا أنه أوتي روحاً مرحة ، تطرب للنادرة ، لا يحمل همماً ولا يعرف غمماً ، وهو كثير ما يداعب تلاميذه ، ويمازح خواص جلسائه ، حتى إذا جدّ الجدّ فهو الليث عاديّاً ، وويل كل الويل لمن يتعرّض إلى عاصفةٍ من غضبه العاصف المدمر ، أو لسانه العضب الذي لا يعرف المهانة ، ولا يبالي بصغير أو كبير .

وكان من بواعث غضبه الذي لا يكاد يهدأ حتى يثور ، ومن عوامل حساسيته الشديدة التي كانت تؤرقه وتثقل أعصابه ، ما يرى لدى عدد كبير من كبار العلماء الذين يتبحرون في العلم ، وينقطعون إليه ، حتى لا يكاد الواحد منهم يغادر بيته ليختلط بالناس ، ويعرف أحوال المجتمع

(٢٠) ينظر : مقالات حارس التراث أبي فهر .. ، لأبي نمي ، ص : ١٥ ، ١٦ . ينظر إلى : فتحي رضوان ، الرجل والأسلوب ،

دراسات عربية وإسلامية ، ص : ٤١١ .

(٢١) ينظر : عبد القدوس أبو صالح ، الشيخ محمود شاکر كما عرفته ، ص : ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ .

عن كثب ، وهذا ما يوقعهم في حالة من عدم التلاؤم مع غيرهم ، ومن عدم الرضا عن الظروف المحيطة بهم ، وبأمتهم وبخاصة أنهم قد يُصابون بالإحباط واليأس ، إن يطمحون أن يغيروا مَنْ حولهم وأن يرفعوهم إلى مستوى مطامحهم وأمانيتهم في نهوض الأمة من كبوتها ، وفي عودتها خير أمة أُخرجت للناس ، وهم يريدون لمن حولهم أن يكونوا على ما هم عليه من الجدِّ والمثابرة والإخلاص والاستقامة ، والوعي بطريق الإخلاص وأسس النهضة .^(٢٢)

لذا لم يكن عجباً أن يبادلَ التلاميذُ والمريدون شيخَهُم مودةً بمودةٍ ، وأن يصبروا - إقلاَةً منهم - على قسوته عليهم ؛ إجلالاً لعلم الشيخ وريادته وإمامته ، فقد حبه كلُّ من عرفه عن قربِ حق المعرفة .^(٢٣)

وفاته :

انتقل الشيخ أبو فهر محمود محمد شاکر إلى جوار ربه مساء يوم الخميس الثالث من ربيع الآخر عام ١٤١٨هـ / الموافق اليوم السابع من أغسطس عام ١٩٩٧م^(٢٤) ، وقد شيعه عددٌ من محبيه .

آثاره ومؤلفاته :

ترك الشيخ محمود آثاراً متفرقة تالياً وتحقيقاً ، إلا أنه في بعض تحقيقاته يضع (قرأه وعلق عليه) ، ولا يقول : "حقه" ؛ لأن المطلوب من نشر الكتب هو أن يكون الكتاب مقروءاً حسب موضوعه يهتدي الإنسان في قراءته إلى المعنى الذي أراده مؤلفه .

أ - مؤلفاته :

١- (المتنبي) صدر لأول مرة في مجلة المقتطف ، مجلد : ٨٨ ، ١٣٥٤هـ / ١٩٣٦م ، ثم طبع مرتين بإضافات نفيسة .

(٢٢) المرجع نفسه ، ص : ١٠ .

(٢٣) المرجع نفسه ، ص : ١٤ .

(٢٤) مقالات حارس التراث أبي فهر .. لأبي نمي ، ص : ١٩ .

- ٢- (أباطيل وأسمار) وهي جملة مقالات كتبها ثم أخرجها في كتاب عام ١٣٨٥-١٣٨٦ هـ / ١٩٦٥م. نشر وطبع بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٣- (نمط صعب ونمط مخيف) ، وهو جملة مقالات نقدية كان كتبها عام ١٩٦٩م ، ثم أخرجها في كتاب عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- ٤- (برنامج طبقات فحول الشعراء) ، وقد كتبه عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، مبيناً منهجه في التحقيق ، ونشره ضمن كتاب (طبقات فحول الشعراء) مع العلم أن البرنامج لم ينشر في طبعتي الكتاب الأوليين .
- ٥- (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ، وهو كتاب فكري ، صدر أول مرة مدرجاً مع كتاب المتنبي في طبعته عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ثم نشر مراراً بعد ذلك .
- ٦- (قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام) ، وأصل الكتاب محاضرة ألقاها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٧٥م ، ونشرت كتاباً قبيل موته بأشهر عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٧- (مداخل إعجاز القرآن) ، وهي كتابات متفرقة ألف شاكر بينها في كتاب وتردد في نشره ، فلم ينشر إلا بعد موته عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ٨- (جمهرة مقالات الأستاذ : محمود محمد شاكر) ، جمعها د . عادل سليمان جمال ، وأصدرها عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

ب- الشعر :

- ١- (القوس العذراء) ، طبعت أول مرة عام ١٣٨٥هـ تقريباً / ١٩٦٤م ، وهي قصيدة واحدة طويلة .
- ٢- (اعصفي يا رياح وقصائد أخرى) جمعها ابنه فهد بعد وفاته ، ونشرت عام ١٤٢٢هـ .

ج- تحقيقاته :

- ١- (فضل العطاء على العسر) ، لأبي هلال العسكري .

- ٢- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ، للمقريزي .
- ٣- المكافأة وحسن العقبى ، لأحمد بن يوسف بن الدايرة .
- ٤- طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي .
- ٥- (تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، صدر منه ستة عشر مجلد ما بين عامي ١٣٧٤هـ - ١٣٨٩هـ تقريباً ، ١٩٥٥-١٩٦٩م ، وقد اشترك مع أخيه أحمد في الثلاثة عشر مجلد الأولى ، وانفرد بالثلاثة الأخيرة .
- ٦- جمهرة نسب قريش ، للزبير بن بكار .
- ٧- تهذيب الآثار وتفضيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار ، لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري .
- ٨- دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني .
- ٩- أسرار البلاغة ، لعبد القاهر الجرجاني .

د- تعليقات على كتب محققه ومراجعات :

- ١- كتاب (الوحشيات) ، وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام ، حققه عبدالعزيز الميمني ، وزاد في حواشيه " محمود شاکر " .
- ٢- شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد الحسين بن الحسين السُّكْرِي ، حققه " عبدالستار أحمد فراج " ، وراجعته محمود محمد شاکر . (٢٥)

(٢٥) ينظر : دراسات عربية وإسلامية ، المقدمة ، ص : ١٩ - ٣٢ . ينظر : شيخ العربية وحامل لوائها ، أبو فهر ... ،

محمود الرضواني ، ص : ٤٧٩ - ٤٩٩ .

ينظر : مقالات حارس التراث أبي فهر ، لأبي نمي ، ص : ١٩ - ٢١ .

ثانياً: الأحداث التي أثرت على اللغة العربية في مصر

والعصر الذي عاش فيه الشيخ

أهم الأحداث التي أثرت على اللغة العربية والثقافة في مصر :

عاش الشيخ في عصرٍ مضطربٍ تتقاذفه النوازعُ ، وكانت المذاهب الفكرية والأدبية متشاكسة ، الأمر الذي أدى إلى ظهور آراء في الأدب العربي ، وهجومٍ على اللغة العربية ونعتها بالضعف ، إضافةً إلى الهجمات الشرسة على الإسلام وتعاليمه وعلى تراث المسلمين ، وقبل البدء في وصف العصر الذي عاش فيه الشيخ محمود محمد شاكر ، لابد لنا أن نوضح بعض الأحداث التي كان لها أثر كبير في حياة مصر والتي أثرت على اللغة والأدب والثقافة فيها ، وعلى العصر الذي عاش فيه الشيخ ، وفيما يلي توضيح لأهم هذه الأحداث :

- الأتراك في مصر :

عانى الشعبُ من الحكم العثماني منذ أن أصبحت مصر تحت حكم الأتراك في القرن السادس عشر ، إذ أنزلوا بأهل مصر البؤس والظلم ، فتدهورت الأوضاع في الحكم والسياسة ، انعدم الأمن ، وساد الجهل ، وهُدمت صروح العلم والأدب والفن ، ولم يُتَحَ لعلمائها وأدبائها الظهور والتعبير ، بل نُفيت جماعةٌ منهم إلى القسطنطينية ، وبقيت جماعةٌ في عقر ديارها خاملةً ، لا تستطع أن تنتج علماءً ولا أدباً ، بذلك انهارت الحياة العقلية والأدبية في مصر ، لولا نشاط ضئيلٌ ظلَّ في الأزهر ، وكان يحفه ظلامٌ مطبقٌ من الفقر والبؤس بسبب سوء الإدارة .

- الحملة الفرنسية بقيادة "نابليون" :

اقتحمت الحملة الفرنسية مصر في آخر القرن الثامن عشر بقيادة "نابليون بونابرت" ، ومكثت نحو ثلاث سنوات ، كانت جميعها جهاداً عنيفاً وصراعاً مريراً قاسياً بين الشعب المصري والمعتدين ، ولكن الشعب المصري اطلع من خلال هذه الحملة على بعض وجوه الحياة الأوروبية في فرنسا ، إضافة إلى ذلك فقد لفتت الحملة المصريين إلى ما أصاب الغربيون من تقدم في العلم وقد تمثل ذلك في :

١- استقدام نابليون طائفة من العلماء البارعين والمتخصصين في مختلف العلوم التاريخية والطبيعية والرياضية ، فلم يلبث حين نزل مصر أن أسسَ المجمع العلمي المصري على غرار المجمع

العلمي الفرنسي ، وانبعث العلماء الذين جاءوا معه يدرسون مصر من جميع أطرافها ، الأمر الذي أدى إلى :

١- إنشاء المعامل التي تعني بالبحث العلمي التجريبي ، ومكتبة ، ومطبعة ، وكان الفرنسيون يستدعون المصريين لرؤية ما يجرون من تجارب كيميائية لا عهد لهم بها ، فيعجبون وينبهرون . أما المطبعة فكانت تطبع بالحروف العربية منشوراته وبعض الصحف الدورية ، بل أخذت تطبع بعض الكتب ، ولم يكن للمصريين عهد لا بالمطبعة ، ولا بما تطبع من منشورات وكتب وصحف فكان ذلك كله جديداً عليهم .

- اختيار محمد علي والياً على مصر :

لما غادرت الحملة الفرنسية مصر ، عاد المصريون إلى حكم العثمانيين ، واختاروا "محمد علي باشا"^(٢٦) والياً عليهم ؛ ليدخلوا تاريخاً جديداً لأمة مجاهدة متحررة ، إلا أن محمد علي قضى على هذه الآمال والمطامح ، ومنعهم من الاشتراك مع الحكام في حكم أنفسهم وتدبير شؤونهم ، فقد كان رجلاً طموحاً يريد أن يحقق لنفسه آمالاً ، فقوى الجيش وعنى به ، واستعان بالأساليب الأوروبية ، والمعلمين الأوروبيين ؛ ليكون لنفسه جيشاً قوياً مثل جيوش الدول الكبرى ؛ لذا أنشأ المدارس الحربية والصناعية والهندسية والطبية ، وكان المعلمون في هذه المدرسة من الفرنجة ، وكان لا بد للمصريين أن يحسنوا اللغات الأجنبية ليفهموا عنهم ، فأُنشئت لذلك مدرسة الألسن ، وأُرسلت البعثات إلى الغرب ، كما أنشئت في أثناء ذلك كثير من المدارس الابتدائية والثانوية .

كل ذلك فعله "محمد علي" ليحقق أحلامه ، ولما لم تتحقق أحلامه انصرف عن التعليم وأغلق ابنه المدارس من بعده ، ولكن الصلة بين مصر وأوروبا لم تنقطع لسببين هما :

١- وجود طائفة من العلماء المصريين الذين بُعثوا إلى أوروبا وعادوا ليثبتوا حركة المزج الحديثة بين حياة مصر العقلية وحياة الأوروبيين .

(٢٦) محمد علي باشا : ابن إبراهيم آغا بن علي المعروف ب"محمد علي الكبير" مؤسس آخر دولة ملكية بمصر ، ألباني الأصل ، قدم مصر وكيلاً لرئيس قوة متطوعة لردّ غزاة فرنسا ، وبعد زمن أصبح والي مصر ، وعُني بتنظيم حكومتها ، وكثرت في أيامه المدارس المصرية والمعامل في الديار المصرية .

ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٦ ، ص : ٢٩٨ .

٢- مهاجرة كثير من الأوروبيين إلى مصر وتأسيسهم للشركات والمدارس فيها ، إذ زار مصر كثير من أدبائهم وأخذت تؤثر بتاريخها القديم والحديث في أدبهم والأدب الأوربي عامّة ؛ لذلك فتحت المدارس ، وأخذت الحركة تنمو وتؤتي أكلها ، حيث أنشئت "دار الأوبرا" و"مكتبة الخديوية" وكثرت المدارس الابتدائية والثانوية ، وأقيمت مدرسة للبنات ، وبذلك أصبح العلم للعلم لا للجيش .

-فتح قناة السويس :

كان لفتح قناة السويس آثارٌ عمليةٌ واضحةٌ ، إذ قرّبت القناة المسافات المادية والمعنوية بين الشعوب الشرقية والغربية في اتجاهات تفكيرها وحضاراتها ، وكما أثرت على العلاقات السياسية أثرت أيضاً على العلاقات العقلية على اختلاف أنواعها سواء فيما يتصل بالمصريين أو فيما يتصل بالأوروبيين بعضهم ببعض ، حيث كثر إقبال الأوروبيين على مصر ، كما كثر إقبال المصريين على أوروبا ، وكان لهذا الفتح أيضاً آثارٌ سياسيةٌ بعيدةٌ في العلاقات الدولية مما نشأ عنه فيما بعد احتلال الإنجليز لمصر .

-الاحتلال الإنجليزي لمصر :

أثناء الاحتلال الإنجليزي حاول الإنجليز جاهدين أن يُعلّوا ثقافتهم بمصر فوق الثقافة الفرنسية وغيرها من الثقافات الأوروبية ، فحيناً يجعلونها لغة العلم والتعليم ، وحيناً يجعلون البعثات جميعاً إلى بلادهم ، كما أقبلت على مصر طائفة من البعثات الدينية الغربية المختلفة ، وأسست كثيراً من المدارس في القاهرة والإسكندرية وغيرها من عواصم القطر المصري ، وكان لها أثر في الحياة الثقافية .^(٢٧)

وذلك لأن الاحتلال الإنجليزي سيطر على التعليم سيطرة خاصة إلى أن جاء "دنلوب" في (١٧ مارس ١٨٩٧) ، ليضع للأمة نظام التعليم المدمر ، وكان التمهيد لهذا العهد طويلاً متعدد الجوانب ، وكان قوامه إعداد أجيال من "المبعوثين" يعودون من أوروبا إلى بلادهم ببضعة أفكارٍ تتضمن الإعجاب المزهو ببعض مظاهر الحياة الأوروبية ، مقروناً بنقد بعض مظاهر الحياة في

(٢٧) الأدب العربي المعاصر في مصر ، د : شوقي ضيف ، الطبعة الحادية عشرة ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ،

بلادهم ، وبأن يكاشفوا أمتهم بأن ما أعجبوا به هو سرُّ قوة الغزاة وغلبتهم وأن الذي عندهم هو سرُّ ضعفهم وانهيارهم .

ولما جاء عهد "دنلوب" ، رأى أن من الضروري أن تنشأ أجيال متعاقبة من "تلاميذ المدارس" في البلاد ، يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بهذا التحوّل ، عن طريق تفريغهم تفرغاً كاملاً من ماضيهم كلّهم ، مع هتك أكثر العلاقات التي تربطهم بهذا الماضي اجتماعياً وثقافياً ولغوياً ، ومع ملء هذا الفراغ بالعلوم والآداب والفنون ، ولكنها فنون وآداب ، وتاريخ الغزاة .

وقد تولى نظام "دنلوب" تأسيس ذلك في المدارس المصرية ، مع مئات من مدارس الجاليات التي يتكاثر مع الأيام عدد من تضم من أبناء المصريين وبناتهم ، وكان للغزاة ما أرادوا .

كما أثّرت قضية كثيرة الضجيج ، محفوفة بألفاظٍ مبهمّةٍ مغريّةٍ تقبلها النفوس بلا ممانعة ، وهي قضية "القديم" و "الجديد" و "التجديد" و "ثقافة العصر" و "الحداثة" و "التحديث" ، والنظر في حقيقة هذه القضية يفضي إلى شيئين ظاهرين :

أ - ميل ظاهر إلى رفض "القديم" والاستهانة به ، دون أن يكون الرفض ملمّاً بحقيقة هذا "القديم".

ب - وميل سافر إلى الغلو في شأن "الجديد" ، دون أن يكون صاحبه متميّزاً في نفسه متميّزاً صحيحاً بأنه "جدّد" تجديداً نابعاً من نفسه ، وصادراً عن ثقافة متكاملة متماسكة ، بل كل ما يميّزه أن الله قد يسّر له الإطلاع على آداب وفنون وأفكار تعب أصحابها في الوصول إليها من خلال ثقافتهم المتماسكة المتكاملة .

وظهرت دعوات مختلفة ، كالدعوة إلى الفرعونية والفينيقية وأشباه ذلك ، في الصحافة والكتب المؤلفة ، لأن تفرّغ الأجيال من ماضيها المتدفق في دمائها والمرتبط بالعربية والإسلام ، يحتاج إلى ملء بماضٍ آخر يغطّي عليه ، فجاءوا بماضٍ بائدٍ معرق في القدم والغموض ، ليزاحم ذلك الماضي الحيّ الذي يُوشك أن يتمزق و يختنق بالتفرّغ المتواصل^(٢٨) .

(٢٨) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، لأبي فهد محمود شاكر ، ص: ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .

وهذا الأسلوب اتبعه المستعمر الغربي في كل الأقطار التي احتلها، وهذا ما فعلته فرنسا في الجزائر حين دعت إلى إحياء اللغة الأمازيغية البربرية، باعتبار البربر أمة مستقلة عن العرب، كما ادعت بأنهم مسيحيون منحدرين من شعوب أوربية، وما هم إلا أمة يمنية عربية قحطانية^(٢٩).

وبرزت الدعوة إلى العامية وتحقير الفصحى وازدراءها ، إذ رُميت اللغة العربية الفصحى بالقصور والتخلف والجمود وعدم مواكبتها للعصر ، كما أُتِّهت بالصعوبة في نطقها وبالتعقيد في حروفها ، من هنا كانت الدعوة إلى اتخاذ العامية أداة للتفاهم والتعبير في الصحف ، ولغةً للتعليم والأدب والشعر ، بل هناك من يرى اتخاذها لغةً يُترجمُ بها القرآن^(٣٠) ، وصاحب ذلك الدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني لصعوبة الحرف العربي – كما يزعمون^(٣١) – وكلُّ هذه الدعوات يدعي أصحابها أن الغرض منها التسهيل والارتقاء والتجديد .

وهناك من ذهب إلى التشكيك في الشعر الجاهليّ إذ يرى أن أكثره منحول وأن ما نسميه شعراً جاهلياً ليس من الجاهلية في شيء وأن ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جداً ، لا يمثل شيئاً ولا يدلُّ على شيء .^(٣٢)

وكان لهذه الدّعوات المضلّة (المسماة بدعوات التجديد) دعاة مؤيدون ، وكان لها في نفس الوقت من يعارضها ويحاربها ومن هنا انقسم المثقفون إلى فريقين :

أ – فريق ينادي بالرجوع إلى القديم ؛ لأنه كاف جداً لنضج الحياة العقلية عند العرب ، فكما أخرج عقولاً ناضجة في جميع العصور فبال تأكيد سيخرجهم اليوم .

ب – وفريق ينادي بالرجوع إلى ثقافة الغرب ، وإلى آداب الغرب للأخذ منها واستلهاها؛ وحثّهم في ذلك أن التراث الشرقيّ في العلوم والآداب والفنون ، لا يكفي لنضج الحياة العقلية

(٢٩) ينظر: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا، الدكتور أنور الجندي، بدون طبعة، ١٣٨٥-١٩٦٥، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ص: ٩٥-٩٩ .

(٣٠) ينظر: أباطيل وأسما، محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ص : ١٥٣ . التبشير والاستعمار في البلاد العربية، تأليف: الدكتور مصطفى خالدي، الدكتور عمر فروخ، الطبعة الرابعة، ١٣٩٠ - ١٩٧٠ ، ص: ٢١٧-٢٣٢ .

(٣١) ينظر: جمهرة مقالات محمود شاكر ، ج : ١ ، ص : ٢٥٨ .

(٣٢) ينظر: المتنبي ، لمحمود شاكر ، ص : ٢٩ .

الحديثة ، بل يجب لكي يصلَ هذا النضجُ إلى مداه من التقدم أن يأخذ ما أنتجه وتنتجه القرائح والعقل البشريُّ في الغرب . (٣٣)

وفي هذا العصر وُلد الشيخ محمود محمد شاكر ، ونزاعُ القديم والحديث قائمٌ على أشده ، بل هو نزاعٌ شاملٌ لنواحي الحياة المختلفة ، فالحديثُ هو الحضارة الغربية المسيطرة بثقافتها ، وطبيعيُّ أن يكون الشيخُ إلى جانب العربية والإسلامية ، وهي القديمُ كما يزعمون .

وقد تحدثَ الشيخُ عن جيله وعصره الذي عاشَ فيه ، فذكرَ أنه من جيلِ المدارسِ المصرية ، الجيلُ الذي تمَّ تفريره تفريراً يكادُ يكونُ كاملاً من الماضي كَلَّه من علومه وآدابه وفنونه ، كما تمَّ هناك العلائقُ بينهم وبينه ، وصار ما كان في الماضي متكاملًا متماسكًا ، مزقًا متفرقًا يكادُ يكون خالياً من المعنى ومن الدلالة ، ولأنه غير ممكن أن يظلَّ الفراغُ فارغاً أبداً ، فقد تمَّ ملءُ هذا الفراغِ بجديد من العلوم والآداب والفنون ، لا تمتُّ إلى الماضي بسبب ؛ لأن الغرض من هذا التفريرِ وملء الفراغِ بالجديد هو تمزيقُ الماضي وخنقه ، وتغليبُ الثقافةِ الغازية واللغاتِ الغازية دون أن يكون هناك مقابلٌ في النفوس من ثقافةٍ ماضيةٍ حيَّةٍ وباقيةٍ على تماسكها وتكاملها .

أما الحركةُ الأدبيةُ والثقافيةُ في هذا الوقت فقد انتعشت انتعاشاً غير واضح المعالم ، ولكنه يقوم على أصل واحد في جوهره ، هو ملء الفراغ بما يناسب آداباً وفنوناً غازيةً كانت قد ملأت بعض هذا الفراغ ، فهي تحدثُ في النفوس تطلعاً إلى زادٍ جديدٍ منها .

وحتى جمهور المتعلمين المنتسبين إلى الأزهر ودور العلم وأشباههما ، الذين حاولوا المحافظة على الماضي محافظةً ما ، عمد الغازون إلى تفريرهم ، وربطهم بالحركة الأدبية الغازية المتصاعدة تحت أوية : "الجديد" و"التجديد" و"ثقافة العصر" ، وسائر الألفاظ المبهمة المغربية ، كما أتاحوا لهم الاطلاع على ما عند الحضارة الغازية من نظر ورأي في آداب العربية وعلومها وفنونها وتاريخها ودينها أيضاً ، وهذا موفورٌ في مؤلفات المستشرقين المرتبط كل الارتباط بالاستعمار والتبشير ، أي تدمير الأمم المستضعفة وتحطيم ثقافتها وآثارها وماضيها كله . (٣٤)

(٣٣) ينظر: قصة الأدب في مصر ، د : محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، دار الجيل ، - لبنان ، ج

٣ : ص : ١٣٣ .

(٣٤) المتنبي ، لأبي فهر ، ص : ٢٠ - ٢٤ .

كما دخلت على الأمة الإسلامية والعربية في هذا العصر أفكار هدامة تحت مسمى : "الجديد" و"التجديد" ، وغيرها من الألفاظ والمفاهيم التي فرّغت من معانيها ، وأعطيت دلالات غريبة ودخيلة بعيدة عن ثقافة المجتمع ، ساعد على ترويجها ونشرها والإعداد لها الغزاة المستعمرون .

مفهوم التجديد :

وضح الشيخ أن مفهوم التجديد عندهم هو : "الأخذ من مفاهيم وآراء بعيدة عن ثقافة الأمة الإسلامية العربية ، وهي آراء وأفكار قد تولّى صياغتها من هو لصيق دخيل على العربية وعلى لسانها ، ولم ينشأ فيها ، وإنما تعلمها على كبر ، فهو لا يعلم منها إلا أقلّ القليل ، ومن هو محروم بطبيعته من القدرة على تذوق آدابها ، ومن هو مسلوب كل إحساس بتاريخها ، فضلاً عمّا يكُنّه في سريرته من العداوة المتوارثة والبغضاء المتأججة ، ومن المصلحة المتجددة أن يعمل جاهداً في تشويه صورتها تشويهاً متعمداً لأغراض حضارية" .^(٣٥)

أما مفهوم "التجديد" عند الشيخ شاعر فيتجلّى واضحاً في قوله : "إن "الجديد" و"التجديد" ، لا يمكن أن يكون مفهوماً ذا معنى ، إلا أن ينشأ نشأة طبيعية من داخل ثقافة متكاملة متماسكة حيّة في أنفس أهلها ، ثم لا يأتي التجديد إلا من متمكن النشأة في ثقافته ، متمكن في لسانه ولغته ، متذوق لما هو ناشئ فيه من آداب وفنون وتاريخ ، مغروس تاريخه في تاريخها وفي عقائدها ، في زمان قوتها وضعفها ، ومن المتحدّر إليه من خيرها وشرها ، محسناً بذلك كله إحساساً خالياً من الشوائب ، ثم لا يكون "التجديد" تجديداً إلا من حوار ذكي بين التفاصيل الكثيرة المتشابكة المعقدة التي تنطوي عليها هذه الثقافة ، وبين رؤية جديدة نافذة ، حين يلوح للمجدد طريق آخر يمكن سلوكه ، من خلاله يستطيع أن يقطع تشابكاً من ناحية ، ليصله من ناحية أخرى وصلاً يجعله أكثر استقامة ووضوحاً ، وأن يحلّ عقدة من طرفٍ ليربطها من طرفٍ آخر ربطاً يزيد لها قوةً ومثانةً وسلاسةً .

فالتجديد هو : حركة دائبة في داخل ثقافة متكاملة ، يتولّاها الذين يتحركون في داخلها كاملة حركة دائبة ، عمادها الخبرة والتذوق والإحساس المرهف بالخطر ، عند الإقدام على القطع والوصل ، وعند التهجّم على الحلّ والربط " .^(٣٦)

(٣٥) المرجع السابق ، ص : ٢٥ .

(٣٦) المرجع السابق : ص : ٢٥ - ٢٦ .

الفصل الأول

موقف الشيخ محمود شاكر من اللغة

المبحث الأول : موقفه من التجديد.

المبحث الثاني : نظرتَه إلى اللغة.

المبحث الأول : موقف الشيخ من التجديد في اللغة

أولاً : موقفه من الدعوة إلى العامية.

ثانياً : موقفه من إلغاء الإعراب.

ثالثاً : موقفه من رسم العربية بالحرف اللاتيني.

لما كان هدفُ المستعمرين نزعَ الإسلام من نفوس أبنائه ، وهدم اللغة العربية الفصحى التي هي لغة القرآن ، كان لابدَّ على المسلمين أن ينهضوا للدفاع عن دينهم ، وإحياء فكرهم العربي ، وتجديد ثقافتهم القديمة ؛ لذا ظهرت محاولات إصلاح ، مطامحها وآمالها إصلاح كلِّ شيء في الحياة ، في الدين والسياسة والأدب ، فكانت المحافظة على التراث قائمة ، يمثلها جمهور المنتسبين إلى الأزهر ودار العلوم ، وشعراء مدرسة الإحياء ، وغيرهم من الأعلام والأدباء والكتاب والمحريين ممن استشعروا بحريرتهم وكرامتهم ووجودهم الإنساني .^(٣٧)

وقد كان الشيخ محمود شاكر من المدافعين عن الحقِّ ، المحامين عن هذه الأمة وتراثها ، إذ وقف موقفاً متميزاً تجاه هذا التجديد ، الذي لايهدف إلا إلى إفساد التراث العربي ، وطمس هويَّة الأمة الإسلامية العربية ، فشيخنا يدعوا إلى التجديد ولكن بضابط العودة إلى الأصالة ، وأن تعود الأمة إلى هويتها ، تلك الهوية التي طُمسَ منها الكثير ، ومن أجل ذلك خاض الشيخ صراعات كثيرة ، دافع فيها عن الدين الإسلامي ومبادئه وعن أنبياء الله^(٣٨) ، كما نافح فيها عن تراث الأمة (ولا سيما الشعر الجاهلي)^(٣٩) ، وردَّ على كثير من الدَّعوات المضللة التي من شأنها تشويه صورة الدين وإبعاد أبنائه عن تعاليمه^(٤٠) .

ومن هذه الدعوات التي حاربها شيخنا :

الدعوة إلى العامية ، واستهجان الفصحى .

الدعوة إلى إلغاء الإعراب .

الدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية .

وفيما يلي توضيح موقف الشيخ منها ، وصراعه مع بعض دعواتها :

(٣٧) ينظر : قصة الأدب في مصر ، للدكتور محمد خفاجي ، ج : ٣ ، ص : ١٢٧ .

(٣٨) ينظر : دراسات عربية وإسلامية ، محمد حسن عواد محمود شاكر مفكراً مسلماً : ص : ٤٢٣ . أباطيل وأسما ،

ص : ٢٧٥ ، ٣٠٥ - ٣١٠ .

(٣٩) ينظر : المتنبي ، لأبي فهر محمود شاكر ، ص : ٩-١٣ . مقالات حارس التراث أبي فهر ، ص : ٧٠ .

(٤٠) منها الدعوة إلى الفرعونية ، وهي دعوة هدفها سلخ الأمة الإسلامية من عقيدتها وتراثها الحيِّ وردها إلى ماضٍ بائدٍ وثني .

ينظر : جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر ، ج : ١ ، ص : ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ .

أولاً: موقفه من الدعوة إلى العامية :

جاءت هذه الدعوة لما رأت أوروبا الأمة الإسلامية وهي من مختلف الأجناس والألوان والألسنة تتلو كتاباً واحداً يجمعها ، يقرؤه من لسانه العربية ، ومن لسانه غير العربية ، وتحفظه جمهرة كبيرة منهم على ظهر قلب ، ومن لم يحفظه جميعاً حفظ بعضه ، تعجبت من هذه القوة الخارقة لهذا الكتاب الذي حوّل البشر إلى اتجاه واحد متنسق على اختلاف الأجناس والألوان والألسنة ؛ لذا قام "الاستشراق" بدراسة أحوال هذا العالم الفسيح الذي سوف تتصدى له أوروبا المسيحية بعد يقظتها ، وعلى حين غفوة رانت على هذا العالم الإسلامي ، فكان أولهم "الاستشراق" أن يبحث لأوروبا سلاحاً غير أسلحة القتال لهزم هذا الكتاب ، الذي جعل الأمة واحدة ، فبدأ بإغراق المسلم غير العربي في لسان الغازي ، أما العربي فقد أعدت له سياسة أخرى ، وهي إقناعه باتخاذ اللغة العامية لغةً أدبيةً ، وتحقير الفصحى واتهامها بالجمود والتخلف .

الهدف من هذه الدعوة هو :

إقصاء القرآن وذلك بالقضاء على لغته ؛ إذ لا يمكن فهم القرآن والأحاديث النبوية إلا بإتقان العربية ، فإذا جهلت العربية الفصحى انغلق القرآن والحديث النبوي عن المفاهيم .^(٤١) ولما كانت الدعوة إلى إحياء اللغة العامية واستهجان الفصحى ، من الدعوات الخبيثة التي دعا إليها المبشرون ، كان لشيخنا موقفٌ متميزٌ تجاه هذه الدعوة ، إذ لم يقف موقف المستنكر فحسب ، بل درس تاريخها دراسة دقيقة ، فكشف عن أهداف هذه الدعوة وخططها الرامية إلى تدمير لغة القرآن أو إضعافها^(٤٢) ، توصل بعدها إلى عدة نتائج ، فيما يلي توضيحها :

١- ارتباط الدعوة إلى العامية بالأحداث السياسية الكبرى :

يذكر شيخنا أن هذه الدعوة مرتبطة فترة بعد فترة بأحداث سياسية واجتماعية ظاهرة أو خفية^(٤٣) ، فالمعركة بين " اللغة الفصحى " وبين " اللغة العامية " لا يمكن أن تُعدَّ معركة أدبية مجردة من العوامل السياسية والدينية الخفية والظاهرة ، أما الدعاة إلى ذلك (صبيان المبشرين) ، فقد تجردوا لهذه الحرب السياسية التي اتخذت الدعوة إلى العامية سلاحاً يُراد به تفتيت قوّة

(٤١) ينظر : أباطيل وأسماز ، ص : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٤٢) المرجع نفسه ، ص : ١٥٩ - ١٦٩ .

(٤٣) المرجع نفسه ، ص : ١٧٠ .

متجمعة كانت ، أو تفتيت قوّة هي في طريقها إلى التجمّع ، وأما من غفل عن هذه المعارك وعدّها معارك أدبية (أي معارك ألفاظ) ، فإنّما يخاطرون بمستقبل أُمم قد أئتمنوا عليها^(٤٤).

٢- الدعوة إلى العامية ليس لها شبيهة في أمة من الأمم :

بيّن أن هذه القضية من أعقد القضايا التي أبنتها بها العالم العربيّ عامّة ، وليس لها شبيهة في العالم كلّ ، حتى في البلاد التي تُعدُّ لغتها وكتابة لغتها من أصعب اللغات وأشدها تشعباً ، كاللغة الصينية مثلاً ، والكشف عن هذه القضية وهي قضية العامية والفصحى ، كشف عن أعظم مؤامرة خبيثة ، بدأت خافتة ، ثم علا صوتها واشتدّ ضجيجها منذ سنة ١٩٥٦ م ، بعد العدوان الثلاثي على مصر ، وبعد ارتداد قوى الشر على أعقابها . والمشركون في القضية ، بين غافل لا يدري ماذا يقول ، ولا ماذا يراد به ، وبين ماكر خبيث يضرّم النار في الحطب لتأكل الأخضر واليابس بعد قليل .^(٤٥)

٣- صلة التبشير بالدعوة إلى العامية :

وضّح أن الأعداء يعرفون أن الانقراض المسلّح لا يُجدي ، بل يعمل على انبعاث قوة متماسكة شديدة البأس والخطر ، خليقة أن تستردّ شبابها ، مهما كان في كيانها من العيوب .

لذا ينبهنا الشيخ إلى أن التبشير ليس معناه فقط هو : دعوة الرهبان والقسيسين إلى دينهم وإنما هو : " توجيه النشء إلى ثقافة غير ثقافته ، ومحاولة نزع عقيدته الإسلامية ، وإبعاده عن القرآن ولغته العربية " .

وتكملةً لمشروعهم الخبيث قاموا بإشاعة ألفاظٍ حملت بين طياتها مفاهيم خاطئةً ، هدفها الفُتْكَ بهذه الأمة ، وتدمير ثقافتها وحضارتها مثل :

التخلف : أرادوا به عدم الأخذ بالحضارة الغربية .

الجمود : وقصّد به التمسك بالدين الإسلامي والقرآن ، والمحافظة على قيم الأمة ، ولغة القرآن .

الصعوبة : صفة أُلصقت باللغة العربية ، وقواعد النحو العربي .

(٤٤) المرجع السابق ، ص : ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٤٥) المرجع نفسه ، ص : ١٧٥ .

الإصلاح : جعل معناه السير في ركاب الغرب ، وجعل ثقافته عنوان التقدم .^(٤٦)

صراعات الشيخ مع دعاة العامية :

١- صراعه مع لويس عوض^(٤٧) :

بعد الصراع مع لويس عوض من أكبر الصراعات في حياة محمود شاكر ، إذ لم يكن في حقيقته صراعاً مع لويس عوض بشخصه ، بل كان صراعاً مع تيار بأسره ، يريد أن يعلي الثقافة الغربية الوثنية .

فلويس عوض عُرف بدعوته إلى العامية ، والكيد للغة العربية الفصحى ؛ وذلك نكايَةً بالقرار الذي اتخذته المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بضرورة استعمال اللغة العربية في حوار القصة ، وقصر الجوائز على القصص الخالية من الحوار العامي .

كما أنه دعا إلى ترجمة القرآن إلى العامية ، لننْجُو - بزعمه - بديننا من غشّ رجال الدين ، وذلك لأننا نقرأ القرآن بلغة لا نفهمها ، فإذا تُرجمَ إلى العامية سقطت عن بصرنا الغشاوة وبالتالي لا يستطيع رجال الدين أن يزيّفوا علينا من عندهم ديناً ، إلا أنه لم يُصرّح بتحليله هذا تماماً ، بل أتى من طريق خفي ، فهو لا يتحرّك إلا من تحت الستار ، إذ ضرب لنا الأمثلة برجال الدين المسيح الذين لا يريدون أن يقرأ الشعب الساذج كلام السماء بلغة يفهمها ، فتسقط عن بصره الغشاوة (وبالطبع نحن نقرأ القرآن بلغة لا نفهمها) ، كما أنهم يزيّفون من عندهم ديناً للشعب ، ليسلس قيادته ، ويبقى راعياً أمام الأشراف (وكذلك أهل الإسلام بالطبع !!) ، ومن هنا يأتي لويس عوض ويعظ أهل الإسلام بإخلاص ليترجموا القرآن إلى العامية ليتخلّصوا من غشّ رجال الدين ، كما سخر من الشعر العربي وجاء بشروحات للشعر العربي دلّت على جهله وعدم فهمه بتراكيب اللغة العربية وأساليبها .^(٤٨)

(٤٦) المرجع نفسه ، ص : ١٨٤ - ١٨٨ .

(٤٧) لويس عوض هو : ناقد ومفكر ، له مواقف ضد العرب والعربية ، وله دراسات في النقد والأدب ، ١٩٥٤م ، لما دخل صحيفة الأهرام ، وعيّن مستشاراً ثقافياً فيها ، وتولى تحرير صحيفة الأدب والفن ، جاءت شهرته منها ، ومنها أخذ ينفث سمومه

لأهل الإسلام . ينظر : أباطيل وأسما ، ص : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٤٨) ينظر : المرجع نفسه ، ص : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٥٥ - ١٥٧ ، ٣٤٢ - ٣٤٥ .

وردت آراء لويس عوض في مجلة الأهرام القاهرية الصادرة عام ١٩٨٣م. ينظر: مقدمة في فقه العربية، د: لويس عوض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ص: ٥-٢٧. دراسات أدبية، د: لويس عوض، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ص:

٢- صراعه مع أحمد لطفي السيد^(٤٩) :

وصف هذا الرجل العربية بغناها في المعاني والمسميات القديمة ، وفقرها في المعاني الجديدة والمصطلحات العلمية ، وطالب الكتاب بأن يتسامحوا في قبول المسميات الأجنبية ويدخلوها في كتاباتهم ، كما أدخلها الجمهور في المخاطبة ، إذ يرى أنه لا خطر على اللغة منها مادامت ستخرجها من جمودها إلى التطور الراقي .

كما طالب بأن يحتضن الكتاب المفردات الغربية الموجودة في اللغة العامية ، فاستعمال مفردات العامة وتراكيب العامة إحياءاً للغة الكلام ، وإلباسها لباس الفصاحة ، فيه إحياءاً للعربية لتخليصها من الضعف ، وبالتالي يتابع العامة الكتاب في كتاباتهم ، والخطباء في خطاباتهم ، والمثليين في رواياتهم .

ويرى الشيخ محمود شاعر أن هذا الرجل شديد التناقض؛ لأنه قد دافع قبل ذلك عن العربية الفصحى لمنفعة الأدب ، ولخدمة اللغة ، وأعظم من ذلك خدمة القرآن الكريم .

كما كان يمتدح الشاعر الإنجليزي شكسبير لاستخدامه أساليب خافية على كثير من العامة ، ويثني على أبي العلاء المعري ؛ لاستعماله من غريب اللغة ، وبعد ذلك يمدح العامية ، فأى تناقض هذا؟!^(٥٠)

٣- صراعه مع توفيق الحكيم^(٥١) :

٥-٣٢١، ١٩، ٣٢٧-٣٣٢. دراسات في النقد والأدب، د: لويس عوض، بون طبعة، بدون تاريخ، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ص: ١٤٩-١٤١.

(٤٩) أحمد لطفي السيد : من أعلام النثر في الأدب المعاصر ، تلون بمعارف مختلفة عربية إسلامية وغربية وفرنسية ، عمل جاهداً على تربية الشعب المصري وتطوير حياته العقلية على ضوء الفكر الغربي قديمه وحديثه ، فهو يرى ضرورة تأسيس الحياة العقلية على أصول غربية . ينظر الأدب العربي المعاصر ، ص : ٢٥١ .

(٥٠) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٢٦٢-٢٦٦ . وردت مقالات أحمد لطفي السيد في جريدة "الجريدة" الصادرة عام ١٩١٣م ، خلال شهري إبريل ومايو .

(٥١) توفيق الحكيم : من أعلام النثر في الأدب المعاصر من مواليد الإسكندرية ، بعد إتمامه دراسة الثانوية في القاهرة سافر إلى باريس ، وأمضى بها نحو أربع سنوات ، عكف على قراءة القصص وروائع الأدب المسرحي في فرنسا وغير فرنسا ، شغف بالموسيقى شغفاً شديداً ، وفته كله موزع بين المسارح والموسيقى والتمثيل ، فاستقر في ضميره أنه أعد ليكون أديب وطنه القصصي والمسرحي .

ينظر : الأدب العربي المعاصر ، شوقي ضيف ، ص : ٢٨٨ .

يستنكر شيخنا رؤية توفيق الحكيم للعامية بأنها هي الفصحى مع بعض الرخص ، فالأستاذ توفيق الحكيم يرفض الاعتراف بوجود لغةٍ منفصلةٍ مستقلةٍ اسمها العامية ، تُترجمُ إليها العربية ، كما لو كانت لغةً أجنبيةً ، فهو يرى أن اللغة العامية هي مجردُ لهجةٍ تخاطبُ عربيّةً ، أُستخدم فيها بعض الرُخص ، والاختزالات ، والاستبدالات ، كاستعمال الحاء بدل السين في الفعل المستقبل، فينطقُ: " حاكتب " بدل: " سأكتب" .. الخ ، فالعامية عنده لغة عربية سليمة ، تكاد تقترب من لغة الكتابة ، فيما عدا ترك الإعراب وإبدال بعض الحروف ، فالهوة عنده ليست سحيقةً إلى هذا الحد الذي يبيحُ العملَ على تعميقها ، وشطر اللغة الواحدة شطرين ، وجعلها لغتين .

لذا يرى أن " توفيق الحكيم " من دعاة العامية ؛ لأن آراءه لا تختلف عن غيره من أصحاب تلك الدعوة .^(٥٢)

ثانياً : موقفه من إلغاء الإعراب :

رفض الشيخ دعوة بعض الكتّاب الذين أجازوا التّساهل في الإعراب وإلغاءه في الحوار التمثيليّ ، ومن هؤلاء الدّاعين الأستاذ : " توفيق الحكيم " الذي رأى أن تسكين الأواخر (أي الوقف بالسكون وعدم الإعراب) من صفات لغة التخاطب السريعة في كل أمة عربية ، ولا يتوقّع أن كلام العرب القدامى في الأسواق كان بإعرابٍ أواخر الكلمات فالتسامح في الإعراب عنده لا يقدر في عربيّة اللغة وسلامتها .

ويستشهد الأستاذ " توفيق الحكيم " على ما يذهب إليه بالقراءات السّبع في القرآن ، فهي في رأيه أوضح الدليل على أن لغتنا العربيّة من قديم كان المنطوق فيها مخالفاً للمكتوب ، وكان هذا أمراً شائعاً .

وهذا تبريرٌ مخالفٌ للواقع ، فالقراءات لم تتهاون في الإعراب ولم تُلغِه ؛ لذا وسم الشيخ هذا القول بأنه : " تضليلٌ وتلاعبٌ في اللغة ، وتصييرُ العاميِّ السوقيِّ المبتذلِ فصيحاً " ^(٥٣) .

(٥٢) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٣٥٥ .

(٥٣) ينظر : المرجع نفسه ، ص : ٣٥٩ - ٣٦٧ . وردت مقالات الحكيم في جريدة الأهرام القاهرية الصادرة في ١ مارس عام

١٩٨٣م ، واستمرت مدة أربعة أسابيع . ينظر : يا طالع الشجرة ، د : توفيق الحكيم ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، مكتبة

الآداب ، الجماهيري ، ص : ١٢ - ١٩ ، ٢٩ - ٣٤ . تحت شمس الفكر ، د : توفيق الحكيم ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، مكتبة

الآداب ، الجماهيري ، ص : ١١٥ - ١٢٩ .

ثالثاً : موقفه من الدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية :

من الدعوات المضللة التي حاربها الشيخ ، الدعوة إلى رسم العربية باللاتينية ، والتي دعا إليها جمهرة من الكتّاب والأدباء محتجين ببعض الحجج السخيفة ، إلا أن شيخنا ردّ على كل حجة بالمنطق السليم المدعم بالبراهين الجازمة ، ويظهر هذا واضحاً جلياً عندما احتجّ "عبدالعزیز فهمي باشا" (٥٤) وهو أحد الداعين إلى استبدال الحرف العربي باللاتيني لصعوبة الحرف العربي ، زاعماً بأنه يريد تسهيل الكتابة ، ونشر العربية ، وإخراج الحرف العربي من الغموض إلى البیان والوضوح ، وذلك لأن حروف هذه اللغة - حسب زعمه - ليس بينها حروف حركات ، وكثيراً ما يحدث فيها التصحيف والتحريف لهذا النقص ، فمهما تعلّمها الإنسان فلا بدّ أن يخطئ في قراءتها

ولقد بين الشيخ محمود شاكر فساد رأيه ودلّل عليه ، إذ بين أن رسم العربية باللاتينية يضيع على القارئ تبيين اشتقاق اللفظ الذي يقرؤه ، وإذا ضلّ عن تبيين الاشتقاق والتصريف ، فقد ضلّ عن العربية كلّها ، لأنها لم تبين إلا عليهما .

فالتصحيف والتحريف الذي يدخل الحرف العربيّ أهون بكثير من الاختلال والفساد الذي يجرّه الحرف اللاتيني ، فمادة : " قام " ، لو تأملناها ثم أتينا بجميع تصاريفها ، وألحقنا بها ما يلحق بها من الضمائر ثم استخرجنا جميع مشتقاتها من الأسماء ، وألحقنا بها ما يلحقها ، ثم نضع كلّ ذلك أمامنا مكتوباً بالحرف العربيّ ثم بالحرف اللاتيني ذي الحركات التي تجعل الكلمة المرسومة كالمَنطوقة ، ثم نفترض بعد ذلك أنه قد أجدى ونفي التضليل من الوجه المدعي ، ولكن يبقى أن ننظر : أين نفي التضليل البتة ، أم هناك نوع آخر من التضليل يجره هذا العمل ؟ وأي التضليلين أهون شيئاً ؟

(٥٤) عبدالعزیز فهمي باشا ابن الشيخ حجازي عمرو ، حفيد محمد عمر مبارك ، من رجال القضاء بمصر ، تعلّم بالأزهر ، ثم بمدرسة الحقوق بالقاهرة ، تولى عدة مناصب في القضاء والسياسة ، سُمّي : "عضواً" في مجمع اللغة العربية ، وترجم عن الفرنسية : "مدونة جوستنيان في الفقه الروماني - ط " ، ووضع رسالةً في كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، قوبلت بالاستنكار والنقض ، ونشر شيئاً من مذكراته في الصحف ، وتوفي بالقاهرة . ينظر الأعلام ، للزركلي ، ج : ٤ ، ص : ٢٤ .

حتماً ، فإن من يجربُ سيدركُ تماماً أنه من السَّهْلِ الرجوعُ إلى أصلِ الكلمةِ التي تفرَّعتُ منها كلُّ هذه التَّصاريِفِ والمشتقاتِ ، وقد نستطيعُ كتابةَ جميعِ تصاريِفِ المادةِ باللاتينيةِ ، إلا أننا لا نستطيعُ ولن نستطيعَ الرجوعَ إلى أصلِ الكلمةِ الجامعةِ لهذهِ التصاريِفِ .

وعن اتهامِ الحروفِ العربيةِ بأنها تعوقُ القراءةَ ، وأنَّ الإنسانَ مهما تعلمها فلا بدَّ أنْ يخطيءُ ، فقد ردَّ شيخنا هذا الخطأَ إلى القارئِ المخطئِ نفسه ، لا إلى الحرفِ العربيِّ ، وهذا هو وضعُ القضيةِ ، فإذا كان المتكلمُ حين يتكلمُ يستطيعُ أن يسوقَ كلامه على العربيةِ الصحيحةِ غيرَ مخطيءٍ ، فمحالٌ أن يخطيءَ فيها عند القراءةِ مهما اختلفَ الخطُّ عليه سهولةً وصعوبةً ؛ لأنَّ النطقَ سابقٌ للقراءةِ ، فالذي لا يخطيءُ وهو يتكلمُ ، لا يخطيءُ وهو يقرأُ حرفاً مكتوباً ظاهراً مميّزاً ببعضِ الدِّلالاتِ .

كما نبّه الشيخُ شاكراً على أنَّ الإعرابَ في العربيةِ شيءٌ يختلفُ اختلافاً كبيراً عن سائرِ اللغاتِ المكتوبةِ بالحروفِ اللاتينيةِ ، وأنَّ الخطأَ فيه لن يكونَ من قبلِ الكتابةِ سهلةً أو صعبةً ، بل هو راجعٌ إلى المتكلمِّ أو القارئِ من قِبَلِ الضَّعْفِ والقوَّةِ والعلمِ والجهلِ ليس غير .^(٥٥)

نستنتج من كلِّ ما ذكر أن :

آراءُ الشيخِ ليست متناقضةً ، فهو يحاربُ كلَّ دعوةٍ مُضَلِّلةٍ من شأنها سلخُ الأمةِ عن عقيدتها وقيمها وفكرها وتراثها الحيِّ ، سواء أكانت من الماضي أم كانت من الحاضر . فالشيخُ - وإن كان رجلاً تراثياً - يحث على ترجمة النافع من علوم الغرب وآدابهم ، ويوصي بأخذ الجديد الذي يتفق مع عقيدتنا ، ولكن دون طمس هويتنا الإسلامية والعربيةِ ، ودون إفساد لغتنا ، وضياع تراثنا وحضارتنا .

وهو في موقفه هذا متبعٌ لأستاذه الشيخِ حسينِ المرصفيِّ ، والشيخِ مصطفى الرافعيِّ ، اللذين حملا لواءَ المحافظين ودافعا بقوة عن مُثله العربيةِ الإسلامية^{٥٦} ، وقد أشاد الشيخُ شاكراً بموقفِ الدكتورَةِ نفوسة زكريا من الدعوةِ إلى اللغةِ العاميةِ ، واعتبر كتابها "تاريخِ الدعوةِ إلى العاميةِ وآثارها في مصر" من أنفسِ الكتبِ ، وهو كتابٌ دل على التجردِ الصحيحِ السليمِ في طلبِ المعرفة^{٥٧} .

(٥٥) ينظر : جبهة مقالات محمد شاكراً ، ج : ١ ، ص : ٢٥٨ - ٢٦٣ . الحروف اللاتينية لكتابة العربية ، الأستاذ : عبد العزيز فهمي ، بدون

طبعة ، ١٩٩٣م ، دار العرب ، القاهرة - مصر .

(٥٦) ينظر : الأدب العربي المعاصر ، شوقي ضيف ، ص : ٢٤٤ ، ٨٧ .

(٥٧) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ١٥٣ . تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها في مصر ، تأليف : الدكتورَةِ نفوسة زكريا ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤ - ١٩٦٤ .

ومن المحاربين لهذه الدعوة الدكتور "أنور الجندي" الذي عارض هو الآخر أعداء
الفصحى، أمثال لطفي السيد، ولويس عوض، وتوفيق الحكيم^{٥٨}.

(٥٨) ينظر: تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة، الأستاذ أنور الجندي، بدون طبعة، بدون تاريخ طبع، مكتبة التراث الإسلامي، ص: ١١٩ - ١٣١ .
الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، الأستاذ أنور الجندي، بدون طبعة، بدون تاريخ طبع، دار الاعتصام، ص: ٣ - ١٢، ص: ٢٥٠ - ٢٥٣ .

المبحث الثاني : نظرة الشيخ إلى اللغة

أولاً : اللغة العربية لغة القرآن والحديث النبي

وحدت العالم الإسلامي ووحدت ثقافته.

ثانياً : اللغة العربية لغة بليغة موجزة.

ثالثاً : اللغة العربية لغة شجاعة.

رابعاً : اللغة العربية واسعة لا تقف عند حدود

المعاجم.

رؤية الشيخ للغة العربية :

اللغة العربية مكانة عظيمة ، ومنزلة شريفة عند الشيخ ، فهو ينظر إليها نظرة الحق والعدل التي ينبغي على كل مسلم أن يؤمن بها ويسلم تسليمًا ، وهي التي من أجلها وهب الشيخ حياته ، ووقف مواقف محمودية في الدفاع عنها ، وعن التراث والهوية ، حتى أصبح علمًا من أعلام العربية ، وتتمثل نظرة الشيخ إلى اللغة فيما يلي :

أولاً : إن اللغة العربية لغة القرآن والحديث النبوي ؛ لذا نراه يستنكر على الذين يعدّون العربية لغة دينية ، أي لغة للعبادات والرسوم ، مثل ما عند طوائف أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وهو بالطبع ظنٌ سخيف جدًّا ، وذلك لأن كل مسلم ، عربيًّا كان أو غير عربيٍّ ، يعلم أنّ القرآن كلامُ الله ، وأن مجرد تلاوته عبادةٌ ، وحفظه ، وفهمه ، والتفقه في معانيه ، والنظر في كتابه ، كلُّ ذلك يُعدُّ من العبادات ، فضلًا على أنه كلامُ الله الذي يفارق كلام البشر من كل وجه .

ولما كانت اللغة العربية لغة القرآن كانت هي الرابط الذي ربط جميع الأجناس برباط وثيق ووحدهم فنطق بها العربي وغير العربي ، فتداخلت العربية بذلك مع اللغات الأخرى ، وبعض الأمم تحوّلت خطوطها إلى الخط العربي الذي يكتب به هذا القرآن ، كالهند وجزائر الهند وفارس وسائر من دان للإسلام .^(٥٩)

ثانيًا : اللغة العربية لغة بليغة موجزة ، فاللفظ المفرد وحده يكون كافيًا لرسم صورة واضحة ، يستغنى به عن الاسترسال في الوصف والتوضيح ، وقد تُحذف بعض الألفاظ والجمل من السياق ، والقاعدة في العربية معلومة ، إذ لا تُحذف جملةٌ أو لفظةٌ إلا إذا دلّت عليها قرينةٌ إما لفظيةٌ وإما معنوية ، وهذا يعني أنك إذا أغفلت لفظةً أو جملةً أو عرضت عنها ، لا بدّ أن تكون اللفظة الأخرى أوحى بتداعي معانيها ، والأمثلة على ذلك كثيرة لا تُعدُّ ولا تحصى ، من القرآن والسنة والأقوال المأثورة ، وقد استشهد بقول الشاعر ابن أخت تأبط شرًّا (شاعر جاهلي) :

(٥٩) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ١٤٤ ، ١٥٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ .

ينظر : جمهرة المقالات ، ج : ٢ ، ص : ٧٩٢ .

بَزْنِي الدَّهْر، وَكَانَ غَشُومًا ، بِأَبِي ، جَارِهِ مَا يُذَلُّ^(٦٠)

فالشاعر لم يقل : " غالني الدهر " ، أو " فجعني " ، بل قال : " بَزْنِي " ، والبَزُّ معناه سلاح المحارب التام يدخل فيه درعه ومغفره ورمحه وسيفه وقوسه وسهامه. فإذا قيل في الحرب : " بَزُّ القَتِيل " فإنما معناه : أن العدو سلب المقتول ما معه من " البَزِّ " وهو سلاحه الذي كان يقاتل به ، فلما آثر هذا اللفظ على غيره دلَّ ذلك على ما يلي :

١- أنه مقبل على أن يصف لا على أن يتفجّع .

٢- أعلمنا أن هذا الهالك كان له سلاحاً يتقي به ، ويدفع عن نفسه ، فأغناه هذا اللفظ المفرد الموجز عن أن يسترسل في رسم صورة خاله المحارب المحامي عنه وعن سائر قومه .

والفعل " بَزْنِي " فعل متعدي لمفعولين وكان حقُّ الكلام أن يقال : " بزني الدهر أبيعاً " ، فحذف المفعول الثاني وأحب أن يصف الدهر بقوله : " وكان غشوماً " ، وفي هذا الحذف إفادة ، والمحذوف دلَّ عليه ما بعده حينما قال بعد ذلك : " بأبي جاره ما يذلُّ " ف " بأبي " دلَّت على المفعول الثاني المحذوف ، ومجيئها بهذه الصورة ، دلَّ على أنها لا تكون معمولة للفعل " بَزْنِي " ، بل هي معمولة لفعل محذوف تقديره : " فجعني " ، وعلى هذا يكون تقدير الكلام : " بزني الدهر أبيعاً ، وكان غشوماً ، فجعني بأبي جاره ما يذلُّ " .^(٦١)

إذن ، يُسْتَشْهَدُ بهذا المثال على شرف اللغة العربية التي امتازت بإيجاز ألفاظها وسعة دلالتها.

ثالثاً : اللغة العربية لغة شجاعة صادقة في تعبيرها ، وفي اشتقاقها ، وفي تكوين أحرفها ، ومن أجل ذلك كره الشيخ استخدام " الرموز " ^(٦٢) في اللغة ، ولم يكن ينظر إليها نظرة الرضا ، كما

(٦٠) القصيدة لابن أخت " تأبط شراً " قيل : إنه " خفاف بن نضلة " ، وقد تكون لابن أخت له لم يُسمَّ . قال هذه القصيدة بعد مقتل

خاله " تأبط شراً " على يد الهذليين ، وهي قصيدة تناولها الشيخ بالشرح المستفيض في كتابه " نمط صعب ونمط مخيف " .

(٦١) ينظر : لسان العرب ، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، بدون تحقيق " الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ -

١٩٩٤م ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، مادة : " بز " . ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، لأبي فهر ، ص : ١٥٤ ، ١٥٥

، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٦٢) الرمز عند الأدباء والنقاد وسيلة للتعبير عن التجارب الأدبية المختلفة ، وإشارة للتعبير عن الانطباعات النفسية ، تحل

محل الأسلوب الحقيقي المباشر ، وكان اللغة عاجزة عن نقل المعاني الواضحة والصور البينة إلى المتذوق .

يرى أن هذه الرموز لا يستعملها إلا من يفرد من المجابهة والصراحة والوضوح ، وهي في رأيه ضَرْبٌ من الجُبْنِ اللغوي ، والعربية ذات شجاعة في تعبيرها واشتقاقها . واستخدام " الرمز " في العربية لا يعتبره الشيخ إلا قَدْحاً فيها وتشويهاً يلحقها .^(٦٣)

كما كان يكره " الغموض والمداورة " ويحب " الوضوح " وينعي على الكُتَّاب ارتكابهم الأسلوب المراءوغ (وهو أن يراوغوا في التعبير عما يريدون ، وعلى قرائهم نزع المعاني من بين السطور) ؛ لأن ذلك إهدارٌ لكرامة القراء ، وإهدار لشجاعة العقل ، وإهدار لأمانة القلم .

فشيخنا يحبُّ المِكَاشِفَةَ ، والمِصْرَاحَةَ بالرأي ، والاستقامة في التعبير ، فالوضوحُ منهجه وجزءٌ من تراثه وأدبه .^(٦٤)

رابعاً : اللغة العربية واسعة لا تقف عند حدود المعاجم ، فقد امتازت بثروة لفظية تعدت حدود المعاجم وكتب اللغة ، فنحن لم نسمع عن أصحاب اللغة جميع المشتقات في كل مادة من مواد اللغة ، فكثير من الصيغ لا وجود لها في نصٍّ صحيح من نصوص اللغة .

وقد نبه الشيخ محمود شاكِر إلى كثير من الصيغ التي لم تُذكَر في كتب اللغة ، كما كان أيضاً يشير إلى معاني مفردات أغفلتها المعاجم ، ويتضح ذلك من خلال استدرآكاته على أهل اللغة سواء أكانت فيما يتعلّق بالصيغ ، أم ما يتعلّق بمعاني المفردات ، والشواهد التي ذكرها الشيخ كثيرة .

فمثال الأول :

صيغة " نتخرّف به " ، ونتخرّف بالشيخ أي : نستهزئ بخرفه ، وهو فساد العقل من الكبر^(٦٥) ، وهذه الصيغة لم تذكر في كتب اللغة .

ومثال الثاني :

ينظر : نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، للدكتور : عبدالرحمن الباشا ، تقديم : الشيخ أبو الحسن الذروي ، الطبعة الثالثة ،

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار الأدب الإسلامي ، القاهرة ، ص : ٧١ .

(٦٣) أباطيل وأسما ، ص : ٤٣٦ .

(٦٤) مقالات حارس التراث أبي فهر ، ص : ٦٥ . وينظر جمهرة المقالات ، ص : ١٠٤٥ ، ١٠٥٢ - ١٠٥٣ ، ١٠٧٠ .

(٦٥) ينظر : جمهرة نسب قريش ، للزبير بن بكار ، تحقيق : أبي فهر محمود محمد شاكِر ، بدون طبعة ، ١٣٨١ هـ ، مكتبة دار العروبة ومطبعة المدني ، القاهرة - مصر ، ج : ١ ، ص : ٣٧٢ .

معنى " الحيين " في قول الشاعر ابن أخت تأبط شراً :

فادرّكنا الثأر منهم ولما ينج مَحْيِينٌ إلا الأقلُّ

ذهب الشراح إلى أن معنى " الحيين " : حيّان من قبيلة واحدة ، (والمراد هنا قبيلة هذيل) ،
ويذكر شيخنا أن معنى الحيين : " الصّفان أو الفئتان المتقاتلتان أو الفئتان المتقاتلتان " ، والمعنى :
أنه لم ينج بعد أقل الحيين عدداً ، بمعنى آخر : إن الفئة القليلة التي قاتلت هذيل أدركت الثأر ولم
تنج بعد ، والمعنى عند غيره ، أن المقصود حيّان من هذيل ، وأنه لم ينج منهما أحد إلا القليل ،
والمعنى المذكور عند الشيخ معنى أغفلته المعاجم- على حد تعبيره- ولم تذكره .^(٦٦)

ويبدو أن المقصود بذلك المعاني المتفرعة عن المعنى الأصلي الوارد في كتب اللغة ؛ وذلك لأن
الألفاظ إذا وردت في سياق الكلام تكتسب أحياناً معانٍ جديدة زائدة عن تلك المعاني الواردة في كتب
اللغة، لاسيما الشعر؛ وكتب اللغة وإن شرحت المادة اللغوية شرحاً وافياً مستفيضاً، إلا أنها من
الصعب أن تتبّع جميع معانيها الواردة في جميع نصوص اللغة.

فمثلاً، إن كان معنى "الحي" الوارد في كتب اللغة هو: الحي من أحياء العرب يقع على

بني

أبٍ كثروا أم قلوا^{٦٧}، فإننا نلاحظ أن مجيء "الحيين" بمعنى: الفئتين المتقاتلتين، معنى لا يتعارض
مع المعنى المذكور عند أهل اللغة؛ لأن قولنا: "الحيين"-مثنى حيّ- لا يقتضي ولا يلزم أن يكونا من
قبيلة واحدة، فإما أن يكونا من قبيلة واحدة، وإما أن يكونا من قبيلتين مختلفتين، وكلا الأمرين
جائز.

(٦٦) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٢٤ .

(٦٧) ينظر : لسان العرب، مادة: "حيا".

الفصل الثاني تفسير الألفاظ

المبحث الأول : جهوده في تفسير الألفاظ.

المبحث الثاني : تصويباته اللغوية.

المبحث الثالث : تذوقه للغة.

المبحث الرابع : آراؤه في علماء اللغة.

المبحث الأول

جهوده في تفسير الألفاظ

أولاً: استدرأكاته على معاجم اللغة ومنهجه في ذلك.

ثانياً: تعليقاته على أقوال المفسرين لألفاظ اللغة.

أولاً: استدراكات الشيخ على معاجم اللغة :

كان للشيخ شاكراً استدراكات على المعاجم وكتب اللغة ، وردت في الكتب التي حققها وشرح لغتها وشعرها ، فقد كان يفسر الألفاظ أحياناً تفسيراً لم يرد أصلاً في المعاجم اللغوية ، وأحياناً يفسرها تفسيراً مُكَمِّلاً لما قصرت عنه كتب اللغة ، إلا أن تفسيره لم يكن اعتباراً ، بل كان مبنياً على أسس سليمة ، وطرق مقنعة ، كانت على النحو التالي :

١- الإتيان بمعانٍ واردة في كلام العرب وأشعارهم :

لوحظ أن الشيخ يشير أثناء تفسيره للألفاظ وتحقيقه للتراث إلى معانٍ خلت منها كتب اللغة ، استنبطها من التراث العربي سواءً أكانت من الأقوال المأثورة ، أم النصوص الشعرية ، أم النثرية ، وبالرغم من كثرة ورودها في كلام العرب وكثرة دورانها على ألسنتهم ، إلا أن فرصة النفاذ إلى كتب اللغة لم تُتَّح لها بعد ، والشواهد على ذلك كثيرة على سبيل المثال :

أ. ما ورد منها في الشعر العربي ، نحو :

– مجيء " الحيين " بمعنى : الصّفين أو الفئتين المتقاتلتين ، وقد استشهد الشيخ على هذا المعنى بقول الشاعر " ابن أختٍ تأبط شراً " :

فادرّكنا الثَّارَ مِنْهُمْ وَمَا يَنْجِ مَلْحِيَيْنِ إِلَّا الْأَقْلُ^(٦٨)

– مرادفة " الآية " لـ " الرسالة " التي يحملها رسولٌ ، فيبلغها إلى من يراد تبليغها إليه ، وهي رسالة ملفوظة على الأكثر ، أو مكتوبة أحياناً ، وهو معنى عزيز أغفلته كتب اللغة مع استفاضة في شعر عرب الجاهلية ، قد نصّ عليه أبو جعفر الطبري في أول تفسيره ومنه قول النابغة الذبياني :

مَنْ مَبْلُغٌ عَمْرُوبِ بْنِ هِنْدٍ آيَةً؟ وَمَنْ النَّصِيحَةُ كَثْرَةَ الْإِنْذَارِ

(٦٨) ينظر: نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٢٣ ، وقد سبق الحديث عن هذا المعنى في ص: ٤١ ، ٤٢.

أي: من يبلغه رسالة منِّي؟ (٦٩)

– مجيء " القسيس " بمعنى : العقلاء الذين يعلمون خبايا أمر الناس ، ومنه أخذ " القسيس " على زنة " فعيل " مبالغة في العقل والمعرفة ، وهذا مما لم تُثبتهُ كُتُبُ اللغة ، قال رؤبة بن العجاج (٧٠) :

قد علم العالم والقسيس أن امرءاً حاربكم ممسوس (٧١)

ب. ما جاء منها في أقوال المفسرين نحو :

– لفظ " الطور " قال أبو جعفر الطبري : إنه من الجبال ما أنبت دون ما لم ينبت .

وهذا قول لم يجده الشيخ في كتب اللغة في مادته (٧٢) .

– " التَجَنُّح " بمعنى : التحرّج وهذا ما ذكره أبو جعفر الطبري في قوله : " كان الرجلُ الغنيُّ يدعو الرجلَ من أهله إلى الطعام ، فيقول : " إني لأتجَنِّحُ والتجَنِّحُ التحرُّجُ " .

يرى الشيخ أن هذا المعنى لم تثبته كتب اللغة (٧٣) . والملاحظ أن "جنح" تنفق أحياناً مع "حرج"

في بعض معانيها، فقولنا: "لا جناح عليكم" أو "لا حرج عليكم" معناه: لا إثم ولا تضيق عليكم.

(٦٩) ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، شرح : حمدو طمّاس ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ص ٦٧ . مداخل إعجاز القرآن: لأبي فهر محمود شاكر ، تحقيق : فهر محمود شاكر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ ، مطبعة المدني ، القاهرة - مصر ، ص : ١٢٩ .

تفسير ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مراجعة وتخريج أحاديث : أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ج : ١ ، ص : ١٠٦ . لسان العرب، مادة: "أبأ".

(٧٠) هو رؤبة بن عبد الله بن العجاج بن رؤبة التميمي السعدي ، أبو الجحّاف ، أبو محمد ، راجز ، من الفصحاء المشهورين ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، أخذ عنه أعيان أهل اللغة ، وكانوا يحتجّون بشعره ، ويقولون بإمامته في اللغة .

ينظر : شعراء بني تميم في الجاهلية والإسلام ، تأليف : عبد القادر فيّاض حروفش ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، دار البشائر ، دمشق - سوريا ، الجزء الثاني ، القسم الأول من الشعراء ، ص : ٣٧٨ .

(٧١) ينظر : مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه ، تصحيح وترتيب : وليم بن الورد البروسي ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان ، ص : ٧٦ . طبقات فحول الشعراء ، تأليف : محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود شاكر ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار المدني ، جدة ، ج : ٢ ، ص : ٧٦٤ . لسان العرب، مادة: "قسس".

(٧٢) ينظر : تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ١٥٧ . لسان العرب، مادة: "طور".

إذن، ليس غريباً مجيء "التجنح" بمعنى "التحرج"^{٧٤}.

- "الخطر" المقصود به: المال الذي يُجعلُ رهناً بين المتراهنين ، يدفعه كلُّ واحد من المتنافرين إلى الحَكَم ، ويُسمَّى " اللقمة " مجازاً ، وهذا لم يجدّه الشيخ في كتب اللغة ولا في أخبار المنافرات ، فهذا المعنى أورده الطبري في خبر المنافقين من بني النضير وقريظة ، عندما أبوا أن يتحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في خلافٍ وقع بينهم ، وانطلقوا إلى "أبي بردة" الكاهن الأسلمي فسألوه ، فقال : أَعْظَمُوا اللَّقْمَةَ (أَيِ اعْظَمُوا الْخَطَرَ) فقالوا : لك عشرة أوساق ، قال : لا ، بل مئة وسقٍ ديتي ، فأبوا أن يعطوه وأبى أن يحكم بينهم^(٧٥) ، فأنزل الله عز وجل قوله : ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلَعُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴿٧٦﴾ .

وفي قول الشيخ نظر؛ لأن المعنى المذكور أورده صاحب اللسان فقال: "الخطر: ارتفاع القدر و المال،..والخطر، بالتحريك: في الأصل الرهن، وأخطر المال معناه: جعله خطراً بين المتراهنين"^{٧٧}.

ج . ما ورد في نصوص التراث ، مثل :

- قول الزبير بن بكار بأنّ : " سحابة ، نوع من البرود " ، وهذا في قول بلعاء بن قيس^(٧٨) :

وما راعني شكك وبردا سحابة
ولا ذرع نوبي أشق طوال^(٧٩)

(٧٣) ينظر : تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٨ ، ص : ٢١٨ .

(٧٤) ينظر : لسان العرب ، مادة: "حرج"، "جنح".

(٧٥) ينظر : تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٨ ، ص : ٥١١ .

(٧٦) سورة النساء ، آية : ٦٠ .

(٧٧) ينظر: لسان العرب ، مادة: "خطر".

(٧٨) بلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر الشداخ الكناني ، شاعر جاهلي محسن ، قال في كل فنّ أشعراً جيداً .

ينظر : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ، إعداد : عبد عون الروضان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمّان - الأردن ، ص : ٥٧ .

(٧٩) شكك : العطاء يعني السخاء ، و " الشكد " : إعطاء التمر عند صرامه ، والبر عند حصاده . " الأشق " : الطويل من الرجال .

"الذراع" هنا : البدن ، يعني ما امتاز به أهل النبوة من طول الأجسام ، وضخامة التركيب .

ينظر : معجم الصحاح ، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨هـ -

٢٠٠٧م ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، مادة : "شكد" ، "شقق" ، "ذرع" . تنبيهه : لم يعثر على ديوان له ، ولا

توجد أي إشارة لورود البيت في مصدر آخر .

ويذكرُ الشيخ محمود شاكر أن هذا المعنى لم يجده عند غيره في كتب اللغة ، وهو مما ينبغي أن يُزادَ فيها ، ويؤيد هذا ما جاء في اللغة من تسمية العِمَامَةِ بـ " السَّحَابَةِ " ، سميت بذلك تشبيهاً بسحاب المطر ؛ لانسحابها في الهواء ، أو لرقَّتِها وبياضها^(٨٠) ، كأنها أهدابُ سحاب^(٨١) .

– تفسير الزبير بن بكار لـ " فِلاط " بأنه : " الظلم " ، جاء ذكره في قول أبي الحارث بن عبد الله بن السائب لأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عندما ضربه : " أتضربني فِلاطاً " ؟
فالشيخ شاكر يرى أنه تفسير جيدٌ إلا أنه لم يرد في كتب اللغة ، وأن الذي فيها " الفلاط " الفجأة^(٨٢) ، كما يرى أنه بالإمكان أن يكون اللفظُ جامعاً للمعنيين ، فيكون المعنى : " أتضربني ظلماً على عجل وبلا تدبُّر " ، فيدخل فيه هنا معنى " الفجأة " ^(٨٣) .

٢ – استنباط المعنى من نصوص اللغة والمعاجم :

في كثير من الأحيان يكون معنى اللفظة موجوداً في كتب اللغة ، إلا أنه لا يتفق مع السياق بصورة دقيقة ، وهنا يشتقُّ الشيخ من هذا المعنى المذكور معنى يتفق مع السياق ، وهو إن لم تنص عليه المعاجم نصاً صريحاً ، إلا أنه مرتبط بالمعنى المنصوص عليه ارتباطاً وثيقاً ، لا ينفك عنه ، وهذا نحو :

– تفسيره لقولهم : " أحفل القوم " بأن معناه : أسرعوا مجتمعين إلى الشيء أو نحوه ، وهذا المعنى يتمثل في قول جوهر بن أسماء حينما قال : " مات كُثَيِّرٌ وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد ، فأجفلت قريشٌ في جنازة كُثَيِّرٍ ، ولم يوجد لعكرمة من يحملة " ، فالمعنى الذي ذكره الشيخ ليس واضحاً في كتب اللغة ، فالذي ورد هو " الإسراع في الهروب والانتقال " فقط ، دون الإشارة إلى معنى " الاجتماع حول الشيء أو الإسراع إليه " ولكن ورد فيها معنى الحديث : " لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، انجفل الناس قبله " أي : ذهبوا مسرعين نحوه^(٨٤) .

(٨٠) ينظر : لسان العرب ، مادة : " سحب " .

(٨١) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ج : ١ ، ص : ٢٦١ .

(٨٢) ينظر : معجم الصحاح ، للجوهري ، مادة : " فِلاط " .

(٨٣) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ج : ١ ، ص : ٥٢٧ .

(٨٤) جوهرية بن أسماء بن عبيد الضُّبَعي البصري ، عالم بالحديث ، ثقة . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٢ ، ص : ١٤٨ .

ويبدو أن الشيخ استنبط هذا المعنى من المعاني المنثورة في كتب اللغة ، إذ قيل : " جفل اللحم عن العظم والشحم عن الجلد أي قشرة " وفي حديث أبي قتادة : " كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنعمس صلى الله عليه وسلم على راحلته حتى كاد ينجفلُ عنها " أي: ينقلب ويسقط عنها ، وقيل: "الجفالة " : الجماعة من الناس ذهبوا أو جاؤوا .

فلما كان قولهم : " جفل عنها " أفاد البعد عن الشيء ، والجفالة قصد به: " الجماعة من الناس ذهبوا أو جاؤوا " ، فهذا يعني أن الإجفال معناه إما أن تسرعَ إلى الشيء وتتجّه نحوه ، وإمّا أن تهربَ عنه ، نحو: " رغب في الشيء ، ورغبَ عنه " ، ويتحدّد المعنى بعد ذلك بحرف الجر الذي يليه ، أو بحسب السّياق الوارد فيه (٨٥) .

-استخدام لفظ " البخ " نعناً لتعظيم النّسب ، وهذا في قول الأغلب العجلي (٨٦) :

نَحْنُ وَرَدْنَا وَاذِيَّ جُلَاجِلٍ
بِجَحْفَلٍ جَمِّ الْوَعْيِ مِنْ وَاثِلٍ
فِي حَسَبٍ بَخٍّ وَقَبْصٍ كَامِلٍ
وَعَدَدٍ كَالدَّبْرِ غَيْرِ جَافِلٍ (٨٧)

ف " الحسب " : الشرف الثّابت في الآباء وشرف الأفعال أيضاً ، أمّا " البخ " فقد فسّره شيخنا بأنه: السري النبيل، وهو مما أخلت كتب اللغة في بيانه ووجوه استعماله ، كما بيّن أن أصله من قولهم في تعظيم الأمر و تفخيمه والفخر به: " بخّ بخ " (٨٨) .

(٨٥) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء، ج: ٢، ص: ٥٤٥. ينظر: لسان العرب ، لابن منظور ، مادة : " جفل " .

(٨٦) الأغلب العجليّ هو : الأغلب بن جُعشم بن بكر بن وائل ، من ربيعة ، شاعر راجز معمر ، يقال : إنه أول من رجز ، هو أَرْجَزُ الرَّجْزَانِ وَأَرْصَنَهُمْ كَلَاماً ، وَأَصَحَّهُمْ مَعَانِي ، أدرك الجاهلية والإسلام. ينظر : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، د: عفيف عبد الرحمن، بدون طبعة، ١٤٠٣-١٩٨٣ ، دار العلوم للطباعة والنشر، رقم الترجمة: ٢٨، ص: ٢٦ .

(٨٧) "جُلَاجِلٍ": أرض باليمامة أو جبل من جبال الدهناء . " الجحفل " : الجيش الكثيف ومعه الخيل . " الوعى " : الصوت والجلبة وغمّمة الأبطال وصهيل الخيل وهدير الإبل . " الحسب " : الشرف الثابت في الآباء والأفعال . " القبص " : العدد الكثير المجتمع . " الدبر " : النحل ، يريد مثله في الكثرة والازدحام . وقوله : " غير جافل " : غير منتشر ولا متفرّق . ينظر : لسان العرب ، مادة: " جلل " ، " جحفل " ، " وغي " ، " حسب " ، " قبص " ، " دبر " ، " جفل " . تنبيه : لم يُعثر على ديوانه ، ولم يشرُ المحقق " أبو فهر " إلى ورود البيت في موضع آخر غير هذا الموضع .

(٨٨) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٧٤٤ .

– استنباط معنى " الأتيع " من قولهم " تتابع القوم في الأرض " ، إذا تباعدوا فيها على عمى
وشدةٍ ، وضح شيخنا ذلك في تعليقه على قول رؤبة بن العجاج :

فأيُّها الغاشي القذاف الأتيعاً **إن كُنتَ لله التَّقيَّ الأطوعاً**

فليس وجهُ الحقِّ أن تَبَدَّعا ^(٨٩)

فقال : " الغاشي من قولهم : " غشى الشيء " ، أي قصده وباشره أو نزل به ، و"القذاف" :
سرعة السير والإبعاد فيه ، أو كأنه أراد الناحية البعيدة ، و " الأتيع " : لم أجده في شيء ، ولعله
أخذه من قولهم : تتابع القوم في الأرض ، إذا تباعدوا فيها على عمى وشدة . فالمعنى : يا أيها
الذاهب في المسالك البعيدة عن سنن الطريق ، والمراد : من ابتدع من الأمور ما لا عهد للناس به ،
فسلك في ابتداعه المسالك الغريبة " ^(٩٠) .

يلاحظ على المثال السابق أن الشيخ لم يفسر " الأتيع " تفسيراً واضحاً محدداً ، بل اكتفى
بالإشارة إلى المصدر المعنوي المشتق منه ، ولم يشر في تفسيره للبيت إلا إلى معنى البعد ، فلم يقل
سوى : "المسالك البعيدة" .

فِيحْتَمَلُ أن يكون المقصود بـ " الأتيع " : المسلك الضال ، فيكون المعنى : يا أيها الذاهب في
المسالك البعيدة الضالة ، وهذا لسببين :

الأول : لأن " القذاف " قَبْلَهُ قُصد به المسلك البعيد ، فلو كان " الأتيع " مقصوداً به البعد لأدى
ذلك إلى التكرار .

الثاني : لأن لفظ " التتابع " يُلمح من معناه المذكور في نصوص اللغة معنى " الضلال " حينما
قيل : " يتباعدُ القوم على عمى " ، كما قيل : " تتابع في الأمر : سار على خلاف الناس " ، و
والتتابع لم يسمع إلا في الشرِّ " ^(٩١) .

(٨٩) ينظر : مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج ، ص : ٨٧ .

(٩٠) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٥٤٠ .

(٩١) ينظر : لسان العرب ، مادة : " تيع " . ينظر : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، مادة : " تيع " .

ولا شك في أن الابتداع في الدين مسلكٌ بعيدٌ عن الإسلام وضالٌّ عنه ، والصفتان " البعد والضلال " صفتان ملازمتان للبدع .

– تفسيره لفظ " الشَّم " بأنه : التَّقْبِيل والرشف ، وجاء هذا المعنى في قول الفرزدق :

فقلن له : نواعِدُكَ الثُّرَيَّا !
وذلك إليه مُجْتَمَعُ الزُّحَامِ
ثلاث واثنتان ، فهنَّ خمسٌ
وسادسةٌ تميلُ إلى الشَّمِّ (٩٢)

وكذلك في قول الرّاجز :

جاريةٌ أعظمها أجمها
بائنة الرجلِ فما تضمها
قد سمّنتها بالجريش أمها
فهي تمنى عزباً يشمها (٩٣)

وقد نبّه الشيخُ على أن كتب اللّغة لم تحسن شرح " الشَّم " (٩٤) ، ولكن الملاحظ أن " الشَّم " جاء بمعنى " الاقتراب والدنو " (٩٥) ؛ لذا كان مجيء " الشَّم " بمعنى " القبلة والرشف " ليس غريباً ؛ لأنه معنيٌّ لا يتعارض مع المعنى المذكور في نصوص اللّغة ، فالتقبيل يقتضي الاقتراب والدنو .

يلاحظُ على الأمثلة السابقة أن الشيخ كان يوضح ما لم يوضح في كتب اللّغة ، تارة بإكمال المعنى الناقص للفظ ، مثل تفسيره لـ " أجفل القوم " ، وتارة أخرى بتوسيع دلالة اللفظ ووجوه استعماله ، مثل تفسيره لـ " بخ " في قولهم : " حَسَبِ بخ " ، وتفسيره للفظ " الشَّم " .

ومما يجب التنبيه عليه ، هو أن ما فعله هنا لم يكن اعتباطاً ، فقد التزم الدقة في استنباط المعنى من معنى اللفظ المذكور في كتب اللّغة ، مراعيّاً حسن ملائمة ما استنبطه مع معنى اللفظ

(٩٢) ينظر : منتهى الطلب من أشعار العرب ، جمع : محمد بن المبارك بن ميمون ، تحقيق : الدكتور محمد نبيل طريقي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ج : ٥ ، ص : ٤٠٧ .

(٩٣) ينظر : المخصص ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ، المعروف بـ (ابن سيده) ، بدون : طبع ، بدون تاريخ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ج : ١ ، السفر الثاني ، ص : ٤٠ .

(٩٤) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ٤٥ .

(٩٥) ينظر : لسان العرب ، مادة : "شمم" .

المذكور ، ثم موافقته مع السياق ، واللفظ لا يتحدد معناه إلا من خلال السياق وهذا ما نلاحظه في تفسيرات الشيخ محمود شاكر فإنه يعول كثيراً على استخلاص المعنى من السياق .

٣ - استنباط المعنى من السياق :

لوحظ أن معنى اللفظ الذي نصت عليه كتب اللغة لا يتفق أحياناً مع السياق بناتاً ؛ وهنا تأتي المحاولة لاستنباط معنى اللفظ من السياق نفسه وهذا نحو :

- مجيء " السَّرار " بكسر السين وفتحها بمعنى : نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالاً ، حتى يخفى في آخر ليلة ، فهذا النقصان هو الذي يأخذ منه ليلة بعد ليلة^(٩٦) ، ورد هذا في قول جرير :

رَأَتْ مَرَّ السَّنِينِ أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَلَالِ^(٩٧)

وهذا المعنى لم يُذكر في كتب اللغة ، وهو " النقصان " ، فالمذكور " اختفاء القمر " أي : ليلة اختفاء القمر وهي آخر ليلة من الشهر^(٩٨) ، وهو معنى لا يتفق مع السياق الشعري إطلاقاً ، فالشاعر يريد أن الأيام انقضت من عمره فلم يبقَ منه إلا القليل ، وهذا يعني أنه لم يغبُ تماماً ، فهناك بقيةٌ من عمره ، وهو لا يزال موجود .

فتشبيه حاله بالقمر الناقص (الهلال) الذي نقص بمرور الأيام إلى أن صار هلالاً ، أدلُّ على المعنى ، ولا صحة لتشبيه حاله بالقمر المختفي .

(٩٦) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٧ ، ص : ٨٦ .

(٩٧) ديوان جرير ، شرح : حمدو طمّاس ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ص : ٣١٢ .

(٩٨) ينظر : القاموس المحيط ، تأليف : مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي ، بدون تحقيق ، الطبعة الثانية ، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م

، شركة مكتبة و مطابع مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ، مادة : " لسان العرب ، مادة : " سرر " .

- تفسير " الكمح " بأنه هو : أثر كمح الفرس باللجام ، أي ردهً وجذبه باللجام ليقف ، فيترك ذلك أثراً حيث موقع اللجام ، وهذا في قول الشاعر " أعشى بن ثعلبة " (٩٩) ، عندما وصف لانع قوله فيمن يعاديه :

وَلَقَدْ أَمِنَحُ مِنْ عَادِيَّتِهِ كَلِمَاتٍ حَسَمَنْ مِنْ دَاءِ الْكَشْحِ
وَقَطَعْتُ نَازِرِيهِ ظَاهِرًا لَا يَكُونُ مِثْلَ لَطْمٍ وَكَمَحٍ (١٠٠)

والمعنى المذكور لم يذكر في كتب اللغة ، شرحه الشيخ من سياق معنى الشعر .

فمعنى البيت أن الشاعر يهجو خصمه هجاءً يشفيه من داء البغض ، وفي البيت التالي يذكر أنه كواه في وسط جبينه كياً ظاهراً الأثر ، ليس أثره كأثر اللطم أو الكمح الذي يزول ولا يؤدي ، فالشاعر هنا شبّه هجاءه بالمكواة الحامية التي تُنضجُ الجلدَ ، وتُبقي فيه أثراً لا يزول . (١٠١)

وفي قول الشيخ نظر ، فلو كان المراد بـ " الكمح " أثر كمح الفرس باللجام ، لا " الكمح " نفسه ، سيكون المراد بـ " اللطم " بناءً على ذلك " أثر اللطم " أيضاً ، لا اللطم نفسه .
ولكن ما يبدو أن المراد : " مثل أثر اللطم والكمح " ، فحذف " أثر " ؛ لكونه معلوماً دلّ عليه معنى السياق السابق ، أي : أنه حذف المضاف وأبقى المضاف إليه .

(٩٩) أعشى ثعلبة هو : ميمون بن قيس بن جندل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل شاعر مشهور مقدم . ينظر : المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، للإمام أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تصحيح وتعليق : الأستاذ الدكتور ف. كرنكو . الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ص : ١٣ .

(١٠٠) " كلاً " : أي هجاءه وشعره . " يحسمن " يقال : " حسم الداء " أي قطعه بالدواء . و " حسم العرق " قطعه ثم كواه لئلا يسيل دمه . " الكشْح " : داء يصيب الإنسان في كشحه فيكوى ، و " الكشْح " : ما بين الخصرة إلى الضلع الخلف ، والمعنى : أهجوه هجاء يشفيه من داء البغض . " قطعت ناظريه ظاهراً " : أي كويته كية ظاهرة الأثر في وسط جبينه بين عينيه إلى أنفه .

ينظر : لسان العرب ، مادة : " كلم " ، " حسم " ، " كشح " ، " قطع " .

تنبيه : يقول الشيخ : إن ديوان الأعشى المطبوع في أوروبا ، وهو ديوان كثير الخطأ والتحريف والتصحيح ؛ لذلك اجتهد في تصحيح هذا الشعر ، وغيره مما ورد في تفسير ابن جرير .

(١٠١) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٩ ، ص : ٥٤٤ .

٤ - استخلاص المعنى من مدلول الصيغة الصرفية :

قد يؤتى بمعنى اللفظ من مدلول الصيغة الصرفية ، فمن المعلوم أن المادة الواحدة في العربية لها صيغ مختلفة ، وبالطبع لكل صيغة معانٍ متعددة ، وبناءً على ذلك استطاع الشيخ محمود شاکر أن يفسّر كثيراً من الألفاظ تفسيراً لم يذكر في كتب اللغة ، مراعيًا في ذلك معاني الصيغ الصرفية التي وضعها الصرفيون، وكان تفسيره تفسيراً موافقاً للقياس وإن كان من اجتهاده ، وهذا نحو :

١- قوله في الفرق بين "صنّاعه" و "صناعة" : "الصناعة" بالكسر ، حرفة الصانع وعمله بيديه ، و "الصناعة" بالفتح ، تكون في المعاني دون المحسوسات ، وأنها الحدق والدربة على الشيء " .

ذكر هذا في تعليقه على قول " محمد بن سلام الجمحي " :

" وللشعر صنّاعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات "

كما أشار إلى خلوّ كتب اللغة من النص على "صناعة" بفتح الصاد ، ما عدا كتاب " الكليات " لأبي البقاء إذ وجد فيه ما نصه :

" والصنّاعة بالفتح ، تستعمل في المحسوسات ، وبالكسر في المعاني "

إلا أن الشيخ شاکر كان مخالفاً لهذا القول مستدلاً بما أجمعت عليه كتب اللغة وهو جعل "الصناعة" بالكسر حرفة الصانع وعمله بيديه ؛ لذا كانت " الصناعة " بالكسر عنده للمحسوسات ، و"الصناعة" بالفتح في المعاني^(١٠٢) .

ويبدو أنه وضع هذا الفرق لأنّ الغالب في استخدام المصدر الثلاثي " فعّاله " أن يكون في المعاني الثابتة (المعنوية) كالفطنة والنّجاة والبراعة والرّهافة ، أمّا " فعّالة " فيستخدم غالباً في الحرف

(١٠٢) ينظر: هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ٥ . معجم الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء

أيوب موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق : د. عدنان درويش ، محمد المضي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ،

مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ص : ٥٤٤ .

كالتَّجَارَةِ وَالْخِيَابَةِ وَالْحَيَاكَةِ وَالصَّنَاعَةَ وَالْحِرَاثَةَ .. إلخ ، وشبه الحِرْفَ (أي الوَلَايَاتِ) كَالْإِمَارَةِ
وَالْعِرَافَةَ وَالْوَزَارَةَ وَالنَّقَابَةَ (١٠٣) .

٥ - تفسير اللفظة بالتنجويل على القياس في النيابة (١٠٤) :

لوحظ ذلك في تفسيره للفظ " الرَّجْم " في قول الشاعر ابن هرمة (١٠٥) :

أَرْجَمًا لِلْمَنُونِ يَكُونُ قَوْمِي لَرِيْبِ الدَّهْرِ أَمْ دَرَجُ السُّيُولِ (١٠٦)

ف " الرَّجْمُ " هنا يُعْنَى به : الشيء المنسوب الذي يُرْجَمُ ويُقَذَفُ ، ولم يؤتَ على أصله ،
ف" الرَّجْمُ " مصدر بمعنى " القذف " ، وَسُمِّيَ ما يُرْجَمُ به " رجماً " ، وتفسير " الرَّجْمُ " بالمعنى
الذي ذكره الشيخ لم يذكر في كتب اللغة ، ولكن مجيئه بهذا المعنى صحيح في قياس العربية ،
وبيت ابن هرمة شاهدٌ عليه (١٠٧) .

ويظهر أن الدليل على صحّة ما يذهب إليه هو ما جاء في العربية في جواز نيابة المصدر عن اسم
المفعول في المعنى ، وصيغة " فَعَلَ " نحو " رَجَمَ " يجوز لها المجيء بمعنى " اسم المفعول " (١٠٨) .

(١٠٣) ينظر : شرح التسهيل ، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الحياتي الأندلسي ، تحقيق : د . عبد الرحمن السيد ،
ود . محمد بدوي المختون ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزيرة - مصر ، ج : ٣ ،
ص : ٤٦٩ .

(١٠٤) المراد بالنيابة هنا : النيابة في المعنى .

(١٠٥) ابن هرمة هو : إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي ، أبو إسحاق ، شاعر غزل من سكان المدينة ،
من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وهو آخر الشعراء الذين يُحْتَجُّ بشعرهم ، قال الأصمعي : " خُتِمَ الشعر بابن
هرمة " . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ١ ، ص : ٥٠ .

(١٠٦) " درج السيل " : مدرجة ومنحدرة وطريقة في معاطف الأودية ، والمعنى أن ابن هرمة يتحرّز على قومه وإسراع الهلاك
إلّهم بكل وجه حتى بادوا أو كادوا .

ينظر : أساس البلاغة ، للإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ، تحقيق : الأستاذ عبد الرحيم محمود ،
عرف به : الأستاذ أمين الخولي ، الطبعة الأولى الجديدة ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة - مصر ،
مادة : " درج " . ينظر : شعر إبراهيم بن هرمة ، تحقيق : محمد نفاع حسين عطوان ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ،
مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ص : ١٨١ .

(١٠٧) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٥ ، ص : ٣٦٨ .

(١٠٨) ينظر : المقتضب ، لأبي العباس محمد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ،
وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة - مصر ، ج : ٤ ، ص : ٨٩ .

ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، بدون طبعة
، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ج : ٥ ، ص : ٩٠ ، ٩١ .

ثانياً : تعليقاته على أقوال المُفسِّرين :

كما كانت للشيخ استدراقاتٌ في الكتب التي حقَّها ، كانت له أيضاً تعليقاتٌ وتنبيهاتٌ فريدةٌ على ألفاظٍ فسَّرت بطريقتة مباينة لكتب اللغة ، وأخرى أُستعملت استعمالاً لم تُسبق الإشارة إليها ، يتمثَّل ذلك فيما يلي :

١ . التنبيه على التفسير الفريد للفظة، نحو :

– مجيء " الظن " موضع " الخوف " و " الخوف " موضع " الظن "؛ لتقارب معنيهما ، كما قال الشاعر أبو الغول الطهوي^(١٠٩) :

أَتَانِي كَلَامٌ عَنْ نُصَيْبٍ يَقُولُهُ وَمَا خِفْتُ يَا سَلَامُ أَنَّكَ عَائِبِي^(١١٠)

فخفت بمعنى : " ظننت " ، وهو بيان قلما يُصاب في كتب اللغة^(١١١) .

– تفسير الطبري لـ " لحن الكلام " بأنه : الإيماء في الكلام دون التصريح .

وهذا التفسير ليس له شبيهه في كتب اللغة^(١١٢) .

– تفسيره لـ " الصرّ " بأنه : شدة البرد ، وذلك بعصوف من الشمال في إعصار الطلِّ والأنداء في صبيحة مُعتمة يعقب ليلة مصحية .

(١٠٩) هو أبو الغول الطهوي من بني طهية ، كان يكنى أبا البلاد وقيل له : " أبو الغول "؛ لأنه زعم أنه رأى غولاً فقتلها ، وله في ذلك أبيات ، وهو شاعر إسلامي كان في الدولة المروانية . ينظر : النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري ، تحقيق : د . عبد القادر أحمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ص : ٢٣٥ .

(١١٠) في " نُصَيْب " يقول الشيخ شاعر : ربما كان نصيب هو أبو الحجناء ، نصيب الأسود مولى عبد العزيز بن مروان . ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٤ ، ص : ٥٥٠ .

ورد البيت في النوادر في اللغة ، لأبي ريب الأنصاري ، ص : ٢٣٥ . ينظر : معاني القرآن ، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج : ١ ، ص : ١٤٦ .

(١١١) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٤ ، ص : ٥٥٠ . لسان العرب ، مادة : " خوف " .

(١١٢) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٥ ، ص : ١٠٢ . لسان العرب ، مادة : " لحن " .

وهذا البيان قلماً يصابُ مثله في كتب اللغة^(١١٣) .

– توضيح ابن الطبري لمعنى " الخمص " ، إذ يرى أن "الخمَصَ" قد يرادُ به الضمور من الجوع وشدة السَّعْبِ ، وهذا في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ أَصْطَرَّ فِي مَخْصَةٍ﴾^(١١٤) ، وقد يكون في غير هذا الموضع : إضماراً من غير جوع ولا سغب ، ولكن من خلقةٍ ، كما قال النابغةُ الذبياني يصف امرأةً بخصم البطن :

والبطنُ ذو عكنٍ خميصٍ لينٍ والإتْبُ تنفجُهُ بثديٍ مقعدٍ^(١١٥)

وقد وصفَ الشيخُ شاكراً هذا التفصيلَ بأنَّه تفصيلٌ جيّدٌ ، لا نُصِيبُ مثله في معاجم اللغة^(١١٦) .

– معنى قول القائل : " مَلَكْتُ عَلَى فُلَانٍ أَمْرَهُ " ، أي صار لا يَقْدِرُ أَنْ يُنْفِذَ أَمْرًا إِلَّا بِهِ ؛ فهذا بيانٌ قلماً يُصابُ في كتب اللغة^(١١٧) .

٢ . التنبيه على الاستعمالات النادرة للفظة :

هنا لم يشر الشيخ إلى معنى لم يُذكر في كتب اللغة ؛ لأن معنى اللفظ موجودٌ مثبت ، بل أشار إلى استعمالات لم تنصَّ عليها هذه الكتب ، مثال ذلك :

– القول ب: " تشبيك اللحية " فقلماً تصاب صفته في كتب اللغة ، لكنه بيّن في الآثار ، واستشهد الشيخ على قوله هذا بحديث ابن عمر : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ

(١١٣) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٧ ، ص : ١٣٦ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " صرر " .

(١١٤) سورة المائدة ، آية : ٣ .

(١١٥) " العُكَن " : أطواء البطن ، والمراد هنا : ما تتثنى منها من رقة الجلد ونعومته ، " الإتْب " : الثوب ، وقوله : " الإتْب تنفجه بثدي " أي : ترفعه .

ينظر : لسان العرب ، مادة : " عكن " ، " إتْب " ، " نفج " . ينظر : ديوان النابغة ، شرح : حمدو طمّاس ، ص : ٣٩ .
تنبيهه : رُوي هذا البيت عند أبي جعفر الطبري ، " والنحرُ تنفجه بثدي مقعد " أما الشيخ فقد استحسّن رواية " الإتْب تنفجه " ورآها أليق بالمعنى .

(١١٦) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٩ ، ص : ٥٣٢ . لسان العرب ، مادة : " خصم " .

(١١٧) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ١٠ ، ص : ١٤٧ .

عرك عارضيه بعض العرك ، ثم شبك لحيته بأصابعه من تحتها " (١١٨) يعني : أنه أنشب فيها أصابعه منفرجة ، فشبكها فيها (١١٩) .

- وصفُ الأرض بأنها " مَهْزُولَةٌ " أو " هزيلة " فيقال : " أرض هزيلة " أي رقيقة (١٢٠) ، وهذا مما أغفلته كتب اللغة (١٢١) .

- قول الحسن رضي الله عنه : " وظائف الله " ، والتي عني بها فروضه التي ألزمها عباده في الإيمان به ، وطاعته ، وإخلاص النية له سبحانه .
وهذا حرفٌ ينبغي أن يُقيدَ في كتب اللغة (١٢٢) .

فالنُدرةُ إذن ، لم تكن في معنى الألفاظ المذكورة ، بل في استخدامها ، كما لوحظ في " تشبيك " وإضافته لـ " اللحية " ، وإضافة " وظائف " للفظ الجلالة " الله " ، ووصف الأرض بأنها " مهزولة " أو " هزيلة " .

٣. التنبيه على استعمالات مجازية لم تثبت :

كثير من الألفاظ العربية لها معنى حقيقي ، ومعنى آخر مجازي (١٢٣) ، غير أن أصحاب المعاجم لم يفرقوا بين المعنى الحقيقي والمجازي في معاجمهم (١٢٤) ، كما أن هناك كثيراً من المعاني المجازية

(١١٨) ينظر : السنن الكبرى ، لإمام المحدثين الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، دار الفكر ، كتاب الطهارة ، باب عرك العارضين ، ج : ١ ، ص : ٥٥ .

(١١٩) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ١٠ ، ص : ٢٩ .

(١٢٠) بخلاف " الأرض السمينية " ، فهي أرض جيدة التربة قليلة الحجارة قوية على ترشيح النبات ، أما " الأرض الهزيلة " فهي رقيقة جدوب .

(١٢١) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ١٠ ، ص : ١١٧ .

(١٢٢) المرجع نفسه ، ج : ١٠ ، ص : ١٣٠ .

(١٢٣) من المعلوم أن المجاز هو : اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي ؛ لعلاقة بين المعنى الأول والثاني .

(١٢٤) ينظر : فصول في فقه العربية ، تأليف : د . رمضان عبد التواب ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ص : ٣٢٨ .

لم تثبت ؛ لذا كان للشيخ وقفاتٌ عند بعض هذه المعاني ، والتي لم تنصَّ عليها كتب اللغة ، تمثل ذلك فيما يلي :

– مجيء ” العيش ” بمعنى المتاع واللذة ، وأصلُ معناه : المطعم والمشرب وما تكون به الحياة ، فنقل إلى ” المتاع ” مجازاً ، ورد هذا في قول أبي جعفر الطبري : ” ليس للعرب يومئذ عيشٌ أعجب إليهم منها (أي الخمر) ” .

وهذا المجاز الحسن لم تقيده كتب اللغة ، ومثله ما جاء في الأثر : ” لا عيش إلا عيش الآخرة ” ، فهو عند الشيخ أولى أن يفسر بالمتاع واللذة^(١٢٥) .

– القول ب : ” ارتفاع العمل ” ، والمقصود به : انقضاؤه وذهابه ، وكذلك : ” ارتفاع الخصام بينهما ” و ” ارتفاع الخلاف ” بمعنى : انقضى وذهب ، فلم يبق ما يختلفان عليه أو يختصمان ، وجميع ما سبق مجاز من ” ارتفاع الشيء ارتفاعاً ” إذا علا ، لم تقيده المعاجم^(١٢٦) .

– استعمال ” الحرف ” بمعنى ” القول ” ، ولا يوجد هذا في كتاب من كتب اللغة ، ولكنه مجاز حسن ، فكما سُمّيت القصيدة ” كلمة ” ، جاز أن يقال للآية وللقول كله : ” حرف ” ، ورد هذا في قول ابن زيد^(١٢٧) في قوله تعالى : ﴿ فَإِن مِّن بَعْضِكُمْ بَعْضًا فُلُؤُا۟ الَّذِي أُو۟تِيَ مِنْ أَم۟نَتِهِ ۗ ﴾^(١٢٨) : ” فلولا هذا الحرف^(١٢٩) ” ، لم يبح لأحد أن يدان بدين إلا بكتاب وشهداء أو برهن . فلما جاءت هذه

(١٢٥) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٤ ، ص : ٣٣٦ . ينظر : صحيح البخاري ، تأليف : الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، مراجعة وضبط وفهرسة : الشيخ محمد علي قطب ، والشيخ هشام البخاري ، بدون طبعة ، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت – لبنان ، كتاب الرقاق ، باب ما جاء في الصحة والفراغ ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ، رقم الحديث : ٦٤١٣ ، ص : ١١٤٧ . لسان العرب ، مادة : ” عيش ” .

(١٢٦) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٥ ، ص : ٣٨٣ .

(١٢٧) ابن زيد هو : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو من أتباع التابعين ، مات سنة ١٨٢هـ ، قال ابن خزيمة : ” ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه ، وهو رجل صناعته العبادة والتَّقَشُّفُ ، ليس من أحلاس الحديث ” .

ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ١ ، ص : ١٧٦ .

تنبيه : احتجَّ الشيخ شاکر بقوله ، وليس بروايته للحديث .

(١٢٨) سورة البقرة ، آية : ٢٨٣ .

(١٢٩) قوله : ” فلولا هذا الحرف ” ، يعني : فلولا هذا القول من الله تعالى .

نسخت هذا كله^(١٣٠) ، صار إلى الأمانة^(١٣١) (أي أن هذه الآية نسخت ما جاء في آية الدين الواردة في سورة البقرة) .

– التعبير بـ " الوجه " عن " اللحية " ، وهذا تعبيرٌ عزيزٌ لا يوجدُ تفسيرُهُ في كتبِ اللغةِ والمجازِ ، جاء هذا في قول سعيد بن جبير^(١٣٢) : " قال لي ابن عباس ، وذلك قبل أن يخرجَ وجهي : أتزوجت يا ابن جبير ؟ ... " .

فقوله : " قبل أن يخرج وجهي " يعني : قبل أن تنبت لحيته^(١٣٣) .

مما سبق يلاحظ أن الشيخ نبّه على تلك الاستعمالات واستحسنها؛ لمجيئها في الأقوال المأثورة من جهة ، ثم موافقتها شرط المجاز من جهة أخرى ، إذ لا تُستخدَم اللفظة لغير معناها الحقيقي إلا لعلاقة بين المعنى الأصيل وبين المعنى الثاني المجازي ، وهي إما أن تكون علاقة للمشابهة ، كما في قولهم: " ارتفع العمل " أو " ارتفع الخصام " ، إذ شبه المعنويات بمعنى حسي هو " ارتفاع الشيء " ، وإما أن تكون علاقة لغير المشابهة على سبيل المجاز المرسل ، ومن ثم تكون العلاقة متنوعة ، فقد تكون للمسببية ، نحو العلاقة بين " العيش " و " اللذة والمتعة " ، فالعيش مسبب عن المعنى المراد الذي هو المتعة واللذة ، أو للجزئية مثل " الحرف " فهو جزء من " الآية " أو " القول " وكذا " الكلمة " جزء من " القصيدة " ، أو للمحلية ، مثل " الوجه " محل لـ " اللحية " .^(١٣٤)

نستنتج من ذلك : أن اللغة لها أن تتطوّر وتتّسع ، وتتعدّى حواجز المعاجم اللغوية ، إلا أن هذا التطوّر محكومٌ بضوابطٍ وشروطٍ متفقٍ عليها عند أهل اللغة .

(١٣٠) آية الدين ، سورة البقرة ، آية : ٢٨٢

(١٣١) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٦ ، ص : ٤٩ .

(١٣٢) سعيد بن جبير هو : سعيد بن جبير الأسدي الكوفي ، أبو عبد الله ، تابعي ، كان أعلمهم على الإطلاق ، أخذ العلم عن عبد

الله بن عباس ، وابن عمر . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٣ ، ص : ٩٣ .

(١٣٣) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ١١ ، ص : ٥٦٦ .

(١٣٤) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، مراجعة وتصحيح : الشيخ بهيج غزاوي ، الطبعة الثانية ،

١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، دار إحياء العلوم ، بيروت - لبنان ، ص : ٢٥٠ .

• لوحظ على منهج أبي فهر في تفسيره للألفاظ ما يلي :

١. اعتماده على عدّة طرق في تفسير الألفاظ واستنباط المعاني ، وهي بالطبع طرق لا تبتعد عن القياس ، ولا تتجافى عن الصواب ، طرق مضبوطة مُحكَمَةٌ ، أتت بمعانٍ متفرّعةٍ من أصل ثابت راسخ ؛ ليصل بعد ذلك إلى معنى يتفق مع السياق ، يستوعبه العقل النير ، وتأنسه الفطرة السليمة .

٢. استدرآكاته لم تقف عند معاني الألفاظ التي لم تذكر في كتب اللغة ، بل شملت ما لم يثبت من استعمالاتها ؛ لتتعدّى بعد ذلك وتشمل استعمالات اللفظ المجازية التي لم يُشر إليها . وهذا برهانٌ على سعة ثقافته وإلمامه الدقيق بمعاني اللفظة الواردة في معظم كتب اللغة .

٣. ذكره الفرق بين كُتُب اللغة وغيرها من الكتب في تفسير اللفظة ، ثم تنبّه للشرح المبين لكُتُب اللغة ، يدلُّ هذا على اهتمامه بأساليب التفسير وطرق الشرح والتبيين ؛ حرصاً منه على توضيح معنى اللفظة قدر المستطاع .

٤. منهجه في استنباط معاني الألفاظ يحثُّ القارئ على قراءة كُتُب التراثِ بدقّةٍ وتأملٍ ، والنظر إلى مدلول الألفاظ التي احتوتها هذه الكتب ، ليستدرك ما لم يُثبت في معاجم اللغة ؛ حتّى يتمكن بعدها من كشف السّتر عن النّصّ المبهم في حالة عدم التّوافق بين معنى اللفظ الوارد في نصوص اللغة وبين سياق النّص .

المبحث الثاني تصويباته اللغوية

أولاً: تصويب معاني الألفاظ في الشعر.

ثانياً: تصويب النصوص المحققة .

ثالثاً: تصويباته لمعاني الألفاظ .

رابعاً: استدراكه على المستشرقين .

كان للشيخ شاعر جهوداً متميزةً في تصويب معاني الألفاظ ، وتصحيح مفاهيمها ، خالف فيها كثيراً من العلماء والشراح والأساتذة ، منفرداً بآراء نفيسةٍ جديرة بالذكر ؛ لأنها تطرقت لمجالات متعددة ، كان للشيخ في كل منها منهجٌ في التصويب يميزه عن الآخر ، وفيما يلي تفصيل ذلك :

أولاً : تصويب معاني الألفاظ في الشعر :

لأبي فهر استدراقاتٌ نفيسةٌ على القدماء في شروحههم للشعر ، فقد كان يُخطئهم ويصفهم تارةً بأنهم مخطئون أساءوا التفسير ، وتارةً أخرى بأنهم مقصرون أفسدوا الشعرَ وذبحوه ، محاولاً بعد ذلك استنباط الصواب الذي يتفق مع السياق ، وأما منهجه في تصويب المعاني الشعرية فكان على النحو التالي :

١ . الرجوع إلى المعنى الصحيح للفظه :

وهذا مثل قول الشاعر ابن أخت تأبط شراً في وصف خاله تأبط شراً :

يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ ، وَنَدَى الْكَفَيْنِ ، شَهْمٌ ، مُدِلُّ

يرى أبو فهر هنا أنّ قداماء شراح الشعرِ كالمرزوقي^(١٣٥) وغيره قد أساءوا حين ظنّوا أن الشاعر أراد بقوله : " يابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ " أن خاله " يؤثر بالزاد غيره على نفسه " ، مستشهدين بقول دريد بن الصمة^(١٣٦) :

تَرَاهُ خَمِيصَ الْبَطْنِ ، وَالزَّادَ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمَقْدَدِ^(١٣٧)

(١٣٥) المرزوقي : هو أحمد بن محمد بن الحسن ، أبو علي المرزوقي ، عالم بالأدب ، من أهل أصبهان ، وهناك من يجزم بأن جدّه مسكويه ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، وشرح المفضليات والأماشي قطعة منه . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ١ ، ص : ٢١٢ . ينظر : شرح ديوان الحماسة ، لأبي علي أحمد المرزوقي ، نشره : أحمد أمين وعبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ-١٩٥١م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة - مصر ، القسم الأول ، ص : ٨٣٠ ، ٨٣١ .

(١٣٦) دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن ، من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية ، أدرك الإسلام ، ولم يسلم ، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٢ ، ص : ٣٣٩ .

(١٣٧) ينظر : ديوان ابن الصمة ، تقديم : شاعر الفحّام ، جمع وتحقيق وشرح : محمد خير البقاعي ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، دار قنبة ، ص : ٥٠ .

كذلك قول عروة بن الورد^(١٣٨) ، الذي ذكر ما ينبؤه من الحقوق ، فيؤثر الضيف والسائل
والمحتاج على نفسه وعياله :

أَتَهْرَأُ مِنِّي أَنْ سَمَنْتَ ، وَقَدْ تَرَى
بِجِسْمِي مَسَّ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ
أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي حُسُومٍ كَثِيرَةٍ
وَأَحْسُوا قَرَا حَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدٌ^(١٣٩)
ويعلل شيخنا سبب مخالفته لهم بقوله :

١- إن الشاعر لو أراد المعنى الذي ذهبوا إليه لكان قوله : " ندى الكفين " ، كأنه فضلة وزيادة
لا يحتاج إليها الشعرُ لا سيما بعد قوله : " من غير بؤس " ، والبؤس : هو شدة الفقر والحاجة
والضنك ، ولو أرادَه - أيضاً - لكان قوله بعد ذلك : " شَهْمٌ " بمنزلة اللصيق الذي لا أصل له ،
واللغو الذي يفسد ولا يصلح .

٢- إن " يابس " لا تدل على ضُمورِ البطنِ وخَمَصِ الحشا ؛ لأنَّ الضمورَ والخَمَصَ لا يُذهبان ما
في الخَصْرِ أو الجنبين من اللين الذي في البدن ، ولا التَّقَلُّلُ من الطعام يؤدي إلى " يُبَسِ الجنبين "
إنما يؤدي إلى " الخَمَصِ والضُمور " وهو قلة لحم الجنبين .

فَيُبَسُّ الْجَنْبَيْنِ وَالْخَصْرَ يَكُونُ مِنْ كَثْرَةِ الْحَرَكَةِ ، وَبَدَلَ الْجُهْدِ الْمَضْنِيِّ ، حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ
تَرْهُلُهُ أَوْ لِينُهُ ، وَيَرْتَدُّ إِلَى صَلَابَةِ فِي الْجِسْمِ تُشْبِهُ مَا يَلْحَقُ الْعُودَ إِذَا ذَهَبَ كُلُّ مَائِهِ وَيَبَسَ .

إذن : قلة اللحم من قلة الطعام ، وصلابة اللحم من التقلُّل والحركة ، ولا شك في أن تأبط شراً
الذي كان عداءً لا تلحقه الخيل ، ويسبق في عدوه الرياح والطير ، وكان كثير الغزو يقطع المفاوز
وحيداً طالباً ومطلوباً خليقاً بأن يذهب ماء لحمه ، فييبس من الحركة والخفة ، وليس من قلة الطعام
(١٤٠) .

(١٣٨) عروة بن الورد بن زيد العبسي ، من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها ، كان يُلقَّب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه
بأمرهم إذا أخفقوا في الغزوات .

ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٤ ، ص : ٢٢٧ .

(١٣٩) ينظر : ديوان عروة بن الورد ، شرح : يعقوب بن إسحاق السكيت ، تحقيق : عبد المعين اللوحي ، بدون طبعة ، بدون
تاريخ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، ص : ٥٢ .

(١٤٠) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٧٧ .

ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر نفسه عندما أخبر عن الفتية الذين ساندوه في إدراك الثأر لخاله

:

وَقْتَوْهُ هَجْرًا ، ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ ، حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ حَلَّوْا

فهؤلاء الفتية ساروا في كلِّ الهاجرة حتى أطبق الليل فساروا الليل كله أيضاً ، حتى إذا " انجاب " هذا الليل أطبقوا على قبيلة هذيل ، فأثخنوا القتل فيهم .

وفي لفظ " انجاب " كانت المخالفة ، فـ " انجاب الليل أو الظلام " لا يعني انقشاع الظلام ، وانكشافه تماماً ، بل الصواب الذي يراه الشيخ أن " انجياب الظلام " هو : ظهور صدع مفتوح في ركام الظلام قبل المشرق ، وهو الضوء الخابي المكفوف من وراء الليل والظلام محيط به من نواحيه ، وذلك عند أول مطلع فجر ، حيث لا تستبين شيئاً ولا تراه إلا تلمساً .

وهذا المعنى هو الذي يتفق مع السياق ؛ وذلك لأن الناس في هذا الوقت نياماً بعد ، لم يفيقوا من الكرى ، وهم فتية قليل عددهم ، ويباغتون حياً من أحياء هذيل أكثر منهم عدداً ، فإذا بيّتهم شدهوهم نياماً ، يذهلهم الرقاد عن أن يستمكنوا من أسلحتهم فيضعون السيف في طوائفهم حيث شاءوا .

وذهب شيخنا إلى هذا المعنى لأن لفظ " انجاب " مشتق من " الجوبة " وهي كلُّ فرجةٍ مستديرةٍ محيط بها شجر أو بناء أو جبال أو صخور . فإذا قيل : " انجاب السحاب " ، فليس معناه أن تنكشف السماء ويذهب السحاب حتى لا يرى منه شيء ، بل معناه : أن يتصدع السحاب ، وتتفتق في ركامه "جوبة" مستديرة ، تكشف عن جزء من سماء صافية ملساء ، والسحاب محيط بها من آفاقها ونواحيها . كما استشهد شيخنا على قوله هذا ببعض الأدلة من أهمها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الاستسقاء من صحيح البخاري ، وذلك لما تتابع المطر من الجمعة إلى الجمعة بالمدينة ، فسأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعوا ربّه ، فدعاه ، قال أنس : " فما يشير بيده صلى الله عليه وسلم إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجوبة " ، فالجوبة الحفرة المستديرة الواسعة ، وكلُّ مُنْفَتَق بلا بناء جوبة ، أي حتى صار الغيم والسحاب محيطاً بآفاق المدينة^(١٤١) .

(١٤١) نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢١٣ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " جوب " .

فالشيخ إذن ، رَجَعَ إلى المعنى الصحيح الموجود في اللغة ، فكل شيء مقطوع وسطه ، فهو مَجْبُوبٌ وَمَجُوبٌ وَمَجُوبٌ ، ومنه سُمِّيَ جيب القميص ، أما " انجاب " بمعنى انكشف وانقشع مطلقاً ، فلا يكاد يوجد (١٤٢) .

ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر :

يابسُ الجنين من غير بؤس وندى الكفين شهْمٌ مدلٌ

ف " يابس الجنين " ذُكر معناه سابقاً ، فهو يابس لكثرة الحركة وبذل الجهد ، وفي " شهْمٌ " و"مدلٌ" كان لشيخنا أيضاً رأيٌ مخالفٌ للشراح .

فشهْمٌ فُسِّرَتْ بأنها : الحمول الجيِّد القيام بما حُمِّلَ ، الذي لا تلقاه إلا حمولاً طيب النفس بما حُمِّلَ .

ولفظ " مدلٌ " فسَّره المرزوقي بأنه : " هو الواثق بنفسه وآلاته وعدته وسلاحه " (١٤٣) .

أما شيخنا فيرى أن المعنى المذكور لـ " شهْمٌ " معنىً منقولٌ عن الفراء ، والعبارة المذكورة عبارةٌ قاصرةٌ جداً ، ليس أصلاً في مادة اللغة ، واستعمالها بهذا المعنى في بعض كلامهم ، ضربٌ من تعريفة اللفظ من بعض معانيه ، والاقتصارُ على جزءٍ منه هو تفسيرٌ زاهقٌ قد أُدرجَ في كَفَنِ اللغة .

فالشهْم من الرجال وسائر الحيوان عند الشيخ : الجَلْدُ القويُّ ، الذكيُّ الفؤاد ، الحديدٌ من القلب ، المتوقِّدُ النَّفْسِ ، المستيقظُ من نشاطه ، المتنبِّهُ الذي يتلَفَّتْ كأنه مروَّعٌ مفزَعٌ ، فإذا همَّ مضى في الأمر نافذاً من حدته وذكائه ، كما نبَّهنا على أن " الشهامة " لا يُراد بها " النخوة " وهو المعنى الذي نستخدمه اليوم (١٤٤) .

ينظر : صحيح البخاري للإمام البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب : من تمطر في المطر ، حتى يتحادر على لحيته ، رقم

الحديث : ١٠٣٣ ، ص : ١٨٢ .

(١٤٢) ينظر : لسان العرب ، مادة : " جوب " .

(١٤٣) ينظر : شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، القسم الأول ، ص : ٨٣١ .

(١٤٤) ينظر : لسان العرب ، مادة : " شهْمٌ " .

وقد استشهد على صحّة رأيه بعدة شواهد ، منها قولُ الشاعرِ " المخبل السعدي" (١٤٥) يصفُ ناقته وحِدَّتْها ويقظتْها ، حتى ترى السَّوْطَ مرفوعاً قبل أن يمسّها :

وَإِذَا رَفَعْتَ الصَّوْتَ ، أَفْرَعَهَا
تَحْتَ الضَّلُوعِ مَرَّوعٍ شَهْمٌ (١٤٦)

يعني بذلك حدّة قلبها ، كأنّ فؤادها فزعُ مرَّوعٍ ، وكذلك قول " الحارث بن حلزة " (١٤٧) يصفُ ملكاً من ملوكهم ، يُصْرَفُ إليه وجهُ ناقته :

أَفَلَا تُعَدِّيْهَا إِلَى مَلِكٍ
شَهْمِ المَقَادَةِ ، مَا جَدِ النَّفْسِ (١٤٨)

فالشَّهْمُ هنا ، هو الصَّارْمُ في مُضَائِهِ وهو يقوّدُ كتابته في زمن الغزو ، واليقظُ لا يكادُ يهدأ ، وهو يسوسُ النَّاسَ في زمنِ السُّلْمِ .

أمّا اللفظُ الثاني وهو " مُدِلٌّ " فيرى أنّ النَّاسَ أساءوا فَهَمَهُ ، حينما تبعوا المرزوقي ؛ لأنه يرى أن المرزوقي بتفسيره هذا قد ذبح الشعرَ بغير سكين ؛ وذلك لأنّ " المُدِلَّ " عنده في هذا البيت من قولهم : " أدلّ البازيُّ على صيده " إذا انقضَّ عليه هاوياً من جوِّ السماء ، وأخذوا منه في صفة المحارب ، إذا انقضَّ على قرينه ، فأطبق عليه من فوقه وصرّعه ، فقالوا : " أدلّ على قرينه " (١٤٩) .

وذلك يتّضحُ في قول جرير للرّاعي الثَّمِيرِي يُنذِرُهُ سطوته وبطشه به وبقومه :

أَنَا البَازِيُّ المُدِلُّ عَلَى نَمِيرٍ
أُتِحَّتْ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا أَنْصَاباً
إِذَا عَلِقَتْ مَخَالِبُهُ بِقَرْنٍ
أَصَابَ القَلْبَ ، أَوْ هَتَكَ الحِجَابَ (١٥٠)

(١٤٥) المخبلُ السعدي هو : ربيع بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي ، من تميم ، شاعر فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، وله شعر كثير جداً . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج: ٣ ، ص: ١٥ .

(١٤٦) ينظر : ديوان المخبل السعدي ، صنعه : حاتم الضامن ، شعراء مقلون ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، عالم الكتب ، ص: ١٥ .

(١٤٧) هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي ، شاعر جاهلي من أهل بادية العراق ، وهو أحد أصحاب الملقات . ينظر : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، د: عفيف عبد الرحمن ، رقم الترجمة: ١١٠ ، ص: ٧٧ .

(١٤٨) ينظر : ديوان الحارث بن حلزة ، جمع وتحقيق الدكتور : إميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ص : ٥٠ .

(١٤٩) ينظر : لسان العرب ، مادة: " دلل " .

(١٥٠) ينظر : ديوان جرير ، تحقيق : حمدو طماس ، ص : ٥٦ . نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

ويتضح من ذلك أن الشيخ محمود شاكر اعتمد في تفسيره للألفاظ على حسه اللغوي ، وعلى السياق الشعري ، مهتماً بتآلف الألفاظ وتعانق معانيها بنظام وإتقان على الوجه الذي يقتضيه العقل

فالمعنى عند الشيخ أن " تأبط شراً " ذكيٌ مُتَبَقِّظٌ نشطٌ قويٌ، ينقضُ على أعدائه انقراضَ البازيِّ على قرنه، فيطبقُ عليهم، ويُتَخَنُ فيهم القتل ، فاللفظتان متعانقتان في الدلالة ؛ ومما يجب التنبيه عليه هو تعانق هاتين اللفظتين مع ما قبلهما : " يابس الجنبيين من غير بؤس " .

٢ . اختيار المعنى الطائب :

قد يكون للفظ الواحد في اللغة عدة معاني ، وهنا يحدث شيخنا بالتدقيق في اختيار المعنى الصحيح الذي يتناسب مع السياق الشعري ؛ حتى نبين مُرادَ الشاعر الحقيقي ، وحتى لا نُفقدَ الشعرَ معناه، ونطمس معالمَ حُسنه بإساءتنا لفهم معاني الألفاظ والأبيات الشعرية ، ونظراً لدقّة التدوُّق التي اتّسم بها الشيخ ؛ كانت له بعض المخالفات للشراح القدماء في هذا المجال ، وذلك مثل قول الشاعر

"ابن أخت تأبط شراً" يصفُ حالَ سباعِ الطيرِ التي بَشِمَتْ من لحومِ قَتْلَى هُدَيْلِ :

وسباعُ الطيرِ تَهْفُو بِطَانًا ، تَتَخَطَّاهُمْ ، فَمَا تَسْتَقِلُّ

فسباع الطير هي أكالة اللحوم ، و " تَهْفُو " عند أصحاب المعاجم لها معنيان :

الأول : هفا الطائر ، بمعنى : خفق بجناحيه وطار .

الثاني : تهفو الطير بمعنى : تخفق بأجنحتها وتدفعُ (أي تحرك أجنحتها وأرجلها في

الأرض، وتنزو شيئاً ثم تقع ، ثم تنزو ثم تقع) (١٥١) .

ولكن المعنى الذي يتفق وسيقاق المقام عند أبي فهر هو المعنى الثاني ؛ فهذه النسور ملأت بطونها من لحوم القتلى حتى ثقلَ عليها الطيران ، تَنَزَوُ ثم تقع ، ثم تنزو ثم تقع ، ومجيء " تهفو " بهذا المعنى مُتَّفَقٌ مع معنى "البطنة " ، و " البطان " جمع "بطين" وهو الذي يمتلى من الطعام

(١٥١) ينظر : المعجم الوسيط ، مادة : " هفا " .

امتلاءً شديداً^(١٥٢) ومما يؤيد هذا المعنى قول الشاعر بعد ذلك : " تتخطأهم " أي تخطو من فوقهم
بوثبة بعد وثبة ، وهذه تمامُ صفةِ النَّسرِ إذا هفا ، أي ضرب بجناحيه ، ثم ارتفع شيئاً ، ثم سقط ،
فهو كهيئة من يخطو فوق شيء .

وكذلك قوله : " فما تستقلُّ " أي : لا تكاد تطير ، من قولهم : " استقل الطائر في طيرانه " ،
بمعنى : نهض وارتفع في الهواء^(١٥٣) .

وقد نبه شيخنا إلى مجيء هذه الصفة عند الجاحظ في وصفه للنسر إذا أكل اللحم بنهم وامتلات
حوصلته به^(١٥٤) .

وكما كان الشيخ يصرح أحياناً بآرائه في مخالفته للشراح (مثل قوله في المرزوقي بأنه ذبح
الشعر بغير سكين) ، كان أحياناً لا يصرح بمخالفته لهم ، بل يكتفي بعدم استحسانه لما فسروه ،
وهذا نحو ما ذكره في قول الشماخ بن ضرار^(١٥٥) :

يقولون لي : يا احلف ! ولست بحالفٍ

أخاتلهم عنها لكيما أنالها

ففرجت هم النفس عني بحلفةٍ

كما شقت الشقراء عنها جلالها^(١٥٦)

ف " شقراء " قد يُعبَّرُ بها في اللغة عن الفرس وعن المرأة^(١٥٧) ، ودلالتها على الفرس في البيت
الشعري المذكور معني لا يستحسنه أبو فهر ؛ لأنه يرى أن " شقراء " هنا قصد بها المرأة الحسنة
البيضاء التي يعلو بياضها حمرة صافية ، و " جلالها " : غطاؤها الذي يسترها ، وهو المعنى الذي
يستقيم به معنى البيت ويحسن .

(١٥٢) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٧٢ .

(١٥٣) المرجع السابق .

(١٥٤) ينظر : الحيوان ، لعمر بن أبي عثمان الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، مكتبة
مصطفى الباني الحلبي وأولاده ، مصر ، ج : ٦ ، ص : ٣٣٣ .

(١٥٥) الشماخ بن ضرار ، بن حرملة بن سنان المازني الذبياني ، شاعر مخضرم ، قيل : اسمه معقل بن ضرار ، والشماخ لقبه .
ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٣ ، ص : ١٧٥ .

(١٥٦) ينظر : ديوان الشماخ بن ضرار الغطفاني ، شرح : أحمد بن الأمين الشنقيطي ، بدون طبعة ، ١٣٢٧ هـ ، مطبعة السعادة ،
مصر ، ص : ٢٠ .

(١٥٧) ينظر : معجم الصحاح ، للجوهري ، مادة : " شقر " .

فأصلُ الكلام أنَّ الشماخَ نازعته زوجته وادّعت عليه طلاقاً ، فحضر معها قومها فأعانوها ، وكانوا قد طمعوا في اليمين التي تُطلِّقُ به هذه المرأة ، فلما أقبلوا يحثون : يا احلف ، ويقول لهم : لست بحالف مرّةٍ وأخرى ، وثالثةٌ يخادعهم حتى يستيقنوا أنه لن يحلف ، وأنه يعزُّ عليه طلاقها ، فلما استيقنوا ويئسوا أن يسمعو اليمينَ خارجةً من فيه ، فرجَّ كَرَبَ نفسه بهذه المرأة البغيضة بيمينٍ شَقَّتْ يَأْسَهُم من سماعها، أرسلها عليهم فجأةً واضحةً ، أذهلت السامعين كما تُذهِلُ النَّاظِرِينَ حسناءً محجَّبةً منيعةً ، قد يئس المترقبون من رؤيتها فإذا بها تشقُّ حجابها فجأةً، فتطيشُ أبصارهم من رؤيتها، واضحةً المحيا، مشرقةً الوجه^(١٥٨) .

ويبدو أن الشيخ استحسن هذا المعنى لأن يمين الطلاق كان مُكْتَمًا تمامًا ، ثم خرج من فيه بيّنًا واضحاً حارقاً أسماعهم ، ومن المعروف أن المرأة الحسنة أكثر تكتمًا وتحجبًا من الفرس ، بل هي التي تحجب تمامًا فلا يرى من أثرها شيء ، مما يقتضي اليأس من رؤيتها ؛ لذا لو شقت حجابها ستطيشُ بأبصار النَّاظِرِينَ أكثر من الفرس إذا خرجت من جلالها .

٣. الاعتماد على أصل الكلمة :

من الأمور التي توصل إليها الشيخ شاكراً عند تفسيره للألفاظ اعتماده على " أصل الكلمة " ؛ وذلك لأن أصل الكلمة يُظهر معناها ويُشير إلى استعمالها الأولى ، فكلمة " يجدي " في قول الشاعر :

غَيْثٌ مُزْنٌ ، غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي ، وَإِذَا يَسْطُوقُ لَيْثٌ أَبْلُ

فُسِّرَتْ بأنها من " الجَدوى " وهي العطيّة ؛ إلا أنها مأخوذة من " الجدا " وهو المطر ، فـ "أجدى" " بمعنى أمطرَ من " المطر " وهو اشتقاقٌ صحيحٌ لا قادح فيه^(١٥٩) ، كما نبّه على أن هذا البناء بهذا المعنى لم تذكره كتب اللغة ، وهو مما ينبغي أن يُقَيَّدَ ويزادَ عليها ، وشاهده من كلام العرب البيت المذكور .

(١٥٨) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١٣٥ .

(١٥٩) ينظر : لسان العرب ، مادة : " جدا " .

وقد وضح الشيخ العلامة أن سبب وقوع الشُّرَّاحِ في هذا الفساد ، هو اقتصارُ أهلِ اللِّغَةِ وأصحابِ المعاجم على المعنى الأول ، فقالوا : " أجدى فلان " إذا أعطى عطية . إضافةً إلى ذلك أنهم ألفوا استعارة " الغيث " في الدلالة على معنى السخاء والعطاء والبذل .

ف " الغيث " عنده لم يُسْتَهْدَفْ به صفةٌ خاصةٌ بالكرم ، بل أراد الشاعرُ بها صفةً جامعةً تعمُّ ولا تخصُّ وهي صفة " السماحة " ، سماحة الطَّبَاعِ ؛ لأنها مُتَضَمِّنَةٌ لجميع ما تَبَدَّلُهُ النَّفْسُ وتجوُّدُ به سَهْلًا بلا كَدٍّ مع طلاقةِ الوجهِ ، وبشاشةِ النفسِ ، وحلاوةِ لسانِ ، ولينِ جانبِ .

ولو أخذنا بقول المرزوقيِّ وأتباعِهِ^(١٦٠) في تفسيرهم لقول الشاعر : " غَيْثٌ مُزَنٌ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي " ، لكان في الكلام تكراراً لمعنى بيتٍ سبقه وهو قول الشاعر :

يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ ، وَنَدَى الْكَفَيْنِ ، شَهْمٌ مَدِلٌّ

ف " ندى الكفين " قَصَدَ بها الشاعرُ وَصَفَ خَالَهُ بِالكَرَمِ وَالسَّخَاءِ^(١٦١) ، ولو فسرت " غيث " يجدي " بهذا المعنى لكان خطأً شديداً ، لم يرتكب الشاعرُ مثله فيما مضى ، ولا فيما يستقبلُ ، ولا يقعُ في مثله إلا من يَحْتَرِزُ من خسيسِ الكلامِ .

إضافةً إلى ذلك فإنَّ هذا التفسيرَ فيه وَصْفٌ لِلرَّجُلِ بِالسَّخَاءِ وَالكَرَمِ لا غير ، فكأن الشاعرَ قَصَرَ صفةَ خاله على ذلك فقط .

ومن جهةٍ أخرى ، فإن قولنا : " غيث يعطي " يختلف تماماً عن قولنا : " غيث يمطر " ؛ ففي الأولى تشبيهٌ للرجل بالغيث ، وأما الثاني فهو الغيث نفسه ، وشَتَّانَ ما بين المعنيين .

فالمعنى إذن : إنه غَيْثٌ مُتَّسِعٌ مُسْتَفِيضٌ يَعْمُ النَّاسَ وَالْأَرْضَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَمُطِرُ فِيهِ ، وَيُمَطِّرُهُمْ بِسَمَاحَتِهِ وَجَمِيعِ فِضَائِلِهِ ؛ ولذلك قابل الشاعرُ هذه البشاشةَ والمباصرةَ واللينَ بقوله : " وإذا يسطو فليث أبل " ، وما يدلُّ عليه من الشراسةِ والبطشِ والغلظةِ وعبوسِ الوجهِ^(١٦٢) .

(١٦٠) ينظر : شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، ج : ١ ، ص : ٨٣١ . شرح ديوان الحماسة " أبو تمام " ، للإمام الشيخ أبي

زكريا يحيى بن علي التبريزي ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ج : ١ ، ص : ١٦٢ .

(١٦١) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٧٧ .

(١٦٢) المرجع نفسه ، ص : ١٩١ ، ١٩٢ .

وقد خالف الشيخُ شاكراً أهلَ اللغةِ في تفسير " الأبل " ، فهم يفسرونه بأنه : الشديد الخصومة ، وهو الجدل الألد ، وهو الذي لا يستحي ، وهو الفاجر ، وهو الخبيث المفسد في الأرض (١٦٣) .
وأى معنى من هذه المعاني لا يجيزه ؛ لما فيها من إفسادٍ للمعنى ، فالصوابُ عنده ، أنها من قولهم : " بَلَلْتُ بالشيء " بكسر اللام ، إذا اسْتَمْسَكَتَ به ولزمته بقبضتك فلم تَقْلُتْه ، ومنها قولُ الأخطل :

(١٦٣) ينظر : لسان العرب ، مادة : " بلل " . شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ج : ١ ، ص : ٨٣٢ .

فَلَوْ بِنِي دُبْيَانَ بَلَّتْ رَمَاحُنَا

لَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي وَبَاءَ بِهِمْ وَتَرِي (١٦٤)

أي : عَلِقْتُ بِهِمْ رَمَاحُنَا وَنَشِبْتُ فِيهِمْ . فهذا أصلُ المعنى ، ومنه أُخِذَ مجازُ قولهم : " بَلَّتْ بِحَاجَتِي بِلَا " ، أي ظفرت بها وصارت في قبضتي ، و " بَلَّتْ بِفُلَانٍ " ، إذا لزمته ودُمتَ على صحبته (١٦٥) .

فمعنى " الأبل " في هذا الشعر : الباطش ، الذي إذا علقت مخالبه بشيء لم تفلته لشراسيته وقوته ، وهذا المعنى هو الذي ينبغي أن يُفسَّرَ به وَصَفُ اللَّيْثِ بِأَنَّهُ " أبل " ، أمَّا تفسيره بأنه الفاجرُ فهذا من أَقْبَحِ القَوْلِ وَأَخْبِثِهِ ؛ وذلك لأنَّ الأَسَدَ هو ملكُ السَّبَاعِ وَسَيِّدُهَا ، وأكرمها خُلُقاً ، لا يعيثن في الأرض ، ولا يثبُّ على حيوانٍ ولا إنسانٍ إلا للمطعم ، ثم يكفُّ لعقته ونبله ، وإنما يوصف بالفجور والخبث " الذئب " ، وغيره من لثام السباع ، مما يدبُّ ويختلُّ ويعيثن في الأرض فساداً ، وليس كذلك يفعل الأسد (١٦٦) .

وقد نبه أبو فهر على أن تفسير المرزوقي كان مُنتزِعاً من شعر المسيب بن علس (١٦٧) ، خال الأعشى الكبير إذ قال :

أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ يَا آلَ عَامِرٍ وَهَلْ يَتَّقِي اللَّهَ الْأَبْلُ الْمُصَمَّمُ (١٦٨)

ف " الأبل " هنا كانت بمعنى الفاجر الخبيث ؛ لأنها صفةٌ للشجاع ، وهو ضربٌ من الحيات صغيرٌ لطيفٌ دقيقٌ ، ولكنه ماردٌ من أجرأ الحيات وأخبثها ، ثم وصفه المسيب بصفةٍ أخرى وهي " المُصَمَّم " ، وهو الذي إذا عض أنشَبَ أنيابه ، ثم لم يرسلها (١٦٩) .

(١٦٤) ينظر : نقائض جرير والأخطل ، تأليف الإمام الشاعر : أبي تمام ، عني بطبعها لأول مرة عن نسخة الأستانة الوحيدة وعلق على حواشيتها : أنطون صالحاني اليسوعي ، بدون طبعة ، ١٩٢٢م ، دار المشرق ، بيروت - لبنان ، ص : ٣٢ .
منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن ميمون ، ج : ٦ ، ص : ١٩٣ .

(١٦٥) ينظر : لسان العرب ، مادة : " بَلَّلَ " . نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٩٤ .

(١٦٦) ينظر : المرجع نفسه ، ص : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(١٦٧) المسيب بن علس بن مالك بن عمرو بن قمامة ، من ربيعة نزار ، شاعر جاهلي ، له ديوان شعر شرحه الأمدي . قيل : اسمه " زهير " وكنيته " أبو فضة " . ينظر : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، رقم الترجمة : ٦٠٥ ، ص : ٣٣٦ .

(١٦٨) ينظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة : " بلل " ، ينظر : لسان العرب ، مادة : " بلل " .

تنبيه : لم يعثر على ديوانه إلا أن البيت الشعري ورد في المعاجم المذكورة .

(١٦٩) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٩٣ ، ١٩٥ .

كما صحَّحَ الشيخَ معنى " لخلُّ " في قول ابن أخت تأبط شراً :

سَقْنِيهَا ، يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو ، إِنَّ جِسْمِي ، بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ

فالشاعر هنا يريد أن ينادي قريباً له (يُرَجِّحُ أنه ابن خاله) ، ويقول : " يا سواد بن عمرو سقنيها (أي الخمر) إن جسي بعد خالي لخلُّ " ، و " الخلُّ " هنا فسره أصحاب اللغة بـ " المهزول " قليل اللحم ، والخفيف النحيف المختل الجسم ، واختلَّ جسمه ، أي هزل^(١٧٠) ، على حين شيخنا لا يَسْتَحْسِنُ هذا التفسير ، ويرى أن الشُّرَّاحَ قَصَّروا في تفسيره و بيان المراد منه ، فالصواب الذي يراه هو أن " الخَلُّ " من " الخَلَل " وهو الفساد والوهن ، ف " الخَلُّ " هنا الواهن الذي فتَّ الجهدُ عظامه وذهب الضعفُ بقوته ، فهو يتهالك لا يكاد يتماسك ، فإن أراد أن يقوم تَرَنُّحٌ وَتَقَعَّقَعَتِ عِظَامُهُ ، وكاد يسقط من الإعياء ، وكذلك يكون الشأن بعد طول الجُهدِ ، ويكون ذلك أيضاً من شدة الغمِّ والحزن ، والخمر عندئذ إذا شربها شدت عظامه ، وتماسك .

فهو إذن ، لم يكن مهزولاً نحيف الجسم مختلاً ، بل كان متهاكاً فتَّ الجهدُ عظامه ، فأراد شُرْبَ الخمرِ لِيَشُدَّ عِظَامَهُ التي اضمحلت قواها^(١٧١) .

وفي تفسيره هذا تبدو الدلالة على بدلٍ جُهدٍ أهلكه ، وليس ذلك في تفسير غيره ، إضافة إلى ذلك أن في تفسيره دليلاً على أن ضَعْفَ الجسمِ حالةٌ مؤقتةٌ يأملُ بعدها في الرجوع إلى قوته ، لذا طلب الخمرَ؛ ليشدَّ قوتَه ، وليس ذلك في تفسير غيره .

٤ . التصويبات البيانية :

كان للعلامة الشيخ تصويباتٌ بيانيةٌ خالف فيها الشُّرَّاحَ والمفسرين القدماء ، وكان يعتبرُ تحليلهم إساءةً للشعر وإفساداً له ؛ وذلك لأنها أخطاء تتولدُ على إثرها أخطاء أخرى ، تفسدُ النصَّ الشعري ، وتُطْمِسُ معانيه ، من ذلك ما ذكر في قول الشاعر ابن أختٍ تأبط شراً :

(١٧٠) ينظر : لسان العرب ، مادة : " خلل " ، فالخلل بهذا المعنى مأخوذة من " الخليل " بمعنى الضعيف خفيف الجسم

المهزول ، وقد فسر ابن منظور " الخلل " في البيت المذكور بهذا المعنى . ينظر : شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، ج : ١ ،

ص : ٨٣٩ . شرح ديوان الحماسة ، للتبريزي ، ج : ١ ، ص : ١٦٣ .

(١٧١) ينظر : لسان العرب ، مادة : " خلل " ، والخلُّ بهذا المعنى من الخلل ، وهذا ما اختاره أبو فهر . ينظر : نمط صعب ونمط

مخيف ، ص : ٢٦١ .

غَيْثٌ مُزْنٌ ، غَامِرٌ حَيْثُ يَجْدِي ، وَإِذَا يَسْطُو ، فَلَيْثُ أَيْلٌ

فالشُّرَاحُ رأوا أن " الغيث " مستعارٌ للدلالة على معنى السخاء والبذل والعطاء ؛ ولذا فسروا "يجدي" بأنها : " يعطي عطية " ، أما شيخنا فيرى أن " الغيث " أستعير للدلالة على صفة جامعة عامة ، ولم يُسْتَهْدَفْ به صفة خاصة بالكرم والسخاء والبذل ، وهذه الصفة الجامعة هي " السَّمَاحَةُ " التي تتضمّن جميع ما تبدّله النفس وتجوّد به ، ولو أخذنا بأقوال الشُّرَاحِ فهذا يعني وقوعنا في التكرار المعيب الذي أوقعنا فيه إلفُ استعارة " الغيث " في الدلالة على معنى السخاء والعطاء^(١٧٢) .

وفي بعض الأحيان يكونُ الخلافُ في وجودِ التشبيهِ نفسه في النَّصِّ الشعري ، ولا شكَّ أن السبب في ذلك هو التفسيرُ الخاطئُ للألفاظ ، وهذا ما ورد في قول الشاعر ابن أخت تأبط شراً :

مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ ، أَحْوَى ، رِفْلٌ ، وَإِذَا يَعْدُو ، فَسَمِعَ أَرْلٌ

فأهل اللغة ظنوا أن المقصودَ الممدوحُ نفسه " تأبط شراً " ، وأن " مسبل " صفةٌ له ، على أنها من إسبال الإزار ، وهو إرخاؤه يسحبُ على الأرض خيلاً وكبيراً^(١٧٣) .

وفي " أحوى " و " رفل " لم ينطق المرزوقي بكلمة ، أما الخطيبُ التبريزي فقد ذكر وجهاً آخر ، وهو أن يكونَ " مسبل " عاملاً في " أحوى " ويراد أنه مسبلٌ شعراً أحوى أي أسود ؛ لأنهم كانوا يوفرون لِمَمَّهُمْ ويصفون الشَّابَّ بحُسْنِ اللَّمَّةِ^(١٧٤) .

وبالطَّبع ، اعتبر أبو فهر كلَّ ذلك خلطاً مُعْرِقاً في الغثاثة ؛ ف " مسبل " عنده يُعْنَى بها فرسٌ عتيقٌ ضافي السبب ، قد أسبل ذيله ، يرخيه أو يشيل به ، ويضربُ به يمناً وبسرةً ، يختال اختيلاً .

فالمقصودُ إذن ، تشبيه الممدوحِ بفرسٍ مُسْبِلٍ ضافي الذنب ، أحوى ، رفل .

(١٧٢) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٩٢ .

(١٧٣) ينظر : لسان العرب ، مادة : " سبل " .

(١٧٤) ينظر : شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، ج : ١ ، ص : ٨٣٢ . شرح ديوان الحماسة ، للخطيب التبريزي ، ج : ١ ،

ولما كان تفسير " مسبل " هو الضَّافِي الذَّنْب ، وجب أن يكون تفسير " أحوى " الفرسَ الكمييت ، وهو الأحمرُ القاني يكون بين السَّوادِ والحُمْرة ، و يغلب سواده حُمْرَتُهُ .

و" الأحوى " من الخيل جوادٌ عتيق راعٍ المنظر ، وهو أصْبَرُ الخيلِ على العَدُوِّ ، وأفضَلُهَا (١٧٥)

وفي " رفل " فسرها أصحابُ اللغة بطويل الذَّنْبِ وهي عند الشيخ بمعنى " التبخر والخيلاء" (١٧٦).

ويتضح من تفسير أهل اللغة أنهم يصفون " تَأَبَّطُ شَرًّا " بحسن المنظر ، وحسن اللباس (١٧٧) ، دون الإشارة إلى قوته وشجاعته ، لكن لما شَبَّه بالخيل المسبل الأحوى ، دلَّ على وصفه بالقوة والصبر والسرعة مع الهيبة وروعة المنظر في آن واحد .

وهذا بالطبع ما يتطابق مع مقتضى الحال ؛ لأنَّ الشاعرَ يصفُ خاله بالقوَّة والحزمِ وشدة البأسِ وقوَّة الفتك ، فمحال أن يصفه بحسن المنظر واللباس في هذا المقام .

أما صفات الخيل المذكورة (مسبل ، أحوى ، رفل) فهي من أروع صفاتها المحبوبة لدى العرب.

فطولُ الذَّنْبِ من الصفاتِ المحبَّبة (١٧٨) ، والخيلاء من سماتها ، واللونُ الأحمرُ القاني لونٌ محبَّبٌ مرغوبٌ فيها (١٧٩) ، ولا شكَّ أنها صفاتٌ دالَّةٌ على القوة والنشاط وسرعة العدو ؛ ومن هنا كان

(١٧٥) ينظر : لسان العرب ، مادة: " حوا " . نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٥٧-١٦٠ .

(١٧٦) ينظر : لسان العرب ، مادة: " رفل " . المعجم الوسيط ، مادة: " رفل " .

(١٧٧) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٦٤ .

(١٧٨) ينظر : الخيل في أشعار العرب ، تأليف : حسن محمد النصيح ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، مطبوعات مكتبة

الملك عبد العزيز ، الرياض ، ص : ١٣٥ .

(١٧٩) ينظر : شعر الحرب في العصر الجاهلي ، تأليف الدكتور : علي الجندي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦م ، مكتبة الجامعة

العربية ، بيروت - لبنان ، ص : ١١١ . وصف الخيل في الشعر الجاهلي ، تأليف الدكتور كامل سلامة الدُّقس ، بدون

طبعة ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ، دار الكتب الثقافية ، الكويت ، ص : ٢٢ ، ١٣٧ .

تفضيلها، يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " خَيْرُ الْخَيْلِ : الْأَدْهَمُ الْأَقْرَحُ الْأَرْتَمُ ، ثُمَّ الْأَقْرَحُ الْمَحْجَلُ ، طَلِقُ الْيَمِينِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَدْهَمَ ؛ فَكُمَيْتٌ عَلَى هَذِهِ الشَّيْءِ " (١٨٠) .

فليس المقصود إذن صورة الخيل ، إنما المقصود قوّة وروعة هذه الخيل المتّصّفة بهذه الصفات .

إضافةً إلى جميع ما سبق ، أن تشبيهه الرَّجُلِ بِالْخَيْلِ لم يأت بصورةٍ مباغتةٍ ، بل أتى بين سلسلةٍ من التشبيهات ، ففي البيت السابق شَبَّهَهُ بـ " الليث الأبل " في قوله : " وإذا يسطو فليث أبل " ، وفي البيت نفسه قابله في الشَّطْرِ الثَّانِي بتشبيهه آخر من حيزه فقال : " وإذا يعدو فسَمْعُ أزل " ، والسمع من الخلق المركب ، فهو ولد الذئب من الضبع ، فيه من شدّة الضبع وقوَّتها ، ومن جرأة الذئب وخُبَّيه (١٨١) .

فالمعنى إذن : أنه في الحيّ فرسٌ أحوى من الجياد العتاق ، وإذا فارق حيّه في غاراته سَمِعُ أزل ، سريع الخطفة ، لا تُفَلَّتْ فرائسه ، وبهذه المقابلة يظهر الاستواء في المعنى وتتحقّق الاستقامة (١٨٢) .

ويُلاحَظُ من قول أبي فهر أنه مخالفٌ لأهل اللغة في طريقة تفسيرهم للألفاظ ، فالإسبال مثلاً ، من علامات التبختر ؛ ولهذا فُسِّرَتْ " مسبلٌ " بالذي يُرْخِي إِزَارَهُ خَيْلًا ، أي أنهم جعلوا التبخترَ معنىً ملازمًا لـ " الإسبال " مقترناً به بصورة دائمة. وإن كان " الإسبال " من مقتضيات التبختر ، فهذا لا يعني أن يُضَمَّ " التبختر " أو " الكبر " إلى معنى الإسبال ويقترن به .

وقد استشهد العلامة على مجيء " مسبل " مقترنةً بـ " الخيلاء " بقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ جَرَّ تَوْبَهُ مِنَ الْخَيْلَاءِ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١٨٣) ، كما استشهد على صحة مجيئها

(١٨٠) ينظر : صحيح سنن الترمذي ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي ، تأليف : محمد ناصر الألباني ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء ما يستحبُّ من الخيل ، رقم

الحديث : ١٦٩٦ ، ج : ٢ ، ص : ٢٥٣ .

(١٨١) ينظر : الحيوان ، للجاحظ ، ج : ١ ، ص : ١٨١ .

(١٨٢) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٦٤ .

(١٨٣) ينظر : كتاب السنن ، سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، حققه وقابله بأصل الحافظ ابن حجر وسبعة أصول أخرى : محمد عوامة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جده ، المكتبة المكية ، مكة ، مؤسسة الريان ، بيروت - لبنان ، كتاب اللباس ، باب إسبال الإزار ، ج : ٤ ، رقم الحديث :

٤٠٨٢ ، ص : ٤١٤ .

مفردةً بقوله صلى الله عليه وسلم : " ثلاثة لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ... المسبِلُ
والمَتَّانُ والمنْفِقُ سلعتَه بالحلفِ الكاذبِ " (١٨٤) .

وعن مجيء " مسبل " مجردةً فقد ورد في اللغة قولهم للمرأة إذا لها شعرٌ: " سبلا " ، و " سبلت
السحابة " : إذا أرخت عَثَانِيْنَهَا إلى الأرض ، و " السَّبُولَة " : سنبلَة الذرة والأرز ونحوه إذا مالت .
(١٨٥)

ففي هذه العبارات لم تقترن " مسبل " بالخيلاء ، وفي الوقت نفسه ، لم يُقصدُ بالإسبال
الخيلاء .

(١٨٤) المرجع نفسه ، رقم الحديث : ٤٠٨٤ ، ص : ٤١٥ .

(١٨٥) ينظر : لسان العرب ، مادة : " سبل " .

أما " رفل " فلها معنيان : تأتي بمعنى طويل الذنب ، وتأتي بمعنى " المتبختر " (١٨٦) فإن وردت مع قولهم: " مسبل " أو قولهم : " ذيال " بمعنى طويل الذنب ، لا تُفسرُ إلا بمعنى " التبختر والكبر " ؛ بعداً عن اللغو والتكرار .

وهذا مما ورد في البيت الشعري المذكور ، كذلك ما ورد في قول النابغة :

بِكُلِّ مُجْرَبٍ كَاللَيْثِ ، يَسْمُو
إلى أوصالِ ذِيَالٍ رَفْنٍ (١٨٧)

فالشيخ هنا استنكرَ تفسير " رفن " بـ " الطويل الذنب " ؛ كرهاً للتكرار . (١٨٨)

٥- تصويب الألفاظ المصحفة :

رأى الشيخ محمود شاكر أن بعضَ التصحيقات في ألفاظ الأبيات الشعرية ، ترتبَ عليها غموضُ مرادِ الشاعر من جهة ، وقلبُ المعاني وفسادُها من جهةٍ أخرى ؛ لذا اجتهد في تصويب هذه التصحيقات ليزيلَ الغموضَ ويكشفَ الحُجُبَ حتَّى يتَّضحَ مرادُ الشاعر ويستقيمَ معنى الشعرِ بالصورة التي تتقبلُها فطرته ، وتطمئنُ إليها نفسه ، ومن الأمثلة على ذلك :

– قول الأخطل لجريير :

نَخَسْتَ بَيْرَبُوعٍ لَتُدْرِكَ دَارِمًا
لَقَدْ ضَلَّ مِنْ مَنَّاكَ تَلَكُ الْأَمَانِيَا (١٨٩)

يذكرُ أنها رويت في ديوانه : " يخست " بالباء ، وهو خطأ لا معنى له ؛ فالصوابُ الذي أخذ به هو قوله : " نَخَسْتَ " من " نخس بالرجل " أي : هيَّجَه وأزعجَه ، وأصلُه من " نخس الدابة " : وهو غمَزُ جنبيها أو مؤخرها بعودٍ لكي تسرعَ . وهذا اللفظ بهذا المعنى هو الذي يستقيم مع معنى البيت ؛ لأن المراد بقوله : " نَخَسْتَ بَيْرَبُوعٍ " أن يجعلهم كالدابة المتبلدة يستحيتها ركبها لتُسرعَ ، هجاءً لهم ، ودارم هم سلف الفرزدق (١٩٠) .

(١٨٦) ينظر : المعجم الوسيط، مادة : " رفل " .

(١٨٧) ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، شرح: حمد وطماس ، ص : ١٢٤ .

(١٨٨) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٦١ .

(١٨٩) ينظر : شرح ديوان الأخطل التغلبي ، صنعه وكتب مقدماته وشرح معانيه : إيليا سليم الحاوي ، بدون طبعة ، ١٩٦٨ م ،

دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ص : ٤٥٣ .

(١٩٠) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٤٩٩ . لسان العرب ، مادة : " نخس " .

– قول عمرو بن أحمر (١٩١) :

وَيَغْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَا يَفْتَقِرُ إِنَّ الْفَتَى يُقْتَرُ بَعْدَ الْغِنَى
وَالْعَيْشُ فَنَانَ فَحُلُوْ وَمَرٌ وَالْحَيُّ كَالْمَيْتِ ، وَيَبْقَى التُّقَى
وَأَمَّا عَلَى نَفْسِي وَإِمَّا لَهَا فَعَايَشَ النَّفْسَ وَفِيهَا وَقَرٌ^(١٩٢)

لم يستحسن وجود قوله : " وفيها وقَر " بالقاف ؛ لعدم انسجام معناها مع السِّيَاقِ الشعري ،
إذ لم يجد لها معنىً ولا أصلاً ؛ لذا رجَّح أن يقرأها القارئ :

" وفيها وتر " بالتاء^(١٩٣) ، يشبّهون أنفسهم بالقوس الموترة ؛ لأنهم يرامون بها إلى أوطارهم
ويدفعون أعداءهم ، ويكسبون بها معاشهم . فكأنه قال : مادامت فيها بقية تعين على التصرف في
الحياة^(١٩٤) .

ويبدو أن المعنى المراد : عايش النفس مادام فيها بقيةً ، على أية حال كانت هذه البقية حلوةً
أو مرّةً .

– وقد تؤدي هذه التصحيحات أحياناً إلى قلب المعاني تماماً ، وخروجها عن المؤلف ، كما في قول
محمد بن أنس الحذليّ الأسديّ عن أعرابيٍّ من بني أسد للحجاج بن يوسف الثقفي :

أَعُوذُ بِقَبْرِي يَوْسُفَ وَابْنَ يَوْسُفَ أَخِيكَ ، وَبِالْقَبْرِ الَّذِي بَعْدَانَ
سَمِيَّ نَبِيِّ اللَّهِ ، مِنْ أَنْ تَنَالَنِي بِدَاكَ ، وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ^(١٩٥)

(١٩١) عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر الباهلي ، أبو الخطاب ، شاعر مخضرم ، كان يتقدّم شعراء زمانه ، عدّه ابن سلام في
الطبقة الثالثة من الإسلاميين ، وكان يكثر من الغريب في شعره . ينظر : من اسمه عمرو من الشعراء ، تأليف : أبي عبد
الله محمد بن داود بن الجراح ، تحقيق : الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م ، مكتبة
الخانجي ، القاهرة – مصر ، ص : ١٢٩ .

(١٩٢) ينظر لهذه الأبيات : طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٥٨٠ .

(١٩٣) ينظر : شعر عمرو بن أحمر الباهلي ، جمعه وحقّقه : حسين عطوان ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، مطبوعات مجمع اللغة
العربية ، دمشق ، سوريا ، ص : ٦٤ .

(١٩٤) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٥٨ .

(١٩٥) يقول ابن سلام أن محمّد بن أنس الحذليّ أخبره بأن نفيح بن لقيط الأسدي ، طرده الحجاج جنابة فلم يزل خائفاً ، وقال
الأبيات ، وقيل : هي لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي ، وكان فاراً من الحجاج .

ويوسف الثقفي : أبو الحجاج . و" ابن يوسف " هو محمد الثقفي أخو الحجاج . "سمي نبي الله" : محمد بن الحجاج " . =

مما روي في مخطوط طبقات فحول الشعراء : " مُدَاك " بالميم المضمومة ، جمع مُدِيه ، وهي السكين والشفرة ، وبهذه اللفظة يُقَلَّبُ المعنى ، إذ جعل الحجاج جزَّاراً لا أميراً ؛ ولذلك اختار لفظ "يداك " ؛ لأنها الجيِّد المألوف الذي يَنفَقُ مع السِّياق ؛ كما أنه لا يليق بأَميرٍ أن يمسك بسكينٍ ويأخذُ بها الرِّقَابَ كالجزَّارِ الذي يذبح بالسكين الشاةَ ، ومن جهةٍ أخرى أن الفارَّين لا يُدْرِكُون بالسكين ، فحبذا لو قال : " رماحك " لكان قوله صواباً ؛ لأن الرماح أنسبُ بأن يُدْرِكَ بها الفارون ، كما أن الأليقَ بالأَميرِ الفارسِ أن يمسكَ بالرماح لا " السكين " ويُدْرِكُ بها الفارَّين^(١٩٦) .

– قول عارق الطائي^(١٩٧) :

وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ مَكَانَ عِثٍّ لَهُ إِبِلٌ مُنْعَمَةٌ تَسُومُ

ففي اللفظتين " عِثٌّ " و " مُنْعَمَةٌ " رأي للشيخ :

ف " عِثٌّ " جاءت في الأصل " غث " بالغين ، وهو عنده خطأ ؛ لأن " العثَّ " يعني دويبة تقرضُ كلَّ شيءٍ وليس له خطرٌ ولا قوةَ بدن ، ومن هجاءِ العرب تشبيهُ الرجل بالعثِّ في لؤمه وصغر قدره . أما " مُنْعَمَةٌ " فيرى أن الصوابَ " مُعْبَسَةٌ " بالباء ، من قولهم : " عبست الإبل وأعبست " ، إذا علاها العبس ، وهو ما يبس على هلب الذنب والفخذ من البول والبعر ، وذلك في زمن المرعى ، فتسمن ويكون عليها الشحم^(١٩٨) .

= عدان : مقبرة كانت لأهل واسط على شرقي دجلة " . " حدثان الدهر " : نوازل ونوبه ، وأراد به هنا الدهر نفسه ، فهو يقول : لا يأمنُ كيدَ الدهرِ إلا غرُّ غافلٍ .

ينظر : طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ . ينظر : الكامل ، لأبي العباس المبرد ، تحقيق الدكتور: محمد الدالي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ج : ٢ ، ص : ٦٢٩ .

(١٩٦) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٦٤٥ .

(١٩٧) عارق الطائي : قيس بن جروة بن سيف الأجنبي الطائي ، شاعر جاهلي ، اشتهر بلقبه عارق . ينظر الأعلام ، للزركلي ، ج : ٥ ، ص : ٢٠٥ .

(١٩٨) ينظر : الحيوان ، للجاحظ ، ج : ٦ ، ص : ٣٤٨ .

ينظر : كتاب الوحشيات " الحماسة الصغرى " لأبي تمام الطائي ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، ومحمود شاعر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ص : ٢٥٠ .

ويبدو أن الشيخ اختار ما يتناسب مع السياق ؛ ف " عث " أدلُّ على الهجاء ، والإبل المعبسة هي التي تتناسب مع الهجاء ، كما يبدو أن الشاعر يتحدّث عن نفسه بأنه يعلم مكان البخيل اللئيم ، ويعلم مكان الكريم^(١٩٩) .

لوحظ على استدراقات أبي فهر وتصويباته اللغوية ما يلي :

١ . الاهتمام بالرجوع للمعنى الصحيح للكلمة ، وإن كان للكلمة عدّة معانٍ في المعجم ، فلا بُدَّ عنده من اختيار المعنى المناسب للسياق بدقّةٍ وتريثٍ وحسنِ تذوّقٍ ، وإن لم يجد المعنى الذي يتطلبه السياق لا يكتفي بما تُملّيه عليه كتبُ المعاجم ، بل يبحثُ عن المعنى الصحيح الذي يستقيم به السياق ، ويتضح به المعنى ، سائراً على منهج دقيق في البحث والتقصّي عن معنى الكلمة بالنظر في أصولها واشتقاقها ، ووجوه استعمالاتها عند العرب ، مستنداً في كل ذلك على أصولٍ ثابتة ، وأدلةٍ قويّةٍ من أقوال العرب ، وشعرهم الفصيح ، متّبِعاً في ذلك أروع أساليب الإقناع والتعليل ؛ إذ يبيّن خطأ الشُّراح ؛ ويعلّل لهذا الخطأ ، ولا يقف عند هذا الحدِّ فحسب ، بل يبيّن سبب وقوعهم في الخطأ ، من تجمّد عند المعاجم وكُتّب اللغة ، واعتماد على أدلّةٍ بعيدةٍ في أغراضها ومعانيها عن غرض السياق ومعناه ، أمّا رأيه فلا يُذكرُ إلا بالتوضيح والتعليل والأدلة.

٢ . عدمُ الاهتمام في تصويباته البيانية بما هو مألوفٌ من تشبيه صورةٍ بصورةٍ ، وعدمُ الوقوف عند حدود المعتاد من استعارة لفظٍ لمعنىٍّ معيّنٍ ، فهو يتريّثُ ويقفُ وقوفَ المتأمّل المتذوّقِ ؛ ليكشفَ الحُجُبَ عن هذه الصورة ، حتى يصل إلى المعاني المختبئة تحتها ؛ حرصاً منه على سلامة المعنى.

٣ . الاهتمام بالبحثِ والتقصّي و معرفة حياة الخيل و الفرس و الذئاب و السباع و النسرو الصقر و البازي وغيرها من الطيور و الحيوانات ؛ حتى إذا ورد ذكرها في نصٍّ أو شُبّه بها استطاع أن يصل إلى أدقّ المعاني وأصوبها .

٤. الاهتمامُ بسياق اللغة والشعر ، وربط معانيه بعضها ببعض ربطاً وثيقاً ؛ حذراً من أن يُفكك هذا الرباطُ أي لغوٍ وفسادٍ ، وذلك بطمس معاني الشعرِ الأصيلة ، وقلبيها عن هذا الأصل ، وفصل بعضها عن بعض ، ليُعدم بعد ذلك الشعر ، وتفسد معانيه .

ثانياً : التصويبات اللغوية في الكتب المحققة :

وجد العلامة أبو فهر في الكتب التي حققها وشرحها وعلّق عليها كثيراً من التصحيحات في الحروف والألفاظ والجمل ، فاجتهد في تصحيح هذه التصحيحات ؛ ليدفع الوهم والخلط ويوضح معنى الكلام بالنسبة للقارئ ؛ لأنها في رأيه تصحيحات أفسدت المعنى وألبسته الغموض ، كما اهتم بوضع زيادات تطلبها معنى السياق ، وفي الوقت نفسه حذف ما رآه زائداً مُفسداً للمعنى ، وأبدل حروفاً بحروفٍ ، وألفاظاً بألفاظٍ ؛ كل ذلك ليستقيم النصُّ استقامةً تامةً على وجهه يُرتضى ، وهذه التصويبات لا تُعدُّ إلا خطوةً في إرجاع المتن إلى أصله المنقول عنه ، أو المروي عنه الخبر ، والشواهد على ذلك كثيرة ، في جميع الكتب التي حققها ومن هذه التصويبات :

١- تصويبات الحروف :

كان أبو فهر ذواً واعياً لمعاني الحروف ، وكانت له اتجاهاتٌ لطيفةٌ دقيقةٌ أثناء تحقيقه للنصوص المكتوبة وصل بها إلى المعنى الصحيح ، إذ تنبّه لحروف زائدةٍ يجب حذفها ، وأخرى محذوفةٍ من الواجب إثباتها ، وأخرى كان حتماً عليه إبدالها بحروف أخرى ، كل ذلك تنبّه له لما رأى فساد المعنى وخلل الكلام ، ومن الشواهد على ذلك ما يلي :

أ. حروف العطف ، ومن أمثلتها :

• الواو :

ومن النصوص التي وردت فيها زيادة الواو ما جاء في تفسير ابن جرير الطبري في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيَا حَدُودَ اللَّهِ ﴾^(٢٠٠) وهو قول ابن عباس : " تركها إقامة حدود الله ، استخافها بحق زوجها وسوء خلقها ، فتقول له : " والله لا أبرأ لك قسماً ، ولا أطأ لك مضجعاً ، ولا أطيع لك أمراً " ^(٢٠١) .

(٢٠٠) سورة البقرة ، آية : ٢٢٩ .

(٢٠١) ينظر : تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٤ ، ص : ٥٦٣ ، ٥٦٤ .

ذكر شيخنا أن هذا النص ورد في المطبوعة على النحو التالي : " .. تَرَكُهَا حُدُودَ اللَّهِ وَاسْتَخْفَاهَا بِحَقِّ زَوْجِهَا " بإثبات الواو ، والصواب عنده ما ورد في المخطوطة ، أي بحذف " واو العطف " ؛ لأن قوله : " استخفها بحق زوجها .. إلخ " تفسير لقوله : " تَرَكُهَا إِقَامَةَ حُدُودِ اللَّهِ " كأنه قال : " تركها إقامة حدود الله ، استخفها ... إلخ " (٢٠٢) .

ومن المعروف أن حدود الله كثيرة ، والمراد بها هنا ما فُسرَ ودُكرَ ، وبالتالي تحدّد المعنى لدينا ، فإن كانت معطوفة كانت دلالة قوله : " حدود الله " دلالة عامة غامضة ؛ لأنها لم تحدّد ولم تُفسّر .

ومثل ذلك ما ورد في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ (٢٠٣) في قول مجاهد : " إن " الأميين " الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية ، أنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله على موسى شيئاً ، ولكنهم يتخرّصون الكذب ويتقولون الأباطيل كذباً وزوراً " .
فقوله : " إنهم لا يفقهون " جاءت في المطبوعة كالتالي : " وأنهم لا يفقهون " بزيادة الواو ، فاعتبره خطأ لا يستقيم ، واختار الصواب (حذف الواو) من ابن كثير (٢٠٤) .

والملاحظ أننا لو أثبتنا واو العطف هنا سيتبادر إلى الأذهان أن هناك أوصافاً أخرى وُصِفَ بها " الأميون " ، وقوله : " أنهم لا يفقهون " معطوفة على هذه الصفات ، والمعنى المراد واضح في الآية الكريمة ، وهو وصفهم بأنهم لا يفقهون شيئاً .

● الفاء :

وذلك نحو قول أبي جعفر في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَقُولُوا أَنْظَرْنَا ﴾ (٢٠٥) " إنه كان رجلٌ من اليهود يدعى " رفاعة بن زيد بن التابوت " كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا لقيه فكلّمه قال : أرعني سمعك ، واسمع غير مُسمع ... " .

(٢٠٢) ينظر : هامش تفسير ابن الطبري ، ج : ٤ ، ص : ٥٦٤ .

(٢٠٣) سورة البقرة ، آية : ٧٨ .

(٢٠٤) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٢٦٢ . ينظر : تفسير ابن كثير ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير

القرشي الدمشقي ، صحح بإشراف فضيلة الشيخ : خليل الميس ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، دار القلم ، بيروت -

لبنان ، ج : ١ ، ص : ١٠٥ .

(٢٠٥) سورة البقرة ، آية : ١٠٤ .

ففي المطبوعة يُذكر أنها رويت كآلآتي : " فإذا لقيه فكلمه فقال .. " والفاء في " قال " لا مكان لها عند شيخنا (٢٠٦) .

ويبدو أنه حذف " فاء العطف " ؛ لأنه لا يصحُّ عطفُ " قال " على " كَلِمَة " ؛ وذلك لأنَّ " قال " واقعةٌ جواب شرط لـ " فإذا لقيه " ، وبإثباتنا هذه الفاء يكون الكلام مختلاً مبتوراً لا معنى له .

وقد يُبدلُ الحروفَ بعضها ببعض ، فيحذفُ ما يُخلُّ بالمعنى ، ويثبت ما يتفق مع السياق ومن ذلك :

● إبدال " الواو " " فاء " :

وهذا نحو العبارة الآتية :

" كان الناسُ أمةً واحدةً ، وكان الدين الذي كانوا عليه دين الحق ، فاختلفوا في دينهم ، فبعث الله عند اختلافهم في دينهم النبيين مبشرين ومنذرين " .

ففي المطبوعة (أي مطبوعة تفسير ابن جرير) وردت عبارة " اختلفوا في دينهم " معطوفة بالواو دون الفاء ، فلم يستحسن ذلك ، ورأى أنَّ الصوابَ العطفُ بالفاء ، كما نبّه إلى أن العطفَ بالفاء من كلام الطبريِّ ، وهو من سياق قوله قبل : " وكان الدين الذي كانوا عليه دين الحق .. فاختلفوا .. " (٢٠٧) .

وبديهياً أن يكونَ الصوابُ بالفاء ؛ لأن الواوَ تفيد الاشتراك في الحكم في الوقت نفسه ، فمحال أن يؤمنوا بدين الحقِّ ويختلفوا في آن واحد ، بخلاف الفاء التي تقتضي الترتيب ، فهم آمنوا ، وبعدها اختلفوا ، وبعدها بعث الله الأنبياء .

● إبدال " أو " " واواً " :

وهذا مثل ما ورد في السند الذي ذكره أبو جعفر الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه ، إذ قال : " حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبدَه بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن فضيل عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله

(٢٠٦) ينظر : هامش تفسير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٤٦٢ .

(٢٠٧) ينظر : المرجع السابق ، ج : ٤ ، ص : ٢٧٩ ، وينظر أقواله السابقة ، ص : ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

عليه وسلم: الشهداء على بارق ، نهر بباب الجنة ، في قبة خضراء – وقال عبدة : في روضة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً ” . (٢٠٨)

يذكر شيخنا أن قوله : ” وقال عبدة .. ” يريد أن ” عبدة بن سليمان ” قال : ” في روضة ” بدل في ” قبة ” ، و وقع في المطبوع ” أو قال عبدة ” ، أي أنه وضع ” أو ” بدل ” واو العطف ” ، كما علق على هذا الخطأ بأنه خطأ غير مستساغ مُرجحاً أنه من خطأ الناسخ أو الطابع (٢٠٩) .

والخطأ هنا بيّن واضح لا معنى له ، جعل الكلام ركيكاً مبهماً .

ب. حروف الاستئناف :

• فاء الاستئناف :

من أمثلة زيادتها : ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلْطَلْقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ ﴾ (٢١٠) عن مجاهد أنه قال : ” يطلق الرجل امرأته طاهراً ، فإذا حاضت ثم طهرت فقد تم القرء ، ثم يطلق الثانية كما يطلق الأولى ، إن أحب أن يفعل ... ” .

فالشيخ شاعر ذكر أن هذه العبارة وردت في مطبوعة تفسير ابن جرير و في المخطوطة أيضاً مستأنفةً بالفاء على النحو التالي : ” فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَفْعَلَ ” ، وهذا لا يستقيم عنده ، فهو يرى أن الصَّوَابَ حذفها كما أثبت (٢١١) .

ويبدو أن سبب الحذف هو مجيء الفاء هنا للاستئناف ، والجملة الشرطية ” إن أحب أن يفعل ” متأخرة ، وجوابها ما قبلها ، وورود الفاء في هذا الموضع محال .

• واو الاستئناف :

(٢٠٨) ينظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المشرف العام على إصدار الموسوعة : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، شارك في التحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، عادل مرشد ، إبراهيم الزبيق ، محمد رضوان العرقسوسي ، كامل الخراط ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ج : ٤ ، ص : ٢٢٠ ، رقم الحديث : ٢٣٩٠ .

(٢٠٩) هامش تفسير الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٢١٧ .

(٢١٠) سورة البقرة ، آية : ٢٢٩ .

(٢١١) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٤ ، ص : ٥٤٣ .

ومما ورد في زيادتها ما قيل في تأويل قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، لما فرغا من بناء أساس البيت : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٢٨) . (٢١٢) .

قال أبو جعفر : " إن قال قائل : هل كان لهما ذنوبٌ فاحتاجا إلى مسألة ربهما التوبة ؟ قيل : إنه ليس أحد من خلق الله ، إلا وله من العمل - فيما بينه وبين ربه - ما يجب عليه الإنابة منه والتوبة فجائزٌ أن يكون ما كان من قبليهما ما قالوا من ذلك ، وإنما خصا به الحال التي كانا عليهما من رفع قواعد البيت ؛ لأن ذلك كان أحرى الأماكن أن يستجيب الله فيها دعاءه ... " . يقول أبو فهر معلقاً على هذا النص : " ورد في المطبوع : " ما كان قبليهما ما قالوا من ذلك ، وإنما خصا ... " ، وهو كلام فاسد ، والصواب ما أثبت ، بجعل " قبلهما " " قبليهما " أي قولهما ، وبحذف الواو من " وإنما ... " (٢١٣) .

ويبدو أنه اختار حذف الواو لأن الجملة المذكورة ليست مستأنفةً حتى تُسبَقَ بهذه الواو ، وبالطبع محال أن تكون الواو عاطفةً والجملة التي بعدها معطوفةً على ما قبلها . ومن أمثلة إسقاط واو الاستئناف قول أبي جعفر عن علي رضي الله عنه : " أنه كان ينهى عن ذبائح نصارى بني تغلب ، من أجل أنهم ليسوا على النصرانية ؛ لتركهم تحليل ما تحلل النصارى ، وتحريم ما تحرم ، غير الخمر . ومن كان منتحلاً ملة هو غير متمسك منها بشيء ، فهو إلى البراءة منها أقرب منه إلى اللحاق بها وبأهلها " .

وقد أشار شيخنا إلى أن هذا جاء في المطبوعة والمخطوطة على الصورة الآتية : " من كان منتحلاً .. " بغير واو في أول الكلام ، وهو فساد عنده والصواب إثباتها . (٢١٤)

ويبدو أنه رأى بضرورة إثباتها لاستئناف كلام آخر مستقل عما قبله ، وإن كان مضمونه مرتبطاً بما قبله .

● إبدال واو الاستئناف فاءً :

(٢١٢) سورة البقرة ، آية : ١٢٨ .

(٢١٣) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٨١ .

(٢١٤) المرجع نفسه ، ج : ٩ ، ص : ٥٧٦ .

وهذا مثلُ العبارة الآتية :

” وقد حُكي في ” الرضاة ” سماعاً من العرب كَسْرُ الرَّاءِ الَّتِي فِيهَا ، فَإِنْ تَكُنْ صَحِيحَةً ، فَهِيَ نَظِيرَةٌ ” الْوَكَالَةِ وَالْوَكَالَةِ ” وَ ” الدَّلَالَةِ وَالدَّلَالَةِ ” .

ففي المطبوعة والمخطوطة وردت على النحو التالي : ” وَإِنْ تَكُنْ ... ” وهو لا يَسْتَجِيدُ إِلَّا الْفَاءَ .
(٢١٥)

إِنْ اسْتَجَادَ الْاسْتِثْنَاءَ بِ ” الْفَاءِ ” ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ هُنَا مَرَّتَبٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَلِأَنَّ الْاسْتِثْنَاءَ بِالْوَاوِ لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مُسْتَقِلًّا عَمَّا قَبْلَهُ ، فَهِيَ تَجْمَعُ مَضمونًا عَلَى مَضمونٍ ، بَيْنَمَا الْفَاءُ تَرْتَبُ مَضمونًا عَلَى مَضمونٍ^(٢١٦) .

ج . حروف الجر ، ومن أمثلتها :

• إلى :

يقول أبو جعفر في قوله تعالى : ﴿ فَصَّرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ : اختلف القراءة في قراءة ذلك . فقراءته عامة قراءة أهل المدينة والحجاز والبصرة : ﴿ فَصَّرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ بضم ” الصاد ” من قول القائل : ” صُرْتُ إلى هذا الأمر ” إذا ملت إليه ، أصور صوراً .

ففي المخطوطة والمطبوعة جاءت العبارة المذكورة على النحو الآتي : ” صرت هذا الأمر ” بإسقاط ” إلى ” ، فصوبت وأثبتت ” إلى ” ؛ ليستقيم المعنى .^(٢١٧)

• الباء :

من أمثلة زيادتها ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنِ ﴾^(٢١٨) ، إن قال البعض في تأويلها :

(٢١٥) المرجع نفسه ، ج : ٥ ، ص : ٤٣ .

(٢١٦) ينظر : دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، د . محمد أبو موسى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص : ٣٢٨ .

(٢١٧) سورة البقرة ، آية : ٢٦٠ . ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٥ ، ص : ٤٩٥ .

(٢١٨) سورة البقرة ، آية : ٢٢٩ .

” أي بعد مراجعتهم إياهن من التطبيقة الثانية ، من عشرتهن بالمعروف ، أو فراقهن بطلاق ”

وهنا يشير إلى ما في المخطوطة ، إذا وردت ” أو فراقهن ” بزيادة الباء ، التي لا محل لها هنا. (٢١٩)

ويبدو أن ” الباء ” لا محل لها ؛ لأن ” فراقهن ” معطوفة على ” عشرتهن ” المجرورة بـ ” من ”

• في :

وردت زيادتها في قول أبي جعفر في تأويل قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ إذ قال : ” هذه الآية إبانة من الله للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به المختلفين البيئات ، واختلفوا فيه ، فاقتتلوا فيه ، كفرأ به من بعض ، وإيماناً به من بعض إلخ ” (٢٢٠) .

ففي المطبوعة زيدت ” في ” ، ف قيل : ” المختلفين في البيئات .. ” ، وهذا عنده خطأ مخلُّ بالكلام ؛ لذا اختار ما في المخطوطة ، معللاً بأن ” البيئات ” فاعل ” جاءت به ” ، و ” المختلفين ” مفعولهُ ، وقوله ” واختلفوا فيه ... ” عطفٌ على قوله : ” عما جاءت به ... ” (٢٢١) .

وقد تسقط ” في ” من الكلام ، وذلك مثل قول أبي جعفر : ” أصل الفرض الواجب ، ولذلك قيل : ” فرض السلطان لفلان في ألفين ” يعني بذلك : أوجب له ذلك ، ورزقه من الديوان ” .

ففي المطبوعة كانت العبارة على النحو التالي : ” ... لفلان ألفين ” بإسقاط ” في ” ، واختار أبو فهر إثباتها من المخطوطة (٢٢٢) .

(٢١٩) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٤ ، ص : ٥٤٤ .

(٢٢٠) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

(٢٢١) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٥ ، ص : ٣٨٦ .

(٢٢٢) ينظر : المرجع نفسه ، ج : ٥ ، ص : ١٢٠ .

ويبدو أن هذه محاولة لإرجاع النَّصِّ إلى الأصل ، وحينها قد تكون " في " هنا بمعنى " من " (٢٢٣) ، فيكون تقدير الكلام : فرض له رزقاً من ألفين ، أو أوجب له رزقاً من ألفين .
 ويُحذفُ الجارُّ والمجرورُ أحياناً من الكلام ، لا لأن إثباتهما يفسدُ المعنى أو يُلبسُهُ الغموضُ ؛ بل لاستغناء السياق عن ذكر ما حُذِفَ ودلالة ما قبله عليه ، وهذا نحو قول أبي جعفر " فالواجبُ أن يكونَ حراماً على الرجل قبولُ الفديةِ من امرأته ، إذا كان النُّشُورُ منها دونه ، حتَّى يكونَ منه من الكراهةِ لها مثل الذي يكون منها " .

ففي المطبوعة زيدت " له " فقيل : " حتَّى يكونَ منه من الكراهةِ لها مثل الذي يكون منها " له ؛ لذا أُثبتَ ما في المخطوطة ؛ لأن الكلامَ مُتَّضِحٌ بيِّنٌ بدون هذه الزيادة (٢٢٤) .
 وقد تُبدلُ الحروفُ بعضها من بعض ، وذلك وفق ما يتفقُ مع السِّياق ، نحو قول القائل في تفسير ابن جرير عن الحائض : " تَطَهَّرْتُ بِالْإِغْتِسَالِ " ، إذا قيل : " تَطَهَّرْتُ لِلْإِغْتِسَالِ " ، وهذا الواردُ في المطبوعة ، وبالطبع أختير الصَّوابُ من المخطوطة (٢٢٥) ، والفرقُ بين المعنيين بيِّنٌ واضح .
 ففي قولنا : " تطهرت بالِإِغْتِسَالِ " الباءُ كانت للاستعانة (٢٢٦) ، فالطهارة لا تتأتى إلا بالِإِغْتِسَالِ بمعنى آخر : الإِغْتِسَالِ هو الوسيلة التي تتمُّ الطهارة بها ؛ وذلك للقيام بالعبادات وسائر الفروض التي تستوجب الطهارة كالصلاة ، وقراءة القرآن ... إلخ ، فهو وسيلة لا غاية .
 أما في قولنا : " تطهرت لِإِغْتِسَالِ " ، فكانت اللامُ للتعليل ، والمعنى : تطهرت لأجل الإِغْتِسَالِ ؛ إذ جُعِلَ الإِغْتِسَالُ سبباً يُتَطَهَّرُ له ، فكان غايةً لا وسيلة ، وهو قولٌ لا معنى له .

ومن أمثلة إبدال الحروف أيضاً ، ما أورده أبو جعفر الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا دُخِلَ عَلَيْهِمْ جُنُودٌ مِّنْهُمُ اقْتُلُواهُمْ وَلَا يَحِلُّ عَلَيْهِمْ جِدَارٌ يُدْفَعُونَ ﴾ (٢٢٧) .

(٢٢٣) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تأليف : الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون طبعة ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ج : ١ ، ص : ١٩٢ .
 (٢٢٤) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٤ ، ص : ٥٦٢ .
 (٢٢٥) ينظر : المرجع نفسه ، ج : ٤ ، ص : ٥٢٢ .
 (٢٢٦) ينظر : مغني اللبيب ، لابن هشام ، ج : ١ ، ص : ١٢٠ .

إذ قيل : إنَّ " أمة قائمة " معناها مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه ،
والعدل والطاعة وغير ذلك من أسباب الخير .

ف " العدل " و " الطاعة " جاءت في المخطوطة والمطبوعة مجرورة بالباء ، على النحو التالي :
" بالعدل والطاعة ... " وهذا خطأ وفسادٌ كبير في السياق - على تعبير أبي فهر - ولهذا أُبدلت
"الباء" "واواً" ؛ لأن العدل والطاعة من صفة أهل الاستقامة ، وبذلك تكون داخلةً في معنى " قائمة
" ، والمعنى " مستقيمة على الهدى ... وعلى العدل والطاعة " (٢٢٨) .

(٢٢٧) سورة آل عمران ، آية : ١١٣ .

(٢٢٨) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٧ ، ص : ١٢٤ .

٢- تصويب الألفاظ :

كما اجتهد الشيخ في الوقوف على مواضع الحروف في النص ، اجتهد في الوقوف على ألفاظ النص كذلك وتحريها؛ لتصويب ما حُرِّفَ منها ، فوضَّح الخطأ وأثبت الصواب ؛ حتى لا يختلَّ الكلام ويفسد المعنى ، وكان لهذه الألفاظ المصحفة عدة صور منها :

أ. التصحيف في الحروف :

وهذا مثل كلمة " أن يتقدم " صُحِّفَتْ إلى " أن ينفذ " بسقط الميم من آخرها ، و " قَدَمَيْهَا " حُرِّفَتْ إلى " تبعها " ، ورد ذلك في الحديث عن دخول بني إسرائيل البحر إن قيل في تفسير ابن جرير :

" لما دخلت بنو إسرائيل البحر فلم يبق منهم أحدٌ، أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل ، حتى وقف على شفير البحر ، وهو قائم على حاله ، فهاب الحصان " أن ينفذ " فعرض له جبريل على فرس أنثى ، فقربها منه ، فشمها الفحل ، فلما شمها " قدمها " فتقدم معها الحصان عليه فرعون ... إلخ " .

ففي المطبوعة والمخطوطة وردت " أن ينفذ " وفي تاريخه " أن يتقدم " والشيخ رجح ما ورد في التاريخ.

ومن المؤكد أن ترجيحه لم يكن اعتباطاً ، إذ يحتمل أنه عدل عن " أن ينفذ "؛ لأن " النفاذ " يعني به : جواز الشيء والخلوص منه ، والمنفذ هو : المخرج والمخلص ، ويقال : نفذ السهم من الرميّة ، والذي يبدو أن هذا المعنى لا يتفق مع السياق ، لذا اختار قولهم : " أن يتقدم " للحصان بدلاً من قولهم " أن ينفذ " .

وكذلك قولهم : " فلما شمها قَدَمَيْهَا " ففي المطبوعة وقع الخلط والخطأ ، إذ حُرِّفَتْ " قَدَمَيْهَا " إلى " تبعها " فاختر ما في : التاريخ والمخطوطة وهو قولهم : " قدمها " بمعنى زجرها ، يقولون للفرس " أقدم " أي : أمض قدماً إلى الأمام ، ويبدو أن هذا الذي يتفق مع السياق (٢٢٩) .

(٢٢٩) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٥٢ . ينظر : تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري ، بدون تحقيق ، طبعة جديدة منقحة ومفهرسة ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، دار الفكر ، مصر ، المجلد الأول ، ج : ١ ، ص : ٢١٧ .
ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ، بدون تحقيق ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٦هـ ، المطبعة الخيرية ، مصر ، مادة : " نفذ " ، " قدم " .

ومن الأمثلة أيضاً ، تصحيف " الجنة " إلى " الخير " ، وذلك في قول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٣٠) : الدار الآخرة يعني الجنة.

فلفظ " الجنة " حُرِّفَتْ إلى " الخير " في المطبوعة ، والصواب " الجنة " (٢٣١) .
وكذلك " مَخْرَفَةٌ " حُرِّفَتْ إلى " خرفة " ، وهذا في قول عمر بن الخطاب : " .. ثم قمت فاتبعته النبي صلى الله عليه وسلم ، فلحقته وهو خارج من مخرقة لبني فلان ... إلخ " .
فقد وجد لفظ " مَخْرَفَةٌ " في المطبوعة " خرفة " ، وفي تفسير ابن كثير " خَوْحَةٌ " والصواب عنده " مَخْرَفَةٌ " بمعنى البستان ، أو سَكَّةٌ بين صَفَيْنِ من نخل (٢٣٢) .

ب. التصحيف في النَّقْط :

وذلك نحو " الدَّرَابَةِ " صُحِّفَتْ إلى " الدَّرَابَةِ " عند الحديث عن مشركي العرب بأنهم " أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة و الدَّرَابَةِ " .

ف " الدَّرَابَةِ " لا معنى لها في السياق المذكور ، والصَّوَابُ " الدَّرَابَةِ " ومعناها الحدة في كلِّ شيءٍ وحدَّةُ اللسانِ فصاحته ولدده ، وهذا ما يتفق مع السياق (٢٣٣) .

ومثل هذا التحريف أيضاً الفعل " يات " الذي حُرِّفَ إلى " ثاب " ، في حديث ابن عباس في قصة سيدنا موسى عليه السلام إذ قال : " أوحى الله إلى موسى أن اضربْ بعصاك البحر ، وأوحى إلى البحر أن اسمعْ لموسى وأطعْ إذا ضربك . قال : فبات البحرُ له أفكل - يعني له رَعْدَةٌ - لا يدري من أيِّ جوانبه يضربه " (٢٣٤) .

ومن الأمثلة على ذلك الفعل " يهِنِفُ " الذي حُرِّفَ إلى " يهتِفُ " ورد هذا في الحديث عن "طعمه بن أبيرق " الذي قذف اليهوديَّ البريء ، إذ قيل :

(٢٣٠) سورة البقرة ، آية : ٩٤ .

(٢٣١) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٣٦٦ .

(٢٣٢) المرجع نفسه ، ج : ٢ ، ص : ٣٨٢ . ينظر تفسير ابن كثير ، ج : ١ ، ص : ١١٧ . ورد ذلك في تفسير سورة البقرة ، آية : ٩٧ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " خرف " ، " خوخ " .

(٢٣٣) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ١ ، ص : ٣٧٣ . لسان العرب ، مادة : " دَرِب " .

(٢٣٤) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٥٤ .

” كان طعمة بن أبيرق رجلاً من الأنصار ، ثم أحد بني ظفر ، سرق درعاً لعمه كانت وديعة عنده ، ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم ، يقال له ” زيد بن السمين ” فجاء اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يُهنِفُ ، فلما رأى ذلك قومُه بنو ظفر ، جاؤوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم ، وكان نبيُّ الله عليه السلام قد همَّ بعذره ، حتَّى أنزلَ الله في شأنه ما أنزل .. إلخ .”

فما ورد في المطبوعة والمخطوطة : ” يهتِف ” بالتاء ، أمَّا شيخنا فيرى أن الصواب : ” يهنِف ” بالنون ؛ وذلك لأن ” يهتِف ” يراد بها أنه : يصيح ويدعو رسول الله ويناشده ، وأمَّا ” يهنِف ” فمن قولهم : ” أهْنَفُ الصَّبِيُّ إهْنافاً ” إذا تهياً للبكاء وأجهش ، ويقال للرجل : ” أهْنَفُ الرجل ” إذا بكى بكاء الأطفال من شدة التذلل ؛ لذا رجَّح الشيخ شاکر هذا المعنى لأنه الموافق لسياق القصة^(٢٣٥).

ج . التصحيف في الصيغ الصرفية :

من أمثلة التصحيف في الصيغ الصرفية قول أبي جعفر :

”....التفجَّر ” التفعل ” من تفجَّر الماء ” ، فالوارد في المطبوعة : ” من فجر الماء ” ، وهو خطأ

— كما ذكر الشيخ — يدل السياق على خلافه^(٢٣٦).

كذلك قوله : ” الحنِفُ عندي هو : الاستقامة على دين إبراهيم ، واتباع ملته ” ، حيث صُحِّفَت كلمة ” الحنِف ” إلى ” الحنيف ” وهذا ما جاء في المطبوعة ، وهو بالطبع كلام مختلف^(٢٣٧).

د — حذف الألفاظ وزيادتها :

قد تُحذف أَلْفَاظٌ مِنَ النَّصِّ الْمَكْتُوبِ أَوْ تُزَادُ ، فَيَحْتَلُّ وَيَفْسُدُ الْمَعْنَى ، وَمِنْ هُنَا تَأْتِي الْحَاجَةُ إِلَى إِثْبَاتِ الْمَحذُوفِ أَوْ حَذْفِ الْمَزَادِ ، فَمِثَالُ الزِّيَادَةِ ، قَوْلُ أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُ : ” سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أُنذِرُوا أَمْ لَمْ يُنذَرُوا لَا يُؤْمِنُونَ ، لَطَّبَعَهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ .. ” ، حَيْثُ زِيدَتْ ” عَلَى أَبْصَارِهِمْ ” ، وَالصَّوَابُ حَذْفُ ” أَبْصَارِهِمْ ” ؛ لِأَنَّ ” أَبْصَارَهُمْ ” غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِي

(٢٣٥) ينظر هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٩ ، ص : ١٨٢ . ينظر : لسان العرب ، مادة : ” هتف ” ، ” هنف ” .

(٢٣٦) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٢٣٨ .

(٢٣٧) المرجع نفسه ، ج : ٣ ، ص : ١٠٧ .

معنى الطبع^(٢٣٨)، ويستدل شيخنا بقول أبي جعفر نفسه في تأويل قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢٣٩)، فالختم هو: الطبع، ويكون على القلوب والأسماع، والغشاوة في كلام العرب: "الغطاء" وتكون على البصر، فالختم لم توصف به العيون في شيء من كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا موجود في لغة أحد من العرب؛ ولما كانت قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم، وظروفاً لما جعل فيها من المعارف بالأمر، كان الختم عليها وعلى الأسماع التي تُدرِكُ بها المسموعات، ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات، نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف^(٢٤٠).

ومن الأمثلة على زيادة الألفاظ التي تفسد المعنى قول أبي جعفر في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهَنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٢٤١) إذ قال: "تأويل الآية عندي: للمطلقات واحدة أو اثنتين - بعد الإفضاء إليهن - على بعولتهن أن "لا يراجعهن في أقرائهن الثلاثة"، إذا أرادوا رجعتهن فيهن، إلا أن يريدوا أمرهن وأمرهم، وأن لا يراجعهن ضراراً، كما عليهن لهم إذا أرادوا رجعتهن فيهن، أن لا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ..."^(٢٤٢).

فالشرط الأول (الذي بين القوسين) ورد في المطبوعة على النحو التالي: "أن لا يراجعهن ضراراً"، بزيادة "ضراراً"، وزيادتها كانت مفسدة للكلام، أدت إلى فساد ما بعدها إذ قيل في الشرط الثاني: "فلا يراجعهن ضراراً"، فخلل السياق هنا بالطبع من الفساد الأول، فمن النص المثبت يتضح الكلام أن الشرط الثاني معطوف على الأول: "أن لا يراجعهن في أقرائهن الثلاثة، وأن لا يراجعهن ضراراً ..."^(٢٤٣) أما خطأ المطبوعة فاتضح لنا منه فساد الكلام.

ومن أمثلة المحذوف ما قيل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ أَلْبُلِّ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

(٢٣٨) المرجع نفسه، ج: ١، ص: ٣٦٢.

(٢٣٩) سورة البقرة، آية: ٧.

(٢٤٠) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري، ج: ١، ص: ٢٥٨ = ٢٦٣.

(٢٤١) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

(٢٤٢) ينظر: هامش تفسير ابن جرير الطبري، ج: ٤، ص: ٥٣٢.

مَوْتَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ (٢٤٣).

إن قيل : " نزلت الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن أهل الشرك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [آية] ، فأنزل الله هذه الآية ، يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ لَهُمْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَائِرِ مَا ذَكَرَ مَعَ ذَلِكَ ، آيَةً بَيِّنَةً عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ ... إلخ " .

فالشيخ في هذا النص زاد كلمة " آية " ؛ لأن الكلام لا يتم إلا بها (٢٤٤) ، فبدونها يكون الكلام مبهماً مبتوراً .

ومن الأمثلة أيضاً على ما سبق قولُ أبي جعفر في تأويل قوله تعالى : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (٢٤٥) .

إن قال : " وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً عدولاً ، [لتكونوا] شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ ، أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها ، ويكون رسولي محمد صلى الله عليه وسلم شهيداً عليكم ... إلخ " ..

فمما بين القوسين " لتكونوا " زيادة لا بد منها وضعها الشيخ ، بدلالة الآية الكريمة ، ودلالة ما سيأتي من قوله : " ويكون رسولي " (٢٤٦) .

٣- تصويب الجمل :

من جهود أبي فهر في تصويب المتن للوصول به للدرجة العالية من الصحة والدقة ، اهتمامه بتصويب الجمل والعبارات التي في المتن ، حيث يتنبه لجملته زائدة فيحذفها ، أو يُنْبِتُ ما يراه ساقطاً؛ ليتم المعنى ويتصل ، أو يعيد صياغة عبارة مختلة ؛ ليتضح المراد ، فتارةً يتنبه للأخطاء ويصوبها ، وتارةً أخرى يهتم في تصويبه بالرجوع إلى مصادر أخرى تُعينه على التصويب ، مستنداً

(٢٤٣) سورة البقرة ، آية : ١٦٤ .

(٢٤٤) ينظر : هامش تفسير ابن جرير ، ج : ٣ ، ص : ٢٦٨ .

(٢٤٥) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(٢٤٦) ينظر : هامش ابن جرير ، ج : ٣ ، ص : ١٤٦ .

في كل ذلك على سليقةٍ عربيةٍ عارفةٍ بأسرارِ العربيةِ من جهة ، وعلى ثقافةٍ متنوّعةٍ واعيةٍ ، وإمامٍ بالمصادرِ والمراجعِ ومناهجِ المؤلفين من جهةٍ أخرى ، فمن صور هذا التصويب :

أ. الزيادة لاتضح السياق وهذا نحو :

– ما ورد عن عمر بن الخطاب عندما انطلق إلى يهود وسألهم عن جبريل وميكائيل ، فقالوا جبريل عدونا من الملائكة ، وميكائيل سلمنا ، فقال : ما منزلتهما من رب العالمين ؟ قالوا : جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن جانبه الآخر ، فقال : إني أشهد ما يقولان إلا بإذن الله ، وما كان لميكائيل أن يعادي سلم جبريل ، وما كان جبريل ليسالم عدو ميكائيل [فبينما هو عندهم] ، إذ مر نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذا صاحبك يا ابن الخطاب ، فقام إليه ، فأتاه وقد أنزل عليه : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .. إلخ .

فالزيادة التي بين القوسين [فبينما هو عندهم] أتى بها الشيخ من تفسير ابن كثير . (٢٤٧)

– ما ورد في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٤٨) ، قال أبو جعفر :

” اختلف أهل العلم في المعنية بهذه الآية من المطلقات فقال البعض : عني بها التيبات اللواتي قد جومعن . قالوا : وإنما قلنا ذلك لأن [الحقوق اللازمة للمطلقات] غير المدخول بهن في المتعة قد بينها الله تعالى في الآيات قبلها ... ” .

وضَّح لنا الشيخ أن النصَّ المذكورَ وردَ في المخطوطةِ على النحو التالي : ” لأن .. غير المدخول بهن ” ، وبينهما بياض ، وبعدها جاءت المطبوعة وصلت الكلام : ” لأن غير المدخول بهن .. ” فاختلفت الجملة ، وهنا يأتي الشيخ ويضع الزيادة التي استنبطها من معنى الآية ؛ ليتضح السياق (٢٤٩)

– كذلك النص الوارد عن نَعَّاسِ الصَّحَابَةِ رضوان الله عليهم ليلة بدر وهو كما يلي :

(٢٤٧) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٣٨٥ . ينظر : تفسير ابن كثير ، ج : ١ ، ص : ١١٧ . ورد ذلك

في تفسير سورة البقرة ، آية : ٩٧ ، ٩٨ .

(٢٤٨) سورة البقرة ، آية : ٢٤١ .

(٢٤٩) ينظر : هامش ابن جرير الطبري ، ج : ٥ ، ص : ٢٦٢ .

“ أصاب المسلمين تلك الليلة نعاسٌ ألقى عليهم فناموا حتى أن أحدهم [تكون] ذقنه بين تدييه وما شعر حتى يقع على جنبه ” (٢٥٠) .

فالشيخ هنا زاد الفعل [تكون] ؛ ليزداد المعنى وضوحاً ، وحتى يكون السياق مقبولاً مستساغاً ، كما نلاحظ أنه لم يشر إلى مصدر هذه الزيادة ، فيبدو أنها من اجتهاده .

– ما جاء في تأويل قوله تعالى ﴿ هَاتَيْنِ هُنُوكَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٢٥١) قال أبو جعفر

:

“ ها أنتم : القوم الذين [قالوا في إبراهيم ما قالوا ، ” حاججتم ”] ، خاصمتم وجادلتم ، فيمالكم به علم ” : من أمر دينكم الذي وجدتموه في كتبكم ، وأتتكم به رسل الله من عنده ... ” .

فما بين القوسين [قالوا في إبراهيم ...] زيادة لا بد منها ؛ وضعها لأن الكلام في رأيه لا يستقيم إلا بها ، كما يرى أن سقطها قد يكون بسبب عجلة الناسخ أو تعبها ؛ لذا أتى بهذه الزيادة ، وهي زيادة استنبطها من نهج أبي جعفر الطبري ، وسياق تفسيره (٢٥٢) .

وقد لوحظ على أسلوب أبي جعفر في هذا النص وغيره من النصوص ، أنه يريد أن يفسر كل كلمة ويبين المراد منها ، فالمراد مثلاً بـ “ ها أنتم ” كيت وكيت ، والمراد بـ “ حاججتم ” كيت وكيت ، فمعرفة الشيخ الواعية بأسلوب أبي جعفر جعلته يتنبه للمحذوف ؛ ليثبتته على ضوء هذه المعرفة.

– الخبر الوارد عن طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لأبي بن خلف الجمحي ، حيث حلف أبي ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتله ، فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فجرح جرحاً خفيفاً ، فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة !

(٢٥٠) ينظر : هامش إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنبياء والأموال والحفدة والمتاع ، لتقي الدين المقرئ ، تحقيق : محمود

شاکر ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، ج : ١ ، ص : ٧٨ .

(٢٥١) سورة آل عمران ، آية : ٦٦ .

(٢٥٢) ينظر : هامش ابن جرير الطبري ، ج : ٦ ، ص : ٤٩٢ .

[فما يجزئك]؟ قال : أليس قال : " لأقتلنك " ؟ لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ! فجملة

[فما يجزئك] زادها الشيخ من التاريخ . (٢٥٣)

ب. الحذف لإصلاح المعنى :

ومثاله ما ورد في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (١١٣) في قول أبي جعفر الطبري :

" ثم يرم به بريئاً يعني : ثم يضيف ما له من خطئه أو إثمه الذي تعمده ، و" بريئاً " مما أضافه إليه ونحله إياه " .

فالشيخ وجد أن في المطبوعة زيادة أفسدت التفسير فحذفها ، فقد كان الكلام على النحو التالي

:

" ثم يرم به بريئاً [يعني بالذي تعمده بريئاً] ، يعني ... " وهذا فساد في التفسير؛ لذا حذفه وتابع المخطوطة . (٢٥٥)

ج. تصويب العبارات المختلة لاستقامة السياق :

- قيل في تفسير ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (٢٥٦) :

" هذا مثلهم يوم القيامة ، لا يقومون مع الناس إلا كما يقوم الذي يخنق من الناس ، كأنه خنق ، كأنه مجنون " .

يقول الشيخ شاکر : إن النصَّ الوارد في المطبوعة كان كالآتي :

(٢٥٣) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٧ ، ص : ٢٥٥ . ينظر : تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر الطبري ،

المجلد الثاني ، ج : ٣ ، ص : ٢١ .

(٢٥٤) سورة النساء ، آية : ١١٢ .

(٢٥٥) ينظر : هامش ابن جرير الطبري ، ج : ٩ ، ص : ١٩٧ .

(٢٥٦) سورة البقرة ، آية : ٢٧٥ .

” إلا كما يقوم الذي يُخنق مع الناس يوم القيامة ... ” وهو كلامٌ فاسدٌ ، وكذلك أيضاً ورد في المخطوطة ، مما يدلُّ على خلط الناسخ وسهوه ؛ من أجل ذلك حذف من هذه الجملة ” يوم القيامة ” ، وجعل ” مع الناس ” ” بين الناس ” لتقترب من المعنى والسياق (٢٥٧).

- ذكر في تفسير ابن جرير الطبري الغرض من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢٥٨) ، فقيل : إن المعنى ” ليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل ، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وأمرني إذ أمرته أن يكون فكان لحماً . يقول : فكذلك خلقي عيسى : أمرته أن يكون فكان ” .

فالعبارة المذكورة كانت مضطربة اضطراباً فاسداً جداً ، في المخطوطة والمطبوعة ، إذ كانت على الصورة الآتية : ” ليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل ، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى (فكان لحماً يقول) وأمرني إذ أمرته أن يكون فكان فكذلك خلقي عيسى ... ” .

فصوبها الشيخ بعد ذلك على الوجه المذكور ، معللاً أن سبب الخطأ كان من عجلة الناسخ . (٢٥٩)

يُلاحظُ ممَّا سبق أن الشيخ في جلِّ تصحيحاته وضبطه للكتب ، اهتم بالمقابلة بين مطبوعات الكتب ومخطوطاتها ، يظهر هذا واضحاً جلياً في تحقيقه لتفسير ابن جرير الطبري ، فقد لوحظ أنه في كثيرٍ من الأحيان يأخذ بما ورد في المخطوطة ، ويترك ما جاء في المطبوعة باعتباره خطأً مفسداً للمعنى ، وإن لم يجد الصواب في مطبوعات أو مخطوطات الكتب يرجع إلى مصادر أخرى مُتعددة ، في التفسير أو التاريخ أو كتب اللغة ؛ ليعتمد عليها في التصحيح .

وإن لم يجد ما يقبله عقله أو تروق له نفسه ، يجتهد في تصويب النصِّ لتأديته على الوجه الأصحَّ ، وهذا لاحظناه في الأمثلة المذكورة لا سيما ما ورد منها في تفسير ابن جرير الطبري ، فتارةً يستنبط الزيادة من أسلوب المؤلف ، وتارةً من السياق ، وتارةً أخرى من معنى الآيات ، كلُّ ذلك دون إبطال أو إفساد للمعنى ، وإنما تلمساً لمقاصد الكلام ، وبياناً لما يتطلَّبُه النصُّ من وضوح .

(٢٥٧) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٦ ، ص : ١٠ .

(٢٥٨) سورة آل عمران ، آية : ٥٩ .

(٢٥٩) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ص : ٤٦٨ .

ثالثاً : تصويباته لمعاني الألفاظ :

١- إطلاق لفظ " الدين " على غير دين الإسلام :

يرفض الشيخ تسمية " الملل المنحرفة " بـ " الدين " ؛ لأن لا دين غير دين الإسلام ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٢٦٠) .

ومما يجب التنبيه عليه ، أنه لم يتوصل إلى هذا الرأي إلا بعد دراسته لمعنى " الدين " دراسةً دقيقةً واسعةً متميزةً ؛ ليلتمس الصواب ، ويصل إلى لب الحقيقة فيما يتعلق بدلالته .

فقد انكب على البحث في معاني هذه اللفظة (الدين) فرجع أولاً إلى معانيها عند الجاهليين ، ثم نظر في استخدام القرآن للمعاني المذكورة عند الجاهليين ، ولم يكتف بذلك بل حاول تتبع المراحل التي مرت بها لفظة " الدين " في اللغة ، قبل أن ينتهي إلى معنى العبادة ، ثم إلى " المعنى المركب الجامع " الذي يطلقه أصحاب الملل على مللهم ، أما عن مدارسته للفظ " الدين " في القرآن ، فكانت مدارسة متميزة حيث ذكر جميع مواقعها وصورها في القرآن الكريم ، مجتهداً في تبين معانيها ، موضحاً معانيها في السور المكية ، ومعانيها في السور المدنية ، كما حاول إيجاد الفرق بين معاني " الدين " قبل الهجرة وبعدها ؛ كل ذلك ليعرف حقيقة معنى " الدين " ، وما تراكم على هذه اللفظة من المعاني الحادثة المتجددة ، كما حاول محاولة صادقة لإدراك الروابط التي تجمع هذه المعاني ، وتشدُّ قديم معانيها وحديثها بعضها إلى بعض شدةً محكماً حتى يدُلَّ هذا اللفظ على معناه المركب ، وهو المعنى الذي له صورة جامعة في الذهن ، تُدرَك عند سماعه .

ولا شك أن الحديث عن جميع ما ذكر حديث يطول ، فلشئنا حديث مفصل عن كل فقرة من الفقرات المذكورة^(٢٦١) والتي توصل من خلالها إلى المراحل التي مرت بها لفظة " الدين " حتى وصلت إلى المعنى الجامع المركب ، وفيما يلي توضيحها :

• المراحل التي مرَّ بها لفظ " الدين " :

١. يرى الشيخ أن المعنى الأول للفظ " الدين " ، هو الحال التي يخضع لها الإنسان خضوعاً طارئاً أو مستمراً ، مريداً أو غير مريد .

(٢٦٠) سورة آل عمران ، آية : ١٩ .

(٢٦١) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٥١٨-٥٥٠ .

٢. إذا ألف المرء تلك الحال ودرب عليه ، ولزمها مرة بعد مرة ، خرج إلى معنى " العادة " التي لا يكاد المرء يفارقها بل يأتيها كالمقصور عليها .

٣. ثم جاءت المعاني تتراكم على لفظ " الدين " ، فداخله معنى القسر والقهر من ذي سلطان لا يملك المرء خلافه .

٤. ثم لحق بهذا معنى الخضوع لذي السلطان بإرادة ، أو بلا إرادة ، خضوعاً ظاهراً أو باطناً .

٥. ثم أدرك ذلك معنى الغلبة من ذي السلطان على من يخضع له ، حيث يكون الخضوع له عادة دائمة لا يكاد المرء يفكر في الخروج عليها ، فإذا ذلك قد جمع إلى معناها معنى الطاعة ، ممن خضع للسلطان .

٦. ثم دخل على معنى الغلبة من الغالب ، والطاعة من المطيع ، معنى جديد مؤسس على هذه المعاني المتراكبة ، فإن صاحب السلطان يحاسب المطيع على طاعته ، والعاصي على عصيانه ، ويكافئ المطيع ، ويعاقب العاصي ، فصار معنى " الدين " إلى الحسب والمجازاة على الأعمال التي يعملها كل منهم ، مما يرضى عليه ذو السلطان أو يسخطه .

٧. ولكل معنى من هذه المعاني المتدرّجة في التركيب ظلالاً ، ربما غلبت اللفظ على بعض معناه ، كاستعماله مثلاً في معنى " الذل " و " الاستعباد " ، كقول الأعشى في ذكر ما كان من أمر المنذر بن الأسود في إخضاعه " الرباب " ، فقال :

هُودَانَ الرَّبَابَ ، إِذْ كَرَهُوا الدِّينَ ، دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ

ثُمَّ دَانَتْ بَعْدَ الرَّبَابِ ، وَكَانَتْ كَعَذَابِ عُقُوبَةِ الْأَقْوَالِ (٢٦٢)

أي: أذلّ الرباب واستعبدهم ، فذلوا له .

٨. أو كاستعمال " الدين " بمعنى السياسة ، تقول : " دانهم " ، إذا ولي سياستهم ؛ لأنه لا يسوسهم إلا بالطاعة له والخضوع .

(٢٦٢) ينظر : ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق : محمد حسين ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، مكتبة الآداب

، الجماليز ، الطبعة النموذجية ، الحلمية الجديدة - مصر ، رقم القصيدة : ١ ، رقم البيت الشعري : ٦٣ ، ص : ١١ ،

وإنما يوجب غلبة المعنى الحادث على المعنى التلّيد ، مكان استعماله في العبارة المركبة ، ثم يستقلُّ بعد إذا غلب استعماله مرة بعد مرة ، حتى ينفرد فيكون معنى مركباً يدلُّ عليه اللفظ بمجرد ذكره في الجملة ، ويصير اللفظ بعد ذلك مشترك المعاني . ولا بد لصاحب اللغة من أن يميّز أي هذه المعاني المشتركة هو المراد في العبارة ، بلا غفلة عن المعاني الأخرى التي تتداول اللفظ وتركبه .

٩ . وقد انتهى معنى " الدين " إلى معنى الخضوع لمعبود معظّم قد احتاج إلى رسوم من العبادات والتكاليف ، وإلى أصول من العقائد في المعبود ، وإلى عقائد في نشأة هؤلاء العابدين ومكانهم من معبودهم ، وإلى ما ينالهم إذا أطاعوه ، وما يصيبهم عند معصية ، وإلى شيء كثير جداً من التفاصيل في هذه العبادة ، صار جميع ذلك " ديناً " ؛ لأنهم يخضعون له بالتسليم ، في أنفسهم ، وفي عقائدهم ، بل في جميع أحوالهم . فكلُّ من خضع لهذا المعبود وما توجبه عليه عبادته من تكاليف في العمل ، والإيمان ، وفي سائر العقائد المتعلقة بمعبوده ، يفهم معنى " الدين " مركباً من كل ذلك . وإن كان لا ينفك يعرف أن أصل معناه راجع إلى طاعة هذا المعبود طاعة خاضعة تقربه إليه ، ينال بها رضاه ويتقي سخطه (٢٦٣) .

بعد ذكر هذه المراحل أفادنا بأن أي عابد إذا سئل عن دينه ، فسيفهمه بالمعنى الجامع المركب ، دون الاقتصار على المعنى السابق قبل أن يلحقه تراكم المعاني المختلفة ، وإذا سئل عن دين غيره فبالطبع لا يفهمه بهذا المعنى الجامع ، إذ لا يفهم من معنى " الدين " إلا أنه طريق من طرق التّعبد والخضوع ، ولا شيء فوق ذلك (أي بالمعنى السابق) .

وبعد قوله هذا يستدرك قائلاً : إن أصحاب الملل لا يشتركون في معنى " التّعبد والخضوع " ؛ لأن صفة المعبود إذا اختلفت عند كل منهم امتنع أن يكون بينهم اشتراك في معنى " التّعبد والخضوع " نفسه ، واتسعت شقة التباين اتساعاً يوجب أن نلتمس لمعنى " التّعبد والخضوع " نفسه نعتاً مميزاً لكل واحد من أصحاب الملل (٢٦٤) .

(٢٦٣) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٥٣٤-٥٣٦ . ينظر : معجم محمود محمد شاكر ، لنذر أبو شعر ، الطبعة الأولى ،

١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، دار البشائر ، دمشق - سوريا ، ص : ٦٩ .

(٢٦٤) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٥٣٧ ، ٥٣٨ .

وبعد هذا التوضيح والاستقصاء الذي بينه ، وضع لنا فهرساً وضح لنا فيه مواقع لفظة " الدين " في القرآن ، ومعانيها في السور المكية والمدنية في سياقاتها المختلفة ؛ كل ذلك ليُقنَعنا بعدم جواز تسمية غير الإسلام بـ " الدين " (٢٦٥) .

• الدين والملة :

من الأمور التي نبه عليها الشيخ شاكراً هو أن الله سمى ما عليه اليهود والنصارى وأصحاب الضلالات بـ " الملة " ولم يُسم شيئاً من ذلك " ديناً " بالمعنى الجامع سواء في السور المكية أم المدنية ، فمثال ما نزل في مكة قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٨) ، ومثال ما نزل في المدينة قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتَابِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٢٠) (٢٦٦) .

وسمى ما عليه اليهود والنصارى وأصحاب الضلالات بـ " الملة " ؛ لأن الملة تعني : طريق القوم وسنتهم ؛ ولما كانت هذه الطرق منحرفة ، حصر معنى الدين على الإسلام .

وبعد هذه الدراسة الدقيقة المتميزة استنتج أبو فهر ما يلي :

١ . إن الله لا يرضى أن نسمي شيئاً من الملل من نصرانية أو يهودية أو غيرها " ديناً " سوى ملة أبينا إبراهيم عليه السلام ، وملة أنبيائه جميعاً ، وهي الإسلام (دين الله) الذي لا يقبل من عباده ديناً سواه .

٢ . إن قول المسلم : " الأديان السماوية " قولٌ مخالفٌ لعقيدة أهل الإسلام ؛ لأن الله لم يرسل نبياً من أنبيائه بدينٍ غير الإسلام (٢٦٨) .

وللتعليق على قول أبي فهر نقول :

(٢٦٥) ينظر : لهذه المعاني : المرجع السابق ، ص : ٥٣٩ - ٥٥٠ .

(٢٦٦) سورة يوسف ، آية : ٣٧ ، ٣٨ .

(٢٦٧) سورة البقرة ، آية : ١٢٠ .

(٢٦٨) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٥٥٠ ، ص : ٥٥١ .

إننا كما نؤمن بأن الدين هو الإسلام ، فإننا نؤمن بأن دين الله واحد ، فالتوحيد أساسُ الفطرة ، وهو أساسُ كلِّ دينٍ نزل على كلِّ رسولٍ ونبي ، فدين الله واحد منذ الأزل إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين (٢٦٩) ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الأنبياء إخوة لعلاتٍ أمهاتهم شتى ودينهم واحد " (٢٧٠) .

فالدين منذ القدم هو دين الإسلام من قبل مبعث محمد ، ومن قبل مبعث إبراهيم الإسلام دين الجميع .

فوصفُ الإسلام ليس منصباً على كلِّ من آمن بدعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فحسب ، بل هو وصف ولقب أطلقه الله من قبل على كلِّ من آمن برسوله الذي بعث في زمنه ، وبكل من وحد ربه ، وأسلم وجهه وقلبه وأمره كله لله رب العالمين ، وما من رسول قبل الرسول صلى الله عليه وسلم إلا كان مسلماً ، كما أخبر الله بذلك : قال نوح : ﴿ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٧٢) . (٢٧١)

وقال إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ (٢٧٢) ، وقال يوسف الصديق : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١) وقال موسى عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (٨٤) ، وقال السحرة لفرعون : ﴿ وَمَا نُنْقِمْ

(٢٦٩) ينظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، مطبعة المدني ، القاهرة - مصر ، ج : ١ ، ص : ٥ . ينظر : الأديان في القرآن ، للدكتور محمود الشريف ؛ الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠م ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ص : ٣٤ .

(٢٧٠) ينظر : فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، للإمام الحافظ : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد القادر شيبه الحمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله عز وجل : " وانذر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها " ، رقم الحديث : ٣٣٢٨ ، ج : ٦ ، ص : ٥٥ .

(٢٧١) سورة يونس ، آية : ٧٢ .

(٢٧٢) سورة البقرة ، آية : ١٢٨ .

(٢٧٣) سورة يوسف ، آية : ١٠١ .

(٢٧٤) سورة يونس ، آية : ٨٤ .

مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفَرِحَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (٢٧٥) ، وقال الله على لسان بلقيس : ﴿ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢٧٦) ، وحواريو عيسى كانوا مسلمين : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ فَأَلْكَ الْحَوَارِثُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٢٧٧) أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (٢٧٨) .

ومن هذا يتضح أن الإسلام نزل مجزئاً على الأنبياء والرسول ، ثم كاملاً على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٢٧٩) . وهذا دليل على ما يراه الشيخ محمود شاكر بأن تسمية " الإسلام " ديناً بالمعنى الجامع الشامل لم تكن إلا بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ لأن جميع الشرائع والفرائض والأحكام لم يتم نزولها وقضاؤها إلا في المدينة ؛ في حين الأمر كان مقتصرًا في مكة على المحاجة في التوحيد وإخلاص العبادة لله (٢٨٠) .

وعن تسمية غير دين الإسلام ديناً ، فالظاهر أننا إذا أطلقنا على الملل الأخرى مصطلح " الدين " ، فنحن حتماً لا نصدق بها ولا نعتقد ولا نؤمن بشيء منها ، فنحن نطلق عليها مُسَمًى " الدين " وفق معتقداتهم وأفكارهم لا وفق معتقداتنا ، فلو نظرنا مثلاً إلى كلمة " إله " فنحن نؤمن إيماناً جازماً بأن الله هو الإله الواحد الأحد ، والربُّ الفردُ الصمدُ ، لا إله إلا هو ، ولا ربَّ سواه ، ونكفر بألوهية غيره ونجحد بربوبية من سواه ، ولكن لو تأملنا آيات القرآن ، نلاحظ أن المعبودات التي عُبدت من دون الله عُبر عنها بلفظ " إله ، آلهة ، رب ، أرباب " وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَعَلَّهُم يُنصَرُونَ ﴾ (٧٤) (٢٨١) ، ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾

(٢٧٥) سورة الأعراف ، آية : ١٢٦ .

(٢٧٦) سورة النمل ، آية : ٤٤ .

(٢٧٧) سورة آل عمران ، آية : ٥٢ .

(٢٧٨) سورة الزمر ، آية : ١٢ .

(٢٧٩) سورة المائدة ، آية : ٣ .

(٢٨٠) ينظر : الأديان في القرآن ، محمود الشريف ، ص : ٣٤ . ينظر : أباطيل وأسماير ، ص : ٥٤٥ .

(٢٨١) سورة يس ، آية : ٧٤ .

(٢٨٢) ، ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبِغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢٨٣) ، ﴿ يَصْلَحِجِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهِ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٢٨٤) .

وتسميتها بذلك لا يقتضي الإيمان أو الاعتقاد بها ، فقد كان التعبير عنها بذلك وفقاً لمعتقداتهم وأفكارهم .

وهناك أيضاً من يعارض فكرة الشيخ شاکر ، ويرى أن في هذا الحصر مجاوزة للحدِّ ؛ وذلك لأنَّ القرآن سُمي الملل المنحرفة ديناً ، وأتباعُ هذا الرأي يقصدون بالدين معناه العام وهو : ما يعتنقه الإنسان و يعتقده ويدينُ به من أمور الغيب والشهادة .

أما الدين في الاصطلاح الإسلامي عندهم فهو : التسليمُ لله تعالى والانقياد له وهو ملة الإسلام وعقيدة التوحيد التي هي دينُ جميع المرسلين (٢٨٥) .

ولما قال الشيخ شاکر : " إنه لم يجد الله سَمِي شيئاً من هذه الملل الجاهلية ديناً " (٢٨٦) نجده يقول معلقاً على قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٢٨٧) :

" عرف " الدين " بالإضافة إلى " الحق " وعني به الإسلام ، ثم ذكر " الدين " معرّفاً مفرداً ، ثم وصفه بلفظ " كله " الدال على معنى الجماعة ، فكأنه قال : " على كلِّ دين " ولكنه سبحانه لا يسمي شيئاً من هذه الضلالات في عبادته وطاعته " ديناً " (٢٨٨) .

(٢٨٢) سورة القصص ، آية : ٨٨ .

(٢٨٣) سورة الأنعام ، آية : ١٦٤ .

(٢٨٤) سورة يوسف ، آية : ٣٩ .

(٢٨٥) ينظر : الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، للدكتور : محمد عبد الله دراز ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م ، دار القلم ، الكويت ، ص : ٣٧ . ينظر : الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ، تأليف : ناصر عبد الله القفاري ، وناصر عبد الكريم العقل ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، دار الصميعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص : ١٠ .

(٢٨٦) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٥٣٩ .

(٢٨٧) سورة الصف ، آية : ٩ .

(٢٨٨) أباطيل وأسمار ، محمود شاکر ، ص : ٥٥٠ .

فما يبدو أنه لم تُسمَّ هذه الضلالات والملل "ديناً" بصورة خاصّة، لكن الملاحظ في قوله تعالى :
"على الدين كله " كانت هذه التسمية شاملة لكلّ هذه المعتقدات والملل .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران : ١٩) ، وقوله تعالى :
﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران : ٨٥) ، وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة : ٣٣) ، يقول
أبو الأعلى المودودي : "إن المراد بالدين في هذه الآيات هو نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها من

الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية ، ففي الآيتين الأوليين كان المقصود أن نظام الحياة
الصحيح المرضي عند الله هو النظام المبني على إطاعة الله وعبديته ، وأما ما سواه من النظم المبنية
على إطاعة السلطة المفروضة من دون الله ، فإنه مردود عنده ، وفي الآية الثالثة كان المعنى : أنه قد
أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك النظام الحق الصحيح للحياة الإنسانية - أي الإسلام -
وغايته أن يظهره على سائر النظم للحياة"^(٢٨٩) .

فبالرغم من أن المراد بـ " الدين " في هذه الآيات النظام الكامل الشامل الجامع ، إلا أننا نلاحظ
الإشارة إلى تسمية الملل والضلالات الأخرى بـ " الدين " .

ومما يجب التنبيه عليه هو أننا لا نريد معارضة الشيخ محمود شaker ، فالشيخ يتحدث وفق
عقيدتنا الإسلامية وفكرنا ، وأراد بالدين كما ذكر الدكتور محمد دراز " الدين الحق الصحيح "^(٢٩٠)
، وهو دين الإسلام ، وأردنا الدين عامة من حيث هو في مختلف صورته ومظاهره ، حينما أشرنا إلى
الملل الجاهلية ، مع إيماننا الجازم بأن الدين هو الإسلام .

٢ . استعمال لفظ " المعجزة " مرادفاً للفظ " الآية " :

من أهمّ المصطلحات التي اهتمّ بها الشيخ وأخطرها مصطلح " إعجاز القرآن " ، والبحث عن هذا
المصطلح يقتضي البحث عن الألفاظ المتعلقة به وهي : " التحدي ، الآية ، المعجزة ، الإعجاز " ،

(٢٨٩) المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله ، الرب ، العبادة ، الدين) ، أبو الأعلى المودودي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ -

١٩٨٦م ، دار التراث العربي ، ميدان المشهد الحسيني ، ص : ١٢٠ .

(٢٩٠) الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، للدكتور ، محمد دراز ، ص : ٣٧ .

وبعد البحث والدراسة والاستقصاء اتضح لأبي فهر أن هذه الألفاظ تُركت معانيها الأصيلة ووضعت لها معانٍ مجازية ، ومن ثم استعملت في غير موضعها ؛ لذلك اتبع منهجاً معيناً في البحث عن دلالات هذه الألفاظ يتلخص في الخطوات الآتية :

- ١ . ذكر المعاني المجازية للألفاظ، وهي المستفيضة على ألسنة الناس .
 - ٢ . البحث عن ميلاد هذه المعاني، وعن المولد لها ، وتتبع تاريخها ونشأتها .
 - ٣ . ذكر المعاني الأصيلة لهذه الألفاظ ، ومقارنتها بالمعاني المستفيضة.
 - ٤ . تصويب الدلالات المجازية لهذه الألفاظ : " التحدي ، الآية ، المعجزة " .
- وفيما يلي توضيح للخطوات المذكورة ، وللنتائج التي توصل إليها من خلال هذه الدراسة :

• معنى " الإعجاز في اللغة " :

الإعجاز : مصدر قولنا في كل أمر يريد الرجل أن يفعله أو يأتيه ، فَيَجْهَدُ جُهْدَهُ كُلَّهُ ، فلا يستطيع أن يفعله أو يأتيه ، ويسقط عندئذ في " العجز " ، وهو عدم القدرة على فعل ما يريد ، تقول : " أعجزه هذا الأمر يعجزه إعجازاً " ، أي : انقطعت قوته دونه ، فوقع في " العجز " غير مطيق لفعله، غير قادر على إتيانه ، ويوصف هذا " الأمر " عندئذ بأنه " معجز " أي: هو غير مقدور عليه البتة^(٢٩١) .

ومنه جاء مصطلح " إعجاز القرآن " ؛ للدلالة على أن القرآن كلام الله ، أنزله بعلمه بلسان عربي مبين ، فنزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليكون مُعْجِزَتَهُ التي توجبُ على من سمعها أن يشهد له بأنه رسول الله إلى النَّاسِ كافة^(٢٩٢) .

وقد اعتاد علماء الأمة على تسمية " آيات الأنبياء " التي أيدهم بها ربهم عند بعثتهم إلى البشر ؛ لتكون دليلاً قاطعاً على نبوتهم عند من يشهداها : " معجزات الأنبياء " .

ويرى العلامة أبو فهر أنه لو أراد أن يضع تعريفاً مُنتزِعاً من مجاز اللغة لقولهم : " معجزات الأنبياء " مطابقاً معناه لمعنى " آيات الأنبياء " لقال : إن النَّاسَ لا يُسَلِّمون تسليماً لا تَرَدُّدَ فيه بأن " الآية " دليل نبوة لبشر مثلهم ، ولرجل من أنفسهم نشأ فيهم صغيراً إلى أن كَبُرَ ، فادَّعى ما ادَّعى

(٢٩١) ينظر : مدخل إعجاز القرآن ، لأبي فهر محمود شاکر ، ص : ١٦ .

(٢٩٢) المرجع نفسه ، ص : ١٥ .

من النبوة ، لا يسلمون تسليماً حتى ينقطع شكهم بيقين فاصل : أن الذي يشهدونه من صاحبهم خارج عن طوق جميعهم ، ثم عن طوق جميع الخلائق وخارج أيضاً عن طوق صاحبهم الذي نشأ بينهم منذ وُلد فيهم .

وخروج هذه الآية عن طوق جميع الخلائق معناه : عجزهم عن فعل مثل الذي شهدوه ، وأن الذي آتاه هذه " المعجزة " لتكون دليلاً على نبوته ، هو الذي لا يعجزه شيء وهو الله رب العالمين ، وهذا هو مجاز اللغة في تسمية " آيات الأنبياء " : " معجزات الأنبياء " (٢٩٣)

فالمعجزة هي : الآية الكاشفة عن عجز جميع الخلائق ، المبطللة لجميع قدراتهم على مثلها ، المبينة عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء في السموات والأرض . وبين أن " المعجزة " ليست من فعل النبي ، ولا هي داخلية في قدرته ، بل هي من عند الله " آية " ينزلها عليه بمشيئته وحده ، وحين يشاء سبحانه ، وهذا صريح الدلالة التي يدل عليها القرآن العظيم في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (٢٩٤) ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٩٩) (٢٩٥) وآيات آخر (٢٩٦) .

لذا أراد الشيخ محمود شاکر إثبات تعريف صحيح من مجاز اللغة للفظ " الإعجاز " ولفظ " المعجزة " ، لا يختلف الناس عليه مهما تباينت آراؤهم ؛ لأن الألفاظ التي تستقر في اللغة استقراراً شاملاً مستفيضاً ، يجب تعريفها تعريفاً مطابقاً للحق .

لفظ " الإعجاز " في قولنا : " إعجاز القرآن " ولفظ " المعجزة " في قولنا : " معجزات الأنبياء " كلاهما لفظٌ مُحدثٌ مولدٌ وبيقين قاطع لا نجدهما في كتاب الله ، ولا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نجدهما في كلام أحدٍ من الصحابة ، ولا في شيء من كلام التابعين ومن بعدهم ، إلى أن انقضى القرن الأول من الهجرة ، والقرن الثاني أيضاً ، فلم يظهر إلا كما قال الشيخ في خفاء في

(٢٩٣) المرجع نفسه ، ص : ١٦ .

(٢٩٤) سورة العنكبوت ، آية : ٥٠ .

(٢٩٥) سورة الأنعام ، آية : ١٠٩ .

(٢٩٦) ينظر : مداخل إعجاز القرآن ، ص : ١٧ .

بعض ما وصلنا من كلام أهل القرن الثالث ، بعدها استفاضا استفاضة ظاهرة في القرن الرابع وما بعده إلى يومنا هذا ، فكلاهما إذن محدث مُؤَلَّدٌ (٢٩٧) .

وكذلك لفظ " التحدي " وهو لفظ آخرٌ مقترنٌ اقتراناً لا فكاًك منه بلفظ " الإعجاز " ، وهذا في قولهم : إن النبيَّ يتحدَّى أهل زمانه بما يظهر على يديه من " المعجزات " .

وهذا اللفظ أيضاً مُحدَثٌ مولد ، لم يظهر إلا في كلام أهل القرن الثالث ؛ ليستفيضَ بعد ذلك في القرن الرابع استفاضةً غامرةً إلى يومنا هذا (٢٩٨) .

وكما بين لنا العلامة الشيخ معنى " الإعجاز " و " المعجزة " بيّن لنا معنى " التحدّي " في أصل اللغة ، بعدها أوضح الفرق بينه وبين معناه المستفيض على ألسنة الناس والمبثوث في كل كتاب ، فقال : " التحديّ " في أصل اللغة من قولهم : " فلانٌ يتحدّى فلاناً " ، أي : يباريه وينازعه الغلبة ، و" الحادي " : المتعمّدُ للشيء يقال : حداه وتحداه وتحراه بمعنى واحد ، أي : تعمّد الأمر وقصدّه ، ومنه قول مجاهد : " كنت أتحدّى القراء فأقرأ " أي : أتعمدُ لقاءهم . ويقولون أيضاً : " أنا حديّك بهذا الأمر " ، أي : أبرز لي وجارني فيه (٢٩٩) .

هذا هو الأصل ، وظاهرٌ جداً أن معنى " التحديّ " في اللغة هو : أن يتعمّد الرجلُ المتحدّي فعلٌ شيء ، وهو يريدُ بفعله هذا أن يباري خصمه ويعارضه في فعله ؛ طالباً بذلك مساماته وغلبته والظهور عليه . فالمتحدي إذن ، هو الذي يقصدُ أن يعارض بفعله خصماً ؛ طالباً بذلك إظهار قدرته وتفوقه عن طريق معارضة يرتكبها هو نفسه . و " التحديّ " بهذا المعنى قليل جداً ، لا يكاد يظفر به في كلام الناس إلا في الزمان بعد الزمان ، وأما " التحدي " الذي نحن بصدده ، وهو المستفيض على ألسنة الناس إلى اليوم ، فهو على عكس هذا المعنى بلا ريب ، وهو أن تفعل أنت فعلاً ، ثم تطالب خصمك بأن يبذل غاية جهده في معارضته والإتيان بمثله ، وأنت على ثقة من أنه غير قادر على مثل هذا الفعل ؛ طالباً بذلك إظهار عجزه وضعفه عن مساماتك أو غلبتك أو الظهور عليك .

(٢٩٧) المرجع نفسه ، ص : ١٩ .

(٢٩٨) ينظر : المرجع السابق ، ص : ٢٠ .

(٢٩٩) المرجع نفسه ، ص : ٢١ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " حدا " .

وهذا هو المعنى المقصود عند ذكر الأنبياء ، وتحديهم الناس بمعجزاتهم . فالنبيُّ لا يأتي إلى شيء مذكور عند الناس بالتفوق ، فيقصد أن يعارض هذا الشيء طالباً لمساماتهم والغلبة عليهم ، بل يأتيهم بشيء يعلم أنه خارجٌ عن قدرتهم ، ويطلبهم بمعارضته والإتيان بمثله ، طالباً إظهار عجزهم عجزاً يوجب عليهم التسليم له بأنه " نبي " من أنبياء الله سبحانه . وهذا عكس المعنى الأول الذي تنصُّ عليه اللغة (٣٠٠) .

يُفهم من كلام الشيخ أن التَّحدِّي يكون بين شخصين لهما القدرة على القيام بفعل (شيء ما) إلا أن أحدهما يتفوق على الآخر ، فالمتحدي يطلب خصمه مباراته ومجاراته على فعل ما ، بحيث يكون الخصم قادراً على القيام بهذا الفعل ، إلا أن التفوق والغلبة والظهور لهذا المتحدي . وذلك كالتحدي بين شاعر وشاعر ، وطبيب وآخر ، وبين ساحر وغيره .

والمعنى المستفيض المجازي هو ما كان من أمر أنبياء الله :

إذ يتحدَّى نبي الله قومه بفعل ما ، فيطلبُ النَّاسَ أمراً خارجاً عن قُدْرَتِهِم تماماً وعن قدرته هو أيضاً كبشر ، بمعنى آخر يطالب بأمر خارج عن طاقات البشر تماماً ؛ ليعجزهم ويسلموا بأنه (نبي) من أنبياء الله سبحانه .

كما يبدو من كلامه أن التحدي لا يتحقق إلا إذا طالب المتحدي خصمه القيام بفعل يكون قادراً عليه ، إلا أن الغلبة والظهور تكون لهذا المتحدي ، كالذي حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم وقومه ، فالقرآن كلامٌ منظوم ، والعرب قادرون على نظم كلامٍ وتأليفه ، إلا أن نظم القرآن كان نظماً خارجاً عن طاقات الثقلين جميعاً ، فشتان ما بين نظمٍ ونظم ، وهذا يقتضي ظهور التفاوت والعجز .

فلا يكون هناك تحدٍّ بين أنبياء الله وأقوامهم ؛ لأنهم أتوا بأفعال خارجة عن قدرة البشر ، كإبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ، وكذلك الشأن في ناقة صالح عليه السلام ، ونار إبراهيم عليه السلام ، وعصا موسى ... إلخ ، إذ لا مجال للتحدي والمباراة ، ويتحقق (التحدي) إذا كان قومهم قادرين على فعل هذه الأمور المذكورة ، إلا أنهم يتفوقون عليهم ويغلبونهم ؛ ليتحقق التفاوت ويظهر العجز .

وقد أشار الشيخ إلى أن فقدان هذا المجاز في كلام أهل القرنين الأول والثاني من الهجرة ، هو الذي أوجبَ عليه القول بأنه : " محدث مولد " .

كما أفادنا بأن أقدم ما وقف عليه من ذكر "التحدي" بهذا المعنى المحدث ، هو كلام أبي عثمان الجاحظ ، ولا سيما في رسالته "حجج النبوة" والتي ذكر فيها فتنة خلق القرآن ، ومع ذلك فلفظ التحدي لم يجر في كلامه إلا في الفرط والندرة ، وقلّة استعمال هذا اللفظ في كلامه مع ظهور حاجته إليه في سياق الحديث عن (حجج النبوة) دالٌّ على أن مجاز هذا اللفظ كان حديث التوليد ، وأنه كان مما جرى في حديثه مع صاحبه أبي إسحاق النظام ، أو حديث غيره من شيوخ المعتزلة ، ولكن حدوثه لا يكاد يتجاوز أواخر القرن الثاني للهجرة على حسب ترجيح الشيخ (٣٠١) .

• ميلاد لفظ " التحدي " والإعجاز ، والمعجزة ، وأسبقيّة لفظ " التحدي " لها :

أشار الشيخ محمود شاكر إلى أن لفظ " التحدي " مقترنٌ بلفظي " الإعجاز " و " المعجزة " ، كما يرجحُ أسبقيّة لفظ " التحدي " في الوجود وذلك عند أصحاب علم الكلام ، مستشهداً على ذلك بما لاحظته في كتب الجاحظ ، إذ أتى بلفظ " التحدي " على ندرة في رسائله ، وكتبه ، ولا سيما كتاب "حجج النبوة" (٣٠٢) ، ثم لم يأت به إلا منفرداً ، وهو أيضاً لم يذكر قطّ لفظ " الإعجاز " ، ولا لفظ " المعجزة " ، فهذا الانفراد ، وغياب هذين اللفظين عن كتبه ورسائله غياباً ظاهراً مشهوداً ، استدللّ به الشيخ استدلالاً حاسماً على أن لفظ " التحدي " من بين الألفاظ الثلاثة المقترنة أبداً في كلام من جاء بعده ، هو أسبقهّن توليداً ووضعاً واستعمالاً (٣٠٣) .

والجاحظ إن لم يستعمل لفظ " الإعجاز " إلا أنه يُعدُّ أول من ألف في إعجاز القرآن ، وهذا في كتابه "نظم القرآن ، وسلامته من الزيادة والنقصان " ، ويعتبر أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي

(٣٠١) ينظر المرجع السابق ، ص : ٢٢ .

(٣٠٢) ينظر : رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، الجزء الثالث ، القسم الأول من الفصول المختارة من كتب الجاحظ اختيار : الإمام عبيد الله بن حسان .

ورد في هذا الكتاب رسائل من كتب الجاحظ لم تنشر من قبل منها : فصل من صدر كتابه في " حجج النبوة " . ينظر : ج : ٣

، من ص : ٢٢١ إلى ص : ٢٨١ .

وفصل من صدر كتابه في " خلق القرآن " ، ينظر : ج : ٣ ، من ص : ٢٨٣ إلى ص : ٣٠٠ ، وورد لفظ "التحدي" في : ج : ٣

، ص : ٢٧٧ .

(٣٠٣) ينظر : مداخل إعجاز القرآن ، ص : ٢٣ .

المعتزلي أول من استعملها في كتابه " إعجاز القرآن " إذ وُلِدَ لفظ : " الإعجاز " و " إعجاز القرآن " وأكثر من ذكرهما مقترنين بلفظ " التحدي " فاستفاضت من بعده هذه الألفاظ الثلاثة وجرت بها ألسنة إلى يومنا هذا .

فهذه الألفاظ الثلاثة جميعاً ، قد وُلِدَت واصطُح المتكلمون عليها في أزمنة متقاربة ، ولم تستقر مجتمعة مقترنة إلا في أواخر القرن الثالث من الهجرة (٣٠٤) .

وقد كان للشيخ محمود شاكر حديثٌ طويل ، كشف فيه عن الحيل التي لجأ إليها المتكلمون حتى وصفوا القرآن بـ " الإعجاز " وسمّوا آيات الأنبياء بـ " المعجزات " ، إذ وجدوا أن القرآن آية ، والعرب طولبوا بأن يأتوا بسورة من مثله ، ولم يفعل أحد من مشركي العرب ذلك ، فسمّوا هذا المطالبة بـ " طلب المعارضة " ، وسموا الرجوع عن هذه المطالبة " ترك المعارضة " ، وهذا تصويرٌ للموقف المركّب ، ثم بعد ذلك سمّوا " طلب المعارضة " : " تحدياً " ، وسمّوا " ترك المعارضة " : " عجزاً " ، وخرجوا بها جميعاً من صفة الموقّف المركّب ، إلى صفة القرآن نفسه ، وهو الآية ، ثم إلى جميع آيات الأنبياء (٣٠٥) .

• الفرق بين المعجزة والآية :

من الأمور التي تنبّه إليها أبو فهر وأفزعه خطرُها ، استخدام الناس قديماً وحديثاً للفظي " المعجزة " و " الآية " على أنهما مترادفان ، والقول بهذا الترادف أفضى إلى خلطٍ يصعب معه تبين وجه الحق ، بل أفضى إلى ما هو أكبر من ذلك : إلى تصورنا أننا فهمنا فهماً يبلغ بنا غاية اليقين ، إلا أن هذا الفهم تلبس على العقل وتدلّيسٌ ، يستوجب الشكّ ويمنع من اليقين .

والسبب في هذا الخلط هو الاستهانة والإهمال في تحرير الفروق بين المترادفات ، وفي تتبع تاريخ نشأتها ، كما يتضح هذا الخلط أكثر ما يتضح في كتب " علم الكلام " وكتب " البلاغة " وكتب " إعجاز القرآن " ، ويظهر أثر هذا الخلط فيما نجده بين أيدينا من كتب علماء الأمة على اختلافهم واختلاف مباحثهم ، وعلى ألسنتنا جميعاً إلى يومنا هذا ، الأمر الذي كان له شأنٌ عظيم العواقب

(٣٠٤) المرجع نفسه ، ص : ٢٤-٢٩ . تنبيه: كتاب " إعجاز القرآن " للواسطي من الكتب المفقودة.

(٣٠٥) ينظر : المرجع السابق ، ص: ٢٩-٦٨ .

في باب "آيات الأنبياء" ، الدالة على صدقهم ، إذ وقعت هاتين اللفظتين (المعجزة والآية) من كتابة الكاتبيين ، وأقوال الناطقين في أبواب مختلفة من القول والحديث والكتابة (٣٠٦) .

وتبياناً للحقيقة اهتم الشيخ محمود شاكر بالبحث عن المعنى الأصيل للفظ " الآية والمعجزة " فذكر معاني " الآية " عند الجاهليين ، وهي معانٍ آخذٌ بعضها برقابٍ بعض ، فقد جاءت بمعنى العلامة ، وبمعنى آثار الديار ورسومها ومنه قول النابغة الذبياني :

توهّمَت آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا **لستة أعوام وذا العام سابع**

رمادٌ ككحل العين ما إن تبيّنه **ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع** (٣٠٧)

كما قالوا للبناء العالي الذي بني ليُسْتَدَلَّ به : آية ، وكذلك لشخص الرجل الذي يرى من بعيد أو في ظلمه ؛ وذلك لارتفاع شخصه وظهوره الدالّ على أنه إنسان ، وكلُّ شيءٍ تسمعه أو تراه ، فيذكرك بشيءٍ نسيته أو غفلت عنه ، وهو " العبرة " من العبرِ المُذَكَّرَةِ يُسَمَّى : " آية " ، وكلُّ شيءٍ يُسْتَدَلُّ به على أمرٍ قد كان وحدث ، يسمّى : " آية " ، كما تأتي بمعنى " الإمارة " التي تكون بين اثنين أو أكثر ، تدلُّ بمجرد رؤيتها أو سماعها ، على شيءٍ يعرفونه تمام المعرفة ، كما في قول الحصين بن الحمام المرّي (٣٠٨) :

ولكن خُدوني أي يوم قدرتم **عليّ وجزوا الرأس أن أتكلّمَا**

بآيةٍ أني قد فجعتُ بفارس **إذا عردَ الأقوامُ أقدامَ معلّمَا** (٣٠٩)

وقالوا للجماعة إذا رحلوا جميعاً لحرب أو في سفرةٍ : " آية " ؛ لأنهم عندئذٍ بارزون في بساط الأرض ظاهرون ، يقولون : " خرج القوم بآيتهم " . وسَمُوا " الرسالة " التي يحملها الرسول : " آية " ، وقد أغفلت كتبُ اللغة هذا المعنى مع استفاضته في شعر عرب الجاهلية ، ومنه قول النابغة الذبياني :

(٣٠٦) ينظر : المرجع نفسه ، ص : ١٢٤ .

(٣٠٧) ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص : ٧٥ .

(٣٠٨) الحصين بن حمام بن ربيعة المرّي الذبياني ، شاعر فارس جاهليّ ، كان سيّد قومه بني سهم بن مرّة ، ويلقبُ بـ " مانع الضيم " ، في شعره حكمة ، وهو ممّن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية ، قيل مات قبل الإسلام ، وقيل : أدركه .

ينظر : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، د: عفيف عبد الرحمن ، رقم الترجمة : ١٣٨ ، ص : ٩٣ .

(٣٠٩) ينظر : المفضليات ، جمع المفضل الضبي ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، الطبعة السابعة ،

بدون تاريخ ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، رقم القصيدة : ١٢ ، رقم الأبيات : ٤١ ، ٤٢ ، ص : ٦٩ .

ومن النَّصِيحَةِ كَثْرَةُ الإِعْذَارِ (٣١٠)

مَنْ مَبْلَغُ عَمْرٍو بْنِ هَنْدٍ آيَةً؟

وهذه المعاني المذكورة تنبعُ كُلُّها من معنى العلامة الظاهرة البيِّنة الدَّالة التي تراها العينُ ، أو تسمعُها الأذنُ ، أو يتوهَّمها القلبُ أو يَتَّقَفُها العقلُ ، تكون هادية على الطريق أحيانا ، وتكون دليلاً على معنى يتطلَّب الدليل أحيانا أخرى ، وتكون شاهداً على صدق الحدث والحديث تارة ، وبيانا صادقا أو أمانة مصدقة تارة أخرى .

فهي إذن في جميع مجاريها متعانقة المعاني ، مُسترسلةٌ ، سهلة التَّنَقُّلِ من مجرى إلى مجرى بلا كد يُلقَى على مجازها (٣١١) .

وقد أفادنا الشيخ بأنه لم يؤثر عن أهل الجاهلية أنهم قالوا : " آيات الأنبياء " ، وهم يعنون " الآية " الشاهدة على صدق نبوة النبي ، وهذا لا يعني أنهم لا يعرفون قط معنى " آيات الأنبياء " في جاهليتهم ، بل يصر جازماً على أنهم كانوا يعرفون معنى " آيات الأنبياء " مركبة معرفةً صحيحة ، ويعرفون معنى " الآية " ومعنى " النبي " غير مركبين ، بأوضح وأسلم مما يعرفه أهل الكتابين ، ثم سقط من السنة رواة شعر أهل الجاهلية وكلامهم وأخبارهم ، فيما سقط من الشعر والأخبار التي تؤثر .

لذلك يرى بضرورة التأمني في الكشف عن لفظة " الآية " ، وعن معناها عند أهل الجاهلية الذين نزل عليهم القرآن ، فهذا الكشف مرتبط ارتباطاً وثيقاً بموقفهم من القرآن في الحالين جميعاً : في حال جَحْدِهِمْ إياه ، وكُفْرٍ من كفر به منهم ، وفي حال تقبُّلهم نبوة تالية عليهم ، وإيمان من آمن منهم به ، ومعرفة هذا المعنى معرفةً واضحة تُسْقِطُ الحجابَ الكثيفَ الذي أسدله لفظ " المعجزة " ولفظ " إعجاز القرآن " على حقيقة الوجه الذي آمن عليه من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والذي كفر عليه من كفر من أهل الجاهلية (٣١٢) .

لذا رفض الشيخ محمود شاكر بعد رجوعه للمعاني الأصلية رفضاً تاماً مرادفة لفظ " الآية " لـ " المعجزة " ؛ لبعدها المعنى بين اللفظين ؛ إذ لا تصحُّ في رأيه هذه المرادفة لفسادها وفساد ما أدت إليه .

(٣١٠) للبيت رواية أخرى : ومن النَّصِيحَةِ كَثْرُ الإِعْذَارِ . ينظر : ديوان النابغة الذبياني ، ص : ٦٧ .

(٣١١) ينظر : لسان العرب ، مادة : " أيا " . ينظر : مداخل إعجاز القرآن ، ص : ١٢٦ .

(٣١٢) ينظر : المرجع السابق ، ص : ١٢٥ ، ١٢٦ .

إضافة إلى ذلك ، أن العرب في جاهليتهم والصحابة والتابعين جميعاً ، لم يستخدموا لفظ "الآية " مرادفاً للفظ " المعجزة " ، فلم يستخدم هذا الترادف إلا المتكلمون أهل الجدل والتشقيق .

وبعد معرفة الشيخ للفرق بين الآية والمعجزة ، ومعرفة المعنى الأصيل لكل من " الآية ، المعجزة ، التحدي " توصل إلى أن القرآن هو : آية الله في الأرض ، وآيته المعجزة من الوجه الذي كان به معجزاً للعرب ، ثم البشر ، ثم الثقلين جميعاً . (٣١٣)

وبناءً على هذا التعريف ، لا يكون " الإعجاز " صفة للقرآن ، بل هو صفة لموقف العرب من مطالبتهم الإتيان بمثل هذا القرآن ، ولو بسورة منه ، مع بلاغتهم وقدرتهم على نظم الكلام وتأليفه .

كما أن موقف الخلائق من آيات الرسل جميعاً (باستثناء القرآن) لا يسمى : " عجزاً " من فعل طولبوا بفعله ، بل هو : " إبلاس " .

والإبلاس في اللغة : حالة طارئة تعتري النفس من أمر يأتي بغتة ، أو يراه المرء بغتة ، فيفجأه حيرة ورهبة ودهش وخوف ، فتقطع حركة حسه ، فيسكت يغشاه وجوم وإطراق .

وسمي هذا الموقف " إبلاسا " ؛ لأن هذه الآيات أفعال ممتنعة أصلاً على جميع الخلائق ، غير داخلية في قدرتها (كإحياء الموتى ، ودخول رجل النار ثم لا يحترق ... إلخ) ، فلا يتوهم أحد الإتيان بفعل كالذي يراه ، بل إن لفظ (المحاولة) نفسه لا يكاد يخطر ببال .

وهنا يتضح الفرق بين " العجز " و " الإبلاس " :

فالعجز : ضعف يدركه المرء من نفسه عن بذل جهد ومعالجة .

والإبلاس : إحساس غامر بالحيرة والدهش والانقطاع ، تمنع المرء من كل جهد ومعالجة (٣١٤)

يستنتج مما سبق الآتي :

(٣١٣) المرجع نفسه ، ص : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣١٤) المرجع السابق ، ص : ٤٤ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " بلس " .

١- حاول الشيخ إيجاد الفرق بين المعنى الأصيل والمعنى المستفيض على ألسنة الناس ، إذ ذكر المعنى الأصيل لكل من (المعجزة ، التحدي ، الآية) ، كما كشف الخطأ عن المعنى المستفيض على ألسنة الناس ، الذين استخدموا (الآية) مرادفة (للمعجزة) ، وأردوا بالتحدي أن يطالب المتحدي خصمه بأن يبذل غاية جهده في معارضة فعل يفعله هو نفسه ، ويحاول الإتيان بمثله ، وهو على ثقة من أنه قادر على مثل هذا الفعل ، طالباً بذلك إظهار عجزه وضعفه عن مساماته أو غلبته والظهور عليه .

٢- آيات الأنبياء لا يقال عنها معجزات ؛ لأن الآية يُعنى بها العلامة الشاهدة على صدق نبوة النبي ، والأمانة المعروفة على أن مدعي ذلك رسول من الله إلى عباده من البشر ، ونظراً لأن هذه الآيات خارجة خروجاً مبيناً عن قدرة جميع الخلائق ، داخلة دخولاً مبيناً في قدرة الخلاق العظيم وحده ؛ فهي إذن (مُبْلِسة) . أما قولنا: " معجزة " فيعني هذا أن أقوامهم طولبوا بالإتيان بمثل ما أتى به الأنبياء ، وهنا يقع التحدي الذي يقتضي قيام المتحدي والخصم بنفس الفعل حتى يظهر التفاوت بتحقيق العجز وتكون الغلبة لهذا المتحدي ، فهل طالب أنبياء الله أقوامهم بالإتيان بمثل ما أتوا به ليظهروا عجزهم ، ويثبتوا أن ما أتوا به من آيات وعلامات دليلاً على صدق نبوتهم ؟ هل طالب نبي الله صالح عليه السلام قومه الإتيان بناقصة كناقته ؟ وهل طالب إبراهيم عليه السلام قومه أن يدخلوا ناراً فلا تحرقهم ؟ هل طالب موسى عليه السلام قومه الإتيان بمثل آيات التسع (اليد والعصا والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم) أو غيرها ، وهل طالب عيسى قومه بإحياء الموتى وإبراء الأكملة والأبرص ؟

ومن الأمور التي يجب التنبيه عليها أن هناك أدلة تؤكد ما يذهب إليه شيخنا وهي :

الأول : رفض بعض العلماء تسمية " آيات الأنبياء " بـ " المعجزة " ، معللين بأنها تسمية لم ترد في القرآن أو السنة ، ولم ينطق بها الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا التابعون ومن بعدهم ، ولا الصدر الأول من السلف ، ولا شيء فوق ذلك (أي دون تعليل لغوي) .

الثاني : تعريفهم للمعجزة بأنها : " أمرٌ مقرون بالتحدي سالم من المعارضة " ، وهذا دليل على معرفتهم بالمعنى الأصيل للمعجزة .

الثالث : لما كانت الفكرة السائدة هي أن أنبياء الله تحدوا أقوامهم ليثبتوا عجزهم ، سرعان ما تنبهوا لها ، فقالوا : إن هناك آيات لا ينطبق عليها تعريف المعجزة ، وكثير منها لا يظهر فيه

تحدي الرسول للناس بأن يأتوا بمثل ما أتى من الآيات ، أما الجواب الحاسم فكان من ابن تيمية ، الذي يرى أن مسائل الآيات لم يتحدّ بها ، وليس فيما نقل تحدّ إلا بالقرآن (٣١٥) .

٣- إن القرآن آية تخالف آيات الأنبياء جميعاً ، فالعرب وإن أدركوا مباينته لكلام البشر ، إلا أنه كلامٌ منظوم ، والعرب قادرون على نظم كلام وتأليفه بألسنتها ، إن نفس الفعل ، هذا كلام منظوم ، وهذا كلام منظوم ؛ لذا وقع التحدي لقدرة البشر على القيام بهذا الفعل ، إلا أن نظم القرآن وبيانه كان نظماً مبايناً لكلام البشر ، خارجاً عن طاقاتهم ؛ لذا حينما طولبوا بالإتيان بمثل هذا القرآن كان التفاوت بين الكلامين ظاهراً ، والعجز واضحاً بيّناً .

فالقرآن - كما ذكر الشيخ شاكر - هو : آية الله في الأرض ، آيته المعجزة من الوجه الذي كان به معجزاً للعرب ، ثم للبشر ، ثم للثقلين جميعاً ، فهو معجزٌ بنظمه وبيانه ، أما ما فيه جملة من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة ومن أنباء الغيب ومن دقائق التشريع ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله ، كل ذلك بمعزل عن الذي طولب به العرب ، أي أنه بمعزل عن التحدي المفضي إلى الإعجاز .

والإقرار من وجه النظم والبيان أن هذا القرآن كلام رب العالمين ، دليل يطالب بالإقرار بصحة ما جاء فيه ، أما صحة ما جاء فيه فليست دليل يطالب بالإقرار بأن نظم القرآن وبيانه مباين لنظم البشر وبيانهم ، وأنه بهذا من كلام رب العالمين (٣١٦) .

(٣١٥) ينظر : العقيدة الإسلامية : للعلامة محمد المكي بن مصطفى عزوز ، بدون تحقيق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، دار النور المكتبات ، جدة ، دار البشائر الإسلامية ، ص : ٢٢٥ . ينظر : النبوات ، لابن تيمية ، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص : ٣١٩ .

(٣١٦) قولنا بـ : " الإعجاز العلمي في القرآن " أردنا به : " تقرير الحقائق العلمية في القرآن " . لا شك أننا سمعنا بعبارة " الإعجاز العلمي في القرآن " ورأينا الكتب التي تحمل هذا العنوان ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يتحدّ البشرية بما في هذا القرآن من حقائق علمية ، ولم يطالبهم بالإتيان بمثلها ليعجزهم ، بل الأمر خلاف ذلك ، فقد حثهم على التفكير والتدبر لاكتشافها ، " وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون " (الذاريات : ٢١) ، " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم " (فصلت : ٥٣) .

ككيف نقول بعد ذلك " إن القرآن معجز بعلمه " والبشر اكتشفت ما اكتشفت من أسرار في الكون والإنسان بل وما زالت مثابرة على البحث والاكتشاف . فما الحقائق العلمية في القرآن إلا آيات ودلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم سبق بها البشر بقرون متطاولة ، دون الاعتماد على أي جهاز مخترع ، أو إجراء تجارب ، " وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى " [النجم : ٤] .

آخر قولنا : إن لم نرض بقول الشيخ ، فحسبنا أنها ألفاظ لم يستخدمها القرآن ، ولم ينطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، ولا التابعون ، ولا الصدر الأول من السلف ، بل هي ألفاظ ولدت على أيدي المتكلمين .

رابعاً : استدراكاته على المستشرقين في تفسير الألفاظ:

١- كشفه المفاهيم الخاطئة التي استغلها بعض الكُتَّابِ في الهجوم على الدين الإسلامي واللغة العربية ، بتفريغ الألفاظ من دلالاتها ووضع دلالات خاطئة لها ، وذلك بفضح نواياهم وبيان إفسادهم لمعاني تلك الألفاظ ، وتحريف دلالاتها فمن هذه الألفاظ :

أ. السلفية :

السلفية نسبة إلى " السلف " ، وهو لفظ يُرادُ به رجوع أصحابه إلى سيرة " السلف " من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم على الحق في العقيدة ، وفي تجريد الإيمان من شوائب الشرك، وفي العمل بالسنة ، وفي إحياء منهج " السلف " في الرجوع إلى الكتاب والسنة دون سواهما ، وهذا هو المعنى الأصيل للفظ " السلف " .

وقد عُرف السلفيون بالظهور والغلبة ، وكان أكثرهم من أهل الحمية والجد والثبات والإخلاص في القول والعمل ، وكانت لهم صراعات مع أهل البدع والأهواء ، وهم جمهور غالب يؤيدهم إلف العامة ، وهم الكثرة لما عندهم من البدع المنكرة التي ينكرها " السلفيون " أشدَّ الإنكار ، ومن هنا يأتي دور المبشرين ليشوِّهوا صورة " السلفيين " ، ويبثُّوا أفكاراً قريبة إلى النفوس تؤيدها جميع الظواهر، وهي أفكارٌ من شأنها التآليب على هؤلاء السلفيين ، فصوروا السلفيين بأنهم :

" قومٌ متشددون يريدون أن يرهقوا الناس بما لا طاقة لهم به من التكاليف " ، بعدها استُعمل لفظ " السلفيين " للدلالة على التأخُّر والتشدد والتخلف ، وبعدها أُستعمل لفظ " الرجعيين " ليحلَّ محلَّ "السلفيين" ، وهو لفظ سهل على لسان العامة وغير العامة ، لينتشر بعد ذلك على السنة ضربٍ من الكُتَّابِ ، وعلى السنة أصحاب الصُّحف ، بعدها انتقل لفظ " الرجعية " للدلالة على الحياة الإسلامية كُلِّها ، وقد كان الكُتَّابُ يستعملونها إذا أرادوا التورية عن الإسلام ؛ تهرباً من أن تنالهم تهمة الطعن في دين الدولة .

وأخيراً صار كلُّ من أنكر شيئاً على هذه الحضارة الأوروبية المقترنة بالغزو العسكري والغزو السياسي لبلاد المسلمين ، من أخلاق ، أو فكر ، أو عادة أو طريقة للحياة ، صار ينبز بأنه "رجعي" (٣١٧).

من خلال تتبُّع الشيخ التاريخي للفظ "السلفية" لاحظنا كيف تمَّ تفريغُ هذا اللفظ من معناه الأصلي بصورة تدريجية إلى أن أصبح لفظ "السلفية" مرادفاً لـ "الرجعية" ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ظهرت ألفاظٌ أخرى تحملُ بالطبع بين طياتها دلالاتٍ ومفاهيم خاطئةٍ ومنها :

– الرجعية : إنكار الحضارة الأوروبية المسيحية ، وإنكار الغزو السياسي والعسكري لبلاد المسلمين.

– القوانين الوحشية : وهي قوانين الإسلام وشرائعه وحدوده التي شرعها الله .

وهنا يستنكر شيخنا على هؤلاء الطغاة هجومهم على الإسلام وكتاب الله وهم جاهلون بالدين كله متخذين لفظ "التطور" وسيلةً للطعن في شريعةٍ لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها (٣١٨).

– التطور : هو بُعدُ المسلم عن تطبيق قوانين الإسلام ، ودخوله تحت حكم المستعمرين ، وتطبيق أنظمتهم ، والتعلم في مدارسهم بالطريقة التي يعرضونها ، والرضا بأن يسوقه المستعمرون كالبهيم دون أي معارضة منه ، حتى لو كان ما يتعلَّمه أو يُفرضُ عليه مخالفاً لعقيدته ودينه (٣١٩) .

– الحرية :

أرادوا بها التقلُّت من القيم الإسلامية ، والجري وراء خطوات الأوربيين ، مع ترك الفروض والشرائع التي حددها الإسلام (٣٢٠) .

والملاحظ أن هذه الألفاظ لما فرَّغت من دلالاتها لم توضع لها دلالاتٌ خاطئةٌ فحسب ، بل وُضعتُ لها معانٍ مُضادةٌ لمعناها الأصلي الصحيح .

(٣١٧) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٥٠٣-٥٠٧ .

(٣١٨) المرجع السابق ، ص : ٤٠٠-٤٠٦ .

(٣١٩) المرجع نفسه ، ص : ٤٠٣ .

(٣٢٠) ينظر : دراسات عربية وإسلامية ، محمد حسن عواد ، محمود شاكر مفكراً مسلماً ، ص : ٤٢٣ .

فالمفاهيم المُدمّرة ، والقيم المنحطّة تسرّبت إلى المسلمين مُتَسَتِّرةً بألفاظٍ مغريةٍ مُحبّبةٍ إلى النفس لتفتكَ بالمسلمين من حيث لا يشعرون . وأما قيم الإسلام الراقية وتعاليمه السمحة ، فكُسيّت بألفاظٍ همجيةٍ حقيرةٍ ليبغضَ المسلمُ دينَه من حيث لا يعلم ، ويعتقد بأن الذلَّ والهوانَ في تطبيق تعاليم دينه ، والعزّة والشرفَ في البعدِ عنه ، وفي السيرِ على خطى المستعمرين .

ب . الكاهن :

استخدمت هذه اللفظة مرادفةً للفظ " النبوة " وهذا في قول " أحمد خلف الله " (٣٢١) عن سيدنا يعقوب عليه السلام عندما ادّعى أن نبيَّ الله يعقوب عليه السلام كان ينافسُ أخاه وتوأمه (العيص) حول من يكون " كاهن الأسرة " ومستودع أسرار السماء ، ولما كان العيص هو الأكبر لأنه نزل من بطن أمه أولاً ، كان هو المستحقُّ لأن يرث بركة السماء ، ولكن يعقوب عليه السلام كان يطمحُ إلى هذا المركز الديني ، فاستطاع أن ينتصر على أخيه بحيلتين ، الأولى : حين اشترى منه حقوق البكورية ، وبذلك أفقده سنده الشرعي التقليدي .

والثانية : حين احتال على أبيه بتدبير من أمه ، وحصل بذلك على البركة .

فشيخنا يرى أن هذا الكلام على سقم عبارته ، كلام يتبرأ بعضه من بعض ، ويتعجب مستنكراً من استخدام لفظ " الكاهن " بدلاً من " النبوة " فاللفظتان محال أن تكون مترادفتين عند العرب أو عند أهل الكتاب .

لأن الكاهن عند أهل الكتاب معناه : الذي ينحر الذبائح المفروضة في اليوم أو الأسبوع أو الشهر ، ويتولى فوق ذلك ضرباً من الخدمة في محافل العبادة ، كالعناية بالآنية المقدسة والنار المقدسة ، وحمل تابوت العهد ، وسائر ما هم مكلفون به من فرائض ، ومع ذلك فهذا النظام لم يكن له أصل قديم على عهد إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، بل هو مما افترضه عليهم سيدنا موسى عليه السلام .

فهذا شيء إذن كله بعد أنبياء الله الثلاثة ، بقرون متطاولة ، وليس لهذه الوظيفة التي افترضت على سلالة هارون عليه السلام مدخل في شأن النبوة والأنبياء .

(٣٢١) محمد أحمد خلف الله ، أحد كتاب المسلمين استكتبه المبشرون ليترجم ويقتبس معارف أهل الكتاب من أنبياء الله بما

أما " الكاهن " عند العرب فهو : الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار ، فهو شبيهه بالعراف والمنجم ، ولكن ليس للكاهن عند العرب صفةً دينيةً يُنسبُ إليها.

لذا كان الترادفُ بين اللفظتين خلطاً سقيماً بين معنيين متباينين ، لا يقوله إلا جاهلٌ بحقيقة ما عليه ألفاظُ القوم من أهل الكتابيين ، وغافلٌ عن حقيقة ألفاظ العرب التي تدور في كلامهم ، كما يرى أن الدكتور : " محمد خلف الله " استنسخ معارف أهل الكتاب عن يعقوب عليه السلام ، بما يطابق عقيدة أهل الكتاب في الأنبياء ، وبألفاظٍ من ألفاظهم ، لا بما يطابق عقيدته ، حتى الخبر المذكور هو خبرٌ شائعٌ عن الأنبياء في كتاب القوم بلا حرج منهم في ذكرها .

فالمؤمن الحق هو من ينزّه أنبياء الله عن ارتكاب الكبائر الموبقة قبل أو بعد النبوة ، وتعالى نبيُّ الله عن أن ينال مَطْمَحَه بالحيلَة والغشِّ والتَّخَابُثِ ، فما كان سيدنا يعقوب عليه السلام إلا نبياً كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَعْرَضَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ (٤٩) . (٣٢٢).

٣- رفضه الاعتقاد بمفاهيم مخالفة لعقيدة المسلم:

من الأمور التي استنكرها الشيخ : تواطؤ جمهرة من الأدباء على الاعتقاد بأن " الخطيئة " ، و " الصَّلْب " و " الخلاص " ، و " الفداء " رموزٌ لتراثٍ روحيٍّ لا بأس على المسلم استعمالها ؛ لأن المسلم - في رأيهم - يعتبر جميع الديانات السماوية من تراثه الروحي .

أما الشيخ محمود شاکر فإنه يستنكر ما ذهبوا إليه ؛ وذلك لأنها ألفاظ ذات دلالات واضحة في العقيدة المسيحية لا يحلُّ للمسلم الاعتقاد بها ، فمثلاً : " الخطيئة " تعني أن البشر جميعاً تحت سلطان خطيئة أبويهما (آدم وحواء) ، وبالتالي استحقوا جميعاً عقاب الآخرة وهلاك الأبد ، وهذا ناموس العدل ، ولكن ناموس الرحمة يستوجب العفو ، فكانت " الفدية " ، فكان المسيح الذي أتى ليكون فديةً للخلق ، وهو الجسد الذي اتَّحد فيه اللاهوت والناسوت ، ثم احتمل هذا الإنسان الكامل والإله الكامل أن يُقدَّم ذبيحةً ليكون ذبحه تمزيقاً لصكِّ الدينونة المُصَلَّتِ على رأس بني آدم ،

(٣٢٢) سورة مريم ، آية : ٤٩ . ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٢٧٥-٢٨٧ . وردت أقوال أحمد خلف الله في جريدة الأهرام

الصادرة بتاريخ ٣٠ رمضان سنة ١٣٨٤ (أول فبراير سنة ١٩٦٥).

فمات المسيح على الصليب ، وهذا هو " الصلب " ، وكان احتمال ذلك كله كفارةً لخطايا العالمين ، وهذا هو "الخلاص" .

كلُّ هذه المعاني لا أصل لها في عقيدة المسلم ، وإن اعتقد بها كفر ، فإذا اعتقد بالخطيئة كذب بما أخبر الله في كتابه بأن لا تزر وازرة وزر أخرى ، ومن يعتقد بالفداء وألوهية المسيح كفر ، ومن اعتقد بالصلب كفر بقوله تعالى عن سيدنا عيسى عليه السلام : ﴿ وَمَا قَوْلُهُ وَمَا صَلْبُوهُ وَلَكِنْ شَيْءٌ هُمَّ ﴾ (٣٢٣) ، وإذا استحال أن يكون لهذه الألفاظ الثلاثة معنى عند مسلم ، استحال أن يكون للفظ " الخلاص " معنى مفهوماً عنده على الوجه الذي يعتقد به النصارى ، وبالتالي لا تكون جزءاً من تراثه الروحي .

وليس عجيباً أن يستعمل النصارى هذه الألفاظ ، إنما العجيب المحير هو أن كثيراً من رؤاد الشعر الحديث قد أوغلوا في استخدام هذه الألفاظ الأربعة ، وهم جميعاً مسلمون ، واستعمالهم لها من قبل التقليد الخالي من الفهم الصحيح لتلك الدلالات .

والدليل على تقليدهم التزامهم بهذه الألفاظ الأربعة دون مترادفاتهما ، فلم يضعوا مثلاً مكان الخطيئة " الإثم " ، أو " الذنب " ... إلخ ، وقالوا : " فدية " ولم يقولوا : " كفارة " ، وقالوا : "الصلب" ، ولم يقولوا : " الشنق " ، وقالوا : " الخلاص " ولم يقولوا : " النجاة " (٣٢٤) .

٣- استدراكاته على لويس عوض :

للويس عوض تفسيرات خاطئة غريبة لا تستند على معرفة صحيحة باللغة ، ولا على أساس قويم من العلم والذوق ، فكان لا بد أن تكشف هذه الأخطاء وتُعرى لئلا يُخدعَ بها . وقد تصدى العلامة أبو فهر لجملة من هذه الأغاليط ، ففي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ (٣٢٥) فسّر لويس عوض " الوردة " في الآية الكريمة بالوردة التي تُشَمُّ ، أي أن

(٣٢٣) سورة النساء ، آية : ١٥٧ .

(٣٢٤) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٢٠٦ . الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، الأستاذ أنور الجندي ، ص : ٢٤٦ .

(٣٢٥) سورة الرحمن ، آية : ٣٧ .

السماء إذا انشقت يوم القيامة وانتشرت نجومها يوم القيامة صارت كالوردة التي تشمُّ بالأنف في شكلها .

وهنا يستنكر أبو فهر عليه لَعِبَهُ بِالْفَاظِ اللَّغَةِ كَمَا يَشْتَهِي عِلَانِيَةً بِلَا حِيَاءٍ وَلَا خَجَلٍ ، فالمعنى —دون شك— أن الله سبحانه وتعالى يُنذِرُ عِبَادَهُ وَيُخَوِّفُهُمْ بِمَا سَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْهَوْلِ ، يوم تنشق السماء، وتنكدر النجوم ، وتنتثر الكواكب ، ويتبدل لون السماء حمرةً صافية مشرقة من شدة اللهب .

فمعنى "وردة" أي : حمراء ، وهي صفة ؛ أما "الوردة" التي تُشَمُّ فهي اسمٌ لا صفة ، يقال : "فرسٌ وردٌ" أي : أحمر ، ويقال للأنثى : "فرسٌ وردة" أي : حمراء ، فلفظ "وردة" مشترك بين الاسم والصفة (٣٢٦) .

والغريب المنكر في تفسير لويس عوض هو إقحامه الوردة التي تشمُّ في آيات عذاب وإنذار لمجرد اشتراك في اللفظ بين الاسم والصفة ، وبالطبع هذا مما لا يتصوره من يحمل في رأسه دُرَّةً من العقل .

ولم يكتف لويس عوض بما فعل ، بل كرر الخطأ نفسه في قول أبي العلاء المعري :

فَإِذَا الْأَرْضُ ، وَهِيَ غَبْرَاءُ ، صَارَتْ مِنْ دَمِ الطَّعْنِ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ (٣٢٧)

فمعنى البيت : إن الطَّعْنَ وَالْقَتْلَ اسْتَحَرَّ ، فَسَالَتِ الدِّمَاءُ حَتَّى غَشَّتِ الْأَرْضَ ، فصارت أرض الميدان بالدماء حمراء كالأديم الأحمر ، ولكن الكاتب لويس عوض جعل الصفة هنا اسماً ، وهو الوردة المشمومة (٣٢٨) .

— طعنه في عقيدة أبي العلاء المعري :

قيل عن أبي العلاء المعري صاحب رسالة الغفران : " فاجتاز باللائقية ، ونزل بدير الفاروس ، فاجتمع براهب ، فسمع منه كلاماً من كلام الأوائل الفلاسفة فشكَّه في دين الإسلام ... إلخ " .

(٣٢٦) ينظر : لسان العرب ، مادة: "ورد" . تفسير ابن كثير ، ج : ٤ ، ص : ٢٤١ .

(٣٢٧) ينظر : شرح سقط الزند، للتبريزي ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، ١٩٤٥م ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة — مصر ، لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري ، القسم الأول ، السفر الثاني ، رقم القصيدة : ١٤ ، رقم البيت : ٤٠ ، ص : ٤٥٤ .

(٣٢٨) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ١٠٠ = ١٠٤ . هامش الغفران، د: لويس عوض، بدون طبعة، بدون تاريخ طبع، دار الهلال، ص: ١٧٤ .

نقل هذا الخبر عن القفطي^(٣٢٩) والذهبي^(٣٣٠) ، ففسره الدكتور طه حسين بقوله : " فمر في طريقه باللذقية ، فنزل بدير فيها ، ولقي بهذا الدير راهباً قد درس الفلسفة وعلوم الأوائل ، فأخذ عنه ماشككه في دينه وفي غيره من الديانات" ، ثم قال بعد ذلك : " فلا شك أنه درس هاتين الديانتين (يعني اليهودية والنصرانية) في أسفاره الأولى فيما أن يكون ذلك في أنطاكية ، وإما أن يكون في اللذقية " (٣٣١).

كما قال لويس عوض : " وقد تعلم المعري في اللذقية " (٣٣٢) .

فهذا التفسير فيه مجاوزة للحد وإساءة ؛ لأن طه ولويس أهدرا معنى " اجتاز " و"نزل" ، فهما يزعمان أن أبا العلاء " درس اليهودية والنصرانية باللذقية " ، والدرس والتعلم بالطبع يقتضي طول الإقامة ، ودلالات الألفاظ لا توحى بشيء من ذلك ، إذ وقف الشيخ على هذه الألفاظ ، وتأمل في معانيها فوجد أن :

أ. قولهم : " اجتاز باللذقية " ، أو قولهم : " خرج من داره فاجتاز بدار فلان " يعني أنه مر بها وخلفها وراءه غير متوقف ، وقولهم : " أجاز الموضع " إذا سار في جوزه وقطعه وخلفه وراءه ، فزيادة الألف والتاء في " اجتاز " زادت في المعنى ، ولا يكون معناها أبداً أنه نزل بدار وأقام فيها ؛ لأنه مناقض لاشتقاق اللغة ، فالمجتاز في هذا الخبر هو المسافر الذي يقطع طريقاً طويلاً إلى غايته ، فيجتاز بمكان فيحتاج إلى الراحة والزياد ، فينزل ساعة أو ساعات أو ليلة إلى ثلاث ليال ثم يرحل عنه مخلفاً وراءه ذلك المكان . فقول صاحب خبر الراهب حين قال : " فاجتاز باللذقية " ، لم يعن سوى أنه مر بها وخلفها وراءه غير متوقف .

(٣٢٩) ينظر : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تأليف : الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة - مصر ، ج : ١ ، ص : ٤٩ . اسمه : أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء المعري .

(٣٣٠) ينظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق الدكتور : عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، حوادث ووفيات ٤٤١-٤٥٠هـ ، ٤٥١-٤٦٠هـ ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، ص : ٢٠٠ .

(٣٣١) ينظر : تجديد ذكرى أبي العلاء ، تأليف الدكتور : طه حسين ، بدون تحقيق ، الطبعة الثالثة ، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م ، مطبعة المعارف ، مصر ، ص : ١٢٥ .

(٣٣٢) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ١١٢ ، ١١٥ .

ب. عبارة " نزل بدير الفاروس " معناها: أقام به قليلاً ثم رحل ، فإن أصل " النزول " في لغة العرب ، هو الهبوط والانحدار من علو إلى أسفل ، تقول : " نزل الراكب عن دابته " ، و " نزل المطر " ، و " نزل البئر " ... إلخ ، ولما كان المسافر البعيد الشقة أكثر ما يكون راكباً ، قالوا له إذ مرّ بمكان ، فأراد أن يريح دابّته ويتزود لرحيله ، فحطّ به ساعة أو ليلة أو ثلاث ليال على الأكثر: "نزل بالمكان" ، أي: نزل عن دابته ليريحها ، ثم يقيم للراحة قليلاً ، ثم يرتحل ، وذلك الموضع الذي نزل به هو " المنزل "؛ ومن أجل ذلك سموا الضيف الذي يمر بك ثم يرحل عنك غير مقيم : " النزيل " ، وسمّوا ما تهيئه له من القرى : " النزول " ؛ لأنه يقدّم لمن ينزل بهم . وأما الذي يُسمّى اليوم : " المنزل " الذي نقيم فيه ، إنما هو في العربية " البيت " و " الدار " (٣٣٣)

فهذان اللفظان " اجتاز " و " نزل " مجتمعين في جملة بالعطف ، أو منفردين ، لا يدلان البتة على إقامة طويلة بمكان ، إلا كحسوة الطائر في مسافة السفر ، فهي إقامة ساعة أو ساعات ، أو ليلة إلى ثلاث ليال على الأكثر . ويذكر شيخنا أن هذا كل ما تستطيع أن تطيقه اللغة وما يؤديه أصل الاشتقاق ، فمن فهم منهما غير ذلك فقد أساء وأهدر معاني الألفاظ ، وجهل حدود الكلام ، وخلط خصائص المفردات ، وجعلها مترادفات لاخير فيها ولا حد لها .

كما يرى أن في حديث القفطي نفسه ما يدلُّ دلالة قاطعة على أن الأمر لم يكن " دراسة " ولا "تعلمًا" ؛ لأنه قال : " فسمع منه أبو العلاء كلاماً (أي من الراهب) من أوائل كلام الفلاسفة " ، و"السماع" لا يكون دراسة ولا تعلمًا ، بل هي كلمات قلائل سمعها لا غير . فالاجتياز باللاذقية ، ثم النزول بالدير ، ثم سماع كلمات قلائل مُشكّكة ، كلام متنسق متناسب ، ومطابق لمفهوم اللغة . ولا يعقل عاقل أن يجعل هذا المعنى الواضح : إقامة باللاذقية والدير ، ودرسا أو تعلمًا (٣٣٤) .

ونبه الشيخ على أن في الجملة لفظاً آخرًا هو " دير الفاروس " ، فلفظ " الدير " في العربية يدل على بيت النصارى الذي يتعبد فيه رهبانهم ، ولا يكاد يكون في مصر (أي المدينة) إنما هو في الصحاري ورؤوس الجبال ، فدير الفاروس ، كما تدل عليه اللغة ، وكما هو معروف إلى اليوم ، ليس في مدينة اللاذقية نفسها ، بل هو بعيد عنها في خارجها .

(٣٣٣) المرجع السابق ، ص : ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ .

(٣٣٤) المرجع نفسه ، ص : ١١٤ .

واستدل شيخنا على المعنى المذكور بقول ابن بطوطة في وصفه لهذا الدير الذي مرَّ به في رحلته إذ قال : " وبخارج اللاذقية ، الدير المعروف بدير الفاروس ، وهو أعظم دير بالشام ومصر ، يسكنه الرهبان ويقصده النصارى من الآفاق ، وكل من نزل به من المسلمين ، فالنصارى يضيفونه" (٣٣٥)

ولما كان " دير الفاروس " خارج مدينة اللاذقية ، استنتج الشيخ معنى قول صاحب الخبر "فاجتاز باللاذقية ، فنزل بدير الفاروس " ، أي مر باللاذقية وخلفها وراءه ولم يدخلها ، حتى بلغ دير الفاروس خارج اللاذقية ، فنزل به ضيفاً على ما جرى عليه من أمر أهل الذمة مع أهل الإسلام ، فأضافه رهبان الدير ، كما قال ابن بطوطة ، ومن زعم أنه تعلم أو درس باللاذقية ، فهو مبطلٌ أشدُّ البطلان ؛ لأنَّ الدرسَ والتعلُّمَ كلاهما يقتضي طول الإقامة باللاذقية ، والخبر بجمعيَّة يدل على أنه مر باللاذقية وخلفها وراءه ولم يدخلها (٣٣٦) .

يلاحظ على ما سبق ذكره ما يلي :

أولاً : إنَّ الشيخ لما سمع ما قيل عن أبي العلاء المعريِّ حاول التَّحَقُّق من هذا الخبر ، إذ رجع إلى الكتب التي ترجمت لأبي العلاء ، وهي أكثر من ثلاثين كتاباً من بينها كتب القفطي والذهبي اللذان ذكرهما الدكتور طه حسين ، واتكأ عليهما الدكتور لويس عوض ، ثم بعد ذلك رتبها ترتيباً تاريخياً ؛ ليعرف مصادر الأخبار التي جاءت فيها ، فوجد أن القفطي وحده هو المنفرد بهذا الخبر ، وهو خبر غير مسند إلى راو ولا إلى كتاب ، حتى الذين عاصروا شيخ المعرة لم يذكروا هذه القصة ، وكذلك ياقوت الحموي الذي كان معاصراً للقفطي ، وهو مؤرخ متمكن شديد التحريِّ ، وهو شاميٌّ حمويٌّ ، قريبٌ من ديار شيخ المعرة ، وخبير بأخبار أهل الشام ، لم يذكر هذا الخبر (٣٣٧) .

(٣٣٥) المرجع نفسه ، ص : ١١٥ . ينظر : معجم البلدان ، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، ١٣٩٧-١٩٧٧م ، دار صادر بيروت - لبنان ، ج : ٢ ، ص : ٤٠٤٩٥ .
رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار ، شرحه وكتبه هوامشه : طلال حرب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ص : ١٠١ .

(٣٣٦) أباطيل وأسما ، ص : ١١٦ ، ١١٧ .

(٣٣٧) المرجع نفسه ، ص : ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ .

إضافة إلى انفراد القفطي بهذا الخبر كان للشيخ أدلة أخرى تُنكرُ هذا الخبر وتبطله ، لا مجال للحديث عنها في هذا المقام^(٣٣٨) ، ولكن مما يجب التنبيه عليه هو أن شيخنا بالرغم من وصوله إلى ما وصل إليه لم يقف بطبيعته عند هذا الحد فحسب ، إذ وقف على الدلالات التي توحى بها الألفاظ المذكورة ، فإن صحَّ خبر الراهب ولقاء أبي العلاء به ، فالمعاني التي تحملها الألفاظ الواردة في العبارة: " فاجتاز باللاذقية ، ونزل دير الفاروس " مخالفة لما فسره الدكتور طه حسين ولويس عوض ، فكأن الشيخ يريد أن ينبهنا على أن الوقوف على دلالات الألفاظ وتأمّلها طريقٌ للتمحيص ومعرفة الحقائق ، والأدلة على ذلك كثيرةٌ .

فقد استطاع بمعرفته الثاقبة لدلالات الألفاظ وما تدل عليه من المعاني المختلفة أن يردّ الخطأ الذي وقع فيه كلُّ من طه حسين ولويس عوض من أن المعري أخذ عن الراهب ما شككه في دين الإسلام؛ لأن ألفاظ اللغة العربية تعبر بدقة عن معانيها، ولا داعي لتحميل الألفاظ ما لا تحتل .

(٣٣٨) المرجع نفسه ، ص : ٤٤ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ .

يلحظ من تصويبات أبي فهر للألفاظ واستدراكاته ما يلي :

١- إن الخلط في معاني الألفاظ وفسادها أخذ صوراً متعددة منها :

أ. استخدام ألفاظ مترادفة دون النظر في الفروق بينها وهذا مثل " الآية ، والمعجزة "

"السلفية ، والرجعية " ، " الدار والمنزل " ، " الكاهن والنبى " .

ب. تعميم اللفظ المخصص ، وذلك بأن يكون للفظ مدلولٌ خاص ، بعدها يُعمَّم هذا اللفظُ

فيصيرُ بعد ذلك مشتركَ المعاني ، دون تمييز نحو :

● لفظ " الدين " الذي عمم وسميت به جميع الضلالات والملل

الجاهلية ، وهو عند الشيخ لا يطلق إلا على " الإسلام " ، إن لا

دين عند الله إلا الإسلام .

● الدين السماوي وهو دين الإسلام ، سميت به اليهودية

والنصرانية المحرفتان ، إذ جعلت جميع هذه الملل تحت مسمى

"الأديان السماوية " .

● الإعجاز بعد أن كان صفةً لموقف الخلق من نظم القرآن وبيانه ،

عمم بعد ذلك ، وصار صفةً لموقف الخلق من القرآن عامة ، ومنه إلى

جميع آيات الأنبياء .

ج. تفرغ الألفاظ من دلالتها الصحيحة ، ووضع دلالات خاطئة لها ، مثل لفظ

"التحدي ، الحرية ، التطور " .

٢- اتباعه في هذا المبحث لمنهج متميز ، فقد اهتم باللفظة ، وتحليل تاريخها ، وتتبع

تطوراتها ، وذكر معانيها في كل عصر (ولا سيما العصر الجاهلي) ، محاولاً قدر المستطاع ربط هذه

المعاني بعضها ببعض ، وإيجاد العلاقة بينها في جميع المراحل .

وكان كل هذا الاستقصاء والدقة والتحري في البحث؛ ليتثبت من صحة المعاني الواردة للفظ ،

فيثبت بعدها الحق ويزهق الباطل ، بتنقية الألفاظ من كل المعاني المضللة ، والمفاهيم المدمرة ، والتي

ألصقها بها الطاعنون في الدين واللغة العربية .

٣- عدم اكتفائه بذكر المعنى الصحيح للفظه ، وبمعارضة المضللين و دحض أقوالهم بالأدلة والبراهين ، فهو يحاول أن يكشف نواياهم ويبيّن مداخلهم ، ويكشف حيلهم في توليدهم لهذه الألفاظ ، فيتحدّث عن نشأتها ، وكيفية تداخل وتشابك معانيها الصحيحة الأصيلة بالمعاني الفاسدة الموضوعية بكل إحكام ، حتى أصبح الفساد فيها خفياً لا يتضح بسهولة ، والطريق إلى معرفته وعرّ مظلم.

ومع كل ذلك سلك الطريق الغامض المبهم ، وأدرك فساد نواياهم ؛ ليبين للأمة الإسلامية معالم هذا الطريق ، ويكشف لهم هذا الفساد ، ومن هنا كانت تصحيحاته التي أوصلت الأمة إلى لبّ الحقيقة ، وقادتها إلى محجّة الصواب .

٤- تنبّه لدلالات الألفاظ في عقائد الديانات الأخرى ، نحو : " الكاهن " عند اليهود ، و"الخطيئة" ، و " الخلاص " ، و " الفدية " ... إلخ ، عند المسيح ، وهنا لا يتحدث عن المعنى اللغوي للفظه ، ولا يتناول الفروق اللغوية لألفاظ متشابهة في اللغة ، بل ينظر إلى دلالة اللفظة الواحدة في عقائد متعددة ، فقد تحمل اللفظة دلالة معينة في عقيدة معينة ، لا نجدّها في عقيدة أخرى ، هذا فضلاً من أن يكون مدلول اللفظة في عقيدة معينة يخالف العقيدة الأخرى وينقضها .

فهو إذن ، لا يرفض استخدام ألفاظ استخدمها اليهود والنصارى ، أو أصحاب العقائد الأخرى ، بل يحذّرنا من استخدامها بمدلولها في العقائد الأخرى ، فقد لا يكون لهذا المدلول وجود في لغة المسلمين ولغة العرب ، وقد يكون مدلولاً مناقضاً لعقيدتنا مكذباً لما نؤمن به ، فيكون الاعتقاد به كفراً مجرداً .

٥- إن الشيخ شاکر لم تقتصر استدراكاته وتصويباته على المعاجم اللغوية ، بل جاوزتها لتتناول المعاجم الفكرية لدى المسلمين والعرب ، وهذا يعني أن المعنى الصحيح للألفاظ التي تناولها الشيخ ، موجود واضح في نصوص اللغة ، لكن الدلالات الخاطئة ، والمفاهيم المضلّة التي تسربت إلى عقول المسلمين عن طريق المبشرين ، هي التي كانت موضع استنكار الشيخ ، فبيّن ما أبهم ، وأصلح ما أفسد بما يتفق مع عقيدته ودينه .

٦- إن الشيخ يحذّرنا من أمرين عظيمي الخطر على العقل والفهم والنظر ، فكلاهما مطية الضلال عن الحق :

الأول : الاستهانة بالفروق البيّنة والخفيّة بين الألفاظ التي نتوهم بطول الإلف أنها تقع على معنى واحد وقوعاً واحداً ، وهو ما نسميه في اللغة " المترادف " .

الثاني : إهمال تاريخ بعض هذه الألفاظ المترادفة في أوهامنا ، إذ لا بُد من الحرص على متابعة البحث عن نشأتها : متى نشأت ، ولم نشأت ، وكيف نشأت ، ثم كيف وقع الترادف بين كل لفظين منهما حتى استويا في معنى واحد فاصطحبا فاعتدلا في الاستعمال ، أو تزاخما فغلب أحدهما الآخر على الألسنة .

وذلك لأن الاستهانة بالفروق وإهمال التاريخ يؤديان أحياناً إلى تفساد المعاني تفسداً كبيراً ، ويفضيان أحياناً إلى تخبط مُنْهَكٍ مَغْبَهٍ كدُّ وعرقٌ ، وإلى تخليطٍ جامعٍ عقباه ظلام مطبَّقٌ وغبار ، وبالإهمال والاستهانة يخرج طالب الحق بعد العناء والكدح الشديد ، ومعه حقٌّ ملطخ الوجه ، يطمس نورَه مالبِّدَه عليه عرقُ التخبُّط من غبار التخليط (٣٣٩) .

المبحث الثالث تذوقه للغة

أولاً: دلالة اللفظ مفرداً.

ثانياً: دلالة الألفاظ في السياق الشعري.

ثالثاً: أثر المصطلحات البلاغية في فهم النصّ

الشعري.

استعان الشيخ محمود شاكر بالقضايا الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية الواردة في الشعر العربي أثناء تحليله للنصوص الشعرية وسبر أغوارها ، دون الإسراف في شرح هذه القضايا ؛ لأنه لم يقصدها لذاتها ، فقصده هو إظهار حُسْنِهَا وأثرها على جمال النَّصِّ وإحياء روحه ، بذكر انطباعاته النفسية تجاهها ، ونشوته بها ، محاولاً بذلك الكشف عن جوهر هذه اللغة الشريفة ، التي تملك جمالاً قلماً يوجد في غيرها من اللغات .

لذلك اهتم بالأصوات والألفاظ والتراكيب الشعرية ؛ ليرى عجيب سحرها ويتذوق حلاوة أنغامها ، كما اهتم بتوظيف الظواهر النحوية واللغوية والمصطلحات البلاغية لفهم النص الشعري ، وفيما يلي بيان عن جهوده :

أولاً : دلالة اللفظ مفرداً :

اهتمَّ الشيخ بتذوق الألفاظ المفردة ودلالاتها ، ظهر ذلك جلياً في عدّة أوجه منها :

١ . إيجاد العلاقة بين اللفظ والمعنى :

وهذا نحو كلمة " مصمئل " في قول الشاعر :

خبرُما ، نابنا مُصْمِئِلُ ! جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الأَجَلُ

ويقول : " ومصمئل : بغيرابة لفظها ، وبشدة حروفها ، وبقوة تصريفها ووزنها ، قد استبدت بالحسن كله في هذا الموقع ، وذاذت كلمة أخرى عن أن تقوم مقامها ، وإلا انحط الشعر وانحط نغمه درجات " .

كما يرى أن معنى " مصمئل " هنا من قولهم : " اصمألَّ النبات " إذا التفت وعظم وأطبق بعضه على بعض من كثافته .

وأصل هذه المادة في اللغة " صَمَلٌ يَصْمِلُ صُمُولاً " إذا صَلَبَ واشتدَّ واكتنز ، يوصف بذلك الجمل والجبل والرجل وما أشبه ذلك .

واختار الشيخ هذا المعنى ؛ لأن مراد الشاعر أن يَدُلُّكَ على أنه كلما زاد الخبر تأملاً ، زاد تفاقماً وتعاضماً وأطبق عليه إطباقاً ، وأحاط به إحاطة لا تدعُ له من إطباقه عليه مخرجاً . (٣٤٠)

مما ذُكِرَ يتَّضح أن الشيخ يحاول أن يقيم علاقة بين اللفظ ومدلوله من عدة نواح ، سواءً من الناحية الصوتية ، أم من ناحية الوزن والتصريف .

ولا يُعْتَبَرُ قوله هذا قولاً مبتدعاً ؛ فكثيرٌ ممَّن سبقوه اهتموا بالبحث في العلاقة بين اللفظ والمدلول ، وسيأتي التفصيل في هذا فيما بعد . (٣٤١)

٢- التنبيه على الألفاظ الجامعة :

وهذا نحو ما ذكره في قول الشاعر :

مُطَرِّقٌ يَرِشِحُ مَوْتًا ، كَمَا أَطَرِقَ أَفْعَى ، يَنْفُثُ السَّمَّ ، صِلُ

فالشاعر يصف نفسه وهو خارج لطلب الثَّارِ ، فهو أبداً " مطرق يرشح موتاً " .

و" المطرق " عند أصحاب اللغة هو الذي مال برأسه ، وأرعى عينيه ينظر إلى الأرض مُقْبِلاً ببصره إلى صدره ، وسكت ساكناً لا يتحرك (٣٤٢) .

وهنا ينبهنا أبو فهر على أن هذا اللفظ في هذا البيت دلٌّ على معنى آخر ، فهو لم يفعل ذلك إلا من امتلائه بالكمدِ والحقِّ ، ليكون ذلك صلةً لقوله : " يرشح موتاً " ؛ لأن " الرشح " هو تحلُّبُ الماء من الإناء الممتلئ ، أو تَفْصُدُ العرق من الجبين وسائر الجسد ، إذا امتلأ الجسم ماء (٣٤٣) .

كما يرى أن قول الشاعر : " يرشح موتاً " كلامٌ موجزٌ ، لا نهايةً لحسنه ، وأما " إطرأقُ الأفعى " ، فكُمُوته بين الأحجارِ وسكوته لا يتحرك ، و " الصلُّ " الحية القديمة التي صَعُرَت من القدم ، تكمن بين الحجارة والصفَا ، وهي أخبثُ الحياتِ ، تقتل إذا نهشت من ساعتها (٣٤٤) .

(٣٤٠) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٤٥ . لسان العرب ، مادة : " صمل " .

(٣٤١) سيأتي تفصيل ذلك في حديثنا عن معاني أصوات الحروف .

(٣٤٢) ينظر : لسان العرب ، ماد: " طرق " .

(٣٤٣) ينظر : المرجع نفسه ، مادة : " رشح " .

(٣٤٤) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٥ . لسان العرب ، مادة : " صل " .

والظاهر أن الشيخ يرى ذلك لأن المنتقم قد يمتلئ قلبه غيظاً وحقداً ، إلا أنه يحتمل هذا الغيظ فلا يظهر عليه و لا يصل به الحال إلى درجة الحنق .

ولكن " يرشح " دلّت على امتلائه بالغيظ إلى أن فاض به ففقد الصبر ، ولم يعد يحتمل كتم الغيظ، فغضبه ظاهر ، ورغبته في إدراك الثأر وإنزال التنكيل بالهذليين لا تخفى ، ولا يستطيع إخفاءها ، حاله حال الإناء الذي يتحلب منه الماء ؛ لامتلائه بالماء .

وكثيراً ما نلاحظ استحسان الشيخ للألفاظ الموجزة المعبرة التي توحى بمعانٍ عديدة ، تُغني عن الاسترسال في الوصف أو التشبيه، ففي شأن هذا البيت يقول :

" فهذه الصفة التي وصف بها الشاعر نفسه في ختام هذا القسم الأول ، كلُّها تلميحٌ متتابع باللفظ، تنشأ عنه صورة ذات ألوان وظلال : رجلٌ مُطْرَقٌ مُحْنِقٌ مُرَبِّدُ الوجه ، صارمُ القسَمات ، قد براه الغلُّ والكمدُ ، ينبيء عن عزم لا يلينُ ، وفكر لا يفتر ، وحقد يملأ إهابه لا يَنْضَبُ ، في رقعةٍ ألوانها وظلالها ناطقةٌ بالموت تحيط به ، وزاد هذه الصورة تحديداً ، وزاد خطوطها مضاءً ونفاذاً وَحِدَةً ما يوحي به تتابعُ ألفاظها و جرسها ، والسكّاتُ الخفيات بينها هكذا :

مُطْرَقٌ - يرشحُ موتاً - كما أطرق أفعى - يَنْفُثُ السَّمَّ - صِلُ " (٣٤٥) .

ولا عجب في كلِّ ما ذكره الشيخ ، فألفاظ اللغة العربية بليغة في تعبيراتها ، وهي مع بلاغتها ودقّة دلالتها ، يفهمها السامع العربي ؛ لأنها مفرداتٌ في لغةٍ شاعرةٍ يعمل فيها الخيال والذوق كما تعمل فيها الأبصار والأسماع (٣٤٦) .

(٣٤٥) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٥٠ .

(٣٤٦) ينظر : اللغة الشاعرة ، مزايا الفنّ والتعبير في اللغة العربية ، لعباس محمود العقاد ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ،

منشورات المكتبة العصرية ، بيروت - صيدا ، ص : ١١ ، ١٣ ، ١٤ .

ثانياً : دلالة الألفاظ في السياق الشعري (الإسباغ والتعريية في المعاني) :

تنبه الشيخ لحقيقة معاني الألفاظ في الشعر ؛ لأن أمرها مختلف ، إذ لا يُرادُ بها المعاني الموجودة في كتب اللغة ، التي درج عليها أهل كل لسان في التعبير عن فحوى ما يريدون ؛ لأن الشعراء يلبسون ألفاظ الشعر معان جديدة بالإسباغ^(٣٤٧) ، ويخلعون عنها معانٍ بالتعريية ، ما يكاد ينقل اللفظ من مستقره في اللغة وفي كتبها ، على مدارج تسيل باللفظ وقرنائه من الألفاظ إلى غاية غير غاية المتكلم المبين عن نفسه لسامعه ؛ وهذا تشبيه بما يسمى " المجاز " و " الاستعارة " ، و " الكناية " وما جرى مجراها .

لذلك يرى الشيخ أبو فهر أن تَمَثَّلَ القصيدة الجاهلية لا يقتصر على مجرد المعرفة بالألفاظ ومعانيها كما جاءت في كتب اللغة ، بل يتعداها إلى توسُّم ما لحقها من الإسباغ والتعريية ، وإلى أسلوب كلِّ شاعر منهم في احتياله على الإبانة الموجزة عن غوامض ما في نفسه ، وفي الوشائج التي تتخلَّلُ الألفاظ مركبة في جملتها عن قصد وإرادة ، ثم إلى ضروبٍ من المعرفة بأحوال العرب في جاهليتها ، وما كانت تأخذ ، وما كانت تدعُّ من المعاني ، وما كانت تألف مما يحيط بها في حياتها ، وبجمهرة الأساليب المختلفة التي يسلكها الشعراء في بناء القصيدة لبنة لبنة ، حتَّى يستوي بناء قائماً مُنصِّداً^(٣٤٨) .

ومن أمثلة اهتمامه بالألفاظ ومعانيها التي لحقتها بالإسباغ والتعريية ، ما ذكره في قول الشاعر

:

شَامِسٌ فِي الْقُرِّ ، حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشُّعْرَى ، فَبَرْدٌ وَظِلُّ

فالشاعر هنا يصفُ خاله تأبط شراً في فصل الشتاء بلفظٍ جامعٍ مُوجزٍ فقال : " شامس في القر " أي: في أشدِّ أيام البرد والشتاء والجذب ، ولَمَّا قِيلَ : " يوم شامس " ؛ أي: يومٌ صحوٌ لا غيمَ فيه ، تُلقِي الشمسُ فيه أشعتها المدفئةَ على وجهِ الأرض ، نقل صفة " اليوم " إلى صفة " الرجل " ، واستغنى باشتقاق " فاعل " من " الشمس " ؛ لِيُسَبَّغَ عليه معنىً جديداً يزيد في معناه الذي استعمل

(٣٤٧) سبغ في اللغة بمعنى " اتسع " ينظر : لسان العرب ، مادة : " سبغ " . وعند أبي فهر قصد به : اتساع دلالة اللفظ في السياق

الشعري ، واكتسابه معان جديدة زائدة عن المعاني الموجودة في كتب اللغة .

(٣٤٨) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٣٣ ، ١٣٤ .

فيه ، وحسن له ذلك أنهم يشفقون من مثل " اللبن " و " التمر " على " فاعل " ، فيقولون : " لابن " و " تامر " . يعنون صاحب لبن كثير وتمر كثير .

فالشاعر اقتصر بهذه الصفة الموجزة على معنى متراحب من الكرم والبشاشة ، بإشراق شمس مدفئة من قبله ، وبإطعام كل من جهده الشتاء حتى يذهب عنه القُر ، وكأن الشمس لم تغب ، وكأن الشتاء لم يأت بالجدب .

ومع ذلك ، فتعريفية " شامس " وحدها من كل لفظ يلحقها مما يدل على الإدفاء والإطعام ، وتعريفية " القر " من كل لفظ يوحي بالجدب والخصاصة والبؤس ، ثم جمع هذين المتناقضين في جملة واحدة ، أسبغ من معانيها حتى صارا يدلان على كل الخلائق المحمودة التي يلقي بها الكريم من الناس ، من أصابته الأواء واشتد عليه البلاء (٣٤٩) .

وبعد أن وصف الشاعر حاله في فصل الشتاء (القر) قابل هذا الفصل من السنة بفصل آخر هو زمان القيظ وهو أشد الحر ، حين يَصُوح النبات من شدة الحر ، ويقل الماء ، ويعز الظل ، ويطلب الكين كل حياً ، وقد ذاب لعاب الشمس فوق الجماجم ، إلا أنه أعرض عن هذه الصفة المنبسطة للقيظ ، واقتصر فقال : " حتّى إذا ما ذكت الشّعري " ، و " الشّعري " نجمان هما : " الشّعري العبور " ، و " الشّعري الغميصاء " ، وإذا أفردوا " الشّعري " (٣٥٠) فإنما يريدون العبور ؛ لأنها أشدهما التهاباً وتوقداً ، حتى تُشَبَّه بالنار ، وتُشَبَّه بها النار و " نكاؤها " (٣٥١) التهابها وتوهجها .

فاللفظتان الموجزتان العاريتان " ذكت الشعري " دلتا على صفة القيظ في الأحياء ، وكما دلتا على ذلك دلتا بالإسباغ (اتساع المعنى) على غيره من كل وقيدة تصيب الأحياء وتحيط بهم ، وتفعل بهم مثل فعل القيظ حين يحتدم ، وخاله تأبط شراً عندئذ : " برد وظل " يطفئ الغلة ويكن المحرور (٣٥٢) .

(٣٤٩) المرجع السابق : ص : ١٧٣ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " شمس " . المتع في التصريف ، لابن عصفور الأشبيلي ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة الطبعة الرابعة ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان ، ج : ٢ ، ص : ٤٥٠ .

(٣٥٠) ينظر : لسان العرب ، مادة : " شعر " .

(٣٥١) ينظر : المرجع نفسه ، مادة : " نكا " .

(٣٥٢) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٧٥ ، ١٧٦ .

كما تنبه أبو فهر لضرب آخر من الإسباع ، وصفه بـ " الخفي " تمثّل في قول الشاعر واصفاً خاله :

ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ ، حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ ، حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ

فالشاعر افتتح غناؤه بقوله : " ظاعنٌ بالحزم " ، و " الظعن " (٣٥٣) هو الارتحال من مكان إقامة ، والسير في البادية طلباً للنجعة والماء ، أو قصداً للغزو والحرب ، أو أخذاً للحذر عند المخافة والروع ، وأما " الحزم " (٣٥٤) فهو ضبط المرء أموره ، والأخذ فيها بالثقة والاستظهار لوجوه الضرر والمنفعة فيها ، والاحتراز حذراً من فوات خيرها أو إطباق شرها .

وأفتتح الشعرُ بـ " ظاعن " ؛ لأنها تتضمن أيضاً من الحركة بعد الحركة ، منذ أن يتأهب المرتحل لرحلته ، ويتهياً لسير الليالي في البعيد المجاهيل ، وينفدُ في قلب المهالك التي تغتال مقتحمها ، ويصارع صعوباتها ومخاوفها ، فالحركة فيها مستفيضة لا تنقطع ؛ وابتدأ الشاعر بها غناؤه لأن السياق يتطلب حركة دافقة ، وصورة حية تنغش بالحياة ، كما سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد (٣٥٥) .

و " الظعن " عملٌ عارض من أعمال الجثث والأبدان التي تنقضي بانقضاء فعلها ، كالأكل والشرب والنوم ، وليست مظنةً ذمٍّ أو مدحٍ ، بخلاف " الحزم " فهو عملٌ لازمٌ من أعمال الطبايع والسجايا التي لا تنقضي بانقضاء فعلها كالشجاعة والكرم والصبر وهي مظنةٌ المدح والذم .

وكالبرق ، آنست بصيرةً الفن في الشاعر ما في " ظاعن " من تمادي الحركة وتدفعها ، وبصرت بما يتطلبه " الظعن " والسير في البعيد الفيافي من صفات لازمة لمرتكب السير في البيداء ، من جرأة ومضاء ، ومن حذرٍ وتوجسٍ وحزمٍ وحصافة ، فلم يبال أن يأخذ هذه الصفة العارضة " ظاعن " والتي هي من أعمال الجثث ، فيقتطع صفةً جامعةً من الصفات اللازمة التي يتطلبها " الظعن " من سجايا " الظاعن " الذي يخترق البيداء وهي " الحزم " ؛ لكي تتحول من صفة عارضةٍ كآكلٍ وشاربٍ إلى صفة لازمة كعاقلٍ وصابرٍ قابلةٍ للمدح والذم ، ثم هي مع ذلك لا تفقد ما فيها من الحركة والتدفق ، وإن فقدت عندئذ ما كان فيها من الانقضاء بانقضاء فعلها .

(٣٥٣) ينظر : لسان العرب ، مادة : " ظعن " .

(٣٥٤) ينظر : المرجع نفسه ، مادة : " حزم " .

(٣٥٥) سيكون في حديثنا عن اهتمامه بتوضيح الحركة والسكون في الصورة الشعرية ، ينظر : ص : ١٥١ .

وبهذا الاقتطاع استطاع أن ينفخ الروح ويستحي " الحزم " بعد دلالتها على الجمود والصلابة والوقار ليجعلها حياً عاقلاً كسائر الأحياء ، يصلح أن يكون رفيقاً من رفقاء هذا " الظاعن " .

كما نبه أبو فهر على أن استحياء " الحزم " ونفخ الروح فيه ، معتمد كل الاعتماد على تكرار لفظ " الحزم " وإسناد الحلول إليه في قوله : " حتى إذا ما حلَّ حلَّ الحزم حيث يحلُّ " .

كما بين أن اقتطاع صفة واحدة من جمهور الصفات اللازمة لمن هو " ظاعن " ، وهي صفة " الحزم " -رأس صفاتها وقوامها - ثم استحياء " الحزم " وجعله رفيقاً وصاحباً لهذا الظاعن ، يسرت للفظ "ظاعن" أن يوهم أنه مستوعب سائر الصفات مندمجاً معناه بمعناها ، ويسرت لهذه الصفات باندماجها في حركة " ظاعن " أن تزداد قوةً وتوهجاً وتكاملاً وتراحباً وامتداداً حتى أربى معناها مدمجة في " ظاعن" على معنى " الحزم " ، وحتى صار هو لها تابعاً بعد أن كانت له تبعاً ، وحتى غدت هي في غنى عنه ، ولا غنى له هو عنها .

وهذا - كما وضَّح - ضربٌ خفيٌّ من " الإسباغ " الذي يلحق الألفاظ ، ولكنه إسباغٌ يأتي من خارج اللفظ ، فلا تضبطه اللغة ، ولا ينبغي لها ، بل يضبطه علم النقد وعلم البيان (٣٥٦) .

ثالثاً : أثر المصطلحات البلاغية في فهم النص الشعري :

تعرّض أبو فهر خلال شرحه للشعر لبعض المصطلحات البلاغية ، وهي مصطلحات حاول توظيفها لفهم النص الشعري ، فمنها ما استخدمه مثل استخدام البلاغيين له ، ومنها ما استخدمه في غير ما استخدموه ، ومنها ما لم يُعرف عنهم بل هو من ابتداع قريحته ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

١- الحشو :

ذكر البلاغيون مصطلح " الحشو " ومعظمهم يكتفي بالقول بأنه حشو لا غير ، يقول ابن سنان الخفاجي : " الحشو في الأكثر إنما يقع في النظم لأجل الوزن ، وفي الشعر لأجل تساوي الفصول والأسجاع . ويجب أن يعتبر الكلام في التطويل والحشو والمساواة والإيجاز والإخلال بهذا الاعتبار وهو أن يتأمل الكلام المؤلف " (٣٥٧) .

لكن أبا فهر حاول أن يوظفَ دلالة هذا " الحشو " في خدمة النصّ الشعري ، ويوضح أهميته في إثراء معناه وسحره ، والحشو عند أبي فهر يأتي على أكثر من صورة ، مثال ذلك :

أ. ما عُرِفَ عند البلاغيين بـ " الحشو " :

ذكر الأستاذ أبو فهر أضراباً من الحشو وافقت في دلالتها " الحشو " عند البلاغيين و منها على سبيل المثال قول الشاعر :

خَبْرٌ مِا ، نَابِنَا ، مُصْمَلٌ ! جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ

يذكر شيخنا أن الشاعر في قوله : " خبرٌ ما " أدخل " ما " التي تجيء حشواً ؛ لتدلَّ على الإعراض عن وصف الشيء بما ينبغي له من الصفات ؛ لأنك مهما وصفته فبالغت في الصفة فلن تبلغ كنهه ، كما يعتبر من قال : " إن " ما " زائدة في هذا الموضع " ثم سكت ، ولم يزد على ذلك ،

(٣٥٧) ينظر : سر الفصاحة ، للأمير أبي محمد عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي ، شرح وتصحيح عبدا لمتعال الصعيدي ، بدون طبعة ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ميدان الأزهر ، ص : ٢١١ . نقد الشعر لأبي الفرج قدامه بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ص : ٢١٨ .

مسيئاً؛ لأنه معربٌ لا غير ، ولأن مجيء هذا الحشو أسلوبٌ في اختصار اللفظ ، يفضي إلى اتساع المعنى ، ويجعل ترك الصفة أشدَّ بلاغاً من ترادف الصفات^(٣٥٨) ، ومثل ذلك أيضاً قول الشاعر :

حَلَّتِ الْخَمْرُ ، وَكَانَتْ حَرَامًا ، وَبِأَيِّ مَا ، أَلَمَّتْ تَحِلُّ

يعني : بأيِّ جُهدٍ ، وبأيِّ بلاءٍ ، وبأيِّ نصبٍ ، وبأيِّ مخاوفٍ طالت عليّ وقاسيتها ، كادت الخمر تحلُّ لي فأشربها ، ف " ما " أفادت على شدة الجهد الذي يستهلك القوى ، وعلى المشقة التي لا تكاد توصف^(٣٥٩) .

ومن الأمثلة أيضاً على هذا الحشو قول الشاعر :

قَذَفَ الْعِبَاءَ عَلَيَّ وَوَلَّى ، أَنَا بِالْعِبَاءِ ، لَهُ مُسْتَقِلُّ

ف " له " هنا بمعنى : من أجله ، وهو حشوٌ زاد الكلام قوةً وحسناً ، ومنحه معنىً جديداً ، فيه تعظيمٌ لشأن هذا " القتييل " الذي لا يذهب دمه هدرًا بإحجام جميعهم عن الإدراك بثأره . ولو قال : " وأنا بالعبء مستقلُّ " ، وحذف " له " لسقط الكلام سقوطاً ظاهراً^(٣٦٠) .

فالشاعر بعد تأكيده لانفراده باحتمال هذا الثقل وقدرته على رفعه في قوله : " أنا بالعبء له " أراد التنبيه على مكانة خاله بهذا الحرف الموجز المقتصد الذي خطف الدلالة في أناة وتؤدة ، وذلك لما قال : " أنا بالعبء له مستقل " ، فزيادة " له " أفادنا التقييد ، وهذا يعني أن الثأر لخاله وحده لا شريك له فيه ، فهو وحده يستحق أن يؤخذ له الثأر ، وأن توقد نار الحرب من أجله تعظيماً لشأنه ، وإجلالاً لقدره ؛ لأنه أعلى من أن يذهب دمه هدرًا ليس له مطالب .

ب. ما عرف بـ " التجريد " ، وهذا مثل قول الشاعر :

ووراء الثَّأْرِ مِنيَّ ابْنُ أُخْتٍ ، مَصِعٌ ، عَقَدْتَهُ مَا تُحَلُّ

(٣٥٨) ينظر نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٣٥٩) نفس المرجع ، ص : ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٣٦٠) المرجع نفسه ، ص : ١٤٨ .

وفي هذا يقول : " قوله " مني " حشو ، ولو قال : " ووراء الثأر ابن أخت " نزل الكلام وانحط وإنما رفع منه هذا الحرف الموجز المقتصد ، ومعناه عندهم (٣٦١) " من نفسي " وهم يسمونه بـ التجريد (٣٦٢) ... " (٣٦٣) .

وكذلك في قول الشاعر :

صَلِيَتْ مَنِي هُذَيْلٍ بِخَرِقٍ ، لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا

يقول : " ... وقوله : " صَلِيَتْ مَنِي " فإن " مني " حشو ؛ لو سقط لا انحط الكلام ، ولذهبت كلُّ أنغامه هدرًا ، ومعنى " مني " : من نفسي .. " (٣٦٤) .

فقوله : " مني " في كلا البيتين عند الشيخ ، هو الذي رفع من قيمة النص الشعري ، وإن كان الشيخ ذكر قوله هذا ، إلا أنه لم يعلل ذلك ، ولم يكشف لنا عن سرِّ هذا الحرف ، مكتفياً بقوله : "حشو بدونه ينحط الكلام " .

ولكن من المعلوم أن " التجريد " يأتي لإفادة المبالغة ؛ ففي البيت الأول في قوله : " ووراء الثأر مني " اهتم الشاعر بأخذ الثأر حتى بلغ حدًّا يصحُّ معه أن ينتزع من نفسه شخصاً آخرًا مثله يريد الثأر .

وكذلك في البيت الثاني فهذيل صليت به ، واحترقت بنار الحرب التي أوقدها عليهم ، ومن شدة صلاء هذه الحرب استطاع هذا الشاعر أن يجرد من نفسه شخصاً آخر أوقد الحرب على هذيل . والمعنى أن هذا الشاعر لم يكن شخصاً واحداً يطلب الثأر وبالتالي لم تكن الحرب التي أوقدت على هذيل حرباً واحدة .

(٣٦١) أي عند البلاغيين .

(٣٦٢) التجريد هو : أن ينتزع من أمر ذي صفة أو أكثر أمراً آخرًا أو أكثر مثله لإفادة المبالغة ، وذلك بادعاء كمال الصفة في ذلك الأمر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة مبلغاً يصح أن ينتزع منه موصوف آخر متصف بتلك الصفة ، فهي فيه كأنها تفيض بمثيلاتها لقوتها كما يفيض الماء من البحر ، وله عدة صور منها : أن يكون بدخول " من " على المنتزع منه . ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن ، للدكتور : عبد الفتاح لاشين ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، دار المعارف ، مصر ، ص : ١١٩ .

(٣٦٣) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٤٩ .

(٣٦٤) نفس المرجع ، ص : ٢٥٧ .

٢- الحذف :

أولى أبو فهر " الحذف " أهمية كبرى في فهم المعنى الشعري ، فقد وضع أهميته في عدّة مواضع خلال شرحه للشعر ، ومن ذلك قول الشاعر :

بَزَنِي الدَّهْرُ ، وَكَانَ غَشُومًا ، بِأَبِيٍّ ، جَارِهِ ، مَا يُذِلُّ

ذكر أن تقدير الكلام " بزني الدهر أبيتاً ، وكان غشوماً ، فجعني بأبي جاره ما يذل "؛ فالشاعر لم يرد الفعل " بزّ " الذي يتعدى إلى مفعول واحد ؛ لأن المراد به الإخبار عن وقوع السلب قهراً وعسفاً فقط ، بل أراد " بزّ " الذي يتعدى إلى مفعولين^(٣٦٥) ، ولكنه لما ذكر " الدهر " وما لقي من عسفه به وبخاله ، فطع به وبخلائقه ، فكفّ عن إيصال الفعل إلى مفعوله الثاني ، وتركه مطروحاً كأنه لا يتطلب هذا المفعول ، وأحبّ أن يصف " الدهر " صفة تلائم فظاظته به وغلظته ، فقال : " وكان غشوماً"^(٣٦٦) .

ولكن الفجيرة بخاله كانت ماثلة في قرارة نفسه وهمّت أن تبغته فتشغله وتُنسيه ما بدأ به إذ قال : " بزّني " ، وراودته أن يمضي فيقول : " وكان غشوماً فجعني بأبي جاره ما يذل " ، ثم انتبه فأسقط " فجعني " التي روادته من أعماق نفسه ، ولم يبال أن يمضي قائلاً : " وكان غشوماً ، بأبي جاره ما يذل " فعل ذلك جرأة منه وشجاعة على اللغة .

وزين ذلك هذه الحال المعترضة بين " بزني الدهر " وبين " بأبي " ^(٣٦٧) .

يبدو من قول أبي فهر المذكور أن تذكّر الشاعر بما فعل به الدهر جعله يحذف المفعول الثاني من شدة القهر ، ويصف الدهر بأنه غشومٌ ، ثم يذكر من قهره فجيعته بخاله ليحذف الفعل ويُبقي عامله الجار والمجرور .

(٣٦٥) لأن في قوله: " بزني الدهر أبيتاً " إخبار عن وقوع السلب وإخبار عن المسلوب منه ، إلا أنه حذف ؛ لأن حذفه أبلغ في الإفادة

(٣٦٦) الغاشم : أي الظالم الغاصب الذي يخبط الناس ويأخذ كل ما يقدر عليه . ينظر : لسان العرب ، مادة: " غشم " .

(٣٦٧) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٥٤ ، ١٥٥ .

ووصفُ الدَّهْرِ بأنه " غاشم " دلَّ على شدة القهر ، وأن الشاعرَ لم يقصدُ الإخبارَ عن سلبِ الدهرِ له بالقهرِ والعسفِ فحسب ، الأمر الذي اقتضى التوقُّفَ عند جملة " بزني الدهر " لمعرفة المسلوب الذي يفقده وصف الشاعرِ الدَّهْرِ بأنه غاشم ظالم ، وهذا مما جعل السامعَ يتنبه إلى أنَّ المرادَ بـ "بزني" الفعل المتعدي لمفعولين ، وبالتالي يقدر المحذوف " أبيعاً " والمراد به خاله ، فهو وحده لا غيره كان كالسلاح الذي يحتمي به ويخوض به غمرات الحرب ؛ لذا كان وحده لا غيره أهلاً بأن يفجع به بهذه الصورة .

وكذا الحالُ في تقدير الفعل المحذوف " فجعني " فما سلبه الدهر الغشومَ يَسْتَحِقُّ أن يفجعَ به ؛ لذا قُدِّرَ المحذوفُ بـ " فجعني " .

إذن ، قوله : " كان غشوماً " دلَّ على المحذوف قبله ، ودلَّ على المحذوف بعده ، ولكن هذا لا يعني أن " الحذف " في البيت الشعري لا قيمة له ، فلو قال : " بزني الدهر أبيعاً ، وكان غشوماً " ، فجعني بأبيِّ جارِه ما يُدُلُّ " ، لانجد في ذلك إثارةً لذهن السامع ، ولا تحريكاً لشاعره ، ولكن لما حذف جعل السامع يتأمل السياق ويتنبه لمعانيه ؛ ليستنتج المحذوفَ من السياق المذكور ، إذ لا مصيبة أعظم من فقده خاله ، فكأن المصيبة قصرت على ذلك فاستحقت - كما ذكر سابقاً - أن يُفجعَ ويُقهرَ بسببها الشاعر .

وفي قوله : " بأبيِّ جارِه ما يُدُلُّ " أسقط الفعل وأبقى عامله الجار والمجرور ؛ ليستنتج السامعُ العامل المحذوف وهو " فجعني " ، ويبدو أنَّ هذا الإسقاط سببه أنَّ الشاعر لا يريدُ أن يغرقتنا في تصوير الفجعية ، بل يريد وصف خاله وتمجيده ، لكن اللسان لا ينطق إلا بما يدور في خلجات النفس ، وإن انتبه الشاعر لنطقه بالفجعية ثم تدارك الأمر وأسقط الفعل ، إلا أنه بهذا الإسقاط نفذ بنا إلى ما راوده من أعماق نفسه دون أن يشعرنا ، وأبان لنا عِظَمَ فجيعته دون أن يبوحَ لنا ، فوصف ومجدَّ ونقل إحساسه إلينا دون غلوٍّ في بوحٍ أو كتمانٍ .

ونظراً لقيمة الحذف المعنوية وإبانته عن مكنون الشاعر ونفسيته إبانةً تكشفُ عن سرِّ العربية وسحرها ، تنبه له علماء العرب من فترة مبكرة حتى " ابن جني " جعله من الأشياء الدالة على "شجاعة العربية" (٣٦٨) ، كما دخل بعد ذلك في دراسات البلاغيين وأطلقوه على أحد أنواع الإيجاز

(٣٦٨) ينظر : الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ -

، وهو " إيجاز الحذف " ، يقول الشيخ عبد القاهر في الحذف : " هو بابٌ دقيق المسلك ، لطيف المأخذ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به تَرَكَ الذکر أفصحَ من الذکر ، والصَّمَتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة ، وتجدرُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطق ، وأتم ما تكونَ بياناً إذا لم تبين " (٣٦٩) ، ويقول الدكتور محمد أبو موسى على هذا الباب : " وهذا باب واسعٌ خفيُّ ، ومليءٌ بالغوامض ، ودراسته عند شاعر واحد بعينه غايةٌ لا تقاربها إلا بطول الكدِّ والمواصلَة ، فلكلِّ شاعرٍ طريقته في حذف الكلمة والجملة ، وما هو فوق الجملة ، وكيف يصير المذكور على حال يرشد إلى المحذوف .. " (٣٧٠) .

٣- التنبيه لمواضع السكّات :

اهتمّ العلامة أبو فهر بمواضع السكّات في الشعر؛ لفهم معنى الشعر عند سماعه ، وهذا ما عرف عند السابقين بـ " الفصل والوصل " ، وهو مذهب غامضٌ دقيق المسلك ، اهتم به السابقون ، وجعلوه من المكان السامي في البلاغة ، بل وصل بالبعض إلى قصر البلاغة عليه حين سئل عنها فقال : " البلاغة معرفة الفصل من الوصل " (٣٧١) ، ومن ذلك - أيضاً - ما قاله عبد القاهر : " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة ، تُستأنفُ واحدةٌ منها بعد أخرى ، من أسرار البلاغة ، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلص ، وإلا قومٌ طبعوا على البلاغة ، وأوتوا فناً من المعرفة في نوق الكلام هم بها

(٣٦٩) ينظر : كتاب دلائل الإعجاز ، للشيخ عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، دار المدني ، جده ، ص : ١٤٦ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، تقديم وتعليق : دكتور أحمد الحوفي ، ودكتور بدوي طبانة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، دار نهضة مصر ، الفجالة - القاهرة - مصر ، ج : ٢ ، ص : ٢٦٨ .

(٣٧٠) ينظر : الإعجاز البلاغي ، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، للدكتور محمد أبو موسى ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، مكتبة وهبة ، القاهرة - مصر ، ص : ٩٦ .

ولأبي فهر أمثلة أخرى دلت على اهتمامه بـ " الحذف " منها : إلماحة إلى حذف امرئ القيس . ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ٨٥ . ينظر في تفصيل ذلك : شيخ العربية وحامل لوائها ، أبو فهر محمود شاكر ، لمحمود الرضواني ، ص : ١٧٨ .

(٣٧١) ينظر : البيان والتبيين ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ج : ١ ، ص : ٨٨ .

أفراد " (٣٧٢) . فعبد القاهر يجعل إتقان معرفته من أعلى قمم البلاغة ، وهو لا يتأتى لكثير من الناس (٣٧٣) ، ومن أمثلة اهتمام أبي فهر بذلك قوله في بيت الشاعر :

خبرُ ما ، نابنا ، مُصمئِلٌ ، جَلٌّ ، حتَّى دَقَّ فيه الأَجَلُّ

هكذا ضبطها ، ووضع فيها فواصل السكّات ، وقال : " خبرُ ما .. " ما " التي تجيء حشواً .. وهذا الحشو يلزمك سكتةً بعده عند إنشاده والترُّمُّ به ؛ لأنه يزيدك لهذا الخبر المجهول استهواً .. ثم قال شاعرنا : " نابنا " فألزمك بعده سكتة أخرى ؛ لأن الكلام قد تمّ لا يتطلب زيادة .. ثم عاد بعد هذه السكتة الثانية فقال : " مصمئِلٌ " فجاء بصفة طال الفصل بينها وبين موصوفها ، حتى توشك أن تكون صفةً أفردت لمحدوفٍ مُضمَر . وكأنه كاد يقول مرة أخرى : " خبرُ مُصمئِلٌ " فقد نسي أنه قال : " خبر ما " ثم عاد فتذكر ، فحذف لفظ " خبر " واستمر وبقيت " مصمئِلٌ " كأنها قائمة وحدها بعد السكتة الثانية ، وبعد انقطاع الكلام " (٣٧٤) .

فالشيخ يرى أن مواضع السكت زادت من هول هذا الخبر المجهول ؛ ويبدو ذلك لأن الاستئناف جعل الكلام جواباً في التقدير ؛ فالشاعر لما قال : " خبرُ ما " وسكت ، حرك السامعين لمعرفة هذا الخبر خاصة بعد قول : " ما " فيأتي السؤال عن هذا الخبر المجهول ، ما به ؟ فيكون ما بعده بمثابة جواب ، وهو قوله : " نابنا " ويسكت مرة أخرى ؛ لانقطاعه عما بعده كانقطاعه عما قبله ، وبعد هذا السكت أيضاً اشتاقت النفوس إلى معرفة هذا الخبر الذي نابّه وفجعه ، لا سيما أنه قال : " نابنا " ولم يقل : " جاءنا " فكأنها قطعت عما قبلها ؛ ليأتي بعد ذلك السؤال : ما الذي نابك ؟ فتأتي الإجابة بعد ذلك — كما ذكر سابقاً — بذكر صفة طال الفصل بينها وبين موصوفها ، وكأنه يقول : " خبر مُصمئِلٌ " ، فحذف " الخبر " وبقيت مصمئِلٌ كأنها قائمة وحدها ليتوغل بعد ذلك في ذكر صفة "الخبر" بعد ثلاث سكّات ، فيقول : " جَلٌّ ، حتَّى دَقَّ فيه الأَجَلُّ " وبالطبع بعد أن هيأ النفوس لتلقّي هذه الأخبار بشوق وتلهف .

(٣٧٢) ينظر : دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، ص : ٢٢٢ .

(٣٧٣) ينظر : شيخ العربية وحامل لوائها ، أبو فهر ... ، لمحمود الرضواني ، ص : ١٦٣ .

(٣٧٤) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٤٣ .

وبذلك زادت هذه السكتات خبرَ مقتلِ خاله هولاً وفجيعةً ؛ لما في ذلك من تحريك مشاعر السامعين ، وإثارة الأسئلة ؛ لتأتي الإجابةُ بعد ذلك عُقبَ تلَهْفٍ وانتظارٍ ؛ لتكون أوقعَ في النفس ، وأقوى في التأثير .

والفرق بين واضح بين ذلك ، وبين أن تطرُقَ الأسماعَ أخباراً دونَ اشتياقٍ لها من السامع ؛ أو ترَقُبٍ منه . (٣٧٥)

ومثل ذلك أيضاً قول الشاعر :

بَزْنِي الدَّهْرُ ، وَكَانَ غَشُومًا ، بِأَبِي ، جَارُهُ مَا يُذَلُّ

فبعد قوله : " بَزْنِي الدهر " أوجب سكتة لطيفة ؛ لأن الفعل " بَزَّ " قد يتعدى إلى مفعول واحد ، ويراد به عندئذٍ مجرد الخبر عن وقوع السلب قهراً وعسفاً ، فالوقوفُ عند آخره يتم به الكلام ، ولكن هذا مكر الشعراء الخفي فإنه لم يُردِ الخبر عن مجرد السلب ، بل أراد " بَزَّ " الذي يتعدى إلى مفعولين ، فكان حق الكلام أن يقول : " بزني الدهر أبيعاً " ، لكنه حذف المفعول الثاني " أبيعاً " ، ووصف الدهر بأنه غشوماً (٣٧٦) .

فبالسكت وبال حذف كانت الدلالة على الفجيعة أعظم ؛ وذلك لأنه لما قال : " بزني الدهر " وسكت – وإن كان الوقوف على آخره يتم به الكلام – أثير سؤال : كيف قهره ؟ أو ما الذي سلب منه ؟

فلما حذف ثم وصف الدهر بقوله : " وكان غشوماً " – وهي صفة دلت على الفظاظة والغلظة – ازداد التشوق لمعرفة المزيد عن هذا المسلوب الذي فجع به الشاعر ؛ فما الذي سلب منه ؟ وبما فجعه الدهر ؟

وهنا يأتي الجواب " فجعني بأبي جاره ما يذل " وحذفُ الفعل " فجعني " هنا أيضاً دلٌّ على عظم الفجيعة ، وبذلك تشتاق النفوس إلى معرفة المزيد ، ليسترسل بعدها الشاعر في وصف خاله : " جاره ما يذل ، شامس في القر ، يابس الجنبيين ، ظاعن بالحزم .. "

وفي قول الشاعر :

(٣٧٥) ينظر : دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، ص : ٢٣٥-٢٤٢ .

(٣٧٦) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٥٤ .

يابسُ الجَنَّبِينِ من غيرِ بؤسٍ ، وندى الكَفِينِ ، شَهْمٌ ، مُدِلُّ

يقول الشيخ : " ... فسكت سكتة لطيفة بعد أن انتهى إلى " وندى الكفين " فقطع ما كان فيه ، وأعرض عن عطف صفةٍ على صفةٍ بشيءٍ من حروف العطف ، ثم انبعث يرمي على أنغام بحر المديد بلفظين طليقين موجزين ، فاهتزت الصورة كلُّها حيةً ، بما دبَّ فيها من حياةٍ جديدةً ، فقال : "شهم مُدِلُّ" (٣٧٧) .

والملاحظ أن الشاعر لما أوغل في وصف خاله إلى أن أتى عند قوله : " يابس الجنين من غير بؤس " ثم عطف قوله : " ندى الكفين " وسكت ، أراد الوقوف والانقطاع ، ولكنه استأنف وعاد لما كان عليه من وصف لخاله ؛ وهذا بالطبع لفجيعة بمقتل خاله من جهة ، ولتشوق السامعين السابق إلى معرفة المزيد من الأوصاف . (٣٧٨)

فكأنه بهذا الوقف أو (السكت) ، ثم العودَ إلى الوصف من جديد ، أراد تجديد الحركة ، وبثَّ حياةً جديدةً في النص الشعري (٣٧٩) .

٤- التشعيث :

من المصطلحات البلاغية التي ظهرت عند أبي فهر مصطلح " التشعيث " ، فقد اهتم به اهتماماً بالغاً ؛ إلا أن استخدامه له كان استخداماً فريداً يميزه عن غيره .

فهذا التشعيث عند أهل اللغة معناه : التفريق (٣٨٠) .

أما عند العروضيين ، فهو من الزحاف بمعنى : قطع الوتد المجموع ، ولا يكون إلا في بحر المجتث وبحر الخفيف (٣٨١) .

(٣٧٧) المرجع نفسه، ص : ١٨٠ .

(٣٧٨) ينظر : المرجع السابق ، ص : ١٨٠ .

(٣٧٩) ينظر : دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، للدكتور محمد أبو موسى ، ص : ٣٠٨-٣١٨ .

(٣٨٠) ينظر : لسان العرب ، مادة : " شعث " .

(٣٨١) ينظر : البارع في علم العروض ، تأليف : أبي القاسم بن جعفر القطاع ، تحقيق : محمد أحمد عبد الدايم ، ١٤٠٥هـ-

١٩٨٥م ، مكتبة الفيصلية ، مكة ، ص : ٢١٦ .

وعند البلاغيين يقول السكاكي عن " التفريق " هو : أن تقصد إلى شيئين من نوع فتوقع بينهما تبايناً (٣٨٢) .

ولكن هذا المصطلح عند أبي فهر له مفهوم آخر وهو عنده على أربعة أضرب :

الضرب الأول : تشيعث الكلام وتقطعه وشاهده عنده :

خبرٌ ما ، نابنا ، مُصمِّلٌ ! جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الأَجَلُ

فهو يرى أن من واجب الإنشاد لهذا البيت ، السكوت بعد " ما " ، ثم بعد " نابنا " ، ثم بعد " مصمئل " ، فهذا السكتات الثلاث في الإنشاء ، كأنها قطعت الكلام وجعلت كل كلمة قائمة بنفسها في المعنى ويوضح ذلك بقوله : " فتشيعث الكلام وتقطعه وإنشاده وكأن كل كلمة من الكلمات الثلاث جملة قائمة برأسها وهو الذي زاد ما أصابه عند نعي خاله هولاً وفظاعة ونكراً ، حتى كأن لسانه قد اختلط ، وماجت عليه الألفاظ ، واضطربت وزالت عن مواقعها فاختلت فبلغ بهذا التركيب المشعث المتقطع ما لا يبلغ أعظم التفجع " . (٣٨٣)

فالتشيعث هنا تفريق الكلام خلال الإنشاد ، والوقوف على رؤوس الكلمات أو الجمل القصيرة للتنعيم والترجيع .

وهذا الضرب من التشيعث شبيهه بمباحث اللغويين والبلاغيين في باب " التقديم والتأخير " (٣٨٤) ففي قوله : " خبر ما نابنا " يذكر أبو فهر أنه قدم الفاعل على فعله ، ولو ساق عبارته هكذا : " نابنا خبرٌ مُصمِّلٌ " لكانت كلاماً مغسولاً ساقطاً لا يرتضيه عربي .

فهو يرى أن سَوْقَ العبارة بهذه الصورة من التشيعث (التقديم والتأخير) زاد من فظاعة الفجيجة ؛ وذلك — كما يبدو — لأن الشاعر لما قدم النكرة " خبرٌ " على الفعل " نابنا " أراد أن يُعلمنا أن الذي نابته وفجعه هو خبرٌ مقتل خاله لا غيره ، إن لا حادثة ولا فاجعة أعظم وأهول على الشاعر

(٣٨٢) ينظر : مفتاح العلوم ، للإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، بدون تحقيق ،

الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، المطبعة الأدبية ، مصر ، ص : ٢٢٥ .

(٣٨٣) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، لأبي فهر ، ص : ١٤٥ .

(٣٨٤) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، تأليف الدكتور : أحمد مطلوب ، بدون طبعة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، مطبعة

المجمع العلمي العراقي ، العراق ، ج : ٢ ، ص : ٣٢٥ .

من هذه الفجعية ، فقد قصر فجيعة على خاله ، حتى لا يتوهّم السامع أن الشاعر مفجوع على غيره ، أو يظن أن هناك حوادث وأحوالاً أخرى نزلت على الشاعر ففجعته . (٣٨٥)

فلو قال : " نابنا خبرٌ مصمئلاً " لا يمنع هذا من وجود حوادث أخرى نزلت على الشاعر ، إضافة إلى ذلك ، لا نجد فيها تهويلاً للفجعية ؛ لأنه لما قال " خبر ما نابنا " كان في العبارة تكرار للمبتدأ " خبر " .

فالتقديم والتأخير إذن ، أفادا معنى القصر والتكرار ، اللذان بالطبع زادا من فظاعة الفجعية وهولها .

الضرب الثاني : تشعيت لمخارج الألفاظ عند الإنشاد وشاهده :

مُطَرِّقٌ يَرشِحُ موتاً ، كما أَطَرَّقَ أفعى ، يَنْفُثُ السمَّ صِلُ

يقول : " .. وزاد هذه الصورة تحديداً وزاد خطوطها مضاء ونفاذا وحدّة ما يوصى به تتابع الألفاظ وجرسها ، والسكتات الخفية بينها هكذا (مطرق - يرشح - موتاً - كما أطرق أفعى - ينفث - السم - صل) وهذا ضرب آخر من التشعيت ، هو تشعيت لمخارج الألفاظ عند الإنشاد ، وأعان على تجويده سطوة " بحر المديد " وما فيه من الغلبة والتؤدة " (٣٨٦) .

وهو يقصد به وجود سلاسة في النطق بألفاظ البيت ، وتلاؤم ألفاظه بعضها مع بعض مما أدى إلى بلاغتها وبيانها وسلاستها ، وهي تعتمد على تشعيت مخارج الأحرف التي تألفت منها ألفاظ البيت ؛ لأن قرب المخارج يؤدي إلى صعوبة في النطق .

ولا شك أن هذا الضرب من التشعيت مدروسٌ دراسةً وافيةً عند علماء اللغة ، ودرسه في أبوابٍ مختلفةٍ منها " التلاؤم والتنافر " في ألفاظ الكلمة ومخارج الحروف ، وكثير حديثهم عن ذلك . يقول الجاحظ : " ومن ألفاظ العرب ألفاظ تننافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه .. وأجود الشعر ما رأيت من متلاحم الأجزاء سهل المخارج " (٣٨٧)

(٣٨٥) ينظر : لتقديم النكرة على الفعل وعكسه : دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، ص : ١٤٢-١٤٣ .

(٣٨٦) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٥١ .

(٣٨٧) ينظر : البيان والتبيين ، للجاحظ ، ج : ١ ، ص : ٦٥ . سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي الحلبي ، ص : ٨٧ ، ٩٧ .

الضرب الثالث: تشعيث الجمل عن طريق التراكيب المعترضة ، وشاهده قول شبيب بن البرصاء^(٣٨٨) :

كَأَنَّ ابْنَةَ الْعُذْرِيِّ يَوْمَ بَدَتْ لَنَا بَوَادِ الْقُرَى ، رَوْعَى الْجَنَانَ سَلِيبُ
مِنَ الْأَدَمِ ضَمَّتْهَا الْجِبَالَ فَأَفْلَتَتْ وَفِي الْجِسْمِ مِنْهَا عَلَةٌ وَشُحُوبٌ^(٣٨٩)

يقول فيها : " وقوله : " وفي الجسم منها علة وشحوب " ليس من تمام وصف الظبية الأدماء التي أفلتت من الحباله ، وإنما هو في صفة ابنة العذري ، ففي الكلام تشعيث ، كأنه قال : " كأن ابنة العذري يوم بدت لنا بواد القرى ، وفي الجسم منها علة وشحوب .. روعى الجنان سليب من الأدم " فقوله : " روعى الجنان سليب " ليس من صفة المرأة إنما هو من صفة الظبية " ^(٣٩٠) .

وهذا الضرب أيضاً مطروقٌ في مباحث البلاغيين واللغويين السابقين وهو ما أسموه " الحشو الحسن " ؛ وفيه تفرعات كثيرة متعددة، إلا أن أقرب معنى لهذا المصطلح من مصطلح أبي فهر هو ما قاله ابن المعتز " من محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام آخر لم يتمم معناه ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد " ^(٣٩١) .

الضرب الرابع : تشعيث الأزمنة :

ينظر : شيخ العربية وحامل لوائها : أبو فهر محمود شاعر ، للرضواني ، ص : ١٨٣ ، ١٩٠ .
(٣٨٨) شبيب بن البرصاء هو : شبيب بن جمرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبه ، وأمه البرصاء بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، والبرصاء اسمها أمانة يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها ، فقال أبوها : إن بها بياضاً ، أي برصاً ولم يكن بها شيء ، فلما رجع إلى أرضه وجدها قد برصت ، وهو شاعر إسلامي بدوي ، كان شريفاً سيداً في قومه من شعراء الدولة الأموية. ينظر : الأعلام، للزركلي ، ج : ٣ ، ص : ١٥٧ . ينظر : طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٧٢٧ .

(٣٨٩) " وادي القرى " بين المدينة والشام . " روعى الجنان " : الروع هو الفزع والجنان : الفؤاد . " سليب " : سلبته العقل من الذعر . " الأدم " : جمع أدماء ، وهي الظباء الأدم ، ظباء بيض تعلوهم جدد فيها غبرة ، تسكن الجبال .
ينظر : لسان العرب ، مادة : " روع " ، " حسن " ، " أدم " . طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٧٣١ ، ولا توجد إشارة إلى وجود الأبيات في مكان آخر .

(٣٩٠) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٧٣٢ .

(٣٩١) ينظر : البديع لعبد الله بن المعتز ، تحقيق : أغناطيسوس كراتشوفسكي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، دار المسيرة ، بيروت - لبنان ، ص : ٥٩-٦٠ . شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر ، للرضواني ، ص : ١٨٤ ، ١٩٢ .

والمراد بهذا الضرب من التشعيب عند أبي فهر هو " تشعيب أزمنة التغني " و " أزمنة الأحداث " ثم تشعيب صورة القصيدة ، وهو ضرب لم يوجد في دراسات السابقين ، ولم يطرقه أحد من المحدثين ، وهو متصل بقضية إبداع الشاعر لقصيدته ، أو كما ذكر أبو فهر متّصل بقضية " وحدة القصيدة " .

وقد تنبه لهذا الضرب من التشعيب عندما ذهب من ليس له بصراً بالشعر ، ولا معرفة له بدواوين شعر الجاهلية إلى القول بافتقار القصيدة العربية في الشعر الجاهلي إلى صحة البناء ، أو إلى ما يسمونه بالوحدة^(٣٩٢) .

لكن أديبنا المحقق استطاع بالبحث والتقصّي ، ثم التأمل والتذوق أن يضع موازين القسط التي تعصمنا من الزلل في الحكم على بناء الشعر الجاهلي ، فقد تحدّث عن زمن القصيدة وصلة بعضها ببعض وعن ترابط أجزائها وتلاحم معانيها ، وله في ذلك حديث يطول .

وكان من أهم ما توصل إليه واهتم بتنبيهنا عليه هو أنّ عملية إبداع القصيدة وإنشائها لم تتم في وقت واحد ، بل تمت على فترات متباعدة الأزمان ، ومختلفة الأحداث ، ولكن عندما عاد الشاعر إلى قصيدته لم يرتبها بترتيب وقت إنشائها ، أو بحسب ترتيب أحداثها التاريخية ، بل التزم في قصيدته نهجاً آخرًا ، ففرق وقدم وأخر في أزمنة الغناء ، وأزمنة الأحداث ، وهذا التفريق هو الذي سماه أبو فهر بـ " التشعيب " ^(٣٩٣) .

ويعلل سبب ذلك في القصيدة بقوله : " .. وهذا الذي كشفت لك أمره ، من تشعيب الأزمنة ، أعني تشعيب أزمنة الأحداث ، ثم تشعيب أزمنة التغني بالتقديم والتأخير والتفريق والجمع ، بذلك أظهر الدلالة على أن شاعرنا لم يرد قط أن يقص قصة ؛ لأن القصة قوامها الحدث ، والحدث مرتبط بالزمان ، والقصة تتطلب تحدّر الأحداث على سياق تحدّر الزمن " ^(٣٩٤) .

وهذا يعني أن أبا فهر استطاع بتذوقه ودقة حسه ودقة ملاحظاته أن يتوصل إلى أمور في غاية الأهمية ، لم يتوصل إليها أحد من البلاغيين ألا وهي " أزمنة القصيدة " التي قسمها إلى ثلاثة أقسام :

(٣٩٢) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٤٣ .

(٣٩٣) المرجع السابق ، ص : ٢٣٨ .

(٣٩٤) المرجع نفسه ، ص : ٢٤٠ .

الأول : زمن الحدث : وهو زمن متصل محدود ينقطع بانتهاء الحدث ، وبانقضاء تأثيره المباشر على النفس ، وهو زمن مؤقت مفروض على الشاعر من الخارج ، أثره قاصر على إثارة نفس الشاعر وتهيتها للتغني .

الثاني : زمن التغني : وهو توقيت لاستجابة النفس لحافز الإثارة ، ثم بلوغ الاستثارة درجة من النضج والتحضر تجعل الغناء ينفصل عن النفس طليقاً بلا إكراه ولا قسر ، وهو أيضاً زمن محدود .

الثالث : زمن النفس : هو زمن خفي جداً ؛ لأنه كامن في قرارة النفس الشاعرة متدفق في أعماقها السحيقة ، وهو أهم الأزمنة ، فهو الذي يحمل ما بعثته " أزمنة الأحداث " على اختلافها وترافدها ، وهو الذي يتحكم من أجل ذلك في نغم البيت من القصيدة ، أو نغم مقطع كامل منها ، وهو الذي يؤثر في تخيّر الألفاظ والتراكيب والدلالات ، فينتظمها النغم الواحد أو الأنغام المختلفة التي يتكون منها لحن واحد متكامل وهو الذي نسميه : " القصيدة " .

فزمن النفس هو الأساس في إبداع القصيدة ؛ لذلك كان زمناً متطاولاً ممتداً لا ينقطع ، ولا ينقضي إلا بانقضاء القصيدة ، ففيه تتولد المعاني ، وتتخلق الألفاظ ، وتنفطر التراكيب ، ثم تنفصل عنه تامة التكوين (٣٩٥) .

وللشيخ حديث يطول ذكره عن هذا الزمن ، وقد تجلت معرفته به في تحليله لقصيدة الشاعر الجاهلي ابن أخت تأبط شراً التي أتهمت بتفكك أجزائها واختلال ترتيبها .

لأجل ذلك اهتم الشيخ شاكر بمدارستها وتأملها حتى توصل إلى ما وصل إليه ، فقد قام بتقسيمها ؛ ليتحدث بعد ذلك عن هذه الأقسام ، ويبين فترات التغني بها ، والأحداث التي تسببت في إنشاء كل قسم منها ؛ ليبين بعد ذلك أثر زمن النفس في تشعيت أزمنة الأحداث وأزمنة التغني من جهة ، وأثره في بحر الشعر ، وتقسيم نغماته وأجزائه من جهة أخرى .

كل ذلك ليثبت ترابط أجزاء القصيدة ، واتساق معانيها ، واتفاق أنغامها وتخاصرها بصورة محكمة ، لا تسمح لعابث أن يغير ترتيبها أو يتحكم في تنظيم أجزائها .

أما الخلاصة التي يريد أن يبلغها شيخنا فهي أهمية التحقق من عمل " زمن النفس " ، إذ يرى أن شرح ألفاظ الشعر بغير تحقق من عمل " زمن النفس " في الغناء وفي نغمة ، وفي ألفاظه وما يحمل من معان تنساب في موجاته لترفد اللغة ، يُسقط الشعر ويتركه لغواً لا خير فيه . (٣٩٦)

هـ- الحركة والسكون في النصّ الشعريّ :

ويعني بذلك تذوق الشيخ لدلالة الألفاظ على السكون والجمود ، أو لإيحائها بالحركة والسرعة والحياة ، ويتضح هذا في شرحه لقول الشاعر ابن أخت تأبط شرا :

**بَزْنِي الدَّهْرَ ، وَكَانَ عَشُّوَمَا ، بِأَبِي ، جَارَهُ مَا يُدَلُّ
شَامِسٌ فِي الْقُرِّ ، حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشُّعْرَى ، فَبَرْدٌ وَظَلُّ**

فالألفاظ في البيت الشعري (شامس ، القر ، الشعري ، برد ، ظل) مستمدة من الطبيعة المحيطة بالشاعر ، موحية بالجمود والسكون لا حركة فيها ، وهذا في حالة وصفه لخاله بصلاية البأس ، وشوكة الإباء ، وبسالة الطباع في زمان الشدّة ، يُنتفع به كما يَنْتفع الأحياء بما سَخَّرَ الله لهم من شمس وقمر .. ، وهذه بالتأكيد طبائع ملازمة له مستقرة في نفسه ، لا علاقة لها بحركة البدن ؛ لذا عُبر عن هذه الطبائع المستقرة الساكنة في النفس بألفاظ جامدة موحية بالسكون والهدوء ، مما جعل الصورة الشعرية تتميز بالسكون والهدوء ، وعدم وجود الحركة . (٣٩٧)

أما الأبيات التالية لهذين البيتين فالصورة فيها تتسم بالحركة وتنغش بالحياة وهذا في قوله :

**يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ ، مِنْ غَيْرِ بؤْسٍ ، وَنَدَى الْكَفَيْنِ ، شَهْمٌ ، مُدِلُّ
ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ ، حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ
غَيْثٌ مُزْنٍ ، غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي ، وَإِذَا يَسْطُو ، فَلَيْثُ أْبَلُّ
مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ ، أَحْوَى ، رِفْلٌ ، وَإِذَا يَعْدُو ، فَسَمْعٌ أَزْلُّ**

فقوله : " يابس الجنبين " دلّ على صفة نشأت عن كثرة الحركة ، وفي قوله : " ندى الكفين " تشبيهه لكفيه بسحابة تندي بالطلّ ، فما وكفت عليه من شيء إلا نبت واخضرّ وترعرع ، وتمام

(٣٩٦) مطلع هذه القصيدة : "إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلاً ، دمه ما يطل " ، عدة أبياتها : ٢٦ بيتاً ، قسمها أبو فهر إلى سبعة

أقسام. ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٠-١٣ ، ينظر : المرجع نفسه ، ص : ٢٤٦-٢٥٥ .

(٣٩٧) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٧٦ . شيخ العربية وحامل لوائها ، أبو فهر محمود شاعر ، للرضواني ،

المقابلة بين " يابس الجنبيين " و " ندي الكفين " زاد حركة التَّنْعُش في الصورة كُلِّها ، وكذا الحال في "شهم" و"مدل" . (٣٩٨)

و " ظاعن " تتضمن أيضاً من الحركة بعد الحركة ، منذ يتأهب المرتحل لرحلته في البعيد المجاهيل ، وينفذ في قلب المهالك التي تغتال مقتحمها ، ثم لا يزال يفجؤه منها مالا يتوقع : من خوف الضلال والاعتقال .. إلخ ، فالحركة في " ظاعن " حركة مستفيضة لا تنقطع في ليل أو نهار ، ولا في حل أو ترحال : حركة بَدَنٍ بالسعي الدؤوب ، وحركة نَفْسٍ بالتوقُّع والتوجُّس ، وحركة عقل باليقظة والتنبيه ، وحركة رأي بالنظر والتدبير ، وحركة إرادة بالجرأة والمضاء .

أما " الحزم " فهي من أعمال الطبايع والسَّجايا ، وهي صفة جامعة من الصفات اللازمة التي يتطلَّبها " الظعن " ، لكنها لما اقتطعت لتلازم " الظاعن " نُفِخَتْ فيها الروح ؛ لجعلها كالحَيِّ العاقل المُدْرِك ، الذي يصلح أن يكون رفيقاً من رفقاء هذا " الظاعن " يصحبُه في أسفاره ، ويرتحل معه إذا رحل ، ويحلُّ معه إذا حل (٣٩٩) .

وقوله : " غيث مزن " كذلك ، ف " الغيث " : المطر الذي يغيث الناس بعد شدة ، و " المزن " : السحاب ذو الماء السريع المرّ في السماء (٤٠٠) ، وهذا يعني أن كلا اللفظين مشعرٌ بالحركة .

وفي تشبيه الشاعر لخاله ب " الغيث ، والليث الأبل ، ثم الخيل القوية السريعة العدو ، ثم السَّمع الأزل " اشتمالاً على الحركة وتمثيلاً لصورة حيّة نابضة (٤٠١) .

ومن الأمور التي نبّه إليها شيخنا هو أن السكون والحركة في القصيدة مطابقٌ لحركة بحر المديد الذي يهدأ ويثور ويبطيء ويسرع (٤٠٢) ، نغمه جامع بين البسط والقبض ، بلا فترة بينهما ، وبلا تمازٍ في الأناة والبطء ولا في السعي والعجلة (٤٠٣) .

(٣٩٨) ذكر سابقاً معنى " شهم " وهو الذكي الفؤاد ، المستيقظ من نشاطه ، و " مدل " بمعنى المنقض على قرنه . ينظر : نمط

صعب ونمط مخيف ، ص : ١٧٧-١٨٥ .

(٣٩٩) المرجع نفسه ، ص : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٤٠٠) ينظر : لسان العرب ، مادة : " غوث " ، " مزن " .

(٤٠١) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٨٧ .

(٤٠٢) يبطيء بكثرة الزحاف ، وهذا في الصورة الجامدة ، ويسرع بخلو الأبيات الشعرية من الزحافات أو ندرتها ، وهذا في

الصورة الحية النابضة بالحركة .

وكلُّ ذلك بالطَّبَع لم يكن بمنأى عن حالة الشاعر النفسية ، فعندما أراد تحديد معارف خاله ورسم صورته اتسمت الصورة بالجمود ، ولما كانت صورة خاله ماثلة أمام عينيه ورآه حياً بهيئته يغدو ويروح ، اتسمت بالحركة والحياة^(٤٠٤) .

إن : استطاع الشيخ محمود شاكر بحسِّه اللغوي أن يبين لنا مقاصد الشاعر من خلال الألفاظ الموحية ، ومن خلال طبيعة البحر الشعري ؛ وذلك لأن كلاً منهما يُعتبر مرآة صادقة لنفسية الشاعر ، تبين مراده ، وتكشف عما يدور في خاطره .

(٤٠٣) ينظر لتفعيلات بحر المديد وزخافاتهِ وعلله : الشافي في العروض والقوافي ، تأليف : الدكتور هاشم صالح مناع ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٥م ، دار الفكر العربي ، بيروت - لبنان ، ص : ٧٥ . ينظر لحديث أبي فهر عن بحر المديد : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٨٩ - ١١٦ .

(٤٠٤) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٧٦ - ٢٠٠ .

ملاحظات على منهج الشيخ في التذوق :

١- يظهر من تحليل أبي فهر للنصوص الشعرية أنه لا يتقيد بقواعد اللغة ، بل يتحرر ويحاول أن يتذوق هذه النصوص بأناةٍ وصبرٍ ، ثم يرى أثر معانيها في نفسه ، فإذا انجلت له مزاياها وبهرته فضائلها ، استخرج لنا معانٍ أحسنَ بها ، وجدها مختبئةً تحت هذه النصوص ، وقد أشار الشيخ إلى منهجه هذا في قوله : " فمنهجي في " تذوق الكلام " معنيُّ كلِّ العناية باستنباط هذه الدفائن ، وباستدراجها من مكامنها ، ومعالجة نظم الكلام ولفظه معالجةً تُتيح لي أن أنفض الظلام عن مصونها ، وأميط اللثام عن أخفى أسرارها وأغمض سرائرها ، وهذا أمر لا يستطاع ، ولا تكون له ثمرة إلا بالأناة والصبر ، وباستقصاء الجهد في التثبيت من معاني ألفاظ اللغة ، ومن مجاري دلالاتها الظاهرة والخفية ، بلا استكراه ولا عجلة ، وبلا زهاب مع خاطر الأول ، وبلا توهم مستبد تخضع له نظم الكلام ولفظه" (٤٠٥) .

وهذا لا يعني أن كتب اللغة لا تنفع في فهم الشعر وتذوقه ، بل معناه - كما ذكر الشيخ - أن الناظر في الشعر الجاهلي مفتقرٌ بعد مراجعة اللغة والتدقيق في فهم أصول الألفاظ إلى شيء زائدٍ على نص كتب اللغة ؛ وذلك لأن المرء إذا وقف عند منطوق النصِّ وحده ، بقي الشعر الذي ينظر فيه مطموساً في موضع ، متفككاً في موضع آخر ، مبتوراً في موضع ثالث ، فعندئذٍ يتمرد الشعر ، ثم يذهب عنه جامحاً ولا ينقاد (٤٠٦) .

ومن الأمور التي يجب التنبيه إليها في حديثنا عن منهج أبي فهر في التذوق - وإن كانت معلومة - هو أن تذوقه للنصوص وللغة يمرُّ بمراحل :

الأولى : الهزة والأريحية عند سماع الشعر .

الثانية : الاستحسان وتفجُّر المعاني في النفس .

(٤٠٥) ينظر : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، ص : ١٥ .

(٤٠٦) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٣٥ .

الثالثة : وفيها يبدأ العقل عمله ، وفيها سمع وأعيد سماعه ، فيفتش فيه فيظهر ما فيه من العيوب أو المحاسن . وهي التي تسمى بمرحلة " النقد المنهجي " (٤٠٧) .

وهذا بالطبع ما ظهر جلياً واضحاً في تحليله للنصوص الشعرية .

٢- انتقد الشيخ محمود شاكر الكثير من شراح الشعر ؛ وذلك لأنهم صرفوا أكبر جهدهم في النظر إلى لغة الأبيات وهي تفاريق غير مجتمعه ، ولم يبالوا شيئاً بالنظر في جملة القصيدة ، وما ينتظمها من مرامي الشاعر في شعره (٤٠٨) .

فهو يرى أن مدارس قصيدة من القصائد تحتاج أول كل شيء إلى تمثّل القصيدة جملة ، وتمثّل أجزاءها تفصيلاً تمثلاً صحيحاً أو مقارباً ، بدلالة جمهور ألفاظها على بنائها ومعناها (٤٠٩) .

وهذا ما لوحظ عليه حقاً ؛ فقد تميّز بالنظر في جملة القصيدة ، وتجلية أسرار جمالها ، وما ينتظمها أو يتخللها من مرامي الشاعر في شعره ، وكيفية ربطه لقصيدته بوحدة متكاملة ، كما حاول التأمل في ترابط هذه القصيدة ووحدها من حيث أجزائها ، ثم زحافاتهما ، ثم معانيهما وصورها ، ثم استدعاء الألفاظ بعضها ببعض ؛ رداً على الذين ظنوا باختلال بعض القصائد العربية وتفكيك وحدتها من جهة ، ولتجلية أسرار جمالها ورونقها من جهة أخرى .

إضافة إلى ذلك اهتم بالألفاظ ، ودلالة بنائها ، ووزنها وحركاتها ، وجرسها على المعنى المستكنّ فيها ، كما اهتم بدلالاتها في السياق الشعري ، وما سلكته هذه الألفاظ على ألسنة الشعراء من مجازات ودروب و مدارج .

ومما يميّز منهج أبي فهر في التذوق عنايته بالإبانة عن مكنون أسرار الألفاظ في حالة مجاورتها مع قريناتها من الألفاظ ؛ ليتذوق بعد ذلك جمال الأنغام المتسرّبة من ألفاظ الشعر ، وألحانه المركبة .

(٤٠٧) ينظر : مجلة الثقافة ، السنة السادسة ، أكتوبر ١٩٧٨ م ، العدد : ٦١ ، ص : ١٦ . شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر ، للرضواني ، ص : ٤٢ .

(٤٠٨) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٣٧ .

(٤٠٩) المرجع نفسه ، ص : ٢٠٣ .

ولم يكتف بالنظر في معاني الألفاظ ومعانيها في الجملة ، بل حاول الإبانة وكشف الغموض عن هذه الجملة وما بداخلها ؛ لإبراز أسرارها البلاغية ؛ حثاً منه على النّظر في لغة العرب في الجاهلية ، الذين يسيرون إلى المعنى إشارة معبرة ، تغني عن الكلام الطويل والسرد الممل .

٣- يتضح من كلام أبي فهر أنه يحاول أن يربط الكلام الصادر بحالة المتكلم ، فهو يرى أن الكلام يحمل سمات المتكلم الداخليّة وأحواله النفسية ، بل يدلُّ على هيئته الخارجيّة ، وحركته وشمائله ، وكل هذه الأحوال تمتزج بأحرف كلماته وتراكيبه.

وهذه النظرة عنده تُعدُّ الأساس في عملية التذوق لأي عمل فني ، فهو عند تذوقه نجده يتلمس آثار المبدع في إبداعه ، فيتوقفُ عند الحروف ، والكلمات ، ثم التراكيب والجمال ، ويحاول أن يستنطقها ويكشفَ عن مكنونها ، وما تُحدِّثُ به عن حالة صاحبها^(٤١٠) .

وذلك لأنه يرى أن الأحرف والكلمات والتراكيب تنشأ في النفس عن آلف مؤلِّفة ، وحشود حاشدة من أعمال الغرائز والطبائع والسجايا والشيم والعواطف والشهوات والأهواء والنوازع ، جموع بعد جموع تجيش في نفس صاحبها من بين ثائر متفجر ، وهامد الأنفاس ، وكلهم له حق على النفس لازم.

كما تحمل ضروباً أخرى من الدلالات الخفية والظاهرة والكامنة والمنسابة ، تدل على هيئة صاحبها ، وعلى حركاته ، حتى كأنك ترى صاحب الكلام ماثلاً أمامك يشير أو يتحرك أو يهمس^(٤١١) .

وهذه الملاحظات الدقيقة التي يستبطن فيها أحوال النفس وظهور أثرها على البيان الإنساني هي ملاحظات قريبة من الدراسات النفسية المعاصرة لعملية الإبداع الفني^(٤١٢) ؛ لأنها قضية قائمة على التأمل في حالة النفس عند الكلام ، وعند الاستبانة للكلام الموجه إليها .

(٤١٠) ينظر : شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر ، محمود شاكر ، للرضواني ، ص: ٤٧ .

(٤١١) ينظر : مجلة الثقافة ، السنة السادسة ، أكتوبر ١٩٧٨م ، العدد: ٦١ ، ص : ١٧ . وينظر : المرجع نفسه ، العدد: ٦٣ ، ص: ٦.

(٤١٢) ينظر : الأسس النفسية لعملية الإبداع في الشعر خاصة ، للدكتور مصطفى سويف ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٩م ، دار المعارف ، مصر .

(٤) ينظر: تذوق الأدب، طرقه ووسائله، تأليف: الدكتور محمود ذهني، بدون طبعة، بدون تاريخ، مكتبة الأنجلو

ولقد لوحظ أنه في ذلك متأثر بـ " عبد القاهر الجرجاني " وذلك لما رآه استطاع بتحليل الألفاظ والجمل والتراكيب أن يكشف اللثام عن أسرار المعاني القائمة في ضمير مُنشئها ليزيل بعدها إبهام "البلاغة " ظنَّ أنه بتحليل الألفاظ والجمل والتراكيب يستطيع أن يكشف اللثام عن أسرار العواطف الكامنة التي كانت في ضمير منشئها ؛ ليزيل بعدها إبهام التذوق .

٤- براعة الشيخ في فهم اللغة الفنية للشعر ، دلت على سعة علمه باللغة العربية الفصحى ، وإلمامه بها ، كما دلت على حُسْنِ تَمَرُّسِهِ على الأعمال الفنية ، هذا التمرس الذي اعتمد على مصاحبة هذه الأعمال ، بدقة وتركيزٍ وتعمُّقٍ ومحاولةٍ جاهدةٍ للوصول إلى الأغوار السحيقة^(٤) .

المبحث الرابع آراؤه في علماء اللغة

أولاً: أبو عبيدة معمر بن المثنى.

ثانياً: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

ثالثاً: أبو الحسين أحمد بن فارس .

رابعاً: أبو علي أحمد المرزوقي .

خامساً: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني .

كان للشيخ شاعر أثناء شروحه ومؤلفاته واستدراكاته آراء في بعض علماء اللغة أمثال: " الجاحظ والجرجاني والمرزوقي والتبريزي ... إلخ " ولما كان شيخنا غيوراً على دينه و على تراث أمته ، كان يستنكر التلاعب بتراث الأمة ، والعبث بالألفاظ واللغة ومعانيها لطمس الحق وإزهاقه ، وتضليل عقول الأمة والتدليس عليها ، وقد كان الشيخ محمود شاعر عالماً باللغة والأدب ، ذوّاقاً لمعاني الشعر ، محباً للاستقصاء والتأمل ؛ لذلك نجده في آرائه يشيد بمن يختار بدقة وإحساس مرهف صادق الألفاظ الصادقة المعبرة عن أقصى وأدق الحقائق ، كما يشيد بمن يحسن التأمل ليحل رموز هذه الألفاظ ، ويكشف عن خباياها ، ويترجم كل إيحاء وإشارة ؛ ليخرج لنا بعد ذلك صورة واضحة فسرت المراد وبينت المغزى من السياق .

وفي الوقت نفسه نجده ينتقد بشدة من لا يحسن التأمل ولا يملك التذوق ، مكتفياً في تحليله للألفاظ بالمعنى الظاهر أو المألوف ليطمس بحيث فعله معاني الألفاظ ، ويفسد بتقصيره اللغة ، وفيما يلي إشارة لآرائه في بعض علماء اللغة .

أولاً : أبو عبيدة معمر بن المثنى النيمي (١١٠-٣١٠هـ) :

ذكر العلامة أبو فهر أن أبا عبيدة جريء مخطئ ؛ لزعمه بزيادة " إذ " في قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٤١٣) .

وعن وصفه لـ " إذ " بالزيادة اكتفى أبو فهر بردّ أبي جعفر الطبري عليه بقوله : " وغير جائز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام " (٤١٤) .

وأعتبر أبو عبيد مخطئ ؛ لأن " إذ " في الآية الكريمة بمعنى " وقت " أي : وقت قول الله للملائكة : " إني جاعل في الأرض خليفة " (٤١٥) .

(٤١٣) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

(٤١٤) ينظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيد معمر بن المثنى النيمي ، عارضه بأصوله وعلق عليه : الدكتور محمد فؤاد سزكين ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ج : ١ ، ص : ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٤١٥) ينظر : البحر المحيط في التفسير ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، تحقيق : صديقي محمد جميل ، بدون طبعة ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ج : ١ ، ص : ٢٢٥ .

وبالطبع لم يقصد أبو فهر وصف أبي عبيدة بذلك بصفة عامة، فلم يذكر قوله هذا إلا عندما وصف

أبو عبيدة الحرف "إذ" في الآية الكريمة بالزائد، والقول بالزيادة قولٌ ينبغي أن يُنَزَّهَ كتاب الله عنه ؛ لأن التَّأدُّبَ مع كتاب الله أمر واجبٌ مفروض ، ينبغي للمرء أن لا يتجاهله .

ثانياً : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٣-٢٥٥هـ) :

تولدت على لسان الجاحظ وغيره من المتكلمين ألفاظٌ جائرة طاعنة في النبوة والقرآن ، مما جعل الشيخ يصفهم بأنهم أصحاب حيل يثيرون على الألفاظ غُباراً ظاهراً يكتُم ما تحته من مغالطات باطنة ، ثم بالمر والحيلة وبالمفاجأة المستعربة ينقلونك من باب الحقائق لِيُدْخِلُوا بك باب المراوغة المتشابكة طرقه ودروبه^(٤١٦) ، وهذا نحو تفسيرهم للفظ: "الإعجاز، التحدي، الآية"، ثم جعلهم "الآية" مرادفة "للمعجزة"، ثم وصفهم للقرآن بالمعجز، وتسميتهم "آيات الأنبياء بالمعجزات"، وقولهم بخلق القرآن.

يعني ذلك أن الجاحظ يُعد من الذين يُبْهَمون معاني الألفاظ بغير دليل ولا برهان إلا الخداع المجرد وإنهال العقول بالحيل في المداخل والمخارج ، والعبث الفاضح بمعاني تلك الألفاظ الذي لا تحققه ولا تتقنه إلا طبائع مفطورة على إلف الجدول والمغالطة ، وحب الظهور على الخصوم ، لا عمل لذكائهم إلا في الحيل التي تخلب العقول ، وتُدَلِّسُ عليها عند النظرة الأولى ، مع ادعائهم تحكيم العقل ، وتظَاهُرِ الشائعة عنهم في زمانهم وبعد زمانهم أنهم ملتزمون بما يلزمهم به العقل وحده ؛ كل ذلك ليقتنعوا من حولهم بأغلاط مفتعلة ظاهرة البطلان والتناقض .

ومع ذلك لا ينكر الشيخ مكانة الجاحظ ، فهو يعترف بذكائه الثاقب ، وعقله المشتعل ، فهو وإن أساء استعمال ذكائه في مجال الفلسفة وعلم الكلام ، إلا أنه كان أول من ألف كتاباً في شأن إعجاز القرآن ، وسماه " الاحتجاج لنظم القرآن " محتجاً على ما ذهب إليه أهل الكلام في قولهم : ب "الصرفة" وأرادوا بذلك أن " العرب والخلائق صرف الله نفوسهم عن معارضة القرآن ، بعد أن تحداهم الرسول بنظمه .. " ، وهذا يعني أن العرب لو خُلِّيَ بينهم وبين معارضة القرآن ، لكانوا قادرين على الإتيان بمثله. وهذا لا شك في أنه يسلب نظم القرآن ، وتأليفه وبيانه كل فضل وفضيلة

(٤١٦) ينظر : مداخل إعجاز القرآن ، لأبي فهر محمود شاکر ، ص : ٥٦ .

(٤١٧) فما كان من البليغ الجاحظ المتذوق إلا أن يؤلف كتابه ليردّ عليهم وقد قيل : " إن من قرأ كتاب الجاحظ في الردّ على الشيعة ، وكتابه في الإخبار وإثبات النبوة ، وكتابه في نظم القرآن ، علّم أن له في الإسلام غناء عظيماً" (٤١٨).

ومما تنبه له الشيخ شاكر هو أن الجاحظ استطاع ببراعته وبيانه أن يضع في كتابه " حجج النبوة" ألفاظاً عظيمة الوقع في النفس بإبهامها واستثارتها ، ونثرها في جمل بارعة الصياغة ، متألقة الألفاظ ، فجاءت مثيرة لكوامن الخواطر ، قريبة الإيحاء بالمعاني البعيدة ، ومن هذه الألفاظ : نظم القرآن ، وبديع تركيبه وغريب تأليفه ، وطبع القرآن ، ومخارج آياته ، وحسن بيانه ، وجمّع المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة ، القرآن كتابنا الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد ، ولو تُحدّي أبغ العرب بأقصر سورةٍ منه لتبيّن في نظامها ومخرجها ولفظها وطبعها أنه عاجز عنه (٤١٩).

ثالثاً : أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٢٩هـ - ٣٩٥هـ) :

قال أبو فهر : " إنه لا يطمئن إلى أقوال ابن فارس اللغوي ، إلا بحجة مؤيدة " ، ورد هذا في تفسيره لـ " خساس " في قول الشاعر عبد الله بن الزبّعي (٤٢٠) :

وَالعَطِيَّاتُ خَسَاسٌ بَيْنَنَا وَسَوَاءٌ رَمَسٌ مُثْرٌ وَمُقَلٌّ

فـ " خساس " عند أبي فهر بمعنى : " حقيرة قليلة لا خطر لها مهما عظمت " ، فالأمر كله إلى الفناء ، ولا شيء غير الفناء ، وهذا هو مذهب ابن الزبّعي ، قبل أن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر.

أما ابن فارس ففسرها بـ " الدول " ، يقال : هذه الأمور خساس بينهم ، أي: دول (٤٢١).

(٤١٧) المرجع نفسه ، ص : ٥٧-٦٣ .

(٤١٨) المرجع السابق ، ص : ٧٠ ، ٧١ . ملاحظة : كتاب " الاحتجاج لنظم القرآن " من الكتب المفقودة .

(٤١٩) ينظر : مداخل إعجاز القرآن ، ص : ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ .

رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج : ٣ ، ص : ٢٢١-٢٨١ ، فصل من صدر كتابه في حجج النبوة .

(٤٢٠) عبد الله بن الزبّعي بن قيس السهمي القرشي ، شاعر قریش في الجاهلية ، أسلم بعد فتح مكة ومدح النبي صلى الله عليه

وسلم فأمر له بحلة . ينظر : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، د: عفيف عبد الرحمن ، رقم الترجمة : ٢٩١ ، ص : ١٩٦ .

وقد حاول أبو فهر ردَّ هذا المعنى إلى ما ذكره فقال : " ولعله مردود إلى المعنى الذي ذكرته ، أعني أن المال مهما عظم فهو حقير قليل الشأن بينهم ، يتداولونه ، لا يمسكونه ولا يحرصون عليه ؛ لأن شأن الدنيا قليل عندهم " (٤٢٢) .

ويبدو أن أبا فهر كان يتردد في النقل عن ابن فارس ؛ لأنه تجاوز في شواهد عصر الاستشهاد ، إذ لم يتوقف عند إبراهيم بن هرمة ، فقد استشهد بأشعار المتأخرين أمثال : مسلم بن الوليد الشهير بصريح الغواني ، وأبي حية الهيثم بن الربيع النميري ، وغيرهما (٤٢٣) .

رابعاً : أبو علي أحمد المرزوقي (..... ، ٤٢١ هـ) :

يعترف شيخنا بمكانة المرزوقي في اللغة ، ويقرُّ بأنه عالم من علماء العربية ، ولكن لا يعتبره عالماً بالشعر (٤٢٤) ؛ وذلك لأن المرزوقي وغيره من القدماء كانت شروحوهم مبنيةً على تفسير ألفاظ اللغة وما يتصل بالنحو ، ولما كان الشيخ شاکر يعتبرُ الاقتصارَ على نصوص اللغة في تفسير الألفاظ يُفسدُ الشعر ، كانت له استدراقاتٌ على المرزوقي في شرحه للشعر ، استنتج بعدها ما يلي :

١ . إن المرزوقي مسيءٌ للشعر ، يطمسُ بإساءته بهاءَ الشعر ، وذلك حينما فسر لفظ " مسبل " بأنها من " إسبال الإزار خيلاءً وتبختراً " وهذا قول الشاعر :

مسبلٌ في الحيِّ ، أحوى ، رفلٌ ، وإذا يعدو فسَمِعَ أزلُّ

والمراد بها في هذا الشعر : الفرس العتيق الذي أسبل ذيله تبختراً – كما ذكر الشيخ شاکر – وهو المعنى الذي يتفق مع السياق .

(٤٢١) ينظر : مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، دار الفكر ، ج : ٢ ، ص : ١٥١ .

(٤٢٢) ينظر : لسان العرب ، مادة : " خسس " . ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٤٢٣) ينظر : مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس الهجري ، تأليف : الأستاذ أحمد فوج الربيعي ، تقديم الأستاذ الدكتور عبده الراجحي ، بدون طبعة ، ٢٠٠١م ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، ص : ١٨٩ .

(٤٢٤) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٥٦ .

ونظراً لقلّة وجود " مسبل " في الشعر الذي وقع بين أيديهم ، وإغفال أصحاب اللغة إيراده في صفات الخيل ، فسرها المرزوقي بما أُلّفه من اللغة دون النَّظَرِ إلى السياق (٤٢٥)

٢. إنه عند اشتداد الخلط والإغراق في الغثاثة واللغو يفرُّ فراراً ولا ينطق بشيء على غير عادته في اللجاجة والإكثار ، وكان ذلك لما فسر " مسبل " بما ورد في اللغة وأراد بعدها أن يفسر " أحوى " و " رفل " على نفس النهج ، رأى أن فعله سيغرقه في الغثاثة واللغو؛ لذا فرَّ من تفسير هذين اللفظين على خلاف عادته في الإكثار (٤٢٦) .

٣. إن حال المرزوقي كحال الذي يذبح اللغة بغير سكين ، وذلك عند اختياره للفظ معنى لا يتناسب مع السياق ، ويكون الذبح في الشعر بأن يفسر اللفظ تفسيراً منفصلاً مستقلاً ، لا علاقة له بما قبله ولا بما بعده ، وإن وُجد هذا التفسير في نصوص اللغة (٤٢٧) .

وذلك لأنَّ الواجب عند تفسير الألفاظ مراجعة النفس واستقصاء التأمل ، والنظر في حسن ملائمة معنى اللفظة لمعاني جاراتها وموانستها لأخواتها ، والتنبؤ لسوء التلاؤم بين المعاني المتلاقية ، والحذر من معنى اللفظة وهي مجردة مفردة من دون النظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها ؛ لأن هذا بالطبع ذبح للسياق وضياغ لفضله ومزاياه .

٤. إن المرزوقي مقصّر في تفسيره للشعر للسبب ذاته ، وقد يدرك فساد المعنى ، ويشعر بالتورط عندما يقتصر على تفسير اللغويين ، وبدلاً من الإعراض عن الخطأ ، وترك ما يفسد السياق من المعاني ، والاجتهاد في البحث عن معنى مناسب يتفق مع السياق ، ينتقل من فساد إلى فساد ؛ ليتخلّص من التورط ، وهذا على نحو ما فعل في تفسيره للفظ "الإبل " في قول الشاعر :

غَيْثٌ مَزْنٌ ، غَامِرٌ حَيْثُ يُجَدِي ، وَإِذَا يَسْطُو ، فليثُ أَيْلُ

(٤٢٥) المرجع نفسه ، ص : ١٥٧-١٥٩ .

(٤٢٦) المرجع السابق ، ص : ١٥٧. وقد تم شرح هذا البيت في تصويبات الشيخ اللغوية . ينظر: ص: ٧٤.

(٤٢٧) المرجع نفسه ، ص : ١٨٢ .

حيث فسر " الأبل " ب " الفاجر " والصواب أن معناها هنا الباطش الذي إذا تناول شيئاً فعَلَقَتْ به يده لم يفلته حتى ينقاد له ، ولم يكتف بتفسيره " الأبل " ب " الفاجر " بل زاد الأمر فساداً فقال معناها : " الفاجر المصمم الماضي على وجهه ، لا يبالي ما يلقي " .

وتفسيره هذا من أقبح الأقوال و أخبثها ؛ لأنه أغرقنا في الإفساد و الإبهام . (٤٢٨)

٥ . إن المرزوقي مسيءٌ للشعر ؛ لأنه يعتمدُ أحياناً على الألفاظ الدائرة الشائعة دون النظر في دلالتها الصحيحة التي نصت عليها كتب اللغة ، وهذا دون شك فسادٌ كبيرٌ في تناول معاني الشعر ، ولا يُعدُّ بياناً عنه ، بل هو طرحٌ غشاوةٌ صفيقةٌ من " الإبهام " وبالتالي أفقد الشعر بهاءه بانتقاص دلالة ألفاظه وإهمالها (٤٢٩) .

وهذا نحو تفسيره للفظ " انجاب " و " حلوا " في قول الشاعر :

وَفُتُوْهُ هَجَرُوا ، ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ ، حَتَّى إِذَا انْجَابَ ، حَلَّوْا

إن قال في شرح البيت : " فلما انكشف الظلام نزلوا " ، والصواب أن " انجياب الظلام " هو ظهور صدع مفتوق في ركام الظلام قبل المشرق ، وهو الضوء الخابي المكفوف من وراء الليل والظلام محيط به من نواحيه ، وفي هذا الوقت يكون الناس نياماً بعد ، لم يفيقوا من الكرى ؛ لذلك استطاع الفتية الإغارة على حيٍّ من أحياء هذيل ، وأخذهم بغتة وهم أكثر منهم عدداً ، وأما " حلوا " فمعناها: أطبقوا عليهم ، وعلى هذا يكون المعنى : حتى إذا انجاب الليل ، أطبقوا على هذيل ، فأخذنا القتل فيهم ، ولا شك أن هذا المعنى هو الصواب الذي يتفق مع السياق (٤٣٠) .

وخلاصة القول : إن المرزوقي لا يتذوق معاني الشعر ، فهو تارة يعتمد على تفسير اللغويين ، فإن شعر بالتورط وفساد القول يحتال ويفرُّ ولا ينطق ، أو ينتقل من فسادٍ إلى فسادٍ ، ويزيد الإبهام

(٤٢٨) ينظر : المرجع نفسه ، ص : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ . تنبيهه: شرح البيت ورد في تصويبات الشيخ ، ينظر: ص: ٧١ ، ٧٢ .

(٤٢٩) ينظر: نمط صعب ونمط مخيف، ص : ٢١٣ .

(٤٣٠) المرجع نفسه ، ص : ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

تنبيهه : قد تم شرح البيت في تصويبات الشيخ . ينظر: ص: ٦٤ ، ٦٥ .

إبهاماً ، وتارة أخرى لا ينظر إلى نصوص اللغة بل يكتفي بالمعنى الشائع الذي ألفه الناس ، وكل ذلك مفسدٌ للشعر ، مضيعٌ لمعانيه .

خامساً : عبد القاهر الجرجاني (..... ٤٧١هـ - ٤٧٤هـ) :

بلغ عبد القاهر الجرجاني أعلى الدُرى في القدرة على كشف إبهام " البلاغة " فوضع أساس "علم تحليل التركيب اللغوي " ، وكان تحليلاً يبين عن درجات البيان الإنساني في جميع لغات البشر ،

وعن سرّ تأثير الكلام المركب من الألفاظ في نفس الإنسان المتذوق لهذا الكلام ، فيهتزُّ لبعضه اهتزاز الأريحيّة ، ويجد له من العذوبة والبشاشة ما يحمله من حفظه وترديده ، وتأمل جماله وروعته^(٤٣١) .

ومن أهمّ الأمور التي هيأته لوضع هذا العلم تمكُّنه من النحو وحُسنُ تذوقه للبيان^(٤٣٢) ، مما جعله يدرك أن الإعجاز يأتي من النظم والترتيب والتأليف والتركيب ، فقال قوله : " ليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه بين معاني الكلم " ^(٤٣٣) .

فكان بذلك أول من تنبه لهذه الحقيقة التي كشفت إبهام البلاغة ؛ نتيجةً لذلك استخرج الشيخ عبد القاهر أصول كتابيه العظيمين " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " ، فانفرد وحده في تاريخ آداب الأمم جميعاً بتأسيس علم لم يسبقه إلى مثله أحد ، ولم يزل ما يتضمَّنُه هذان الكتابان سامياً سامقاً تعي أقلامُ الدارسين والكتّاب عن بلوغ بعض ذراه الشامخة^(٤٣٤) .

(٤٣١) ينظر : مداخل إعجاز القرآن ، ص : ٨٩ ، ١١١ ، ١١٨ .

(٤٣٢) ينظر : المرجع نفسه ، ص : ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٦ .

(٤٣٣) ينظر : دلائل الإعجاز ، للشيخ عبد القاهر الجرجاني ، ص : ٨١ .

(٤٣٤) ينظر : مداخل إعجاز القرآن ، ص : ٩٦ ، ١١٢ .

ويرى العلامة محمود شاكر أن الشيخ عبد القاهر - بعد كشفه للإبهام عن معنى البلاغة ثم عن وجه إعجاز القرآن بما وضع من هذا العلم - نصب إبهاماً آخر حينما قال في القاعدة التي بنى عليها علمه :

.. " كذلك يفضلُ بعضُ الكلامِ على بعضٍ ، ويتقدّمُ منه الشيءُ الشيءَ ثمَّ يزدادُ من فضله ذلك ، ويترقى منزلةً فوق منزلةٍ ، ويعلو مرقباً بعد مرقبٍ ، ويستأنفُ له غايةً بعد غايةٍ ، حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماعُ ، وتُحسّرُ الظنونُ ، وتسقط القوى ، وتستوي الأقدام في العجز " (٤٣٥) .

وعقب الشيخ شاكر بأن كل ما قاله الشيخ عبد القاهر قد أجاد التدليل عليه ، إلا أنه ختم هذه المقالة بدعوى ، لا هو استطاع البرهان عليها ، ولا أحد غيره ممن جاء بعده وهو قوله : " حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماع ، وتُحسّرُ الظنون ، وتسقط القوى وتستوي الأقدام في العجز " .

فبعد القاهر هنا يشير إلى " إعجاز القرآن " ، ولم يحد لنا هذا الحدّ ، ولا من أين يبدأ هذا الافتراق بين الكلام المتفاوت درجةً بعد درجةٍ ، وبين الكلام الذي تنقطع دونه الأطماع ، وتحسّر الظنون وتستوي الأقدام في العجز (٤٣٦) .

ويتوقّع الشيخ شاكر أن هذه العبارات المبهمة هي صفاتٌ ونعوتٌ لما في نفسه من التذوق لهذا القرآن العظيم ، لكن هذا التذوق كان لشيء مبهم لم يطق بيانه (٤٣٧) .

وهذه اللفتة لم تمنع الشيخ محمود شاكر من الإشادة بفضائل الشيخ عبد القاهر الجرجاني وحسن تذوقه ، فقد ذكر أنه كان لغوياً خبيراً بجواهر ألفاظ اللغة ومعانيها ، بصيراً بمذاق ألفاظها مفردة ومركبة ، سميعاً لخفي جرس حروفها ، فذة وملتزمة ، مرفه الحسّ بتمكّنها مذاقاً وجرساً ودلالة على المعاني في مواقعها ومنازلها من الكلام

(٤٣٥) ينظر : دلائل الإعجاز ، للجرجاني ، ص : ٣٤ ، ٣٥ .

(٤٣٦) ينظر : مداخل إعجاز القرآن ، ص : ١١٣ .

(٤٣٧) المرجع نفسه ، ص : ١١٧ .

المركب ، أو بُنِبُو مذاقها وجرسها ودلالاتها على المعنى حيث وقعت في سياق التركيب .

(٤٣٨)

الفصل الثالث

جهود الشيخ محمود شاكر اللغوية

المبحث الأول : اهتمامه بمسائل النحو والصرف.

المبحث الثاني : اهتمامه بمعاني أصوات الحروف.

المبحث الثالث : اهتمامه بإحياء اللغة وأساليبها.

المبحث الرابع : اهتمامه باللغة العالية.

المبحث الأول : اهتمامه بمسائل النحو والصرف

أولاً : نحو المعنى .

ثانياً : الأزمنة (في الأفعال ، والحروف) .

ثالثاً : الصرف (همز ما لا يهمز) .

أولاً : نحو المعنى وما استجاده الشيخ محمود شاكر :

لا شك أن هناك فرقاً بين نحو الصنعة ونحو المعنى ، فالأول يهتم بالأحكام والنظم والقواعد والتعريفات والعامل والإعراب ومشكلاته ، بينما يركز الآخر على المعنى وإدراك العلائق بين أجزاء الكلام والمعاني المدفونة بين الألفاظ بما تُوحيه من توجيهات في سياقاتها المختلفة^(٤٣٩) ، ولقد فطن الشيخ محمود شاكر لهذا بفطرته وسليقته العربية ، فاعتنى بمعاني الحروف ، فكانت له إشارات ذكية وتفسيرات خالف فيها اللغويين ، واستجدات وآراء تفرّد بها ، استنبطها عند مدارسته للشعر ونصوص التراث ؛ لاهتمامه بالمعنى المستفاد من السياق ولشغفه بتدقيق الدلالات الظاهرة والخفية للحرف العربي ، وقد قيل : " إن المشتغلين بالنصوص الشعرية ممن لا يعدون نحاة بطبيعة الحال هم الذين يقدرّون النحو حقّ قدره ؛ وذلك لأنهم هم الذين يعرفون بالتجريب طاقة النحو المبدعة في إضاءة النص وتفسيره " ^(٤٤٠) وهذه الآراء مع تفرّد تارة ، ومخالفتها لآراء أهل اللغة تارة أخرى ، لم تخرج عن نظم النحو وقواعد اللغة ، ولم تنسلخ عنها ، فهي وثيقة الصلة بها ، مستمدة من أصولها ، فلا مجال لبت الصلة بين آراء شيخنا وبين قواعد النحو واللغة ، وإلا كانت آراء لا قيمة لها ولا معنى .

ومن أمثلة الحروف التي اهتم بها الشيخ عند تحقيقه لكتب التراث وقراءته للشعر العربي :

١- حروف النسخ.

٢- حروف الجر .

٢- الظروف .

٤- حروف العطف.

(٤٣٩) ينظر : دراسات في علم اللغة ، للدكتور : كمال محمد بشر ، الطبعة التاسعة ، ١٩٨٦م ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ص: ١٣-١٤ .

(٤٤٠) ينظر : النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، دار الشروق ، القاهرة - مصر ، ص: ٢٨ .

١- حروف النسخ :

• لكن :

يرى الأستاذ أبو فهر أنّ " لكن " أفادت معنى الرثاء والتفجع والحسرة ، وهذا في قول جرير وهو يرثي ابنه سواده :

قالوا: نَصِيْبِكَ مِنْ أَجْرِ فَقَلْتُمْ لَهُمْ : كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ فَارَقْتُمْ أَشْبَالَي؟
فَارَقْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصْرِي وَحِينَ صَرْتُ كَعْظَمِ الرِّمَّةِ الْبَالِي
لَكِنْ سَوَادَةٌ يَجْلُو مَقَلَّتِي لِحْمِ بَارِزِي صَرَصِرٌ فَوْقَ الْمَرْبَأِ الْعَالِي^(٤٤١)

مستشهداً على رأيه المذكور بالأحاديث الآتية :

١- في حديث سعد بن خولة رضي الله عنه ، حين مات بمكة بعد هجرته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أمضي لأصحابي هجرتهم ، ولا تردّهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد بن خوله " ، يرثي له صلى الله عليه وسلم أنه مات بمكة ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره لمن هاجر من مكة أن يعود إليها ، أو يقيم بها أكثر من انقضاء نسكِهِ^(٤٤٢) .

٢- في حديث ابن عمر الذي ذكر فيه بكاء الأنصاريات على أزواجهن بعد أحد ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكن حمزة لا بواكي له " ^(٤٤٣) .

ويبدو أنّ " لكن " في جميع العبارات كانت للاستدراك^(٤٤٤) ، دخلت على عبارات تحسّر ورثاء ، ودخولها هذا لا يعني أنّها جاءت بمعنى " الرثاء والحسرة " ، فهي للاستدراك ،

(٤٤١) " يجلو في مقلتي لحم باز " أي : يجلي بمقلتي باز لحم ، وهنا شبه عينيه بعيني الصقر في صفائها وقسوتها ونفاذها .

والمقلة " : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض . " البازي " : صقر شديد يُصاد به . " لحم " : يشتهي اللحم ويقرم

له . " يصرصر " : صوت مدّ صوته . " المرأى " : منارة عالية للبازي يشرف عليها ليرقب الصيد .

ينظر : لسان العرب ، مادة : " مقل " ، " بزا " ، " لحم " ، " صرصر " ، " ربأ " .

ينظر : ديوان جرير ، تحقيق : حمدو طمّاس ، ص : ٣١٥ .

(٤٤٢) ينظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري ، بدون تحقيق ، بدون طبع ، بدون تاريخ

طبع ، دار صادر ، بيروت ، ج : ٣ ، ص : ٤٨ ، الطبقة الأولى من طبقات البديين من المهاجرين .

(٤٤٣) ينظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج : ٣ ، ص : ٣٨ ، رقم الحديث : ٤٩٨٤ .

ينظر لرأي أبي فهر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٤٥٧ .

ودخولها على هذه العبارات زاد من معنى التَّفَجُّعِ والحَسْرَةِ فَجَعَلَهَا جَدِيرَةً بِأَنْ يُوقَفَ عَلَيْهَا تَحْسُرًا وَتَفَجُّعًا .

ففي البيت الشعريّ يخبرنا جريراً عن حاله حين فراق عياله ، فقد كبر وكفَّ بصره ، وضعفَ جسده ، لكنّه يستدرك ليخبرنا عن حال ابنه سواده الذي شبّه عينيه بعيني الصقر في صفائها ونفاذها وقوتها .

وفي حديث ابن سعد يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بتَمَامِ الهجرة ، ثم يستدرك ، فهذا الدعاء لا يشمل سعد بن خولة ؛ لأنه هُلك بمكة ولم تتم هجرته .

وفي حديث حمزة يبيكين الأنصاريات على أزواجهن لكن حمزة لا بواكي له .

٢- حروف الجر :

• الباء :

كان للشيخ عدّة تفسيرات لـ " الباء " ، وبالطبع اعتمد على المعنى المستفاد من قول الشاعر ،
ومن ذلك :

أ. باء التعديّة :

ففي قول الشاعر :

بِزْنِي الدَّهْرُ ، وَكَانَ غَشُومًا بِأَبِي ، جَارُهُ مَا يُدُلُّ

ليست الباء في " بأبي " زائدة ، وليس الفعل " بزني " بمعنى " فجع " ، ومن ذهب إلى ذلك فكلامه غث أسقط من أن يعتدّ به .

ف " بز " بمعنى سلبه السّلاح ، وهو فعلٌ متعدّدٌ لمفعولين ، والمفعول الثاني قدّر بأنه " أبيا " ، وفي قوله : " بأبي " ، يرى أنّ الجارَ والمجرورَ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ : " فجعني " ، ولم يكن معمولاً للفعل " بز " (٤٤٥) ، وعلى ذلك يكون تقدير الجملة : " بزني الدهر أبيا ، وكان غشوما ، فجعني بأبي جاره ما يُدُلُّ " ، فَحُذِفَ المفعول الثاني لـ " بزني " ، كما حُذِفَ فعلٌ كان ماثلاً في

(٤٤٤) ينظر : الجنى الدّاني في حروف المعاني ، تأليف : الحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة ، الأستاذان

محمد نديم فضل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان ، ص : ٣٧ .

(٤٤٥) ينظر : نمط صعب ، ونمط مخيف ، ص : ١٥٤ ، ١٥٥ .

قرارة نفس الشاعر وهو " فجعني " ، وبقي معموله " بأبي " الذي دلّ هو الآخر على المحذوف الأول .

وبناءً على ما ذكرَ تكونُ " الباء " في قوله : " بأبي " حرفٌ جرٌّ للتعدية^(٤٤٦) ، وليست زائدةً كما يرى بعضُ أهلِ اللغةِ .

ب . باء المصاحبة في قول الشاعر :

ظاعنٌ بالحزم ، حتى إذا ما حلّ ، حلّ الحزم حيثُ يحلُّ^(٤٤٧)

ذكر العلامة أبو فهر أن الباءَ في قوله : " بالحزم " هي باءُ المصاحبة ، أي يصحبه الحزم حيث صارَ أو حلَّ في هذه المفاوزِ المهلكةِ ، وأنَّ هذه " الباء " هي التي في قوله تعالى ﴿ قِيلَ يَنْبُؤُا أَهْبَطْ سِلَاسِمِ مَنَّا وَبَرَكَاتِ عَلَيكَ وَعَلَى أَمْرٍ مَمَّن مَعَكَ ﴾^(٤٤٨) ، أي : اهبط يصحبك سلامٌ من الله وبركات^(٤٤٩) .

وهذه الباءُ لها علامتان : إحداهما أن يحلَّ في موضعها " مع " ، والأخرى أن يُغني عنها وعن مصحوبها الحال ؛ ولصلاحيّة وقوع الحالِ موقعها ، سمّاها كثيرٌ من النحاةِ بَاءَ الحال^(٤٥٠) .

(٤٤٦) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف الإمام ابن هشام الأنصاري ، ومعه كتاب عمدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، تأليف : محي الدين عبد الحميد ، بدون طبعة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ج : ٣ ، ص : ٣٣ .

مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تأليف : الإمام بن هشام الأنصاري ، ج : ٣ ، ص : ٣٣ .
(٤٤٧) "الظعن" : هو الارتحالُ من مكانٍ إقامة ، والسيرُ في البادية طلباً للنَّجعةِ والماء ، أو قصداً للغزو والحرب ، أو أخذاً للحدز عند المخافة والرَّوع ، وأما "الحزم" فهو ضبطُ المرءِ أمورَه والأخذُ فيها بالثقةِ ، والاستظهارُ لوجوهِ الضَّرِّ والمنفعةِ فيها ، والاحترازُ حذراً من فواتِ خيرها أو إطباقِ شرِّها .

ينظر : لسان العرب ، مادة : " ظعن " و " حزم " . ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٨٥ .

(٤٤٨) سورة هود ، آية : ٤٨ .

(٤٤٩) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ١٨٥ .

(٤٥٠) ينظر : البحر المحيط في التفسير ، ج : ٦ ، ص : ١٦٣ .

وينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي ، ص : ٤٠ . مغني اللبيب ، ج : ١ ، ص : ١٢٠ .

وما يُلاحظُ أن " الباء " في قولِ الشاعر : " ظاعن بالحزم " من الممكن أن يحلَّ محلَّها " مع " فيقال: " ظاعنٌ مع الحزم " ، كما يصحُّ أن يُعنيَ عنها وعن مصحوبها الحال ، فيقال : " ظاعنٌ حازماً".

ج . باء المقابلة :

يرى الأستاذ شاكر أن " الباء " في قول الشاعر " ابن أخت تأبط شراً " :

فَلئنَ فَلَئْتُ هُذَيْلُ شَبَاهُ ، لِيَمَّا كَانَ هُذَيْلًا يَفْلُ^(٤٥١)

وِيَمَّا أْبْرَكَهَا فِي مُنَاخٍ جَعَجِعَ ، يَنْقَبُ فِيهِ الْأَظْلُ^(٤٥٢)

وِيَمَّا صَبَّحَهَا فِي ذُرَاهَا ، مِنْهُ ، بَعْدَ الْقَتْلِ نَهْبٌ وَشَلُّ

هي باء المقابلة وال عوض والجزاء والبدال^(٤٥٣) ؛ وقد دُكرَ أن " الباء " تأتي للبدال والمقابلة^(٤٥٤).

والملاحظ على قوله هذا أنه لم يفرِّق بين العوض والبدال ، وهناك فرق في المعنى ، فالعوض ما تعقَّب به الشيء على جهة الثامنة تقول : " هذا الدرهم عوضٌ من خاتمك " ، والبدال ما يُقامُ مقامه ويوقِّعُ موقعه على جهة التعاقب ، دون الثامنة ، نحو : " بدَّلَ نعمته كفرا " ؛ وذلك لأنه أقام الكفرَ مقامَ الشكر ، فلا يقال : عوضه كفرا ؛ لأن معنى الثامنة لا يصح في ذلك ، ويجوز أن

(٤٥١) " فلَّ السيف " : سلم حدَّه وأحدث فيه كسورا . و " الشبا " جمع " شباة " وهي : طرف السيف وحدَّه ، وأتى بالجمع هنا للدلالة على هلاك خاله (الذي قتلته هذيل) ؛ لأن انكسار جميع أطراف السيف وحدوده تتركه حديدة لا تقطع ، وقوله : "لِما كان هذيل يفلُّ " أي : يُكسر من حدَّها بقتل من يقتل من أبنائها وحَمَاتِها ، فلئن نالته اليوم هذيل ، فلطالما نال منها وأتخن فيها.

ينظر : لسان العرب ، مادة : " فلل " ، " شبا " .

(٤٥٢) " المناخ " : المكان الذي تُناخ فيه الإبل وتبرك . و " جعجع " : غليظ خشن ، لحجارتها حدٌّ يجرح ، لا يُطاقُ السيرُ فيه ولا الجنوم . " ينقب فيه الأظْلُ " : " الأظْلُ " من الإنسان باطن أصابع قدميه ، وهو في حُفِّ البعير لحم رقيق لازق بباطن المنسم ، إذا أصابته الحجارة أدمته . و " نقب البعير " : إذا رُقَّ حُفُّه وتخرَّق ودمي أظله ، فيألم .

ينظر : لسان العرب ، مادة : " نوخ " ، " جمع " ، " ظلل " .

(٤٥٣) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٣٥ .

(٤٥٤) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، ص : ٤١ .

مغني اللبيب ، ج : ١ ، ص : ١٢١ .

يقال : العوض هو البديل الذي يُنتَفَعُ به ، وإذا لم يُجْعَلْ على الوجه الذي يُنتَفَعُ به لم يُسَمَّ عوضاً
(٤٥٥)

لذلك نجد شيخنا لم يفرق بين "باء العوض" و"باء البديل"؛ لأنه قصد بالبديل الذي ينتفع به؛ لأن
قتل تأبط شرا (خال الشاعر) كان أمراً يُنتَفَعُ به بالنسبة لقبيلة هذيل؛ حتى يكف عن قتالهم.

• على :

أ. دلالة "على" المصاحبة :

قال الفرزدق لما طلق زوجته النّوّار :

وَلَوْ ضُنَّتْ يَدَايَ بِهَا وَنَفْسِي
لَكَانَ عَلِيٍّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ^(٤٥٦)

في هذا البيت جعل المرزوقي "على" بمعنى اللزوم والوجوب ، إذ يقول : " المعنى : لو مَلَكَتْ
أمري لكان عليّ أن اختار للقدر ، ولم يكن على القدر أن يختار لي " (٤٥٧) .

أمّا شيخنا أبو فهر فمخالفٌ له ، فهو يرى أنّ كلامه مختلٌ في سياقِ الدّامة ؛ لأن الشعر في
رأيه فيه قلب ، وأصله : " لكان لي على القدر الخيار " ، ف"على" عنده للمصاحبة ، بمعنى "مع
" ، و "الخيار" : هو الاسم من الاختيار ، وهو اصطفاء خير الأمور ، فالمعنى عنده كالاتي :
"لو صدقت في ضنّي بها وحرصى عليها وحبّي لها ، لاخترت خير الأمرين ، وهو إمساكها ، مع ما
لا يعلم أحد مما خبأه الله من قدره الغالب على كل شيء " (٤٥٨) .

ويبدو أنّ المراد بقول شيخنا هو : لو صدقت في حبّي لها لاخترت خير الأمرين وهو إمساكها ،
مع عدم علم الخلق بما خبأه الله من قدره الغالب .

(٤٥٥) ينظر : الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، بدون طبعة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، دار
العلم والثقافة ، مدينة نصر - القاهرة ، ص : ٢٣٧ .

(٤٥٦) للبيت رواية أخرى ، دون القلب ، وهي : ولورضيت يداي بها وقرت لكان لها على القدر الخيار . ينظر : ديوان
الفرزدق ، شرح : د . سوزان عكاري ، ص : ٢٠٢ .

(٤٥٧) ينظر : كتاب الأزمنة والأمكنة ، للشيخ أبي علي المرزوقي الأصفهاني ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ،
دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة - مصر ، ج : ١ ، ص : ١٠٥ .

(٤٥٨) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٣١٨ .

فشيخنا – كما يبدو – لم يفسر " على " بما يتفق مع السياق فحسب ، بل مع ما يتفق مع عقيدته ، فليس لأحد أن يختار على الله ، ولا على قدر الله ، مستدلاً على رأيه بقوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٨) (٤٥٩) .

وفي الوقت نفسه لا يريد الأستاذ محمود شاعر أن يجعل الشاعر يتحدث بما يخالف عقيدته ؛ لأن الاختيار على الله وقدره ما هو إلا مذهب اعتزالي باطل .

أما عن ظاهرة القلب الواردة في البيت الشعري ، فهي أمرٌ راجع إلى نفس الشاعر وخواطره ، فالقلب من سنن العرب في الكلام (٤٦٠) ، وفيه يُعكس المطلوب ، ويُنفَضُ المقصود ، وقد يُلجأ إليه للتنبيه إلى أصل الكلام ؛ ليورثه بعد ذلك ملاحظةً ولطفاً (٤٦١) .

ب. مجيء " على " بمعنى " من أجل " :

ورد هذا في قول عوف بن الخرع (٤٦٢) ، وهو يردُّ على لقيط بن زرارته (٤٦٣) :

هَلَّا غَضِبْتَ عَلَيَّ ابْنَ أُمَّكَ مَعْبِدٌ وَالْعَامِرِيُّ يَقُوْدُهُ بَصَفَادٌ (٤٦٤)

(٤٥٩) سورة القصص ، آية : ٦٨ .

(٤٦٠) ينظر : الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تأليف : الإمام أبي الحسين أحمد بن فارس الرازى ، تحقيق : د . عمر فاروق الطباع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، مكتبة المعارف ، بيروت – لبنان ، ص : ٢٠٨ .

(٤٦١) ينظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، تأليف : عبد المتعال الصعيدي ، بدون طبعة ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ، مكتبة الآداب ، القاهرة – مصر ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ج : ١ ، ص : ١٢٣ .

(٤٦٢) ابن الخرع هو : عوف بن عطية بن عمرو الملقب بالخرع ابن عبس التيمي ، من تيم الرباب ، من مضر ، شاعر جاهلي فحل ، أدرك الإسلام ، وعدّه ابن سلام في الطبقة الثامنة من الإسلاميين ، له ديوان شعر صغير ، كانت منه نسخة عند البغدادي صاحب الخزانة . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٥ ، ص : ٩٦ .

(٤٦٣) لقيط بن زرارته الدارمي من تميم ، فارس شاعر جاهلي . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٥ ، ص : ٢٤٤ .

(٤٦٤) " معبد " : أخو لقيط بن زرارته . " العامري " : هو الأحوص بن جعفر العامري ، كان قد أسر " معبداً " وطلب " ألف بغير " ؛ ليفك أسره ، فلم يسلم " لقيط " ، وبقي " معبد " في أسره حتى مات . و " الصفاد " : حبل يوثق به أو قد من جلد يُقيدُ به .

ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١٦٦ . لسان العرب ، مادة : " صفد " .

فقوله : " هلاً غضبت على ابن أمك " ، يعني : هلاً غضبت من أجله ، ف " على " هنا بمعنى "من أجل " (٤٦٥) .

ولم يصرّح العلامة أبو فهر بذكر هذا المعنى عند أهل اللغة أو عدم ذكره ، مكتفياً بقوله : "وهي جيدة في العربية " فقط ، الذي لم يزد عليه ، وكأنه يستدرك على النحاة وأهل اللغة بقوله هذا معنى لـ " على " لم يذكروه (٤٦٦) .

• دلالة اللام :

يذكر شيخنا في قول الشاعر :

تَضَحُّكَ الضَّبْعُ لِقَتْلِي هُذَيْلٍ ، وَتَرَى الذُّبَّ لَهَا يَسْتَهْلُ

أن " اللام " في " لقتلى هذيل " وفي " لها يستهل " هي كاللام الداخلة على التعجب ، كقولك : "عجبت لأمرك ! " أي : أمرك دعاني للعجب ، فكان هؤلاء القتلى هم الذين حملوا الضبع على الضحك ، والذئب على الاستهلال والتطريب ، بالمعنى الأول لهذين اللفظين (٤٦٧) .

ويبدو أن المقصود بهذه اللام هي " لام التعليل الجارة " ، وهي مثل اللام في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (٤٦٨) أي : وإنه من أجل المال لبخيل (٤٦٩) .

• دلالة " من " :

ورد ذكر البيت في : كتاب النقائض ، نقائض جرير والفرزدق ، تأليف : أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري ، تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز سالم ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ج : ١ ، ص : ١٦٧ .

ينظر : خزنة الأدب ، ولب لباب لسان العرب ، تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ج : ٦ ، ص : ٣٦٥ .

(٤٦٥) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١٦٦ .

(٤٦٦) لم تعثر الباحثة على نص يشير إلى مجيء " على " بمعنى " من أجل " غير النص المذكور .

(٤٦٧) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٧٥ .

(٤٦٨) سورة : العاديات ، آية : ٨ .

(٤٦٩) ينظر : مغنى اللبيب ، ج : ١ ، ص : ٢٣٤ . الكشاف ، للزمخشري ، ص : ١٢٢٢ .

في قول الشاعر شبيب بن البرصاء:

وَلَمْ تَكُنْ هِيَ مِمَّا قَضَتْ الْأَرْبَا^(٤٧٠)

أَلَمْ تَكُنْ زَعَمْتَ بِاللَّهِ مُسَلِّمَةً؟

يرى الشيخ أن " من " إذا اتصلت بها " ما " لا تؤدِّي معنى " ربما " ، مخالفاً بذلك آراء النُّحاة^(٤٧١)، الذين يرون أن " من " إذا اتصلت بها " ما " كانت دلالتها مرادفة لـ " ربما " ، فهو يرى أنها تدلُّ على معهودٍ يُكثِرُ المرءُ فعله أو إتيانه ، وهي موضوعةٌ على ذلك بعد حذفٍ طويلٍ من جملةٍ دالةٍ على هذا المعنى .

يقال : قضاؤها أربَ من يُحبُّها لم يكن لها عادةً ، فحلَّفها بالله أن تترك ما كانت عليه لنا من الوصلِ ، ليس أمراً مُستعرباً ولا هو لي بضائر .

والنحاة حينما ذهبوا إلى ذلك استشهدوا بقول أبي حية النُميري^(٤٧٢) :

وإِنَّا لَمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الفَمِ^(٤٧٣)

ومن المعروف أن " رب " يلزم تصديرها^(٤٧٤) فلا تتعلَّق بشيءٍ وليس ذلك لـ " من " ، و " ممَّا " في الأبيات المذكورة متعلِّقة بما قبلها (لم تكن ممَّا قضت الأربا ، إِنَّا لَمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ...) .

ولو أننا حاولنا الأخذ بقولهم في مرادفة " ممَّا " معنى " ربما " في بيت أبي حية النُميري :
"وإِنَّا لَمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَرْبَةً " ، فإننا لا نستطيع الأخذ بقولهم في بيت شبيب : " لم تكن هي ممَّا

(٤٧٠) " ألم تكن زعمت بالله " : المعنى ألم تكن حلقت بالله إنها تاركة ما كانت عليه من المودة والوصل ، فقوله : " مسلمة " من قولهم : "كنت راعي إبل ، فأسلمت عنها " أي : تركت رعيّة الإبل . وقوله : " لم تكن هي ممَّا قضت الأرب " معناه : ولم يكن لها عهد بوصل تقضي فيه حاجة من يصفيتها موثته . و " الأرب " : الحاجة والوطر .

ينظر : لسان العرب ، مادة : " زعم " ، " سلم " ، " أرب " . ينظر : شعراء أمويون ، القسم الثالث ، تحقيق : نوري حمودي

القيسي ، بدون طبقات ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، العراق ، ص : ٢٢٢ .

(٤٧١) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٧٣١ .

(٤٧٢) أبو حية : اسمه الهيثم بن الربيع وينتهي نسبه إلى نمير بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر مجيد متقدّم ، من مخضرمي

الدولتين الأموية والعباسية ، مدح الخلفاء جميعاً ، كان فصيحاً راجزاً . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٨ ، ص : ١٠٣ .

(٤٧٣) ينظر : شعر أبي حية النُميري ، جمع وتحقيق : الدكتور يحيى الجبوري ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م ، منشورات وزارة

الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ص : ١٧٤ .

(٤٧٤) ينظر : مغني اللبيب ، ج : ١ ، ص : ٣٥٢ .

قضت الأربا " ؛ إضافةً إلى ذلك سَبَقُ " ممّا " في هذا البيت بنفي ، ولم تعثر الباحثة على نصٍّ يشير إلى جواز سبق " ربّ " بالنفي ، ولو كانت " ممّا " بمعنى " ربما " لصحَّ أن تنوب " ربما " عنها في حالة الإثبات والنفي ؛ فالظاهر أن " ممّا " لا يصحُّ لها أن تنوبَ عن " ربما " أو ترادفها ، فهي مثلها في التركيب لا المعنى ، يقول سيبويه : " وإن شئت قلت : إني ممّا أفعل ، فتكون " ما " مع " من " بمنزلة كلمة واحدة ، نحو ... ربما ... " (٤٧٥) .

وعلى هذا القول اعتمد بعضُ النحويين وذهبوا إلى ما ذهبوا إليه ، بالرغم أن الأكثرين لا يرون ذلك (٤٧٦) .

والقارئ لنصِّ سيبويه لا يجدُ فيه ما يشير إلى أن " من " إذا اتصلت بها " ما " ستكون بمعنى "ربما " ، فهي مثلها – كما ذكر سابقاً – في التركيب دون المعنى .

ف " ما " إذا اتصلت بـ " من " كانت مثل " ما " المتصلة بـ " ربّ " ، وهي في كلِّ " ما الكافّة " ، التي تدخلُ على الحروف فتكفُّها عن العمل ، وتهيئها للدُّخول على الأفعال (٤٧٧) .

(٤٧٥) ينظر : كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م ، دار الجيل ، بيروت-لبنان ، ج : ٣ ، ص : ١٥٦ .

(٤٧٦) ينظر : خزانة الأدب ولب لسان العرب ، تأليف : عبد القادر بن عمر بن البغدادي ، ج : ١٠ ، ص : ٢١٤ .

النكت في تفسير كتاب سيبويه ، لأبي الحجاج يوسف بن سلمان المعروف بالأعلم الشنتمري ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، منشورات معهد المخطوطات العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ، ج : ٢ ، ص : ٧٨٨ . أمالي ابن الشجري ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي ، تحقيق : الدكتور محمود محمد الطنّاحي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ج : ٢ ، ص : ٥٦٧ .

ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيّان الأندلسي ، تحقيق : الدكتور رجب عثمان محمد ، مراجعة : الدكتور رمضان عبد التّواب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ج : ٤ ، ص : ١٧٢١ . مغني اللبيب ، ج : ١ ، ص : ٣٥٢ .

(٤٧٧) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة : " رب " . الجنى الداني ، للمرادي ، ص : ٣٣٥ . (ما) المزعوم زيادتها ، إعداد : د. هدى متولي إبراهيم السداوي ، بدون طبعة ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ، جامعة الأزهر ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، فرع الزقازيق ، ص : ١٨ .

ومن الملاحظ أيضاً أن " ما الكافّة " تؤثر على العمل لا المعنى ، فلو تأملنا قوله : " وإنا لمّا نضربُ الكبش ضربَةً ... " ، نجد أن الأجود في تفسير " مما " هو الأخذ بقول الشيخ محمود شاكِر ؛ لأن المقام مقام فخر ، لا يناسبه التقليل .

ولو قصدنا " ربّ " الدّالة على التّكثير ، فلا يُستحسن أيضاً أن تكون " مما " هنا بمعنى " ربّ " ؛ لأننا نريد تأكيد الكثرة لا احتمالها ، وليس في " رب " معنى التّأكيد ، ومجيء " إنا " في بداية الشرط الدّالة على التّأكيد ، ثم مجيء " ممّا " التي بمعنى " ربما " التي تفيد الاحتمال ، نوعٌ من المكاذبة والخداع .

٣- الظروف :

• حيث :

قال أبو جعفر الطبري : " حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّفَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ^(٤٧٨) الآية ، يعني : حيث بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه الكتاب ، فقالوا : " آمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالكتاب ، وأقرنا بما في التوراة " ، فذكرهم الله ميثاقه الذي أقروا به على أنفسهم ، وأمرهم بالوفاء به " .

وهنا ينبهنا أبو فهر على أن " حيث " في نص ابن عباس جاءت بمعنى " حين " ^(٤٧٩) ، ولكنه لم يصرّح برأيه في هذه القضية ، ومن المعلوم أن " حيث " تُستعمل للدلالة على المكان ، و" حين " تستعمل ظرفاً للزمان ^(٤٨٠) ، لكن هناك من ذهب إلى جواز مجيء " حيث " موضع " حين " ، وهناك بالطبع من منع ؛ لعدم استناد المجيزين على أدلّة قويّة وحجج مقنعة ^(٤٨١) ، أما أبو فهر فالظاهر

(٤٧٨) سورة المائدة ، آية : ٧ .

(٤٧٩) ينظر : تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ١٠ ، ص : ٩٢ .

(٤٨٠) ينظر : مغني اللبيب ، ج : ١ ، ص : ١٥ .

(٤٨١) ينظر : خزانة الأدب ، ج : ٧ ، ص : ١٩ .

من قوله أنه مخالفٌ لمن منع ، بدأ ذلك من إشارته إلى استعمال " حيث " موضع حين في قول ابن عباس ، وهو ممن يوثق بأقواله ويستشهدُ بها .

ومما يجب التنبيه عليه هو صدق الرواة الذين رووا هذا الحديث عن ابن عباس ، وشهادة علماء الحديث لهم بالثقة والأمانة .

فالمتنى هو ابن إبراهيم الآملي شيخ الطبري ، يروي عنه الطبري كثيراً ، حسن الحافظ ابن كثير إسناداً كان من طريقه (٤٨٢) .

وأبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني ، كاتب الليث بن سعد ، وهو صدوق ثبت في كتابه ، وهو من الطبقة العاشرة ، أخرج له البخاري تعليقاً وأبو داود والترمذي وابن ماجه (٤٨٣) .

ومعاوية بن صالح بن حدير الحضرمي الحمصي قاضي الأندلس ، من الطبقة السابعة ، أخرج له الإمام مسلم والأربعة ، وقد سمع من علي بن أبي طلحة ، وسمع منه أبو صالح كاتب الليث (٤٨٤) .

وعلي بن أبي طلحة هو مولى بني العباس واسم أبيه سالم بن المخارق ، وأصله من الجزيرة ، وانتقل إلى حمص ، وقد روى عن ابن عباس وأكثر من الرواية عنه ولم يلقه ، وإنما روى التفسير عن مجاهد عنه ، ونظراً لمعرفة الوساطة وهو ثقة فإن العلماء لم يعتبروا ذلك قادحاً في روايته عن ابن عباس ؛ لذلك أخرج عنه الإمام البخاري في صحيحه كثيراً تعليقاً من غير أن يذكر الإسناد ، بل يقول : " قال ابن عباس " ، وهو من الطبقة السادسة (٤٨٥) .

(٤٨٢) ينظر : تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ١ ، ص : ١٧٦ .

(٤٨٣) ينظر : تقريب التهذيب ، للحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ج : ١ ، ص : ٤٢٣ .

(٤٨٤) ينظر : تقريب التهذيب ، ج : ٢ ، ص : ٢٥٩ . تهذيب التهذيب للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ، بدون تحقيق ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٧ هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن - الهند ، ج : ١٠ ، ص : ٢٠٩ .

(٤٨٥) ينظر : تهذيب التهذيب ، ج : ٧ ، ص : ٣٣٩ . تقريب التهذيب ، ج : ٢ ، ص : ٣٩ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ج : ٣ ، ص : ١٣٤ .

وقد ذكر الشيخ محمود شاکر وأخوه الشيخ أحمد شاکر وهو من علماء الحديث – بأنهم جميعاً من الثقات ؛ فمن تكلم في " عبد الله بن صالح " ، في بعض حديثه عن الليث ، تكلم فيه بغير حجة ، ومن تكلم في " معاوية بن صالح " ، فقد أخطأ^(٤٨٦) ، وكذلك علي بن أبي طلحة ، فهو ثقة ومعناه ثابت عن ابن عباس ، من وجهٍ صحيح^(٤٨٧) .

ومن هذه الأقوال نستنتج أن " حيث " – وهي ظرف للمكان – تستعمل أحياناً ظرفاً للزمان بمعنى " حين " ، وخاصةً بعد الاستناد على نصٍّ موثوقٍ به .

(٤٨٦) ينظر : تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ١ ، ص : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٤٨٧) المرجع نفسه ، ج : ٢ ، ص : ٥٢٧ .

ولمعرفة صحة الأحاديث المروية عن ابن عباس ينظر : تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة .

ينظر : المرجع نفسه ، ج : ١ ، ص : ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .

• تفسيره " لدى " :

في قول الشاعر عبد الله بن عمر العبلي^(٤٨٨) :

تَقُولُ أَمَامَةً مَا رَأَتْ نَشُوزِي عَنِ الْمَنْزِلِ الْمُنْفَسِ

وَقَلَّةٌ نَوْمِي عَلَى مَضْجَعِي لَدَى هَجْعَةِ الْأَعْيُنِ النَّعْسِ^(٤٨٩)

أُسْتُشْهِدَ بِهَذَا الْبَيْتِ عَلَى مَجِيءِ " لَدَى " ظَرْفًا لِلزَّمَانِ ، وَهُوَ عِنْدَ الشَّيْخِ مَعْنَى لَمْ يَذْكُرْهُ
النَّحَاةُ^(٤٩٠).

ولكن من المعلوم أنّ " لدى " بمنزلة " عند " ، و " عند " ظرفٌ للزَّمانِ والمكان^(٤٩١) ، وعلى هذا
تكون " لدى " ظرفاً للمكان وللزَّمانِ ، وَإِنْ لَمْ يُذْكَرْ عِنْدَ النَّحَاةِ مَجِيئُهَا ظَرْفًا لِلزَّمَانِ .

٤- حروف العطف :

• ثُمَّ :

للعلامة محمود شاكر تفسير لـ " ثُمَّ " انفرد به عن النحاة ، وذلك أثناء تحليله للقصيد
الجاهلية المنسوبة إلى : " ابن أخت تأبط شرّاً " في قوله :

وَفُتُّوْهُجَّرُوا ، ثُمَّ أُسْرُوا لَيْلَهُمْ ، حَتَّى إِذَا انْجَابَ حُلُّوا^(٤٩٢)

(٤٨٨) العبلي هو : عبد الله بن عمر بن عبد الله من بني عبد شمس بن مناف ، أبو عدي الأموي القرشي ، و" العبلي " نسبةٌ إلى جدِّه
له اسمها : "عبلة التميمية " ، وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٤ ،
ص : ١٠٩ .

(٤٨٩) وردت الأبيات في الحماسة البصرية ، ينظر : الحماسة البصرية ، تأليف : صدر الدين علي أبي الفرج بن الحسن البصري
، تحقيق : مختار الدين أحمد ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ج : ١ ، ص
: ٢٦٤ .

ينظر : معجم الشعراء وأروع ما قيل في النساء ، إعداد : مي علوش ، تدقيق وضبط وتصحيح : حجر عاصي ، الطبعة الأولى ،
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، دار المؤلف ، بيروت - لبنان ، ص : ٤٢٧ .

(٤٩٠) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ٤٩٨ .

(٤٩١) ينظر : كتاب سيبويه ، ج : ٤ ، ص : ٢٣٤ . ينظر : شرح المفصل ، تألف : الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي ، بدون
تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ج : ٤ ، ص : ١٠٠ . ينظر : لسان العرب ،
مادة : " عند " ، " لدى " .

ف " ثم " عند الشيخ تحمل معنى الحركة والتتابع ، دون النَّظَرِ إلى الزمن المقيّد ، وهو معنى ظهر كلّ الظهور - على حدّ تعبيره - في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ (١٨) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ ۖ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ (٢٣) فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ (٢٥) ﴾ (٤٩٣)

ومن المعروف أن " ثم " عند النحاة حرفٌ عطفيٌّ للترتيب والتراخي ، بالإضافة إلى معانٍ عديدةٍ أخرى (٤٩٤) ، إلا أن الظاهر من قول شيخنا ، أنه يخالف النحاة في إفادة " ثم " للتراخي ؛ وذلك لأنّ الفتية (أصحاب الشاعر ، وهم من ساندوه في إدراك النَّارِ لخاله من قبيلة هذيل) ، استغرقوا الهاجرة كلّها سيراً ، واستغرقوا الليل كلّهُ سيراً ، وكان السيرُ متواصلاً بلا انقطاعٍ أو توقفٍ ، ولم يكن بين سيرِ الهاجرة وسير الليل أيُّ مهلةٍ أو تراخٍ ، فلم يتوقفوا برهةً من الزمن ، ولم يأخذوا قسطاً من الراحة .

وكذا الأمر في الآية الكريمة ، فهو لا يرى بالتراخي بين الأفعال المذكورة (فكر ، نظر ، عبس ، أدبر ، استكبر) مخالفاً بذلك من رأى بإفادتها الترتيب والتراخي (٤٩٥) .

وقول الشيخ في " ثم " يَحْتِمُ علينا النَّظَرَ إلى معانيها البلاغية التي تتبعها النحاة ، ليتأملوا غاياتها ومراميتها ، فقد ذُكِرَ في الفرق بين " ثم " و " الفاء " :

" ... أن المقام إذا كان يقتضي تقصير المدة الطويلة جئت بالفاء ، ... فإذا كان المقام يقتضي تطويل المدة جئت بـ " ثم " ... " (٤٩٦) .

(٤٩٢) " الهاجرة " : زمن القيظ والتهاب الشمس ، ووقتها في نصف النهار ، قبيل الزوال ، حيث تكون الشمس بحيال الرأس في كبد السماء ، وتمتدُّ إلى أن تميل الشمس ويكون العصر ، والفتية ساروا الهاجرة كلها والليل كله حتى إذا انجاب الظلام ، حلّوا بهذيل ، فأثخنوا القتل فيهم . ينظر : لسان العرب ، مادة : " هجر " .

(٤٩٣) سورة المدثر ، آية : ١٨-٢٥ . ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢١٠ ، ٢١٢ .

(٤٩٤) ينظر : المقتضب ، لأبي العباس محمد المبرد ، ج : ١ ، ص : ١٤٨ . مغني اللبيب ، ج : ١ ، ص : ١٣٥ .

(٤٩٥) ينظر : تفسير الكشاف ، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى ،

١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ص : ١١٥٦ . البحر المحيط ، ج : ١٠ ، ص : ٣٣٠ .

(٤٩٦) ينظر : معاني النحو ، د : فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ، دار الفكر ، عمّان - الأردن ،

المجلد الثالث ، ص : ٢٠٣ .

وبعد الوقوف على جميع الأقوال المذكورة يرجح الجمع بين رأي النحاة و رأي الشيخ ، ف " ثم " تفيّد الترتيب والتراخي ، وتستخدم أيضاً في الأفعال المتتابعة التي لا تراخ بينها ، بشرط تطويل المدّة بين هذه الأفعال .

وبناءً على ذلك يُرجح أنّ الشاعر أتى ب " ثم " لأنّ المقام يقتضي تطويل المدّة ، فإن كان سيرهم متواصلًا ومتتابعًا دون توقّف ، إلا أنهم استغرقوا وقتًا طويلاً أثناء سيرهم في الهاجرة ، واستغرقوا وقتًا طويلاً أثناء سيرهم ليلاً ، وقد أشار الشيخ إلى هذا التطويل أثناء تفسيره لألفاظ البيت الشعريّ فقال " ... وهذا اللفظ " هَجَرُوا " دالٌّ على زمانٍ متطاوّل ولكنه لا يقتضي استغراق هذا الزمان المتطاوّل كله في السير ، فأى جزءٍ من أجزاءه سرت فيه ، فقد " هَجَرْت " ، ولكن الشاعر حين ألقى اللفظ وقطّعه بلا تمييز زمانٍ قصيرٍ أو متطاوّل ، وسكت بعده سكتةً لطيفةً ، أعقبها بقوله : " ثمّ أسروا ليلهم " دلّ هذا الحرف المنبوذ على النغم على الاستغراق التام لزمان الهاجرة ، ولما يأتي بعده من الزمان حتّى يطبق الليل ، بلا توقّفٍ أو انقطاع " (٤٩٧) .

إذن دلّت " ثم " على طول المدّة ، كما دلّت في نفس الوقت على الحركة والتتابع بين الأفعال ، دون أيّ معارضة بين المعنيين .

والحركة والتتابع معنى مستفادٌ من " ثم " ؛ لأنّ الترتيب بالطبع يدلُّ على الحركة سواءً كان هناك تراخٍ بين الأفعال أم لم يكن ، والدليل أن الشيخ لمح معنى الحركة أيضاً من الفاء العاطفة (٤٩٨) ، يقول سيبويه : " ... مررت برجل ثم امرأة ، فالمرور هنا مروران ، وجعلت " ثم " الأول مبدوءاً به وأشركت بينهما في الجر " (٤٩٩) ، فقوله : " مروران " دلّ على تكرار الفعل ، وهذا دالٌّ على الحركة والتتابع .

أما الآية الكريمة المذكورة : " إنه فكرٌ وقدّر ... إلخ " فالمرجح فيها أنّ " ثم " أفادت الترتيب والتراخي ؛ لأنّ التفكير في أمر القرآن لا بدّ أن يستغرق وقتاً من الزمن ، واستحضار الأفكار الشنيعة للطعن في كلام الله أمر يحتاج إلى تأنٍّ ومهلة ، وإفادة " ثم " للتراخي والمهلة لا يتعارض مع إفادتها للحركة ، فوجودها بين الأفعال قدّم صورةً موحيةً بالتتابع ، فالأفعال وإن كان بينهما تمهّل وتراخٍ

(٤٩٧) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢١٠ .

(٤٩٨) سيأتي الحديث فيما بعد عن معنى " الفاء " عند أبي فهر في ص : ١٨٣ .

(٤٩٩) ينظر : كتاب سيبويه ، ج : ١ ، ص : ٤٣٨ .

(فكر وقدّر ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر) إلا أنّها أفعال متتابعة بعضها إثر بعض ، والتي شَبَّهها سيد قطب بالفيلم المتحرّك : " ... لمحة لمحة ، خطرة خطرة ، حركة حركة ، يرسمها التعبير .. كما لو كانت فيلماً متحرّكاً يلتقط المشهد لمحة لمحة " (٥٠٠) .

• دلالة الفاء :

رأى الشيخ محمود شاكر إفادة " الفاء " للحركة ، وأنها أكسبت الغناء التدفق والانحدار ؛ وذلك لأن " الفاء " تُحرّكُ الزَّمنَ في الفعل الماضي وتمدُّه وتمطلُّه ، حتى تبلغُ به أوّل الزَّمنِ في الفعل الذي يليه ، وهو معنى بالطَّبَعِ لم يذكره النحاة ، ذكره شيخنا بعد تذوّقه للآيات الآتية :

وَفُتُوْهُجَرُوا ، ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ ، حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ حُلُومًا

كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ ، كَسْنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ

فَادْرَكْنَا الثَّأْرَ مِنْهُمْ وَمَا يَنْجِ مَلْحِيئِينَ إِلَّا الْأَقْلُ

فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ ، فَلَمْ هَوِّمُوا رُعْتَهُمْ ، فَاشْمَعَلُوا (٥٠١)

فهؤلاء الفتية استمرّ قتالهم حتى أدركوا الثأر ، وقبل أن يتناذرَ بهم الأعداء ، فيتبعوهم للطلب ، فرُّوا إلى البادية ، وكانوا على غررٍ من النجاة ، فبقوا على حالهم هذا حتى غلبهم النعاس (فاحتسوا أنفاس نوم) ، وكانت رؤوسهم تهتزُّ خفصاً ورفعاً من دبيب النعاس وروعة القلب ، وتمطلَّ نعاسهم حتى اشمعلوا بعد الترويع والتخويف (٥٠٢) .

كما لوحظ دلالة " الفاء " على الحركة ومدّ الزَّمنِ وإطالته في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ۗ ﴾ (١١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۗ ﴾ (٢٣) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِجْرٌ يُوْتُرُ ﴿ ٢٤ ﴾ (٥٠٣) .

(٥٠٠) ينظر : في ظلال القرآن ، تأليف : سيد قطب ، الطبعة الجديدة ، دار الشروق ، القاهرة - مصر ، بيروت - لبنان ، المجلد السادس ، ص : ٣٧٥٧ .

(٥٠١) " كلّ ماضٍ قد تردى بـماضٍ " أي : أن كل واحد من الفتية كالحسام القاطع متقلداً سيفه كهيئته الرداء على المنكب والكتف . " لما ينج ملحيين إلا الأقل " : هذه الشذمة القليلة على غرار من النجاة لم تنج بعد . " فاحتسوا " : دبّ النعاس في أوصالهم ومفاصلهم . " هوموا " : اهتزت رؤوسهم خفصاً ورفعاً من النعاس وروعة القلب . " رعتهم " : خوفهم . " اشمعلوا " : خفوا ونشطوا وانطلقوا .

ينظر : لسان العرب ، مادة : " مضي " ، " حسا " ، " هوم " ، " شمعل " .

(٥٠٢) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٢٠ - ص : ٢٢٩ .

(٥٠٣) سورة المدثر ، آية : ١٨-٢٤ .

ف " ثم " أفادت الترتيب مع التراخي والمهلة ، كما أفادت الحركة والتتابع ، و " الفاء " أفادت

الترتيب مع التعقيب كما قال الأوسي في قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾ (٢٤) :

” والفاء للدلالة على أن هذه الكلمة الحمقاء لما خطرت بباله تفوّه بها من غير تَلَعُّمٍ وتَلَبُّثٍ فهي للتعقيب من غير مهلة ”^(٥٠٤) ، وفي نفس الوقت أفادت معنى الحركة ، وحركت الزمن في الفعل الماضي ” استكبر ” حتى بلغَ أَوَّلَ الزمنِ في الفعلِ الذي يليه ” فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ” ، ففعل الاستكبار تمطل حتّى نطق بالكلمة الخبيثة التي خطرت بباله ^(٥٠٥) .

ومن الملاحظ أن مدَّ زمنِ الفعلِ وتمطَّلهُ إلى أن يبلغَ أَوَّلَ الزَّمَنِ في الفعلِ الذي يليه ، وبالتالي يكون الثاني عقيب الأول مباشرة ، هو معنى استوحاه الشيخ من إفادة ” الفاء ” لمعنى التعقيب .

ويُستنتج من تفسير الشيخ لـ ” ثم ” و ” الفاء ” ما يلي :

إنه لا يوجد في لغتنا الشريفة تعارضٌ بين النحاة والبلاغيين ، أو بين ما يقوله الشيخ محمود شاكر ، فالمعاني النحوية الأصيلة تتفرَّعُ عنها معانٍ بلاغيةٌ وثيقة الصلّة بها ، وهذا نحو :

أ. الترتيبُ في ” ثم ” و ” الفاء ” معنىً أصيلاً ، تفرَّعَ عنه معنى الحركة و التتابع ، وهو المعنى الذي استنبطه الشيخ .

ب. المهلة والتراخي في ” ثُمَّ ” تفرَّعَ عنه معنى الاستغراق والتَّطْوِيل .

ج. التعقيبُ في ” الفاء ” أفادَ في تحرُّكِ الزمنِ في الفعلِ ومدَّه ومَطَّلَه إلى أن يبلغَ به أَوَّلَ الزَّمَنِ في الفعل الذي يليه .

(٥٠٤) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف : السيد محمود الألوسي ، بدون تحقيق ، الطبعة

الجديدة ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، دار الفكر - بيروت ، ج : ٢٨ ، ص : ١٥٥-١٥٦ .

(٥٠٥) ينظر : الدرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف : أحمد بن يوسف السمين الحلبي ، تحقيق : د. أحمد محمد الخراط

، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، ج : ١٠ ، ص : ٥٤٤ .

ثانياً : اهتمامه بالأزمنة :

١- أزمنة الفعل :

• تفسيره أزمنة الفعل عند سيبويه :

قال سيبويه : " وأما الفعلُ فأمثلةٌ أُخِذَتْ من لفظِ أحداثِ الأسماءِ ، وبُيِّنَتْ لِمَا مَضَى ، وما يكون ولم يقع ، وهو ما كائنٌ لا ينقطع " (٥٠٦) .

يرى الأستاذ محمود شاكر أن هناك أزمنة كثيرة للفعل ، فليست الأزمنة محصورة في الماضي والمستقبل والحاضر ، فعبارة سيبويه وإن كانت مقتضبة إلا أن لها دلالات كثيرة ، فقوله : " لما مضى " تشير إلى أزمنة كثيرة من الماضي ، الماضي القريب والبعيد ، وكذلك المضارع ما دلّ زمنه على الحال ، مثل : " يكتب " ، وما دلّ على المستقبل نحو : " لما يكتب " وغيرها من الأزمنة التي وردت في ثنايا مطولات النحو والتي بالإمكان استخراجهما ، فسبويه حين حدّد الفعل - كما يرى الأستاذ - جعل له ثلاثة أزمنة :

الزمن الأول : هو المقترن بالفعل الماضي الذي يدلُّ على فعل وقع ، قبل زمن الإخبار به كقولك : " ذهب الرجل " ، ولكن يخرج منه الفعل الذي هو على مثال الماضي أيضاً ، ولكنه لا يدلُّ على وقوع الحدث في الزمن الماضي ، نحو قولك في الدعاء : " غفر الله لك " ، فإنه يدخل في الزمن الثاني.

الزمن الثاني : هو الذي عبر عنه سيبويه بقوله بعد ذلك : " وما يكون ولم يقع " ، وذلك حين تقول أمراً : " اخرج " ، فهو مقترن بزمن مبهم ، مطلق ، معلق ، لا يدلُّ على حاضر ولا مستقبل ؛ لأنه لم يقع بعد خروج ، ولكنه كائن عند نفاذ الخروج من الأمور به . ومثله النهي حين تقول نهياً : " لا تخرج " ، فهو أيضاً في زمن مبهم مطلق معلق ، وإن كان على مثال الفعل المضارع ، فقد سلب الدلالة على الحاضر والمستقبل لأنه لم يقع ، ولكنه كائن بامتناع الذي نهى عن الخروج . ومثله أيضاً في مثال المضارع في قولنا : " قاتل النفس يقتل " ، والزاني المحصن يرجم " فهما مثالان مضارعان ، ولا يدلان على حاضر ولا مستقبل ، وإنما هما خبران عن حكم ، ولم يقع عند الإخبار بهما ، فهما في زمن مبهم مطلق معلق ، وهما كائنان لحدوث القتل من القاتل عند القصص ،

وحدوث الزّنا من الزّاني المحصن عند إنفاذ الرّجم ، ويدخل في هذا الزمن أيضاً نحو قولك : " غفر الله لك " في الدعاء ، وهو على مثال الماضي ، فإنك لا تريد إخباراً عن غفران مضي من الله سبحانه وتعالى ، ولكن تريد غفراناً من الله يكون ، ولكنه لم يقع بعد ، وترجو بالدعاء أن يقع .

الزمن الثالث : وهو الذي عبر عنه سيبويه بقوله : " وما هو كائنٌ لم ينقطع " ، فإنه خبرٌ عن حدّثٍ كائنٍ حين تُخبرُ به ، كقولك : " محمد يضرب ولده " ، فإنه خبرٌ عن ضربٍ كائنٍ حين أُخبرت في الحال ولم ينقطع الضرب بعد مُضيّ الحال إلى الاستقبال ويلحق بهذا الزمن أيضاً مثال الفعل الماضي كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ فهو خبرٌ عن مغفرةٍ كانت ولا أول لها ، وهي كائنة لانقطاع لها ؛ لأنها من صفات الله سبحانه هو الأول والآخر (٥٠٧) .

كما أفادنا الأستاذ العلامة بأن الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد تنبّه لتقصير النحاة في تفسيرهم لأزمنة الفعل (ماضي وحاضر ومستقبل) فقال معلّقاً : " وليس يخفى ضعفُ هذا في جنبه وقصوره عنه " (٥٠٨) ، ولم يزد على قوله هذا شيئاً ؛ كما أفادنا بأن ما قاله هو نصُّ كلام أستاذه أبي علي الفارسي في كتابه الإيضاح (٥٠٩) .

وبالرغم من وضوح عبارة سيبويه ، إلا أنّ النحاة — كما يرى الشيخ — أسقطوا الزمن الثاني كله وهو " الزمن المبهم المطلق المعلق " فلم يذكروا بأي زمنٍ يقتضون فعل الأمر والنهي ، ولم يذكروا اقتران هذا الزمن الثاني بالفعل المضارع ، ولا اقترانه بالفعل الماضي أيضاً في الدعاء ، ولم يذكروا في حدّهم هذا دخول الفعل الماضي في الزمن الثالث زمن الفعل المضارع في الحال والاستقبال (٥١٠) .

وعلى قوله هذا تعليقاتٌ عدّة :

(٥٠٧) ينظر : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، ص : ١٢ ، ١٣ .

(٥٠٨) ينظر : المقتصد ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : الدكتور كاظم المرجان ، بدون طبعة ، ١٩٨٢م ، دار الرشيد ، العراق ، ج : ١ ، ص : ٨٢ .

(٥٠٩) ينظر : الإيضاح ، لأبي علي الحسن أحمد عبد الغفار النحوي ، تحقيق : الدكتور كاظم بحر المرجان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، عالم الكتب ، بيروت — لبنان ، ص : ٧٢ .

(٥١٠) ينظر : رسالة في الطريقة إلى ثقافتنا ، ص : ١١ ، ١٣ .

أولاً : في الزمن المبهم (الزمن الثاني) واقتراجه بالأفعال :

١- الأمر والنهي :

ذكر الأستاذ أن النحاة لم يذكروا بأي زمن يقرن فعل الأمر والنهي ، والنهي عندهم فعل مضارع مسبوقة بأداة نهي جازمة ، دال على الحال أو الاستقبال^(٥١١) .

أما الأمر فقد خُصصَ عند بعضهم للدلالة على الاستقبال^(٥١٢) ، ومنهم من جعل دلالة قاصرة على إفادة الحال أو الاستقبال ، ففي الحال نحو : " اعمل الآن " ، والاستقبال مثل : " اعمل غداً " .^(٥١٣)

وهناك من تحدت عن المعاني التي يخرج إليها فعل الأمر وهي كثيرة منها : " الأمر - النهي - الدعاء - العرض - التحضيض - التمني - الترجي " ، وتبعاً لذلك تختلف دلالة الزمنية حسب السياق الوارد فيه ، وبالطبع وضحت هذه الدلالات ، وهي دلالات يطول ذكرها ولا مجال هنا لبسط الحديث عنها^(٥١٤) .

ولكن مما ينبئ عليه هو أن الدكتور " كمال بدري " الذي قام بتوضيحها ذهب مذهباً قريباً من مذهب الشيخ ، إذ يرى أنه من سبق الحوادث أن يُعتبر زمن فعل الأمر للاستقبال وهو لم يقع بعد ، فالزمن عنده لا يقرن بالحدث إلا بعد وقوع الحدث ، مُستديلاً بقول سيبيويه عن فعل الأمر : " بُني لما لم يقع " ^(٥١٥) .

وبما أننا نطلب تنفيذ الفعل في الأمر بعد زمن التكلم ، وننتظر وقوعه من الأمور به بعد ذلك ، فما يبدو هو دلالة الأمر على الاستقبال ، ولكن هذه الدلالة مبهمَةٌ ؛ وذلك لأنه لم يقع ، ولم يُؤكّد وقوعه ، ولم يتضح لنا المراد من هذا الاستقبال قريباً كان أو بعيداً ، كما أننا لا نجد في الفعل ما

(٥١١) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور تمام حسان ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، عالم الكتب ، القاهرة -

مصر ، ص : ٢٥١

(٥١٢) ينظر : التسهيل ، لابن مالك ، ج : ١ ، ص : ١٧ .

(٥١٣) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، لتمام حسان ، ص : ٢٥١ .

(٥١٤) ينظر لهذه الدلالات في : الزمن في النحو العربي ، للدكتور كمال إبراهيم بدري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ، دار أمية ،

الرياض ، ص : ٢٢٣ .

(٥١٥) ينظر : الزمن في النحو العربي ، لتمام بدري ، ص : ٢٢٢ .

يدلُّ على أنَّ المأمورَ سينفَّذُ الفعلَ أو يقوم به ؛ لذلك كان الأمرُ مُستقبلاً مُبهماً ، وإن اتضح المراد بالاستقبال فذلك من خلال السِّياق ، وليس من الصيغة ، وكذلك الحال في النهي .

٢- المضارع :

مثَّلَ الشيخُ للمضارع المبهم بالفعلين : " يُقتلُ ويُرجمُ " وهما فعلان مبنيان للمجهول ، ولكنه لم يصرِّح بذلك .

والمضارعُ المبنيُّ للمجهول - كما يبدو - لا يقترنُ بزمنٍ إطلاقاً ، فهو عارٍ من الزَّمن ، لا يُعبَّرُ عن حدثٍ واقعٍ في الحال ، فلا يدلُّ على حاضرٍ ولا مستقبلٍ ؛ لأنَّ الزمنَ في هذا الفعل غيرُ مقصودٍ لذاته .

والفعل المضارع المبني للمجهول يأتي بعدة أساليب :

أ- قد يكون حقيقةً ثابتة دائمة ، وذلك نحو قولنا :

" تُسقى الأرضُ بمياه الأمطار ، تستخرجُ المعادن من باطن الأرض " .

ب- قد يكون تعريفاً علمياً أو قاعدةً شرعيةً ، نحو :

" يُرفعُ الفاعلُ ، وينصبُ المفعولُ ، ويجرُّ المضافُ إليه .. " ومثل :

" يُقتلُ القاتلُ ، ويرجمُ الزَّاني المحصن ... " .

ج- وقد يأتي مَثَلٌ ، ومثاله : كما تُدينُ تُدان .

نستنتج من ذلك أن ما دلَّ على حقائق ثابتة ، أو كان تعريفاً علمياً ، أو قاعدةً شرعيةً ، أو إخباراً عن حكم أو حال ، أو مثلاً لا يدلُّ على زمنٍ ؛ لأنَّ الزمنَ فيه غيرُ مقصودٍ لذاته ، وكذلك القوانين الطبيعية أو العلمية المبنية على حقائق ثابتة ، أو ما عبَّرَ به عن عادةٍ أو غريزة ، فالسِّياقُ فيها لا يتطلبُ أن يفيدنا الفعلُ زمناً ، أو يخبرنا عن حدثٍ وقعَ أو يقعُ أو سيقعُ ؛ لأنَّ الفعلَ في هذه الأحوال ملازمٌ للمسندِ إليه ، فكان أشبهُ بالوصف له .

وقد يتجرَّدُ الماضي والمضارع المبني للمعلوم والأمر من الزمن ، ويوضح ذلك السِّياق^(٥١٦) .

(٥١٦) ينظر : تفصيل ذلك (أي الأفعال العاربية من الزمن) . في : الزمن في النحو العربي ، لكمال بدري ، ص : ١٩٤-٢٢٣ .

ومما يجب التنبيه عليه هو أن عدم دلالة هذه الأفعال على الزمن لوحظ من خلال السياق، بخلاف الفعل المضارع المبني للمجهول ، فهو بطبيعته عارٍ من الزمن ، وإن أتى بصيغة المضارع فهو لا يدلُّ على حَدَثٍ قائمٍ في الحال .

٣- الماضي (جملة الدعاء) :

لما رأى العلامة أبو فهر اقترانَ الزمنِ المبهمِ بالفعلِ الماضيِ في الدعاءِ كان مخالفاً لغيره من النحاة ، الذين جعلوا زمنَ الفعلِ في قوله : " غفر الله لك " للاستقبال وإن جاء بصيغة الماضي (٥١٧).

وبما أننا أردنا بعبارة : " غفر الله لك " الدعاء ، ونرجو وقوعَ الفعلِ ومنتظرُهُ ، فما يبدو هو دلالة هذا الفعل على الاستقبال ، ولكنه مستقبلٌ مبهمٌ ؛ إذ لم يؤكد ، ولم يُحدِّدْ زمنَ وقوعه ، ولم يتضح لنا أيُّ زمنٍ يقصده بالتحديد (المستقبل القريب أم البعيد) ؛ لذلك جعلَ زمنُ هذا الفعل مُبهِمًا مُعَلِّقًا ، إلا أن هذا الإبهامَ لا يتعارضُ مع كونه فعلاً دالاً على الاستقبال .

وخلاصة القول في الزمن المبهم :

إنَّ الفعلَ الذي لم يقع ولم يؤكد ويُنتظرُ وقوعه، جعلَ زمنه عند الشيخ زمنًا مبهمًا مُعَلِّقًا ، وكذلك ما لم يقصده فيه الزمن ، جعله مبهمًا مُعَلِّقًا ، ومثَّل له بالفعل المضارع المبني للمجهول .
ثانياً : زمنُ الفعلِ المضارع (الحال والاستقبال) :

١- ذهب الأستاذ العلامة أبو فهر إلى أن زمنَ الفعلِ المضارعِ يدلُّ على الحال والاستقبال ، وهو عند أغلب النحاة دالٌّ على الحال إذا خلا من القرائن (٥١٨) ، ومنهم من نفى دلالة المضارع على الحال وخصَّصه للاستقبال ، حجتهم في ذلك قصرُ زمنِ الحال ؛ لأن الجملة بعد التلَفُّظِ بها تصبح في الزمن الماضي (٥١٩) .

(٥١٧) ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون ، والدكتور عبد العال سالم مكرم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ج : ١ ، ص : ٢٤ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " كون " .

(٥١٨) ينظر : التسهيل ، لابن مالك ، ج : ١ ، ص : ٢١ .

(٥١٩) ينظر : الزمن في النحو العربي ، ص : ١٨٩ . الهمع ، للسيوطي ، ج : ١٠ ، ص : ١٧ .

والمُرَجِّحُ هو الأخذُ بقول أغلب النحاة وهو دلالة صيغة المضارع على الحال ، إذ لا يدلُّ على المستقبل إلا بقريضة (٥٢٠) .

وأما من ذهب إلى دلالة المضارع على الاستقبال فتعليههم لذلك هو استمرار الفعل بعد زمن التَّكَلُّمِ ، وأنَّ جزءاً منه متبقي لا زلنا نترقبه .

وهنا يُردُّ على هؤلاء بأنَّه لا ينكر استمرار الفعل بعد زمن التَّكَلُّمِ ، وفي هذا يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني :

” إذا قلنا : زيدٌ يصلي ، فالمرادُ أنَّه قد حصل منه جزء ، وهو آخذٌ في جزءٍ آخر مُتَّصِلٍ به ، ويتروَقب جزءاً تالياً يليه ” (٥٢١) .

وهنا يُطرح سؤالٌ : لِمَا كان المضارعُ دالاً على الاستقبال لاستمراره بعد زمن التَّكَلُّمِ ، لما لا يكون دالاً على الماضي باعتبار الجزء الذي مضى ؟

فالفعلُ إذن ، دالٌّ على الحالِ مادام الحدثُ في حالِ فعلٍ ، وأجزاء الفعل متصلة ، ومُضِيٌّ جزءٌ منه أمرٌ بديهيٌّ ، واستمرار زمنه بعد زمن التَّكَلُّمِ أمرٌ ينبغي أن لا يوقعنا في الوهم ، فمحالٌ أن ينتهي بعد زمن التَّكَلُّمِ مباشرة ، إذ لا بدَّ من استمرار الفعل بعد زمن التَّكَلُّمِ سواء قصر هذا الاستمرار أم طال ؛ لأننا لا نقصد بفعل الحال فعلاً كائناً وقت زمن التَّكَلُّمِ فحسب ، بل نقصد به فعلاً كائناً ولم ينقطع بعد ؛ لأنه لو انقطع وانتهى أصبح ماضياً ، وهو بهذا المعنى شَمِلَ ” ساعة التَّكَلُّمِ ” وما بعدها .

بخلاف فعل المستقبل فهو حدثٌ منتظرٌ ، وقد وَضَّحَ الشيخُ عبد القاهر الجرجاني الفرق بين المستقبل والحال ، ففي الحال يكون زمن الفعل والإخبار به زمناً واحداً ، وهو الحال ، مثل قولنا : ” زيدٌ يصلي ” فالصلاة موجودةٌ وقت الإخبار بها ، وفي المستقبل زمنُ الفعل غير زمن الإخبار به ،

(٥٢٠) ينظر : المقتضب ، ج : ٢ ، ص : ٢ . التسهيل ، لابن مالك ، ج : ١ ، ص : ٢١ ، ٢٣ . الهمع ، ج : ١ ، ص : ٢٠ .

معاني النحو للسامرائي ، المجلد الثالث ، ص : ٢٨٠ .

(٥٢١) ينظر : المقتصد ، لعبد القاهر الجرجاني ، المجلد الأول ، ص : ٨٣ .

ففي قولنا : " زيدٌ سيصلي " لم تكن الصلاة موجودةً في وقت الإخبار بها ، بل كان حصولها بزمانٍ
ثانٍ (٥٢٢) .

٢- دخول الماضي في الزمن الحاضر المستمر :

الفعل في قوله تعالى (كان الله غفوراً رحيماً) أُلْحِقَ بِالزَّمَنِ الثَّالِثِ (الحال المستمر) ،
وَالصَّوَابُ أَنَّ " كان " في هذا السياق اسْتَوْعِبَتْ جَمِيعَ الْأَزْمَنَةِ ، فقد دَلَّتْ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى
اتِّصَالِ الزَّمَانِ ، أَي : لِلدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ ؛ لِأَنَّ الصِّفَاتَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْآيَةِ (غفور ، رحيم) من صفاتِ
الله الْأَزَلِيَّةِ ، وِصْفَاتُ اللهِ الْأَزَلِيَّةِ لَا بَدَايَةَ لَهَا وَلَا نِهَايَةَ ، وَمَجِيءُ " كان " بِهَذَا الْمَعْنَى دَلٌّ عَلَى
تَوْكِيدِ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ ، الَّتِي لَا تَدْخُلُ فِي نِطَاقِ أَزْمَنَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى تَتَخَرَّجُ جَمِيعُ
الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الْمُقْتَرَنَةِ بِ " كان " .

وأما ما يراه الشيخ محمود شاكر في دخولها في الزمن الثالث الذي عبَّر عنه سيبويه بقوله : " ما
هو كائن لم ينقطع " ففيه نظرٌ :

١- في قولهم عن الزمن الثالث " لم ينقطع " ، معنى هذا أَنَّهُ يَحْتَمَلُ الْانْقِطَاعَ ، وَقَدْ يَكُونُ
الانْقِطَاعُ بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ بِالنِّسْبَةِ لِزَمَنِ الْمُتَكَلِّمِ ، أَوْ بَعْدَ وَقْتٍ طَوِيلٍ ، وَقَدْ يَحْتَمَلُ الْإِتِّصَالَ فَيَكُونُ
مُسْتَمِرّاً مُتَّصِلاً بِالْحَالِ .

فلو كان دخول قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ في هذا الزمن على اعتبار أَنَّهُ كَائِنٌ فِي
الحال مستمرٌّ لا ينقطعُ ، معنى هذا أَنَّهُ لَمْ يَهْتَمَّ بِالْجُزْءِ الَّذِي مَضَى قَبْلَ الْحَالِ . (٥٢٣)

نستنتج ممَّا سبق :

(٥٢٢) نفس المرجع ، ص : ٨٤ .

(٥٢٣) ينظر : لسان العرب ، مادة : " كون " . البحر المحيط ، ج : ٣ ، ص : ٥٠٠ . الإِتِّقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ، لِلإِمَامِ جَلَالِ الدِّينِ

السِّيُوطِيِّ ، بِدُونِ تَحْقِيقٍ ، بِدُونِ طَبْعَةٍ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، دَارُ الْفِكْرِ ، بَيْرُوتَ - لُبْنَانَ ، ج : ١ ، ص : ١٦٩ .

الزَّمَنِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (دَرَسَاتٌ دَلَالِيَّةٌ لِلأَفْعَالِ الْوَارِدَةِ فِيهِ) ، لِلدُّكْتُورِ بَكْرِي عَبْدِ الْكَرِيمِ ، الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ ، ٢٠٠١م ، دَارُ
الْفَجْرِ ، الْقَاهِرَةَ - مِصْرَ ، ص : ٢١٦ .

قَوَاعِدُ فَاتَتِ النَّحَاةَ (قَوَاعِدُ فِي أبحاث) ، لِأَحْمَدِ حَاطُومٍ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، ٢٠٠٥م ، شَرِكَةُ الْمَطْبُوعَاتِ لِلتَّوْزِيعِ وَالنَّشْرِ ،

بَيْرُوتَ - لُبْنَانَ ، ص : ٧١ .

أن المراد بالزمن في تعريف سيبويه ليس زمن الصيغة فحسب ، بل السياق أيضاً له أهميته في تحديد الزمن بالصَّمائِم والقرائن^(٥٢٤) .

وقد أشاد الشيخ محمود شاكر بسببويه وعقليته وشمول عباراته ، فهي جُمْلٌ مُحْكَمَةٌ شديدة الإحكام ، استطاع من خلالها أن يُلِمَّ بجميع الأزمنة ، دون أن يُخِلَّ بشيءٍ منها^(٥٢٥) ، والملاحظ أن شمول عبارات سيبويه تَمَثَّلَ فيما يلي :

أ. قوله في تعريف زمن الأمر : " ما يكون ولم يقع " ، نجد أن جملة " ما يكون " دلت على الاستقبال عامّة ، فشملت المستقبل القريب ، والبعيد ، إذ لم يقل " ما سيكون " أو " ما سوف يكون " .

ب. وقوله عن المضارع : " كائن لم ينقطع " ولم يقل : " لا ينقطع " ، فقوله : " لم ينقطع " أعمُّ وأشمل ، فهي شاملة للمضارع المتَّصل ، والمنقطع سواءً كان الانقطاع بعد زمن التَّكَلُّمِ بوقت قصير أم بوقتٍ طويل .^(٥٢٦)

(٥٢٤) ينظر : الفعل زمانه وأبنيته ، للدكتور : إبراهيم السامرائي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ص : ٢٤ .

اللغة العربية معناها ومبناها ، ص : ٢٤٠ ، ٢٤٢ .

(٥٢٥) ينظر : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، ص : ١٣ .

(٥٢٦) ينظر : لدلالة " لم " شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، بدون طبع ، بدون تاريخ طبع ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة - مصر ، ج : ٤ ، ص : ١٣-١٤ .

الزمن في النحو العربي ، ص : ١٧٥ .

٣- أثر الحروف على زمن الفعل :

• لَمَّا :

في قول الشاعر :

فَادْرَكْنَا الشَّارَ مِنْهُمْ ، وَلَمَّا يَنْجُ مَلْحِينِ إِلَّا الْأَقْلُ

بيّن الشيخ محمود شاكر أنّ الشُّرَاحَ أخطأوا في فهم هذا البيت خطأً أفسد الشعر وأبهمه ، فقد فسّروا لفظ " الحيين " بأنه : " حيّان من هذيل " ، وأنه لم ينج منهما أحد إلا عدد قليل ، وهذا بناءً على ما ذكره أهل اللغة في معنى " الحي " ، فهو عندهم : " الحيُّ من أحياء العرب ، ويقع على بني أب واحد ، كثروا أو قلوا " ، وعلى هذا المعنى اقتصرت كتب اللغة . كما جعلوا " لَمَّا " للنفي المطلق ، أي : " لم ينج منهم أحد إلا القليل " . و" أل " في " الأقل " كانت عندهم للتعريف . (٥٢٧)

وبالطبع لم يوافقهم أبو فهر على رأيهم هذا الذي لا يستقيم مع سياق الشعر ، فكانت له عليهم عدّة استدراقات :

الأول : تفسيره لـ " الحيين " بـ " الصّفين أو الفئتين المتقاتلتين " وهذا المعنى لم يذكر في كتب اللغة ، مع مجيئه في هذا الشعر وفي غيره^(٥٢٨) .

الثاني : توضيحه لمعنى " لَمَّا " و " أل " في قوله : " الأقل " ، وفيهما يقول : " ... الصواب أن الألف واللام في " الأقل " نائبة عن الإضافة إلى " الحيين " وأصله : " إلا أقلّ الحيين عددا " وهم الشردمة القليلة من أصحاب الشاعر ، وبهذا المعنى فسّرتّه ، وهو الذي يستقيم معه الشعر " . (٥٢٩)

" ... وأما " لَمَّا " فينبغي أن يكون حاضراً في الذهن حضوراً واضحاً عند تفسير الشعر ، أنها تدخل على الفعل المضارع فتقلبه ماضياً منقياً مستمراً النفي إلى الحال ، أي إلى وقت التكلّم ، وهو الذي يسمّيه النحاة " حال المتكلم " تقول : " لَمَّا يفعل ذلك " ، أي لم يفعله بعد إلى ساعة التكلّم ، وتتوقع أن يفعله ؛ ومن أجل ذلك لا يجوز أن يعطف عليها الماضي ، فغير جائز أن تقول : " لَمَّا

(٥٢٧) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٢٣ ، ٢٢٤ . لسان العرب ، مادة : " حيا " .

(٥٢٨) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٢٤ .

(٥٢٩) المرجع نفسه ، ص : ٢٢٤ .

يفعل ذلك ثم فعله" ، فهذا تكاذبٌ ومحال ؛ لتقدُّم زمن الفعل الأول على زمن الفعل الثاني ، وإنما يقال : "لما يفعل ذلك ، وقد يفعله" ؛ لتأخر زمان الفعل الثاني على زمان الفعل الأول " .

وبذلك يكون تقدير الجملة : " لم ينج بعد من الحيين الأقل عدداً " ، ويكون معنى البيت على هذا التفسير : " أن هذه الفئة والشرذمة القليلة الظافرة التي قاتلت معه ، وبلغت ما شاءت من النكايّة في هذا الحي من هذيل (وهم الأكثر عدداً) لا تزال على غررٍ من النجاة ، فالنجاة التي تطلبها هذه الشرذمة لم تتم بعد ، والخوف من كرّة هذيل عليهم بكثرتها باق بعد ؛ لذلك لما وقعت هذه الشرذمة على الأرض طلباً للرّاحة ، راعهم وخوفهم من كرّة أعدائهم عليهم ، فانطلقوا مسرعين ناجين لا يلحقهم شيء (٥٣٠) .

ومما يُنبّه عليه هو أن ما ذكره الشيخ في معنى " أل " و " لما " معنى لم يغفله النحاة ، بل ذكروه وتناولوه بالشرح والتفصيل مبرهنيين على أقوالهم بالأدلة من القرآن وفصيح الشعر (٥٣١) .

كما يبدو أن سبب وقوع الشُّرّاح في الخطأ هو وجود " إلا " في البيت الشعري :

فادركنا الشار منهم ، ولما ينج ملحيين إلا الأقل

فظنّوا أنها الاستثنائية ، فمعنى البيت : " لم ينج بعد أقل الحيين عدداً " وهم الشرذمة القليلة من أصحاب الشاعر ، فلما زيدت " إلا " أدّى ذلك إلى الغموض ، إذ غمض عليهم معنى " لما " فظنّوا أن المراد التّقيُّ المطلق ، فأصبح المعنى : " لم ينج منهم أحد إلا القليل " ، كما غمض عليهم معنى " الحيين " فظنّوا أن المقصود به " حيّان من هذيل " وأنه لم ينج منهم أحد إلا عدد قليل .

ويبدو أن " إلا " هنا لها وجهان :

الأول : أن تكون زائدة (٥٣٢) .

(٥٣٠) المرجع السابق ، ص : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٥٣١) ينظر : المغني ، ج : ١ ، ص : ٦٥ . البحر المحيط ، ج : ٢ ، ص : ٢٨٨ . همع الهوامع ، للإمام السيوطي ، ج : ٤ ، ص : ٣١٣ .

الأدوات النحوية في كتب التفسير ، د : محمود أحمد الصّغير ، دار الفكر ، دمشق - سوريا ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠١م ، ص : ١٣٧ .

(٥٣٢) ينظر لمعنى "إلا" : مغني اللبيب ، ج : ١ ، ص : ٨٣ . الكشاف ، للزمخشري ، ص : ٤٠٧ .

الثاني : أن تكون بمعنى " لما " المختصة بالفعل المضارع وزيدت للتوكيد (٥٣٣).

• الواو في قوله : " ولما ينج من الحيين إلا الأقل " :

يقول الشاعر :

فَادْرَكْنَا الثَّأْرَ مِنْهُمْ ، وَلَمَّا يَنْجُ مَلْحِييْنَ إِلَّا الْأَقْلُ

فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ ، فَلَمَّا هَوَّمُوا رُعْتَهُمْ فَاشْمَعَلُوا

فالواو واو استئنافية عند أبي فهر ، والجملة بعدها استئنافية ، كانت حديثَ نفس غنى بها الشاعر ودندن ؛ لأن معنى البيتين معاً " أدركنا الثأر منهم ، فكف الفتية عن القتل ، فانقلبوا يطلبون النجاة قبل أن يتعادى عليهم أعداءهم ، فأسرعوا وأوغلوا في البادية حتى ظنوا أنهم بلغوا مأمناً فحل بهم الكلال والإعياء فلما وقعوا على الأرض طلباً للراحة ، خوفهم وروعهم " (٥٣٤) .

فجملة " لما ينج ملحيين إلا الأقل " الاستئنافية لم تكن إلا حديث نفس ، أسقطت بين : " فادررنا الثأر منهم " وبين " فاحتسوا أنفاس نوم " ؛ ولهذا كانت جملة مخالفة في الزمان عن غيرها ، فزمان الأفعال كلها في الماضي ، وهي جملة دخلت عليها " لما " ؛ لتنفى حدوث الفعل إلى الساعة التي يتكلم فيها المتكلم ، أي الزمن الحاضر أو الحال ، يقول أبو فهر في ذلك :

" زمان الأفعال كلها هو الزمن الماضي منذ قوله : " هَجَرُوا ... أَسْرَوْا .. حَلُّوا .. فادررنا .. فاحتسوا " إلى آخر مقطع الغناء ، فكل ذلك زمن ماضٍ بعيد تقضى وانقطع قبل التغني بالشعر ، فافتحم عليه زمانٌ مخالفٌ في قوله : " ولما ينج " ، فهو يدلُّ على نفي الحدوث إلى زمن التكلم والغناء ، وهو الزمن الحاضر أو الحال ، ومعناه : لم ينج بعد ، إلى هذا الوقت الذي تمَّ فيه النطق والغناء " (٥٣٥) .

(٥٣٣) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة : " إلا " .

معاني القرآن ، للفراء ، ج : ٢ ، ص : ٤٠٠ .

(٥٣٤) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٢٥-٢٢٧ .

(٥٣٥) المرجع نفسه ، ص : ٢١٨ .

وفي هذه الجملة (لما ينج ...) قول :

فالشاعر يخبرنا عن أفعال مضت ولما قال : " لما ينج " ، رجع هنا بذكرياته إلى الزمن الماضي ، ومن غلو إحساسه بالماضي الذي يتغنى به واستحضاره في خياله صار كأنه في الحاضر أو الحال^(٥٣٦) .

وهذا بالطبع ليس بدعا في الشعر أو العربية ، فهناك ما يُسمى بخروج الكلام عن مقتضى الظاهر ومن صورهِ : أن يُعبّر عن الماضي بصيغة الحاضر أو المستقبل قصداً إلى استحضار صورة هذا الأمر في الذهن ورسمه ، وكأنه شاهد الآن ، والأمثلة على ذلك كثيرة^(٥٣٧) .

وشيخنا هنا برأيه هذا يخالف من يرى أن هذه الواو في " ولما ينج .. " وأو عطف أو حال ، إذ قال : "إنما هي واو استئناف كلام جديد منفصل عما قبله " ^(٥٣٨) .

ومن هنا يتضح عدم جواز مجيء الواو للعطف فلو نظرنا إلى قول الشاعر :

فادرَكنا الثَّارَ منهم ، ولما ينج ملحيين إلا الأقل

تجد أن لكل جملة مضمونها المستقل وإن قويت بينهما الصلة ، ؛ لذا لا يصح أن تكون واو عطف .

وفي نفيه مجيء هذه الواو للحال يقول :

" أما أن تكون واو حال فمحال ؛ لأن إدراك الثَّار أمر قد فرغ منه ، وبه انتهت المعركة بين الحيين ، فمحال أن يقال بعد ذلك : " ولم ينج بعد من القتل إلا الأقل " ؛ لأن هذا مؤذن باستمرار المعركة إلى حال التكلُّم بذلك ، وهذا فساد " ^(٥٣٩) .

كما يلاحظ أن هذه الجملة المستأنفة وإن كانت مستقلةً ، فهي موصولة بما قبلها وبما بعدها وصلاً قوياً ، وإن كانت حديثاً نفس دندن بها الشاعر لأفكار دارت في ذهنه ، إلا أن مجيئها في هذا الموضع لم يكن عبثاً .

(٥٣٦) المرجع السابق ، ص : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وينظر : ص : ٢٢١ .

(٥٣٧) ينظر : البلاغة العربية في نشأتها وبعض بحوثها ، د . محمد لطفي عبد التواب ، مذكرة في علم البلاغة ، طبعت في عام ١٩٨٥م ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالمنصورة ، ص : ١٣٠ .

(٥٣٨) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٢٢٥ .

(٥٣٩) المرجع نفسه ، ص : ٢٢٥ .

فالشاعر أخبر بإدراك الثأر في قوله : " فادركنا الثأر منهم " ، ولو سكت عند هذا الحدّ قد يُظنُّ أن هؤلاء الفتية قد بلغوا الأمان ، فكانت الددنة وهيمنة النفس " ولما ينج ملحيين إلا الأقل " ردّاً على هذا الظنّ .

وأما ما ذكر بعد هذه الجملة فكان حدثاً مُترتباً عليها ، إذ روعهم وخوفهم من كربة أعدائهم وحثهم على السير ؛ لأنهم مازالوا على غررٍ من النجاة .

والشاعر لو أخبر بما أخبر من إدراك الثأر فنعاسهم فترويعه وتخويله للفتية الناعسين ولم يذكر ما حدثت به نفسه " ولما ينج ملحيين إلا الأقل " ، لأدى ذلك إلى الغموض ؛ لأنّ العقل يتساءل : لما الترويع والتخويل وهم قد أدركوا الثأر ونجوا؟! لكن هذا الترويع والتخويل والحثّ على الإسراع كان حاجة في نفسه وهو خوفه عليهم ؛ لأنهم مازالوا على غررٍ من النجاة فهم شردمة قليلة ، والخوف عليهم من كربة الأعداء بكثرتهم باقٍ بعد .

من القضايا الصرفية :

• همز ما لا بهمز :

في قول أبي مُسَلِّمة موهوب الكلابي^(٥٤٠) :

تَخَطَّاتُ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ إِلَيْكُمْ **بني مُصَعَبٍ وَاخْتَرْتُ خَيْرَ الْمَجَالِسِ**

يرى الشيخ أن الشاعر في قوله : " تخطأت " أراد " تَخَطَّيْتُ " فهمز ، كما بيّن أن أصحاب المعاجم يقولون : " تخطيت رقاب الناس ، وتخطيت إلى كذا ، ولا يقال : " تخطأت " بالهمز " ، إلا أنه يخالفهم في رأيهم هذا ، فالشيخ محمود شاكر يرى جواز الهمز قياساً على قولهم : " حلات السوق " أي : حليته ، و " رثأت الميت " أي : رثيته .^(٥٤١)

ويُحْتَمَلُ أن صاحب اللسان منع الهمز؛ حتى لا تَلْتَبِسَ " تخطأت " والتي أصلها " تخطيت " من غير همز ب " تَخَطَّاتُ " من " أخطأ وأخطأه وتخطأ " والتي فيها الهمزة أصلٌ من أصول الكلمة . والظاهر أنه يمكن التفريق بينهما من خلال السِّياق ، أما الشيخ – كما يبدو – فقد اعتمد على حجة قوية مُتَمَثِّلَةٌ في استشهاده بالشعر العربيّ الفصيح ، واستخدامه القياس ، وذلك حينما قاس "تخطأت " على " رثأت " ، وقد أشار صاحب اللسان إلى أن " رثأت " لغةٌ في " رثيته " ، وقال : "قالت امرأة من العرب : رثأت زوجي بأبيات ، وهمزت أرادت رثيته " وفي موضع آخر قال : "رثوت الرجل " لغةٌ في " رثأته " ^(٥٤٢) .

ومن المعروف أن العرب اختلفوا في تحقيق الهمزة وتخفيفها وهذا في الكلمات المهموزة ، فمنهم من ينطقها على الأصل ، ومنهم من يُخَفِّفُها ، ومنهم من خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما

(٥٤٠) أبو مُسَلِّمة هو : موهوب بن رشيد بن حيّان بن أبي سليمان بن سمعان أحد بني قريظ بن عبد الله بن بكر بن كلاب.

ينظر : تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المجلد الخامس ، ج : ٩ ، ص : ٢٠٧ .

(٥٤١) ينظر هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ١٢٣ . ينظر : لسان العرب ، مادة: " خطأ " .

(٥٤٢) ينظر : لسان العرب ، مادة : " خطأ " ، " رثأ " ، " رثا " .

ليس بمهموز ، قالوا : لبأت بالحجّ ، وحلأت بالسويق ، ورثأت الميت ، واجتمعت العرب على همز المصائب وأصلها الياء^(٥٤٣) .

وقال صاحب اللسان أيضاً :

” امرأة رثاءة ورثائية : كثيرة الرثاء لبعلمها أو لغيره ممن يُكرّم عندها ، تنوح نياحة ، فمن لم يهمز أخرجه على أصله ، ومن همزه فلأنّ الياء (رثائية) إذا وقعت بعد الألف الساكنة همزت ، وكذلك القول في سقاءة وسقائية وما أشبهها ”^(٥٤٤) .

وعلى هذا يكون رأي الشيخ وتفسيره لقول الشاعر ، والذي نطق (الشاعر) في الوقت نفسه بلغة من لغات العرب ، والنّاطق على لغة من لغات العرب يُؤخذ بلغته ، كما يقول ابن جنّي في حال العربيّ الفصيح إذا انتقل لسانه : ”..إن كان انتقل من لغته إلى لغةٍ أخرى مثلها فصيحةٌ وجب أن يُؤخذ بلغته التي انتقل إليها كما يُؤخذ بها قبل انتقال لسانه إليها ... فإن كانت اللغة التي انتقل إليها فاسدة لم يُؤخذ بها ”^(٥٤٥) .

(٥٤٣) ينظر : المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، تأليف : العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج : ٢ ، ص : ٢٥٢ .

(٥٤٤) ينظر : لسان العرب ، مادة : ” رثا ” .

(٥٤٥) ينظر : الخصائص ، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جنّي ، ج : ١ ، ص : ٤٠١ .

المبحث الثاني : اهتمامه بمعاني أصوات الحروف

- أولاً : مقدمة الشيخ لعلم معاني أصوات الحروف.
ثانياً : التعبير الفطري عن الحاجات الأولية (استخدام الهمزة والألف والهاء).
ثالثاً : احتفاظ العربية بالمعاني الفطرية للحروف.
رابعاً : معاني الحروف الحلقية (العين ، الغين ، الحاء ، الخاء).
خامساً : اجتماع الحروف الحلقية ودلالاتها :
-١ اجتماعها على التضعيف.
-٢ اجتماعها مع حروفٍ أخرى :
(اللهوية ، الشجرية ، الذنقية).

أولاً : مقدمة الشيخ لعلم معاني أصوات الحروف:

حاول الشيخ محمود شاکر أن يقدم لنا سرّاً من أسرار العربية وهو : " علم معاني أصوات الحروف " ، وقبل الحديث عنه بيّن ما يلي :

١- موقف الأوائل من هذا العلم :

لم يجرّدوا له أنظارهم ، ولم يحتفلوا إلا بأطرافه وحدوده ، فلم يغمضوا في قلبه وسره ومعدنه ليستنبطوا منه أسرار المستكنّة تحت ألفاظ العربية^(٥٤٦) .

٢- المراد بقوله : " معاني أصوات الحروف " :

المراد هو : ما يستطيع أن يحتمله صوت الحرف - لا الحرف نفسه - من المعاني النفسية التي يمكن أن تنبضَ بها موجةُ اندفاعه من مخرجه من الحلق أو اللهاة أو الحنك أو الشفتين أو الخياشيم ، وما يتصل بكل هذه من مقومات نعت الحرف المنطوق .^(٥٤٧)

٣- سعة الدلالة لصوت الحرف :

يرى الشيخ أن المعاني النفسية - أو العواطف أو الإحساس - ليست هي كلُّ ما يستطيع أن يحتمله صوت الحرف ، بل يستطيع أن يحتمل أيضاً صوراً عقلية معبرة عن الطبيعة وما فيها من المادة، وما يتصل بذلك من أحداثها أو حركاتها أو أصواتها أو أضوائها أو غير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه إلا بعد طول الممارسة لوعي الطبيعة في فطرة الإنسان ، وبعد مدارسة اللغة ومفرداتها على أصل دقيق من هذا الباب ، والاحتفال في كل ذلك للتدبر والاستقصاء ومداورة اللسان على مخارج الحروف مع حسن التفتن للمعاني الأولية التي يمكن اعتمادها أصلاً لمعنى الصوت في حرفٍ من حروف اللسان العربي^(٥٤٨) .

(٥٤٦) ينظر : جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاکر ، لعادل سليمان جمال ، ج : ٢ ، ص : ٧٠٨ .

(٥٤٧) نفس المرجع .

(٥٤٨) نفس المرجع .

٤- الدافع لكشف هذا السر :

أفادنا الشيخ بأنه جُهدٌ قد بذله قديماً ، حين كانت النفس هادئةً ساكنةً قادرةً على حسن الإصغاء لهواجسِ العاطفةِ والحنانِ الطبيعيةِ ، وقد حاول أن يقيدَ كلَّ خاطرةٍ بقيدٍ لا تنفلتُ من جوامعِهِ ، ولكن الأيامَ شغلته ورمّت به إلى حومةٍ تُطفي بضجيجها على فترةِ النفس واجتماعها على الهدأةِ والهويناءِ والسكونِ ؛ ولهذا قد ذهب أكثرُ ما تلقَّفه من المعاني نهياً ضائعاً بين النسيان والغفلةِ وقلةِ المبالاةِ وطول الإهمال . فلما طلب منه الأستاذ " فؤاد صروف " العودة إلى ما تركه ، أقبل على هذا الفكر القديم ، إذ لم يبق عنده غير القليل ، فأتمَّ منه ما نقص ؛ حتى ينقذ هذه الخواطر من الضياع والبوار ، ورجاءً أن يهتمَّ بها من يحسنُ أن يتصرفَ فيها بقوةٍ ونشاطٍ وتجويدٍ ، ويكون قادراً على مُدارسةِ اللغةِ والوقوفِ على أسرارها ، والتهديي إلى مسالكها وغوامضها^(٥٤٩) .

ولكي يسهلَ على القارئِ استيعاب هذا السرِ قدّم بين الكلامِ فصلاً من القول - على حدّ تعبيره - قاصداً تقريبه إلى من يحتملُه حتى تتضح له أسرارُه وغوامضُه ما أمكن ، موضحاً ما يلي :

أ- الفرق بين الصوت والحرف :

فالصوت هو : نَفْسٌ مَقْدُوفٌ من الجوفِ إلى الحلقِ إلى الفمِ ، يخرج مدفوعاً مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في طريق استطالته أو اندفاعه ما يثنيه أو يقفه أو يردُّه أو ينعكسه ، وإنما يعرض له ذلك من الحلق أو الفم أو الشفتين أو الثنايا والأضراس مع اللسان ، أو في الخيشوم أو في أعلى الحنك ، على اختلافٍ في مواقع النَّفسِ من كلِّ هذه الأعضاء .

فحيث يعرض للنَّفسِ المقذوفِ من الجوفِ ما يقفه أو يقطعُه عن الامتداد والاستطالة والاندفاع ، يسمى هذا المكان : " مقطّعاً " ، إذن لكلِّ مقطعٍ يقطعُ النَّفسَ عن استطالته جرسٌ يتميزُ من جرائِ اختلافِ نوعِ الصَّوتِ حيث ينقطعُ ، فائْتِنَاءُ النَّفسِ على المقطعِ أو وقوفُه أو تردُّه أو ارتدادُه أو انتكاسُه يُحدِثُ من الجرسِ ما نسميه : " الحرف " ^(٥٥٠) .

(٥٤٩) المرجع السابق ، ص : ٧١٠ .

(٥٥٠) ينظر : جمهرة المقالات ، ج : ٢ ، ص : ٧١٠ . تنبيهه : ورد التعريف المذكور عند القدماء ، ينظر : سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح

عثمان بن جني ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل ، أحمد رشدي شحاته عامر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، دار

الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ج : ١ ، ص : ١٩ .

ب- كيفية التعرف على صوت الحرف :

وذلك بنطق الحرف ساكناً لا متحركاً ؛ لأن الحركة نفسها حرفٌ من الحروف ، فالفتحة "ألف" مختلصة ، والضمّة " واو " مختلصة ، والكسرة " ياء " مختلصة ، وكأنها حرفٌ ساكنٌ يمدُّ حرفاً متحركاً ، ولا يبرأً مقطّع الصوت " أي الحرف " من شائبة الاختلاط بمقطع صوتٍ غيره إلا حين يكون ساكناً لا تحفزه الحركة عن مستقرّ انقطاعه ، ولا تميل به إلى الحرف الذي هي بعضه وجزء منه مع اختلاس الصوت وسرّفته وكبّجه عن الوصول إلى مستقرّ انقطاعه هو أيضاً . (٥٥١)

ج- كيفية النطق بالحرف الساكن :

وذلك بأن تأتي بهمزة مكسورة قبل الحرف فنقول مثلاً في الشين ، والجيم ، والفاء ، والزاي ، "إش" ، " إج " ، " إف " ، " إز " (٥٥٢) .

وقد أوتي بالهمزة لأنها صوتٌ يبدأ من الجوف ، ثمّ يعتمد على أسفل الحلق وأقصاه ثم يحفز ما يشاء بعد ذلك من الأصوات .

أما " الهمزة المكسورة " فهي أحقُّ بالإثبات من المفتوحة والمضمومة ؛ وذلك لأن " الفتحة " ، ما هي إلا ألفٌ مختلصة تجدُّ عندها الصوت بريئاً من الضغط والحصر لانفتاح الفم والحلق ، و"الضمّة " واوٌ مختلصة يضمُّ معها معظم الشفتين على شدّة الضغط والحصر ، ويقول الشيخ : " إن كلا هذين إذا مارسته ودارسته وجدته يدخل المؤونة عليك في اعتبار صدّى الحروف عند منقطع الصوت " .

أما " الكسرة " وهي الياء المختلصة المسروقة من أصلها فإنها يقع ما فيها من الضغط والحصر على مجرى الأصوات كلها ، وذلك أنك ترى الأضراس تكاد تنطبق على جنبتي اللسان فتحصره بينها ويجري الصوت ممتدّاً مستطيلاً في الفم كله على يسر ، فكذلك يسهل أن ترمي بها أول

(٥٥١) ينظر : جمهرة المقالات ، ص : ٧١٠ .

(٥٥٢) نفس المرجع ، ص : ٧١١ . تنبيه : ما ذكر ورد عند السابقين ، ينظر : كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي ، الدكتور إبراهيم السامرائي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨ م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ج : ١ ، ص : ٤٧ . سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، ج : ١ ، ص :

الحرف لتحفزه إلى أي مقاطع الصوت شئت ؛ فهي إذن لذلك أولى أن تكون حافز النَّفس لأحداث الصدى الذي يتميز به كل حرف من حروف النطق^(٥٥٣) .

د - ترتيب الحروف :

نظراً لأن مقاطع الصوت متنازعة بين الحلق إلى الشفتين والخيشوم على تدرّج واطراد في منقطع الصوت ومكان اصطدامه أو انفلاته أو تفشيه ، فقد ذكر الشيخ ترتيباً للأصوات على مقتضى تدرّج انقطاعها في أي مكان من آلة النطق التي هي اللسان وما يحيط به ، فرتّبت كآلاتي :

الهمزة ، الألف ، الهاء ، العين ، الحاء ، الغين ، الخاء ، القاف ، الكاف ، الجيم ، الشين ، الياء ، الضاد ، اللام ، النون ، الراء ، الطاء ، الدال ، التاء ، الصاد ، السين ، الزاي ، الطاء ، الذال ، التاء ، الفاء ، الباء ، الميم ، الواو^(٥٥٤) .

يلاحظ أن الشيخ في ترتيبه هذا يسير على نهج القدماء أمثال: "سيبويه"، و"ابن جني"^{٥٥٥}؛ لذكره الألف بين حروف الحلق، مخالفاً بذلك المتأخرين الذين لم يخلطوا بين الهمزة الألف، فالألف عندهم حرفٌ غاري طبقي^{٥٥٦}،

هـ - ترتيبه لمخارج الحروف :

ذكر الشيخ هذه المخارج للحاجة إليها فيما يستقبل من الكلام عن معاني أصوات هذه الحروف ، وهي بالطبع مخارج مذكورة عند أئمة اللغة ، فكانت كآلاتي :

" المخرج الأول " : من أسفل الحلق وأقصاه مع إطلاق الهواء ، وفيه الهمزة والألف ، والهاء .

" المخرج الثاني " : من وسط الحلق مع إطلاق الهواء وفيه : العين والحاء .

" المخرج الثالث " : من أدنى الحلق إلى أن يرتطم الهواء المقذوف بأول الحنك الأعلى وفيه :

الغين ، والحاء .

(٥٥٣) ينظر : جمهرة المقالات ، ص : ٧١١ . ينظر : سر صناعة الإعراب ، ج : ١ ، ص : ٢١ .

(٥٥٤) ينظر : جمهرة المقالات ، ص : ٧١١ - ٧١٢ .

(٥٥٥) ينظر : الكتاب ، سيبويه ، ج : ٤ ، ص : ٤٣١ . سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، ج : ١ ، ص : ٥٩ .

(٥٥٦) ينظر : دراسة الصوت اللغوي ، الدكتور أحمد مختار عمر ، بدون طبعة ، ١٤١١ - ١٩٩١ ، عالم الكتب ، القاهرة - مصر ، ص : ٣٢ .
الأصوات اللغوية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٧ م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة - مصر ، ص : ١١٤ . أصوات اللغة العربية ، عبد الغفار حامد هلال ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦ - ١٩٩٦ م ، مكتبة وهبة ، القاهرة - مصر ، ص : ٧٠ - ٧٤ .

“ المخرج الرابع ” : من طرف اللهاة وأقصى اللسان مما يلي الحلق مرتطماً بالحنك الأعلى بعد ذلك وفيه : القاف .

“ المخرج الخامس ” : من طرف اللهاة وأقصى اللسان مرتطماً بمقدم الفم من الحنك الأعلى وفيه : الكاف .

“ المخرج السادس ” : من وسط اللسان مع تفشي الهواء وضغطه إلى وسط الحنك الأعلى وفيه : الجيم والشين والياء .

“ المخرج السابع ” : من أول حافة اللسان من الجانب الأيسر وحصر الهواء إلى الأضراس التي تلي هذا الجانب وفيه : الضاد .

“ المخرج الثامن ” : من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه ودفع الهواء عن جانبيه محصوراً في الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والنباب والرابعة والثنية وفيه : اللام .

“ المخرج التاسع ” : من طرف اللسان بينه وبين فويق الثنايا العليا وانبعث الهواء إلى الخياشيم وفيه : النون .

“ المخرج العاشر ” : من طرف اللسان بينه وبين فويق الثنايا العليا مع تحرف اللسان وإطلاق الهواء وحصره وترديده في تجويف اللسان وفيه : الراء .

“ المخرج الحادي عشر ” : من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مع ارتطام الهواء بالغار الأعلى من الحنك محصوراً من الإلانة وفيه : الطاء ، والذال ، والتاء .

“ المخرج الثاني عشر ” : من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مع تحرف اللسان وإطلاق الهواء وحصره وترديده والتصفير به في تجويف اللسان إلى الثنايا السفلى وفيه : الصاد ، والسين ، والزاي .

“ المخرج الثالث عشر ” : من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مع إطلاق الهواء في فروج الأسنان إلى اللثة ونبذ أسلة اللسان إلى خارج الثنايا وفيه : الظاء ، والذال ، والتاء .

“ المخرج الرابع عشر ” : من باطن الشفة السفلى مع قذف الهواء إلى الشفة العليا وفيه : الفاء .

“ المخرج الخامس عشر ” : من الشفتين بعد قذف الهواء من الجوف وانطباق الشفتين عليه قبل ندوره وخروجه ، أو خروجه مع استدارة الشفتين وانطباق أكثرهما وفيه : الباء ، والميم ، والواو .

وهناك مخرجان آخران ، ذكرهما الشيخ ، وبهما تتم المخارج سبعة عشر مخرجاً .

“ المخرج السادس عشر ” : هو ملحق بالمخرج الأول والمخرج السادس والمخرج الخامس عشر ، وهو من الجوف إلى أقصى الحلق حيث ينقطع المخرج حتى يتصل بالهواء خارج الفم ، وفيه : الألف ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها .

“ المخرج السابع عشر ” : وهو ملحق بالمخرج التاسع والخامس عشر حيث يستدير الهواء المنبعث في الخياشيم يتردد في دورته فيها وفيه : النون ، والميم الخفيتين الساكنتين في الإخفاء والإدغام بالغنة . (٥٥٧)

فهذان المخرجان ، هما أعراض لحقت أصوات الحروف ، ولم تنشأ منهما حروف منصوبة على اللسان كسائر حروف المعجم التي أُعْتُمِدَت في اللسان العربي . ويذكر الشيخ أنه لو أقام نعت المخارج على الأعراض التي تلحق أصوات الحروف لكثير ما يمكن أن يُعَدَّ من المخارج . كما أن الحروف التي زُعم أنها من مخرج واحد إنما كانت كذلك لتقاربها مع تمام اختلافها ، وإلا لما جاز في العقل أن يشترك في المخرج الواحد أكثر من حرف واحد البتة (٥٥٨) .

ويرى الشيخ أنه لا بدّ من حصر التقسيم الذي مضى في دائرة أضيق إذ قال :

“ فهم يسمون حروف المخارج الثلاثة الأولى ” الحروف الحلقية ” وهي سبعة أحرف .

والرابع والخامس ” الحروف اللهوية ” نسبة إلى اللهاة ، وهي الهناة المعلقة بين الحلق والفم ، وهما حرفان .

والسادس ” الحروف الشجرية ” نسبة إلى الشجر وهو مفرج الفم لانفتاحه وهي ثلاثة أحرف .
والسابع ، وهو مخرج الضاد لم يسم لنا ، وبعضهم يعدها من الحروف الشجرية ، وهو ليس بشيء .

والثامن والتاسع والعاشر ” الحروف الذلقية ” نسبة إلى الذلق وهو طرف اللسان وعليه اعتمادها ، وهي ثلاثة أحرف .

(٥٥٧) سمي هذا المخرج بـ ” الخيشوم ” ، والصوت الذي يخرج من الخيشوم يسمى : ” الحرف المغن ” .

(٥٥٨) ينظر لترتيبه مخارج الحروف : جمهرة المقالات ، ص : ٧١٢-٧١٤ .

والحادي عشر " للحروف النطعية " نسبة إلى نطح الغار الأعلى وهو سقف الحنك ، وهي ثلاثة أحرف .

الثاني عشر " للحروف الأسلية " نسبة إلى أسلة اللسان ، وهي مُسْتَدَقُّه حيث تصفر عليه الحروف وتسمى أيضاً " حروف الصفير " لذلك ، وهي ثلاثة أحرف .

الثالث عشر " الحروف اللثوية " نسبة إلى اللثة حيث يكون تقطع الحرف وهي ثلاثة أحرف .
الرابع عشر والخامس عشر " الحروف الشفوية " لأنها تخرج من الشفتين وهناك يكون مقطع الصوت ، وهي أربعة أحرف . (٥٥٩)

و- قسمة الحروف بالنظر إلى مقطع الصوت والنفس :

تنقسم الحروف بالنظر إلى مقطع الصوت والنفس إلى أقسام كثيرة فمن ذلك قسمتها إلى :

١- المجهور والمهموس :

المجهورة هي : التي أشبعت الاعتماد في مواضعها ، ومُنَع النَّفْسُ أن يجري حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت .

والمهموسة هي : ما ضعف الاعتماد في مواضعها حتى جرى معه النفس ، وهي عشرة أحرف :
الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والصاد ، والتاء ، والسين ، والتاء ، والفاء ، وسائر حروف المعجم بعد ذلك مجهورة .

٢- الشدّة والرّخاوة :

الشدّة هي : أن يمنع الحرف الصوت أن يجري فيه فلا تستطيع أن تمدّه معه ، والحروف الشديدة ثمانية هي : " الهمزة ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والباء " .
الرّخاوة هي : أن يُجرى الصوتُ الحرفَ ، مثال قولنا : " القَسُّ " فالصوت يجري مع السين كما تشاء ، وبين هذين (بين الرخوة والشديدة) حروفٌ ثمانية وهي : الألف ، والعين ، والياء ، واللام ، والنون ، والرّاء ، والميم ، والواو .

فهذه يجري الصوت معها على تَعَسُّفٍ أو مسامحة قليلة ، وسائر الحروف العربية – باستثناء الحروف المذكورة والتي سُمِّيت – هي رخوة .

٣- الإطباق والانفتاح :

الحروف المطبقة هي : التي ترفعُ معها ظهرَ اللسانِ إلى غارِ الحَنَكِ الأعلى مطبقاً به على الهواءِ ، وهي أربعةُ أحرفٍ ، الضاد ، والطاء ، والظاء ، والصاد ، وسائرُ الحروفِ منفتحٌ ، ولولا هذا الإطباقُ لخرجت الضادُ من العربية ، ولانقلبت الطاءُ دالاً والصادُ سيناً والظاءُ ذالاً .

٤- الاستعلاء والانخفاض :

الاستعلاء هو : أن يعلُو الصوتُ فيرتطم بالحنكِ الأعلى ، فالحروفُ المستعليةُ سبعة : الخاء ، والغين ، والقاف ، والضاد ، والصاد ، والطاء ، والظاء ، وسائر الحروفِ منخفضة ، ومما يلاحظ أن مع الاستعلاء الحروفُ المطبقة المذكورة سابقاً .

٥- حروف الصَّفير :

وهي الصاد والسين والزاي ، وباقي الحروف العربية لا تصْفِرُ .

وبعد هذا التوضيح ، يرجو الشيخ أن يكون قد بلغ بعض الغاية في تقريب صوت الحروف لمن يريد أن يُحقِّقَ معه حين يشرعُ في الكلام عن دراسة معاني الأصوات المقترنة بالحروف أو التي تجري معها في النَّفسِ أو المقاطع^(٥٦٠) .

ثانياً : التعبير الفطري عن الحاجات الأولية (استخدام الهمزة والألف والهاء) :

بعد ذكر المقدمة ، بدأ الشيخ الحديث عن " معاني أصوات الحروف " ، موضحاً لنا كيفية استخدام الإنسان لأصوات هذه الحروف بطبيعته للتعبير عن حاجاته وعن أشياء في نفسه أحسَّ بها

(٥٦٠) ينظر : جمهرة المقالات ، ج : ٢ ، ص : ٧١٥ ، ٧١٦ .

ينظر لمخارج الحروف وتقسيمها: كتاب العين ، للخليل ، ج : ١ ، ص : ٥١ . الكتاب ، لسيبويه ، ج : ٤ ، ص : ٤٣٣-٤٣٦

سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، ج : ١ ، ص : ٦٠-٧٦ .

أو عزم عليها ، فقد يكون محاكياً أو مقلداً أو منبهاً أو مصوراً أو مقرباً للمعنى الذي يريده بالجرس الصوتي المفرد الذي يتبادر إليه فيحاوله ويعالجه ويتهجم عليه .

فكان أول ما بدأ به الحروف الحلقية ، متتبعاً في ذلك مدارج الأصوات من أقصى الحلق ، مؤلفاً بين الأصوات المشتركة الصدى ، المتقاربة المقاطع والمخارج .

والحروف الحلقية التي ذُكرت ، هي حروف المخارج الثلاثة الأولى ، وهي سبعة على الترتيب : الهمزة ، الألف ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، الخاء .^(٥٦١)

بعد ذلك أشار إلى بعض الحاجات التي تدفع الإنسان إلى التعبير عنها ، وهي النداء والتعجب والتأوه والأنين والإشارة والتنبيه .

وللشيخ تعليقات استخرجها من واقع الأصوات ، فبيّن أنّ النداء يعتمد على رفع الصوت وبالتالي يعتمد على أصوات الحلق المقذوفة من الجوف مطلقة في الهواء ؛ لتبلغ بالصوت أقصى ما يُطبقه تدافع الهواء الذي يجعله ؛ ومن هنا عيّنت الهمزة للنداء ، وكذلك الإشارة والتنبيه يتطلبان من المشير والمنبه إرسال الصوت خارجاً من الحلق إلى حيث يلاقي الهواء المقابل لغم الإنسان ؛ ولذلك جعلت الهاء للتنبيه والإشارة .

ومن هنا يستنتج الشيخ محمود شاكر فكرته ، إذ رأى أن كل حرف لو تأملنا صداه المقرون به -على المعاني الأولى - وجدنا أنّ لصدى الحروف معاني من النفس أو من المحاكاة أو من التمثيل للحركة أو الصوت المسموع أو غير ذلك^(٥٦٢) .

وذلك لأن اللغة العربية من أدق اللغات احتفاظاً بالمعاني الفطرية للحروف ، ومن أكثر اللغات احتفاظاً بحركة الإنسان الأول في الإشارة إلى المعاني ، وذلك حين يريد أن يقرن الصوت بحركة دالة على معنى من الإشارة يفهم به المتكلم المخاطب ما يريد أن ينبّهه إليه أو أن يحمله على فهمه^(٥٦٣) .

(٥٦١) ينظر : جمهرة المقالات ، ج : ٢ ، ص : ٧١٧ .

(٥٦٢) المرجع نفسه ، ص : ٧١٨ .

(٥٦٣) المرجع نفسه ، ص : ٧١٨ .

وبعد أن ذكر الشيخُ الحروفَ الأولىَّ (وهي الحلقية) والحاجاتِ الأولية التي تدفع الإنسان إلى التعبير ، ثمَّ موافقةَ العربيةَ للفطرة واحتفاظِها بالمعاني الفطرية للحروف ، شرع في التفصيل ، مبتدئاً حديثه عن الهمزة والهاء والألف ، وهي أولى الحروف الحلقية ، إذ قال عن طبيعتها :

” الهمزة والهاء والألف : هي الحروف الحلقية المطلقة التي تُصَوِّتُ حين تلاقي الهواء ولا يقف في سبيلها ، وما تَرْتَطِمُ به من الثنايا أو الأضراسِ أو الشفة ، ولا يعمل معها اللسان عملاً في تكوين صداها أو جرسها ” .

وهو هنا يذكر طبيعة هذه الأصوات ولم يفرِّق في هذا المقام بين الهمزة والألف – على حدِّ تعبيره – بالرغم من أن الألف في أصل معناها تخالف الهمزة من وجوه كثيرة ، فهو يرى أن المقام ليس موضع بيان الفروق بينهما . (٥٦٤)

ويعلِّلُ بأن طبيعة هذا الصوت الحلقى المغسول (الهمزة) – الذي لا يحتاج النطق به إلى تمرينٍ أو دربةٍ على حركة بعينها مرة بعد مرة – اقتضت أن يكون أقرب الحروف إلى النداء ، والتعجب ، والاستفهام ، والإشارة ، والتنبيه ، والأمر ، والتحذير ؛ وذلك لأن هذه المعاني كلها ليست إلا أقرب الحوافز التي تحفِّز الإنسان الفطري إلى إرادة التعبير لفرط حاجته إلى كلِّ منها بضرورة الطبع ؛ لما يلاقيه مما يصدمه ويتذمَّر عليه من تصارييف الحياة وتخاليف الأحوال التي تُثْقِلُ عليه فتدفعه إلى نداء مَنْ يستعينه من أبٍ أو ولدٍ أو أخٍ ... إلخ ، أو تحمله على الاستغاثة بالإشارة ، أو الإغاثة بالتنبيه والتحذير .

ثم لما يتجدد عليه مما يستخرج عجبه ، أو ما ينصبُّ عليه مما يستغلق ويستبهم ، فيجيله إلى طلب الاستفهام أو الاستنكار ، ولا شك في أن ذلك هو أول ما يبداً الحي على الأرض وما يتنازعه من الضرورة ، كما لا يُشكُّ في أن أوَّلَ مطاوع له من الصوت هو ما يُصَوِّتُ من الجوف والحلق ، دون ما يكون تصويته من قِبَل اللسان والفم والشفة مما هو لا يطيعُ إلا بالتمرين والدُّرْبَةِ .

ولما كان من أوَّلِ ضرورة الحياة الفطرية أيضاً أن يلاقي الإنسان من الهول ما يفزعه ويخيفه ، وما يتعرَّضُ له من الجرح والكدم في صراع غيره من الإنسان والحيوان ، وما يجدُّ بعد ذلك من الألم والشدة ، ثمَّ ما يحمله عليه الألم المُمِضُ من التآؤهُ والأنين والغَيْظُ والحَنَقُ ، ثمَّ ما هو من دواعي الفطرة الإنسانية القائمة على الغرائز الاجتماعية كالذي يجده إذا توحدَّ وانفرد من الحنين والحيرة

والوجد، لما كان كلُّ ذلك وما إليه مما يتصل به ، كان أيضاً من ضرورة الحافز الذي يستوفزه^(٥٦٥) ويرتفع به إلى إرادة التعبير ، أن ينحو به إلى أول ما يُطَاوَعُ من الأصواتِ وَيَتَلَيَّن وَيَخْفُ ولا يحتاج إلى المداورة والتمرين .^(٥٦٦)

ثالثاً : كيفية احتفاظ العربية بالمعاني الفطرية للحروف :

فيما سبق تحدثنا عن الاستخدام الفطري للهمزة والألف والهاء على وجه العموم ، وهنا نبين استخدام العربية لهذه الحروف ومُحَافَظَتَها على المعاني الفطرية لها ، وقد مثَّل الشيخ لهذا ببعض الأمثلة منها :

(١) في النداء والتنبيه والإشارة :

يرى الشيخ أن الرجل إذا خاف أو فزع أو رغب أن ينادي أو أن يشير – وهو ناقص الآلة اللغوية – فأول ما يبدأ به أن يقذف الصوت مغسولاً من الحلق بأقصى ما يستطيع ، والهمزة الممدودة هي الصدى الصوتي الذي يراد به التنبيه والإشارة والنداء ، والعربية استخدمت الهمزة للتعبير عن هذه المعاني، وبذلك احتفظت بالمعاني الفطرية لها ، ففي النداء يقال : " أمحمد " ويراد به : " يا محمد " .

وفي تفشِّي الحرف " يا " في النداء بعد ذلك يعلل الشيخ لذلك بأن " الياء " تسهيلٌ لمجرى الهمزة وتليينٌ لها ، وأن " الياء " أصلها من حروف الحلق ، ثم صارت حرفاً من الحروف الشجرية " التي في مفرج الفم كالجيم والشين لأسباب أتت بعد خروج اللغة من الطور الأول ، فهو يرى أن " الياء " أقرب إلى الحروف الحلقية منها إلى الحروف الشجرية ، ويدلل على ذلك بقوله : " فانطق "اء" ، و"ياء" تجد صدق ذلك" .^(٥٦٧)

(٢) في الاستفهام والتعجب والتفضيل :

(٥٦٥) هكذا ذكرها أبو فهر ، ويُحتمل أن المراد بها " يستفزه " من " الفزز " أي : يستخفه ؛ فيكون المعنى : " الحافز الذي يستخف الإنسان ويرتفع به إلى إرادة التعبير ... إلخ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " فزز " .

(٥٦٦) ينظر : جمهرة المقالات ، ج : ٢ ، ص : ٧٢٦ ، ٧٢٧ .

(٥٦٧) المرجع نفسه ، ص : ٧١٩ .

استخدمت الهمزة للاستفهام كقولهم : " أنت " ، وهي حرف للتعجب من طريق الاستفهام ، وقد احتفظت العربية بها في وجوه كثيرة أخرى كالتفضيل والتعجب نحو قولنا : " ما أحسنه ! " ، و" هو أكرم من فلان " .

فما يذهب إليه شيخنا هو أن إثبات الهمزة والإتيان بها في هذه الأبواب مأخوذ من الأصل الذي أقيم عليه معنى الحرف من فطرة الإنسان ، فكأنهم أرادوا - بالبدء - إظهار المعنى الذي يتحملة صدى الصوت من الاستفهام والتعجب ، والتفضيل فرع من التعجب من الشيء والاستكبار له .^(٥٦٨) ومما نلاحظه في حياتنا أننا قد نستخدم الهمزة بمفردها أو الهاء لهذا الغرض ، فإذا أردنا مثلاً أن ننادي شخصاً لا يتحدث العربية ، أو أردنا تَنبِيهه ، فإننا سَنَسْتَحْدِمُ الهاء أو الهمزة لهذا الغرض ، وسيفهم نوعاً ما مردانا .

ولو أراد هذا الشخص التعجب من أمر ما ، فإنه سيستخدم الحروف المذكورة ، فيقول مثلاً : " أوه " ، وكذلك الأمر في التوجع والأنين والاستغاثة ، وسيفهم كل واحد مراد الآخر .

ولرأي الشيخ وجاهته وقيمته في هذه القضية واستخدام هذه الحروف للمعاني المذكورة ، واحتفاظ العربية بالمعاني الفطرية لها ، أما قوله بأنّ الياء استخدمت في النداء لأن أصلها من حروف الحلق وهي تسهيل لمجرى الهمزة وتليين لها ، فلا يُنكِرُ عليه ، فللشيخ فكره ورأيه ، وبصيرته النافذة ، التي استنبطت جوهر المعاني المطموسة في ظواهر الحروف والتي في نفس الوقت عجزنا أن نقف على أسرارها ونهتدي إلى مسالكها وغوامضها ، ولكن مما عرف عند أهل اللغة ما يلي :

١- إنّ الياء والواو والألف ، يقال لها : الأحرف الجوف ، وكان الخليل يسميها الحروف الضعيفة الهوائية ، وسميت جوفاً ؛ لأنه لا أحياء لها ، فننسب إلى أحيائها كسائر الحروف التي لها أحياء ، إنما تخرج من هواء الجوف ، فسميت مرة جوفاً ومرة هوائية ، وسميت ضعيفة ؛ لانتقالها من حال إلى حال عند التصرف باعتلال .^(٥٦٩)

(٥٦٨) المرجع السابق .

(٥٦٩) ينظر : كتاب العين ، ج : ١ ، ص : ٥٢-٥٧-٥٩ .

لسان العرب ، لابن منظور ، باب الواو والياء من المعتل .

٢- يُطلق على الواو والياء مصطلح: " أنصاف الحركات " وهذا المصطلح يطلق على تلك الأصوات التي تبدأ أعضاء النطق بها من منطقة حركة من الحركات، ولكنها تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة إلى مكان حركة أخرى ، ففي الواو تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الضمة ، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى ، وتضم الشفتان ، ويسد الطريق إلى الأنف برفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان . أما الياء فتتخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق نوع من الكسرة ، تاركةً هذا الوضع إلى حركة أخرى بسرعة ملحوظة ويتجه أوسط اللسان نحو وسط الحنك ، وتنفرج الشفتان ويسد الطريق إلى الأنف ، وتتذبذب الأوتار الصوتية (٥٧٠) .

وفي تسهيل الهمزة قيل : إن تسهيل الهمزة المتحركة بأن يُنطقَ بها لا محققة ، ولا حرف لين خالص ، بل بين بين (أي بينها وبين حرف حركتها) ، أي بين الهمزة والواو إن كانت مضمومة ، وبينها وبين الألف إن كانت مفتوحة ، وبينها وبين الياء إن كانت مكسورة (٥٧١) .

٣- في نطقنا لصوت " الياء " يرتفع وسط اللسان إلى أعلى دون أن يلتقي بالغار أو يلامسه ، وتتخذ الشفتان الوضع الذي تتخذانه عند النطق بالكسرة . وفي نطقنا لصوت " الواو " يرتفع مؤخر اللسان حتى يكاد يلامس الطبق ؛ ولذا فهو صوت قصي طبقي ، وهو يشبه الضمة في استدارة الشفتين وفي المخرج ولذا فهو شبه حركة ، ويختلف الواو عن الضمة في أن مجرى النطق معه أضيّق من مجراه مع الضمة (٥٧٢) .

يلاحظ مما سبق أن الهواء حال النطق بالياء والواو يمتدّ خلال مجراه ويستمر ، لا يقطعه شيء ولا يمنع استمراره أي عارض ، فينطق بهما من غير أن يرتطم اللسان بأي عائق من الثنايا أو الأضراس أو الشفة .

هذه الحروف (الهمزة والألف والهاء) - نظراً لطبيعتها التي بينها الشيخ بقوله : "إنها مقذوفة من الجوف مطلقة في الهواء ، لا يقف في سبيلها ما ترتطم به " - استخدمت للتعبير عن الحاجات الأولية التي يحتاج الإنسان إلى التعبير عنها .

(٥٧٠) علم اللغة العام الأصوات ، للدكتور : كمال محمد بشر ، الطبعة السابعة ، ٢٠٠٣ م ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ص : ١٣٢ .

(٥٧١) الأصوات اللغوية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، ص : ٩٠ .

(٥٧٢) علم اللغة المبرمج ، الأصوات والنظام الصوتي مطبقاً على اللغة العربية ، الدكتور كمال إبراهيم بدري ، الناشر : عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ص : ١٢٠ ، ١٢١ .

كذلك الياء ، لما كان نطقها يتم دون أن يلامس اللسان أيّ عضو من أعضاء النطق الأخرى ، استخدمت أيضاً لهذا المعنى (النداء) ، فكانت مشاركة للهمزة في ذلك ، سواءً أكانت الياء من الحروف الحلقية أم الشجرية ، كانت تسهياً للهمزة وتلييناً لها أم لم تكن .

وقد عدّها النحاة أمّا لباب النداء ، فقد دخلت في جميع أبوابه ، وانفردت بباب الاستغاثة وشاركت " وا " في باب الندبة وهي لنداء البعيد مسافة أو حكماً ، وقد يُنادى بها القريب توكيداً أمّا " الهمزة " فهي لنداء القريب .^(٥٧٣)

ولو نظرنا إلى حرف " الواو " نجد أنّ العربية استعملت هذا الحرف في بعض المعاني المذكورة ، فاستخدمت مثلاً " وا " للنداء ، وخصته لباب الندبة ، فلا ينادى بها إلا المندوب ، نحو : "وازيدها، وأرأساه " وما الندبة إلا نداء المتفجع عليه ، والمتوجع منه ، كما ذهب بعض النحاة إلى جواز النداء بـ " وا " لغير المندوب ، فيقال : وا زيد أقبل .

كما تأتي " وا " اسم فعل ، بمعنى التعجب والاستحسان ، وكذلك " وي " فهي اسم فعل بمعنى "أعجب " ، كما تأتي أيضاً للتنبيه على الزجر ، ومعناها : تنبه وا زجر عن فعلك ، كـ " ها " التي معناها التنبيه على الحض ، وهي تقال للرجوع عن المكروه والمحذور^(٥٧٤) .
وأيضاً " واه " تقال عند التعجب من طيب الشيء^(٥٧٥) .

وبعد استخدام العربية لـ " وا " و " وي " لهذه المعاني (النداء ، والندبة ، والتعجب ، والتنبيه) ، يُطرح سؤال :

هل كانت الواو من الحروف الحلقية عندما استخدمت لهذه المعاني !؟

بالطبع عند النطق بهذه الحروف (الهمزة ، والألف ، والهاء ، والياء ، والواو) لا يرتطم اللسان بأي عضو من أعضاء النطق ولا يلامسه ؛ لذا لا يحتاج الإنسان في نطقها إلى دربة وتمارين ، فكان ضرورة الحياة الفطرية الأولى اقتضت استخدام الأصوات اللينة السهلة التي لا تحتاج إلى مداورة

(٥٧٣) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي ، ص : ٣٥٤ .

(٥٧٤) المرجع نفسه ، ص : ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٥٧٥) ينظر : مختار الصحاح ، للشيخ محمد بن أبي بكر الرازي ، طبعة مدققة كامل التشكيل ومميزة المراحل ، إخراج : دائرة المعاجم ، في مكتبة لبنان ، بدون طبعة ، ٢٠٠٤م ، مكتبة لبنان ، بيروت - لبنان ، مادة : " ووه " .

وتمرين اللسان للنطق بها لتعبر عن الحاجات الأولية التي يضطر الإنسان للتعبير عنها .

٣ . استخدام العرب الهمزة في نداء غير العاقل :

قال أهل اللغة في معنى " آء " : إنها حكاية لصوت زجر الإبل^(٥٧٦) ، والعلامة محمود شاكر خالفهم في ذلك ، فهو يرى أن " الهمزة " هي الصوت المغسول الأول ، الذي يحمل معنى الإشارة والتنبيه ، وهي من الأصوات التي تستخدم في الجيش للنداء والإيقاظ والتنبيه والتوجع والإشارة^(٥٧٧) .

وهو في رأيه هذا رجع إلى المعنى الفطري الذي يحمله الصوت ، وهو الإشارة والتنبيه ، إلا أنه قد خُصص عند أهل اللغة فيما بعد لزجر الإبل لما أرادوا تنبيهه ، كما جعلوا "البأبء" لزجر السنور (في بعض معانيه) ، وجعلوا " تَأْتَأُ وَتَأْتَأُ " لدُعَاءِ التَّيْسِ ، و "جَأْجَأٌ " أمرٌ للإبل بورود الماء ، و "حَأْحَأٌ " لدعاء الكبش ، وقيل لدعاء الحمار إلى الماء ، وقيل : دعاء للتيس ، وقالوا : رَأْرَأٌ بالغنم رَأْرَأَةً ، إذا دعاها فقال لها : " أَرَأْرُ " و " سَأْسَأُ " و "شَأْشَأُ" لزجر الحمار ، وكذلك " هَأْهَأُ " ، فهي أيضاً دعاء للإبل إلى العلف ، وهو زجر للكلب^(٥٧٨) .

والملاحظ في جميع هذه الأصوات اشتمالها على " الهمزة " ؛ فكأنهم حافظوا على المعاني الفطرية لصوت الحرف ، بالرغم من تخصيصهم لهذه الأصوات .

وقد استخدمت العرب أصواتاً أخرى خاطبوا بها غير العاقل ، كقولهم في دعاء الضأن "حاحا" والمعز " غاغا " ، وفي زجر البغل " عَدَسٌ " ^(٥٧٩) وقولهم : " نخ " وهو صوت يُصَوِّتُ به للبهائم إذا قصدوا إناختها^(٥٨٠) .

ويبدو أن هذه الأصوات التي نطقتها العرب وخاطبت بها غير العاقل تنطبق عليها القاعدة التي قررها الشيخ حينما قال : " إذا أنت أردت كلَّ حرف بما يتجلى من صده المقرون به — على المعاني

(٥٧٦) ينظر : لسان العرب ، باب الهمزة فصل الهمزة .

(٥٧٧) ينظر : جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر ، ج : ٢ ، ص : ٧٢٣ .

(٥٧٨) ينظر : لسان العرب ، باب الهمزة ، فصل : الباء ، والتاء ، والحاء ، والراء ، والسين ، والشين ، وفصل الهاء .

(٥٧٩) ينظر : أوضح المسالك ، لابن هشام الأنصاري ، ج : ٤ ، ص : ٨٣ .

(٥٨٠) الكَنَاشُ في فني النحو والصرف ، للملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء ، الشهير بصاحب حماة ، تحقيق : الدكتور رياض خوام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، المكتبة العصرية ، صيدا — بيروت ، ج : ١ ، ص : ٢٧٩ .

الأولى – استطعت أن تقرّر لصدى الحروف معاني من النفس أو من المحاكاة أو من التمثيل للحركة أو الصوت المسموع أو غير ذلك” (٥٨١).

٤- ورود " الهاء " للدلالة على التنبيه والإشارة :

جرت سنة العرب على إبدال الهمزة هاء والهاء همزة لتقاربهما في المخرج و الدلالة ، ففي لغات بعض العرب يقولون في الاستفهام في " أزيد " : " هزيد ؟ " وكذلك وقعت " الهاء " في الاستفهام " هل " و " هلا " ، ومن أمثلة الإبدال أيضاً قولهم في " أراق " : " هراق " ، وفي " لأنك " : " لهنك " (٥٨٢).

ولكن مما نبه إليه شيخنا هو أن أكثر موردها كان على التنبيه والدلالة والإشارة ، إذ وقعت في " هذا " و " هؤلاء " و " هو " و " هي " ، كما يرى أن هذين الحرفين الأخيرين – وإن عدّهما النحاة من الضمائر وأجروا عليهما أحكاماً – أصل معناهما للإشارة ، واستشهد على ذلك بقول المفسرين في قول الله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَكُلُوهُ هَيْسًا مَرِيئًا ﴾ (٥٨٣) : "إنّ الضمير في " منه " جار مجرى اسم الإشارة ، كأنه قيل : " عن شيء من ذلك " (٥٨٤) . وما ذكر الشيخ هذا المثال إلا ليبين لنا أن "الهاء" هي بالفطرة للإشارة – على حد تعبيره – ثم استقرت الضمائر بعد ذلك وجرى حكمها في النحو العربيّ مجرى غير الذي جرى عليه حكم الإشارة (٥٨٥) .

ومن المعروف عند أهل اللغة أن " هاء " تفيد التنبيه ، نحو : " هذا " و " هذه " و " هؤلاء " ، و " ذا " و " ذه " و " أولاء " للإشارة . أمّا " هو " و " هي " فقد عدّها النحاة ضمائر للغيبة .

والناظر إلى اللغة يجد أن " الهاء " في العربية احتفظت بمعانيها الفطرية في عدّة مواضع ، فقد استُخدمت للإشارة في قولنا : " هنا " ، فهي إشارة إلى موضع كما استخدمت للتنبيه والإشارة والاستفهام والتعجب والدعاء والنداء ، وكذلك للجواب في قولنا : " ها " لمن ينادي ، وتكون

(٥٨١) ينظر : جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر ، ج : ٢ ، ص : ٧١٨ .

(٥٨٢) نسب هذا الإبدال إلى قبيلة طيء والقبائل المجاورة لها . ينظر : سر صناعة الإعراب ، لابن جنبي ، ج : ٢ ، ص : ٢٠٣ . الأصوات اللغوية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، ص : ٩٨ . في أصوات العربية ، دراسة تطبيقية ، تأليف : مجدي إبراهيم محمد إبراهيم ، تصدير : الدكتور طاهر سليمان حمودة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ - ٢٠٠١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة - مصر ، ص : ٧١ .

(٥٨٣) سورة النساء ، آية : ٤ .

(٥٨٤) ينظر : البحر المحيط ، ج : ٣ ، ص : ٥١٢ ، والكشاف ، ص : ٢١٨ .

(٥٨٥) ينظر : جمهرة مقالات محمود شاكر ، ج : ٢ ، ص : ٧٢٠ .

للتلبيبة^(٥٨٦)؛ وجميعها – كما يبدو – معانٍ فطرية وحاجات أولية ، عبّر بـ " الهاء " عنها ؛ لتتفق (بعد ذلك) هذه المعاني مع طبيعة صوت الحرف.

٥ . معنى الإشارة في الضمائر :

يرى الشيخُ معنى الإشارة في الضمائر ففي " أنا " إشارة إلى المتكلم نفسه ، وفي الضمير " أنت " إشارة إلى من يخاطبه ، وهذا يعني أنّ له في هذه الضمائر نظرةً متميزةً تكاد تكون فريدةً ، فالضمير "أنا " إبانة عن " أن " المدغم في الخياشيمٍ مقترناً بإشارة المتكلم إلى نفسه بيده ، ثم تُركت الإشارة وعُمدَ إلى فتح النون عوضاً عن الإشارة ، وفي الضمير " أنت " كان عبارةً عن " أن " مقترناً بحركة يد المخاطب في صدرٍ مخاطبه ، فاستُغنيَ عن هذه الحركة بتمثيلها ، أي : تمثيل صوت اليد وهو يقرع الصدرَ في رفقٍ بأخف الحروف النطعية التي يرتطم فيها الصوت بالحنك الأعلى محصوراً باللسان ، فقليل : " أنت " ^(٥٨٧) .

وهو بفكره هذا يكشف عن سرّ استخدام العربي لهذا الضمير (أنا) ، فيجعل "أن" صوتاً مدغماً في الخياشيم ، والألف والنون المفتوحة عوضاً عن إشارة المتكلم إلى نفسه .

أما " أنت " فيرى أنّ " التاء " لم تأت من فراغ ، فالتاء من الحروف النطعية التي يرتطم فيها الصوت بالحنك الأعلى محصوراً باللسان ، فلما كانت هذه طبيعة الحرف ، كان من دلالاته الصوتية معنى الارتطام والقرع ، وبالتالي كانت " التاء " في " أنت " معبرةً عن حركة اليد وهي تقرع صدرَ المُخاطبِ . ^(٥٨٨)

ويبدو أنّ الشيخ في نظره هذه الفلسفية يسيرُ على نهج ابن جني في إيجاد العلاقة بين طبيعة الصوت والحدّث المعبر عنه ، وذلك في ما سمّاه بـ (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني) ، ومن الأمثلة التي ذكرها ابن جني في هذا الجانب الفعل " بحث " إذ يقول : "إن الباء لغلظها تشبه

(٥٨٦) ينظر : لسان العرب ، باب الألف اللينة " ها ، هاء ، هنا ، هيا .. " . ملحوظة : يلاحظ في " هو " و " هي " معنى الإشارة ، ولكن إشارة معنوية لأننا نشير إلى غائب وغائبة .

(٥٨٧) ينظر : جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر ، ج : ٢ ، ص : ٧٢١ .

(٥٨٨) كأنه يشير إلى " أن " بأنه صوت منطوق بالفطرة ؛ لم يجتهد الإنسان في تعلّمه ، ولم يتمرن على نطقه ، ولهذا استخدم للتعبير عن معنى فطري وحاجة أولية ، وهي " الإشارة " .

بصوتها خفقة الكفّ على الأرض ، والحاء لصحلها (أي البحة في الصوت) تُشْبِهُ مخالِبَ الأسدِ
وَبَرَائِنِ الدُّيِّبِ ونحوها إذا غارت في الأرض ، والثاء للنفث ، والبعث للتراب ، وهذا أمر تراه
محسوساً محصلاً...” (٥٨٩)

رابعاً : معاني الحروف الحلقية (العين ، والحاء ، والغين ، والخاء) :

بعد أن تحدّث الشيخ عن الدلالة الصوتية للهزمة والألف والهاء وإفادتها معنى الإشارة والتنبيه وما إلى ذلك من استفهام وتعجب وما يتفرّع منه ، انتقل إلى الحديث عن الدلالة الصوتية لبقية حروف الحلق وهي : (العين ، والحاء ، والغين ، والخاء) فأخبرنا بأن هذه الحروف لا تصلح للاستفهام والتعجب وما إليه ؛ لأنها في الحقيقة أحرف غير خالصة بين الحلق والهاء الذي يلاقيها خارج الفم ، ولما في جميعها - إلا الحاء - من التكلّف والضغط والتعسر في المخرج وارتطامها قبل الهواء ببعض أجزاء الفم عند مقطعها المبيّن عن صداها ، فلو نطقنا : " إغ ، إغ ، إغ ، إغ " فإننا سنلاحظ هذا الارتطام . والحاء ، وإن كانت أسهل وأخف وأسلم ، فهي مع ذلك مقرونة بحشرجة طفيفة رقيقة غير مثقلة مع كفّ النفس المقدّوف عن الانطلاق إلى نهاية تصادمه بالهواء خارج الفم ، فهذه الحروف لا تصلح إلا للدلالة على نوع الصوت المراد تمثيله ، أو تصوير الصوت مقروناً بالحركة التي تكون معه ، أو تلحقه من جرّاء ألم يدعو إلى هذه الحركة ، وضرب لنا مثلاً على ذلك بالرجل إذا ذرعه القبيء ، فمدّ ذراعيه على الأرض ، وأقبلها وجهه ونغص إليه رأسه وتمايل على الأرض ليقبيء فقال : " هاع " (٥٩٠) .

فأهل اللغة يرون أن " هاع " بمعنى تقياً^(٥٩١) ، أما الشيخ فيرى أن " هاع " ما هي إلا حكاية صوت القبيء ، أوّل ما يكون بالهاء ، ثم ما يكون من تضرب الطعام المائع في الحلق كصوت العين ، ثم انطباق الحنجرة وتصويتها في هذا الانطباق بصدى كصدى العين .
والظاهر أن مثل " هاع " قولهم : " أحّ الرجل يؤحّ أحاً : بمعنى سعل " (٥٩٢) " فأحّ " هنا حكاية صوتية .

خامساً : رأي الشيخ في اجتماع الحروف الحلقية ودالاتها :

١ - اجتماع الحروف الحلقية على التضعيف :

أفادنا بأن هذه الحروف لم تجمع في العربية على التضعيف إلا قليلاً ؛ لقرب مخارجها ، فقالوا : " أح " و " أه " و " أخ " ولم يقولوا " أع " ولا " أغ " ولا " أأ " ؛ لأنها ثقيلة ولا تأتلف ،

(٥٩٠) ينظر : جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر ، ج : ٢ ، ص : ٧٢٣ .

(٥٩١) ينظر : اللسان ، مادة : " هوع " .

(٥٩٢) نفس المرجع ، مادة : " أحّ " .

وهذه الثلاثة في رأيه تدلُّ على الإشارة والبيان ، فالصوت فيها يَتَحَمَّلُ معنى التنبيه ، إلا أن هناك فروقاً دلالية تُمَيِّزُ كلَّ حرفٍ من هذه الحروف .

فقال " أح " و " أخ " إنما يريد التألم والتوجع وإبداء ذلك والدلالة عليه ، ولكنّه في " أح " يريد التنفيسَ عن نفسه لما يعاني من شدّة الألم والوجع ، وكما يكون من صوت المغيظ المحنق والمغموم المفكر .

ويرى الشيخ أن الحقيقة في معنى " الأحيح " هو صوت الممتلئ غيظاً ، حين يتفرّج بهذا الصوت الذي يصدّره من جوفه .

معنى هذا أنّه لا يكتفي بما قيل في معنى " الأحيح " بأنه : الغيظ والضغن .

وفي " أخ " يبيّن لنا أنهم أرادوا المعنى نفسه من التآوه والغيظ والغم ، إلا أن التوجع يبيّن عن اشمئزازه وشموخه وتقدره ، مُستشهداً بما ورد في اللغة بأنّ " الأخ " يعني به القدر ، كما في قول الراجز يذكر سنّه وعجزه وضعفه :

وَأَنْتَنْتَ الرَّجْلُ فَصَارَتْ فَخًّا وَصَارَ وَصَلُ الْغَانِيَاتِ أَخًا

وبهذا يرى أن قول أهل اللغة في معنى " أخ " قولٌ ناقصٌ حينما فسّرَ بأنه " كلمة توجع وتآوه وغيظ " . (٥٩٣)

بعد ذلك حاول إدراك السرّ في تعبيرهم عن المعنى الأوّل بـ " الحاء " وتعبيرهم عن المعنى الثاني " بالحاء " فرأى أن الحاء للبحّة التي فيها ، ولما فيه من لينٍ ونعومةٍ ، ولأنها قابلةٌ للدوران مع الهمزة في التكرار ؛ لأن الذي ينطقها يريد معها أن يكرّرها ويتلوّى معها ، ويعكس لها أضلاعه لما يقاسيه من الألم أو الغيظ ، لهذه الأسباب وللمعاني التي تحملها " الحاء " عبر بها عن المعنى الأوّل الذي يفيد التألم والتوجع وإبداء ذلك ، إلا أن المتألم يريد التنفيسَ عن نفسه لما يعاني من الألم .

(٥٩٣) ينظر : جمهرة المقالات ، ج : ٢ ، ص : ٧٢٢ . ينظر : لسان العرب ، مادة: " أحح " ، و " أخخ " ، وفيه ورد البيت الشعري ، ومادة: " أهه " .

أما " الخاء " فلجفوته وانقطاعه في غار الحنك ولغلظته واستعلائه ولما فيه من الترفع والاستبشاع والاشمئزاز ، عبّر به عن المعنى الثاني الذي يبيّن فيه المتوجّع عن اشمئزازه وشموخه وتقذّره . وهذا يعني أن الدلالة فيه على الألم أقوى وأبين ؛ لقوة " الخاء " ، حيث تكون أكثر عباراته المقترنه به هي في الوجه والشفيتين ، والألف ترفع من بعضها وتخفض من بعض .

وفي " أه " و " أه " و " أه " ، قال : " استخدمت لما أرادوا العبارة عن التوجّع مع اللين والضعف ، والفترة التي تلحق المتأسف المكسور النفس بغير إضمارٍ للحقد والغيط كما في "أح" و "أخ" ، فيها إشارة إلى تعب النفس ؛ لأن اجتماع هذين الحرفين السائلين المطلقين المغسولين الضعيفين هو تمثيلٌ لحركة التوجّع من إرسال النفس بريئاً مع انهزامٍ خصم المتوجّع وانثناء صدره واستسلامه للضعف واسترخاء أعضائه وتكسر أجنانه على عينيه (٥٩٤) .

ويظهر هنا تأثر الشيخ بمنهج ابن جنّي الذي يرى بمقبالة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث ، فيجعل الحرف القوي للمعنى القوي والحرف الرقيق للمعنى الضعيف ، ومن الأمثلة التي ذكرها ابن جنّي في هذا الجانب قولهم : النَّضْحُ للماء ونحوه ، والنَّضْحُ أقوى من النَّضْح ، قال تعالى : ﴿ فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ۖ ﴾ (٦٦) ﴿٥٩٥﴾ فما يراه ابن جنّي أن الحاء لرققتها جعلت للماء الضعيف ، والحاء لغلظها لما هو أقوى منه (٥٩٦) .

لكن حديث الشيخ في هذا الباب كان مُنصّباً على الحروف الحلقية ابتداءً بالهمزة والألف والهاء ثم بقيّة الحروف ، محاولاً استخراج أكثر معاني هذه الحروف من الفطرة ، بعدها تحدّث عن كيفية دورانها في الكلام العربي ؛ فكلّ ما عبّر به عن المعاني الفطرية والحاجات الأولية التي تحفز الإنسان الفطريّ إلى إرادة التعبير اشتمل على حرف الحلق الأول وهو " الهمزة " ، أو على الحرف الثاني الذي يقاربه ويشابهه ولا يختلف عنه إلا بضغطة هوائية رفيقة هينة في جوار الحنجرة وهو " الهاء " ، يليهم بقيّة حروف الحلق " العين " ، " الف " الحاء " ، " الف " الغين " ، " ف " الخاء " ، تتقدّمهم جميعاً " الحاء " ؛ لخفتها وسهولتها وسلامتها واقترانها بالحشرجة الحلوة اللطيفة الرقيقة المنسربة في تصويتها كأهدأ انسرابٍ وأحنّةٍ وألينةٍ .

(٥٩٤) ينظر : جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر ، ج : ٢ ، ص : ٧٢٢ .

(٥٩٥) سورة الرحمن ، آية : ٦٦ .

(٥٩٦) ينظر : الخصائص ، لابن جنّي ، ج : ١ ، ص : ٥٠٩ .

ومن ثم يخرج الشيخ بحكمته الشريفة وهي : إمساس الحرف والكلمة شبيهاً من معاني الفطرة ودواعيها ، وذلك باشتغال الألفاظ على أحد هذه الحروف الحلقية . يقتضي ذلك أن تكون كل أدوات الاستفهام والنداء والإشارة والتنبيه والفرع والتحذير ، وسائر الألفاظ ذوات المعاني المقاربة لذلك مشتملة على أحد هذه الأحرف ، ثم يكون منه أيضاً أن جميع أسماء الأصوات الدالة على صوت الإنسان والحيوان والطير والحشرات قد جمعت طرفاً صالحاً منها ، حين تكون هذه الأسماء أو الأفعال دالة على حكاية صوت حلقى يكون لهذه الخلائق . ومما يجب التنبيه عليه هو أن الشيخ استشهد على صحة ما ذهب إليه بأصوات جميع الحيوانات ، فهي - على حدّ تعبيره - أصوات حلقية تتردد، إلا ما كان من مثل صوت الغراب والقطّ والجندب والبازي والقطا وما إلى ذلك مما انفرد من الحيوان والطير بحرف يتردد في مدراج نفسه أو منقطع صوته . ثم لا يكون ذلك إلا حرفاً واحداً مقارباً ، أو بعض حرفين متجانسين يتلين شدتهما ألفاً أو همزةً مختلصة تكون بينهما فاصلة . (٥٩٧)

وكل هذا يذكره الشيخ ليثبت لنا أن اللغة العربية - هي حقاً - أدق اللغات ، وأكثرها احتفاظاً بالمعاني الفطرية للحروف ، وبالحرركات التي لجأ إليها الإنسان الأول فقرنها بالحروف للدلالة على معنى ليس يقوم الحرف على بيانه كله إذا أُفرد وحده للتعبير عنه (٥٩٨).

٢- اجتماع الحروف الحلقية مع الحروف الأخرى :

بعد أن تحدث الشيخ عن الكلمات الثلاثية المضعفة التي اجتمع عليها في التضعيف حرفان حلقيان وهي "أح" و "أه" و "أخ" وكشف بعض الكشف عن معانيها ، أراد التحدث عن الحروف الحلقية المشتركة مع حروف أخرى من حروف اللسان ؛ إلا أن الإمام بهذا الجانب أمر عسيرٌ ويقتضي هذا - كما أشار - شرح اللغة كلها على هذا المذهب ، وهذا إن اجتمع في كتاب فجمعه في مقال متعذرٌ مما يُثقل على القارئ قراءته .

لذلك اكتفى بذكر طرفٍ منه ، فأخذ الهمزة وبدأ بها ، وحاول أن يجمعها ببقية حروف العربية، فذكر لنا صور الجمع التالية : "أب" ، "أت" ، "أث" ، "أج" ، "أد" ، "أذ" ، "أر" ، "أز" ، "أس" ، "أص" ، "أض" ، "أط" ، "أظ" ، "أف" ، "أك" ، "أل" ، "أم" .

(٥٩٧) ينظر : جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر ، ج : ٢ ، ص : ٧٢٦ ، ٧٢٧ .

(٥٩٨) المرجع نفسه ، ص : ٨٢٨ .

، "أَنَّ" ، "أَيَّ" . وقد مضى القول على " أَحَّ " ، " أَخَّ " ، " أةَ " ، " أَنْ " ، كما قال في " أع " ، " أغ " ، " أأ " إنه مما تجافوا عنه وتركوه وأهملوه .

بعدها أفاض الشيخ في الحديث عن اجتماع حروف الحلق مع بعض الحروف التي تليها في المخرج مبتدئاً بالحروف اللهوية ، "القاف" ، و"الكاف" ، ثم التي تليها وهي الحروف الشجرية "الشين" ، "والجيم" ، و"الياء" ، ثم درج بعدها إلى الحروف الدلّقية وهي "اللام" و"النون" ، و"الراء" . (٥٩٩)

(أ) اجتماعها مع الحروف اللهوية :

- القاف :

أفاد بأن العرب أسقطوا " أق " من كلامهم ، كما أسقطوا " أع " و " أغ " و " أأ " ؛ وذلك لأن هذه "القاف" هي الحرف الذي يلي مخرجه مخرج الحروف الحلقية ، والهمزة أشد الحروف مطالبة بالانطلاق ، وحافزها أقوى حوافز الحروف الحلقية ، وتُتَّبَعُ بالحرف الذي يُدَانِي اللهاة وأقصى اللسان ويرتطم بالحنك الأعلى ، ويتردد فيه جاسياً غليظاً متعسراً ، كما أن الهمزة تريد الانطلاق والمضي حتى تلاقي الهواء ، والقاف تريد أن تقطع عليها ذلك لتستوفي حقها من المخرج ومنقطع الصوت الذي تتمثل فيه بتردها عليه ، وارتداد اللسان بها وبهوائها المحصور في مخرجها ارتداداً يعوق انطلاق صاحبته التي تحفزها من ورائها ، كل هذا يجعل " أق " مثقلاً على النطق ، ثقيلًا في السمع . وإضافة إلى ما ذكر إن القاف هي في ترتيب الحروف الشديدة تلي الهمزة ، وهي أول هذه الحروف الموصوفة بالشدّة ثم الاستعلاء أيضاً .

ولكنهم قالوا : " حق " و " عق " وذلك لسبب معروف ، فإذا كانت الهمزة تريد الانطلاق والمضي حتى تلاقي الهواء ، ف " العين " و " الحاء " بخلافها ، فهي أحرف غير خالصة بين الحلق والهواء الذي يلاقيها خارج الفم ، فهي ترتطم ببعض أجزاء الفم عند مقطعها المبين صداها ، حينها تستوفي "القاف" حقها في المخرج دون أن تسبب أي إعاقة في نطق ما قبلها . (٦٠٠)

- الكاف :

(٥٩٩) المرجع السابق ، ص : ٧٢٨ .

(٦٠٠) المرجع نفسه ، ص : ٧٢٨ ، ٧٢٩ .

تجتمع الهمزة مع الكاف فنقول : " أك " ، ويرى الشيخ أن أصل هذه المادة من احتكاك الأجسام اللينة بعضها ببعض ؛ لأن الكاف تُمَثَّل في النطق صوت شينين لينين بَيْنَ بَيْنَ يزحمُ أحدهما الآخر زحماً شديداً . " والأكمة" في اللغة الزحمة والضيق ، وأكّه زاحمه . كما يرى أن هذا المعنى للكاف ثابت في قولنا: " حَكَّ " و " عَكَّ " و " هَكَّ " الشيء سحقه ، وهذه كلها حروف حلقيّة تتبعها الكاف ، وكذلك الأمر في قولنا : " بكَّ " أي زَحَمَ ، و " تكَّ " الشيء اللين الرطب وطأه فشدخه . و " دكَّ " ، و " زكَّ " في مشيه قارب خطوه وحرّك جسده واحتك ثوبه ، و " سكَّ " و " شكَّ " ، و " صكَّ " فكل هذه تحمل في نظر الشيخ معنى الاحتكاك أو تصويره أو مقاربة صوته ، إلا أن الدلالة على الاحتكاك في قولنا: " أكَّ " و " حكَّ " كانت أبين وأوضح ؛ لأن الهمزة والحاء حرفان أصليان دالّان على الأصوات الأولى التي هي أقرب من سواها إلى حكاية الصوت " (٦٠١) .

معنى هذا أن الشيخ يرى أن اجتماع الهمزة مع الحروف بالصورة المذكورة ، يجعلها أكثر دلالة على معاني أصواتها الفطرية .

وقد يكون ذلك لأن الهمزة صوت يريد الانطلاق والمضي حتى يلاقي الهواء ، وهو الصوت الأول الذي يُقذف مغسولاً من أقصى الحلق ولا يرتطم بأي جزء من أجزاء الفم؛ ولهذه الطبيعة السهلة كان المعنى الفطري لصوت الحرف الذي يليه أبين وأظهر ، فالصوت الأول يرجعنا إلى المعنى الأصيل الأول للحرف الذي يتبعه كأنه يريد التنبيه والدلالة على المعنى الفطري لصوت هذا الحرف بخلاف الحروف الأخرى التي ترتطم بأجزاء من الفم أو الثنايا أو الأضراس أو الشفة والتي بسبب طبيعتها المذكورة كثيراً ما تؤثر على دلالة الصوت الفطري للحرف الذي يليها ولهذا أشار بقوله : " اعلم أن لكل حرف معنى ، وأن اشتراك الحروف ذوات المعاني في الكلمة الواحدة يسقط بعضها معاني بعض ، ومصطفى من المعنى الأصلي ما يتمثل به في الحروف المجتمعة معنى آخر يجتاز عليهما أو يستمد منهما ، وعلى ذلك فعليك أن تنظر إلى هذه الأحرف على الأصل الذي نحاول بيانه " (٦٠٢) .

وأما الحاء التي يراها الشيخ أنها أيضاً جعلت الحرف أبين في المعنى ؛ فيظهر لأنها من الحروف الحلقيّة والأصوات الأولى ، إضافة للبحة التي فيها ، وهي اللين والنعومة ، ولخفتها

(٦٠١) المرجع السابق ، ص: ٧٢٨ ، ٧٢٩ .

(٦٠٢) المرجع نفسه ، ص: ٧٢٩ .

واقترانها بالحشجة الحلوة اللطيفة الرقيقة ، كانت مساعدة مع الكاف في إظهار معنى الاحتكاك بين الأجسام اللينة بعضها ببعض .

(ب) اجتماعها مع الحروف الشجرية :

- الشين :

تحمل بطبيعتها - كما بيّن - الصوت المتفشي المستطيل المتلين الذي يهمس به ، ويضعف لها الاعتماد في مخرجها حتى يجري معها النَّفس بين الحنك الأعلى واللسان مع انفتاح الشفتين مع الإمالة الخفيفة .

ولما كانت هذه طبيعة الشين ، حاول الشيخ إيجاد العلاقة بين طريقة نطق الصوت وطبيعته وبين الأحداث المعبر عنها بهذا الصوت، كاشفاً سرّ العربية في احتفاظها بهذه العلاقة ، فوجد أن الشين يمثّل صوت الحركة الخفيفة التي تكون كأنها من احتكاك الثوب القشيب ، أو صوت وقوع الرش الخفيف من المطر ، أو صوت حفيف الورق الأثيث على أشجاره إذا فيأه النسيم المتروّح ، ويمثل أيضاً صوت الضاحك إذا انقذف نفسه بضحكة خفيفة لا تبلغ القهقهة ، مع انفراج الشفتين واستعلاء الشفة العليا . لاحظ بعدها موافقة العربية لمعاني الحرف الفطرية حينما وجد أن أكثر المعاني المذكورة دائرة في "أش" ، "هش" ، "وحش" ، "وخش" ، و "بش" ، و "نش" و نشّت القدر تنش ، وهو صوت غليانها ، و"رش الأرض بالماء" ، و"كشّت الحية" ، والمرأة كشيئاً ، وهو صوت جلدتهما إذا احتك بعضه ببعض ؛ ولذلك كله قيل في "أش" : إن الأش والأشاش الطلاقة والبشاشة لما يتبع الارتياح والنشاط والخفة والضحك من الحركة التي تُسمع هذا الصوت ، وأش غنمه كهشها ، وأشّت الشحمة إذا نشّت وقطرت فسمع لها مثل هذا الصوت^(٦٣) .

- الجيم :

الجيم بطبيعتها أجسى وأغلظ صوتاً من الشين ، واللسان بها أشدُّ ضغطاً للهواء في غار الحنك الأعلى ، وصوتها جافٍ على السمع ، ظامئٌ لا ماءً فيه ، ولا قطرَ له ، ولا همس يأتي من قبَله ؛ لذلك دخلت مع الشين في بعض معانيها ، ولكنها خرجت من بعضها الآخر بما أخرجها من الميزة التي مازتها عنها في مستقبل السَّمع .

وفي " أج " هذه وما يليها من " هج " ، " حج " ، " عج " بالدعاء ، و" تج " المطر يثج ، سال فسمع صوت سيلانه ، و " هج " و " لج " ، يقول الشيخ : " إن الجيم في جميعها دالة على حكاية صوت وُصِفَ بما وُصِفَ (أي : صوت قاس غليظ) ؛ لذلك أخذ منه " أجت النار " و " هجت النار " إذا اتقدت ، فتعالت ، فاستعرت ، فاستطارت ، فسمع صوت تلهبها الذي تُمثله الجيم بمعناها الفطري " (٦٠٤)

وقد ذكرنا سابقاً أنَّ الحروفَ الحلقية ، وفي مقدمتها الهمزة أصواتٌ أوليةٌ ، ما إن تقترن بحرفٍ ما إلا وكان هذا الحرفُ أكثرَ دلالةً على معناه الفطريِّ ، وأقربَ إلى حكايةِ صوته .

فبناءً على ما دُكرَ تكون " الشين " في " أش " أقربَ إلى حكاية صوتها ، وأكثرَ دلالةً على طبيعتها التنفسيَّة المستطيلة المتليِّنة ؛ ولذلك جعلت " أش " لأكثرِ حدثاً دلَّ على التنفسيِّ اللين وهو الأَشاش بمعنى الطلاقة والبشاشة ، ومثله أشَّ غنمه وأشَّت الشحمة ، بمعنى آخر جعلت لأكثرِ حدثٍ كان صوت الحرف فيه أبين وأظهر من غيره من الأحداث .

وكذلك الجيمُ في " أج " حكمت صوتها ، وكانت أكثرَ دلالةً على القسوة والغلظة ؛ لذلك عبَّرَ بها عن أقوى المعاني وأغلظها وأقساها وهو قولنا : " أجت النَّار " و " هجت " ، فهو حدثٌ يُسمَعُ فيه صوتُ الحرفِ الفطريِّ بوضوحٍ أكثرَ من غيره .

– الباء :

أشرنا آنفاً إلى أنَّ الشيخ يرى " الباء " حرفاً حلقياً تطور إلى حرفٍ شجريٍّ ، كما ذكر لنا أنَّ له رأياً مخالفاً لأهل اللغة في " الألف والياء والواو " (٦٠٥) ، إلاَّ أنَّه لم يبيِّن عن شيءٍ من ذلك ، فلم

(٦٠٤) المرجع السابق ، ص : ٧٣٠ ، ٧٣١

(٦٠٥) المرجع نفسه ، ص : ٧٣٠ ، ٧٣١ .

يبين لنا كيفية تطور الياء من الحرف الحلقى إلى الشجرى ، ولم يبين لنا رأيه ووجهة نظره في حروف العلة " الألف والواو والياء " ، وعلى هذا فإنه لا يرى في "أى" أن الهمزة اجتمعت مع حرفٍ شجرى ، بل ما يراه هو أن الهمزة اجتمعت مع حرفٍ حلقى جعل فيما بعد ضمن الحروف الشجرية .

ج- اجتماعها مع الحروف الذلّقية :

- اللام :

أفاض في حديثه عن اللام ، وهو يرى أنه مُختصرٌ ولم يُطلِ الحديث ؛ لأنه لو أفاض في حديثه عن معاني اللام فلن يكفيه مقالٌ برأسه - على حدّ قوله - لذا اختصر لنا في القول ، ولم يذكر لنا إلا نبذة بسيطة - في رأيه - عن هذا الحرف .

فأفادنا بأن اللام تُعدُّ من الحروف نوات المعاني المتشابهة ؛ وذلك أن اللسان معها يعمل أعمال حروف كثيرة ، فمخرجها من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه حيث يندفع إليها الهواء المقذوف من الجوف ، فيحصر اللسان هذا الهواء حصراً بين الشدة والرخاوة في الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والنايب والرباعية والثنية ، وعند ذلك يرتكس هذا الهواء المحصور في جوف الفم من كلا جانبيه ، ثم إن بعض هذا الهواء يجول في ميدان كأنه يروم المخرج من الخياشيم وهو مخرج النون .

لذلك يذكر لنا أن هذه اللام إذا وقفَ عليها في مثل : " هل " و " قل " قدّفت من المنخرين نفساً خفيفاً همساً ، تنتفش معه الخنابتان قليلاً قليلاً ، وكذلك نجدها كأن قد أُشربت من غنة النون في أكثر المناطق . كما يرى أن هذه الملامح الكثيرة التي اختلستها اللام من الحروف التي تليها كالنون والراء والميم ، ومن الحروف التي سبقتها كالجيم والشين والضاد ، هي التي راحبت من معانيها وكثرتها وعمّضتها على من يروم فقها وضبطها ، وهي أيضاً التي جعلتها أكثر الحروف دوراناً في كلام العرب للطفها وضعفها ورقتها حيث كانت ، ولا تكون هذه الرقة التي فيها إلا مشوبةً ببعض القوة والشدة .

ويضيف إلى ذلك قائلاً إنها أعدلُ الحروفِ وأحسنها استواءً فلا تعتاص على باغيها، ولا تدخلها العيوب التي تدخل سائر الحروف كالراء التي تليها ، وهي تدخلها اللثغة في لسان الألتغ ، فلا يستقيم له معها المخرج ، وإنما ينحاز الألتغ إذا غلبته لثغته من الراء إلى اللام^(٦٠٦).

كما بين لنا أثر الهمزة والهاء في معناها باعتبارهما عمدةً باب الحروف الحلقية ، فبين لنا أولاً معنى صوت الحرف ، ثم وضع لنا كيفية تمثيله لصوت الحدث الذي عبر عنه؛ لنذكر سر العلاقة بينهما .

فاللام بطبيعتها تُمثّل الإلحاح والتردد والانتشار ، وفيها معاناةٌ للتحفز الذي يأتي بالصوت في اندفاعه وهو صوت شبيه بالجرس الذي يسمع من اصطدام شيءٍ لئينٍ بعض اللين بشيءٍ من مثله فيفزع السمع إليه ويصغي إليه .

ونحن نجد هذه المعاني واضحةً جليّةً في قولنا: " أل " و " هل " لا سيّما وأن اللام مسبوقة بالهمزة والهاء ، الأمر الذي يجعل معنى الصوت أكثر بياناً ووضوحاً ومحاكاةً للطبيعة .

ففي معنى " أل " ابتداءً يتضمّن الإشارة إلى حركةٍ مقرونةٍ بصوتٍ بيّنٍ بيّن ، فلا هو جاسٍ ظامئٌ ولا هو رطبٌ ممتلئٌ بمائه . وكذلك هو في اللغة " ألّ الفرس " إذا أسرع فاهتزّ فسُمعَ من الرَّمْلِ صوتٌ حافره إذا وقع عليها متتابعاً متردداً ، وكذلك " ألّ البرق " و"ألّت المرأة " رفعت صوتها بالدعاء أو غيره . و " الأليل " من ذلك هو الأنين والحنين عند الجزع ، وهو خريير الماء على التربة ، وهو صوت الحصى إذا وقع على الرمل . والقول في "هلّ " قريبٌ منه فقالوا : " هلّ السحاب " ، و " انهلّ بالمطر " وذلك إذا قطرّ فوق ماؤه ، فسُمعَ صوت هذا الماء حين يصطدم الثرى والرمل بحبّاته في شدة انصبابه ، وتردّد هذا الصوت مرة بعد مرة ، ومنه " أهلّ " إذا رفع صوته بالدعاء فردّه^(٦٠٧) .

- النون :

(٦٠٦) المرجع السابق ، ص : ٧٣١ .

(٦٠٧) المرجع السابق ، ص : ٧٣٢ .

النون حرف يلي اللام ، وفي " أن " يرى الشيخ أن الهواء المقذوف إلى الخياشيم ينبعث فيحار فيها يتردد ويجول ، ويُسمع لجولانه في الأنف صدى ناعماً تتبعه غنةٌ مُدويةٌ باحتكاك الهواء بجدار الأنف ، ومن هنا يُلاحظ أن المعنى يتسلسل من اللام إلى النون مختلفاً في الدلالة اختلافاً بيّناً مرّةً ومقارباتاً مرّةً أخرى ؛ ومن أجل ذلك فهو حرفٌ دَمِثٌ طَبِيعٌ مترفةٌ ناعمةٌ حلُوُ النغمِ لطيفٌ التردد ، يسيل مع الهواء ليناً ونعومةً ورقّةً ، لا تُدرِكُهُ الجفوةُ التي تُعرضُ لسائر الحروف مع التَّحريك إذا حُرِّك ، فهو لطيف مطاوعٌ ذو نغمٍ إذا حُرِّك أو سُكِّن .

لذلك فهو أقرب الحروف للبيان عن المعاني الصافية التي لا تتحامل أصواتها إلى المادة وصوتها ، ولذلك يدور أكثر ما يدور في الألفاظ ذوات المعاني النَّفسية الصَّافية التي تذوب فيها آلامُ النَّفسِ وأحزانها وأحلامها وأفكارها التي لا تتكلَّمُ إلا لمحا وإشارةً وتلويحاً ؛ فكذلك هو في معناه إذا قلنا : " أن " أنيناً ، و " حن " حنيناً وحناناً ، و " هن " هنيناً ، وهو كالحنين والأنين ، وكذلك " حن " حنيناً ، وهو الانتخابُ والبكاءُ الذي يتردّدُ حتى يصير في الصوت غنةً من جولان البكاء في الخياشيم . وذلك كله من أجل الحزن الذي لا يعبر عنه إلا بالصوت المبهم المطاوع لحركة الجسد إذا حُرِّك من نوازي الأحزان الداعية إلى هزِّ الأعصاب وبالرجفة التي تلتحقها من تنزيهه فيها.

يبدو من كلام الشيخ أن صوت النَّونِ لنعمته وحلاوة نغمه وسيله مع الهواء ؛ لم يستخدم في التعبير عن مشاعر الحقد والغیظ ، ولم يُجعل للصراخ والعويل والضجيج ، بل عبّر به عن الأحاسيس النفسية الرقيقة والمشاعر اللطيفة ؛ هذه الآلامُ الحلوة الرقيقة لم تكن ردود فعل لضربات قاصمة ، أو لأي نوع من أنواع التعذيب الجسديّ أو النَّفسيّ ، بل كانت رُدودَ فعلٍ لمؤثرات نفسية حلوة لطيفة مسؤولة عن تحريك هذه الأحاسيس الناعمة والمشاعر اللطيفة .

بعد ذلك حاول الشيخ إيجاد الفرق بين هذه المعاني " الأنين ، والحنين ، والخنين " ، وقد عرفنا سابقاً أن النون حرفٌ مترفةٌ طَبِيعٌ ناعمةٌ حلُوُ ، كما عرفنا أن الهمزة حرفٌ أولي حلقى مطلق ، والحاء كذلك حرفٌ حلقى فيه لين ونعومةٌ ، فلما اجتمع صوتُ " النون " بالهمزة والحاء وهما حرفان دالان على الأصوات الأولى في قولهم : " أن " و " حن " كان هذا أبيضاً وأدلاً على المعنى الفطريّ للحرف (وهو النعومة واللين التي تعبر عن المعاني النفسية الصافية التي تذوب فيها آلام النفس وأحزانها والتي لا تتكلَّمُ إلا لمحا وإشارةً و تلويحاً).

بخلاف الوضع مع الخاء ، إذا اجتمع بصوت النون وذلك في قولهم: " خنين " ، فالخاء وإن كان حرفاً حلقياً إلا أنه جافٌ غليظٌ يكون معه الاستعلاء والترفع ، فأثّرَ بخشونته على المعنى ، فوجهه إلى الشموخ والاستعلاء ورفع الصوت بالبكاء ، وإلى خشونة الصوت التي تكون في هذا الضرب من البكاء أو الضحك المشوب بالترفع والاشمئزاز .^(٦٠٨)

يُسْتَنْتَجُ مِمَّا سَبَقَ مَا يَلِي :

١- إننا لو تأملنا الطبيعة والمعاني النفسية لاستطعنا محاكاة أصواتها التي نَسْمَعُهَا وتمثيلها بحروف العربية ، ولو تأملنا ألفاظ العربية لوجدنا هذه اللغة قد حافظت على كثير من هذه المعاني .

٢- كلُّ حرفٍ من حروف العربية نجد له صدئاً يحمل معاني من النفس أو من المحكاة أو من التمثيل للحركة أو الصوت المسموع أو غير ذلك ، فلكلِّ حرفٍ معنى ، إلا أن اشتراك الحروف ذوات المعاني في الكلمة الواحدة قد يُسْقِطُ بعضها معاني بعض .

٣- النُّطْقُ بالأصوات اللغوية مرّ بعدة مراحل :

المرحلة الأولى : هي التي احتك فيها الإنسان بمن حوله من أب أو أخ أو أم .. إلخ ، وكان لديه حاجات فطرية اقتضت ضرورة الحياة الأولى التعبير عنها لفرط حاجاته إلى كل منها بضرورة الطبع ، مستخدماً في ذلك الحروف الحلقية الأولى ، والتي لا تحتاج في نطقها إلى دربة وتمارين .

المرحلة الثانية : وهي التي ينمو فيها الإنسان وتتسع فيها دائرة علاقته ، وتزداد حاجاته وتتطور معانيه النفسية ، وبالطبع يتبع هذا تطور الأصوات اللغوية المستخدمة .

يضاف إلى ذلك احتكاكه في هذه المرحلة بالطبيعة ، وقيامه بمحاكاة الأصوات المسموعة فيها ، وتمثيلها ؛ وبالطبع لو حاول الإنسان أن يحاكي هذه الأصوات المسموعة لكان بإمكانه أن يعبر عن كل ما سمع بصوت معين .

٤- تعتبر الحروف الحلقية الحروف الأولى في الاستخدام ، وفي مقدمتها " الهمزة والهاء والألف " ، وبالتأكيد لسهولة نطقها ؛ لذا اهتمَّ العلامة أبو فهر بها ، واجتهد في تبیین معانيها

الفطرية ، ثم وضح أثرها فيما بعدها من الحروف مقدّمًا في ذلك عمدة الحروف الحلقية (الهمزة والألف والهاء) ، فهي التي تُعطي المجال للصوت الآخر في الظهور بمعناه الأول الفطري ، وتجعله أكثر دلالةً على معناه الأول وأبين لصداه الفطري.

٥- لا يقصد العلامة أبو فهر الحديث عن نشأة اللغة ، ولا يريد أن نشير إلى أن اللغة قد نشأت عن طريق المحاكاة ، فهذه قضية بعيدة كل البعد عن مراد الشيخ ، ومقصده ، فما يريده هو معنى الصوت نفسه مجرداً عن بقية الحروف ، ولم يقصد البحث عن صوت الحرف في لفظ معين أو لغة معينة ؛ لأن الباحث عن معنى صوت الحرف ، ينطق الحرف وهو خالي الذهن عن جميع الألفاظ التي اشتملت على هذا الحرف ، ويتناسى اللغة التي يتحدث بها ، ثم يحاول أثناء نطقه أن يستشعر معناه ويتأمل دلالاته ؛ ليعرف بعدها أي صوت يحاكيه أو يمثله .

٦- يرى العلامة محمود شاكر أنه بإمكانه تطبيق ما ذهب إليه على جميع ألفاظ اللغة ، وهذا ما ظهر في قوله : " لا يهولنك ما ستقدم عليه ، ولا يذهبن بك أنا لا نستطيع أن نجري اللغة كلها على هذا الأصل ، كلا ، بل نحن نستطيع ذلك ، ونستطيع أن نحاول معرفة الأطوار الاجتماعية والعقلية والخلقية واللسانية والمدنية التي مرت بالشعب العربي ... " .

مع ذلك لم ينكر أنه أمرٌ شاقٌّ ، ويحتاج إلى بصيرة نافذة ، وحسن تأملٍ ، إضافة إلى ذلك طول الوقت الذي يُستغرق للوصول إلى المراد ، فقد يحتاج إلى أشهر بعدد حروف العربية ، يبقى خلالها مغموساً في فكره في هذا الباب .

ويُفهم من أقوال شيخنا ، أن كلَّ لفظةٍ تتكوّن من عدة حروف ، وبالطبع بعد التأمل سنلاحظُ العلاقة بين معاني أصوات هذه الحروف وبين معنى اللفظة ، بالرغم من أن بعضها يُسقط معاني بعضٍ ، فيظهر أثر بعض المعاني ، ويختفي أثر البعض الآخر .

فليس بالضروريّ أن نعهدَ إلى اللفظة ، ونربط بين كلِّ معنى صوت حرفٍ مكوّن لها ، وبين معناها ، فقد يظهر أثر معاني الأصوات كلّها ، وقد يختفي أثر البعض ، مع أن كلَّ حرفٍ في العربية نجدُ لصوته معنىً يحمله أو يمثله ؛ لأنه ليس من الضروري أن يحتفظ الحرف بمعنى صوته الفطري في جميع ألفاظ اللغة ^(٦٠٩) .

ولم يكن هذا ما يهدف إليه أبو فهر ، فالهدف عنده هو التنبيه على احتفاظ اللغة العربية بمعظم المعاني الفطرية للحروف بصورة تفوق غيرها من اللغات .

فعلى سبيل المثال ، ليس كل كلمةٍ اشتملت على حرف " الكاف " دلّت على الاحتكاك بين الأجسام اللينة ، ولكن كثير من ألفاظ اللغة حملت هذا المعنى ، فمثلاً " دعك " و " محك " و " دك " و " ذلك " و " دهك عينيه " بمعنى : غمّضها ، وتحبّكت المرأة بنطاقها ، شدّته في وسطها ، يبدو في هذه الكلمات أن كافها تحمل معنى الاحتكاك ؛ كما أن هناك أسماء تصوّر كافها معنى الاحتكاك نحو قولنا : " شاكي السلاح " ، " الأريكة " ، " الفريك " وهو طعامٌ يفرك ثم يُلْتُ بسمن أو غيره ، والأمثلة على ذلك في اللغة كثيرة . وفي المقابل هناك ألفاظ لا يظهر معنى الاحتكاك في كافها مثل : " سفك " و " أفك " بمعنى كذب ، و " شكك " الذي هو نقيض اليقين ، وقولهم : " دلّكت الشمس " إذا زالت عن كبد السماء ، " كدت الأرض " إذا أبطأ نبتها ، و " فككت الشيء " : خلصته ، و " فك الرقبة " إذا أعتقها .. إلخ " (٦١٠) .

وكذا بقية الحروف ، فإننا لا نجد أصواتها تحمل نفس معناها الفطري في جميع الألفاظ التي اشتملت عليها ؛ وذلك — كما ذكر شيخنا — لأن بعضها يسقط معاني بعض إذا اشتركت في كلمة واحدة ، ومن المحتمل أن يكون الأمر خافياً غامضاً على الباحثين ، خاصة على من لم يملك هذه الحاسة المرهفة والبصيرة النافذة ، لذا من المستحيل أن نطبّق هذه القاعدة على جميع ألفاظ اللغة .

وإضافة إلى ما ذكر ، أن ما يدعو إليه أبو فهر (تدوّق معاني أصوات الحروف) أمر شاقٌّ ، ولو حاولنا تطبيقه على جميع ألفاظ اللغة لوقعنا في المبالغة والتعسف ، فمن الصعب أن نضع تحت أيدينا مئات الألوف من الألفاظ ، ثم نستقصي معنى كل حرفٍ من حروفها ؛ وكلُّ هذا يحتاج إلى نفس هادئةٍ مستقرة ، وطول نظر وحسن تأمل ، وبصيرة نافذة ، وحسن إصغاء لهواجس العاطفة وألحان الطبيعة ، ثم القدرة على مدارسة اللغة ، والوقوف على أسرارها ، والتهدي إلى مسالكها و غوامضها ، حتى يتمكن الباحث من كشف الحُجُب عن هذا العلم ، ولا يضل عن جوهر المعاني المطموسة في ظواهر الحروف .

ومع أن مذهب التوسط والاعتدال بشأن هذه القضية أمرٌ مُحَبَّبٌ ، إلا أنه من الواجب الإيمان بأن اللغة العربية هي من أدقّ اللغات احتفاظاً بالمعاني الفطرية للحروف ، بل هي من أكثر اللغات

احتفاظاً بحركة الإنسان الأول في الإشارة إلى المعاني ، فهي لغة لطيفة تلابس الطبع والطبيعة والقطرة ، كما يجب الإيمان بأن أصحاب هذا اللسان كانوا أرقّ الناس إحساساً ، وأطفهم فهماً ، وأحسنهم تهدياً إلى المعاني ، وأثقفهم لسحر الطبيعة وأنغامها ولغتها التي تجري في أرواح الشعراء بالمعاني والأحلام ، ولا أدلّ على ذلك من كتاب الله عز وجل ، فقد ألفت كُتُبُ جمّة تحدّثت عن هذه القضية وتأمّلتها في القرآن فمثلاً في قوله تعالى : ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝١﴾ ^(١١١) ، لو نظرنا إلى مادة " ألف " نجدها في المعاجم تدور حول معنيين ، الأول : " الأمن والعهد " ، والثاني : " الميل والحب والملازمة " ^(١١٢) .

ولو تأملنا النسيج الصوتي لهذه الكلمة في معنيها السابقين نجد أن ملمح القوة في " الهمزة " من حيث غلقها وانفجارها و صعوبة مخرجها ، وبعدها " ياء المدّ " وكأنها امتدادٌ لهذه القوة ، وكذا ملمح القوة في اللام من حيث الجهر والجانبية واجتماع الشدّة والرخاوة فيها ، ثم يمتد هذا مع " الألف " ، يتلاءم مع القوة التي يتوفر معها الأمن والعهد والميل ، والمودة ، ثم تأتي " الفاء " بخفتها لتقابل تحقّق ذلك المعنى اللطيف والرقيق ، وهو شعور قريش بالطمأنينة أو بالأنس والإلف ^(١١٣) .

ومن الأمثلة أيضاً كلمة " الطامة " في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ۝٢٤﴾ ^(١١٤) ، فالمدّ في هذه الكلمة مدٌّ لازم كلمي مثقل ، ولعل وجود المد في كلمة " الطامة " مطلوب بشدة ؛ لتحقيق الدلالات التي تناسب المقام والمتمثلة في غمر الأشياء والإتيان عليها واعتلائها والإحاطة بها إحاطة تامّة في شدة وهدة وصيحة وداهية . وهذه الدلالات مجتمعة ما كان لها أن تتحقّق إلا مع هذا المدّ الذي منح الكلمة جرساً قوياً هادراً يناسب ما تتضمنه من شدائد الأهوال ؛ عدا عما تؤديه أصوات الكلمة الأخرى : الطاء - الاستعلائية - المشددة ، والميم المشددة ، والتاء المربوطة من دلالات .

ومن هنا يستنتج أن المحاكاة الصوتية خاصية تعبيرية مهمّة في اللغة العربية ، لا يمكن إنكارها ، وإن كنا لا نستطيع تعميمها على جميع أفاظ اللغة ، إلا أنّ هذه الخاصية جليّة في القرآن

(١١١) سورة قريش ، آية : ١ ، ٢ .

(١١٢) ينظر : المعجم الوسيط ، مادة : " ألف " .

(١١٣) ينظر : الإعجاز الصوتي في جزء عمّ ، تأليف : أ . أناهيد عبد الحميد حريري ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، دار الشبل ، الرياض - السعودية ، ص : ٢٤٩ .

(١١٤) سورة النازعات ، آية : ٣٤ .

الكريم، فأصوات الألفاظ متناسبة مع أصدائها، ودلالاتها مستوحاه من جنس صياغتها ، فكانت دالةً مع ذاتها بذاتها ، ثم إن التشكيل الصوتي للسياقات القرآنية ، بوجه عام يرصد الأحداث والوقائع رسداً مباشراً ، ويصوّرُها تصويراً حياً فتأتي المشاهد ناطقةً ومعبرةً وموحيةً ومُفعمّةً بالحياة^(٦١٥).

وأهل هذه اللغة إن أحسنوا في اختيارهم للألفاظ التي تخدم مرادهم ، يظلُّ اختيارهم اختياراً بشرياً ، وهذا اختيارٌ إلهيٌّ معجزٌ، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه .

وعلى أية حال ، فالقضية المذكورة قضيةٌ جدلية ، أيدها كثير ، وعارضها كثير ، وهناك من ذهب فيها مذهب التوسط والاعتدال ، فكلّ ما ذكره العلامة محمود شاكر لا يُعدُّ إلا وجهات نظر ، ولا تُعتبرُ تعليقاته الجميلة إلا انطباعاتٍ عن أصوات الحروف مردّها التذوق ، وليست هناك قواعدٌ ثابتة لهذه القضية يمكننا الاعتماد عليها .

كما كانت محلّ خلافٍ قديمٍ لم يُحسم أمرها ، وترتب عليه خلافٌ آخر ، نال قسطاً وافراً من اهتمام اللغويين وهو العلاقة بين اللفظ والمدلول ، وثارَت تساؤلاتٌ عدة حول طبيعة هذه الصلة ، أهي الصلة الطبيعية ؟ فتكون معها دلالة الألفاظ على معانيها ذاتية ، بمعنى أن كل صوت يرمز إلى معنى ، فتكتسب الألفاظ دلالتها من خلال جرس أصواتها وينشأ ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين الأصوات والدلالات .

فمن المؤيدين في العصر القديم لهذه المسألة " أفلاطون " الذي يُصرُّ على وجود العلاقة الحميمة بين الكلمة وما تدلُّ عليه ، فقد كان مأخوذاً بسحر الكلمة مغتبطاً بشفافيتها انطلاقاً من اعتقاده بأن اللغة ظاهرة طبيعية .

أما تلميذه " أرسطو " فقد أخذ على عاتقه نقض هذه النظرية فاللغة في نظره ظاهرة اجتماعية ، وأن أصواتها تدل على معانيها بالاصطلاح والتواطؤ وليست دلالتها طبيعية .

بينما " سقراط " نظر نظرةً توفيقية ، إذ يرى أن إطلاق الأسماء يحدث أحياناً بالاتفاق والاصطلاح ، وأحياناً أخرى تكتسب الألفاظ معانيها وترسخُ في الأذهان عن طريق التكرار وكأن

(٦١٥) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، للدكتور خالد قاسم بني دومي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م ، عالم الكتب الحديث ،

العلاقة بين اللفظ ومدلوله مكتسبة وليست طبيعية، ولا يصدق ذلك على جميع الألفاظ ؛ لأن بعض الأسماء لها أصل طبيعي^(٦١٦) .

وقد أشار علماء اللغة العرب إشارة واضحة إلى هذه الظاهرة ، قال الخليل : "كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًا ، فقالوا : صرّ ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا : صرصر " ^(٦١٧) .

وكذلك سيبويه نجده يعقد صلة وثيقة وعلاقة واضحة بين الأوزان ومعانيها ، فالمصادر التي على وزن " فعلان " في رأيه تتمُّ أصواتها عن معناها أو تصور الحركات التي تصاحب الحدث ، ويستشعر فيها الاهتزاز والاضطراب والحركة وهذا نحو : " النَّزوان ، والنَّقْزان ، والفقْران ، والغليان ، والهيجان ، ... إلخ " ^(٦١٨) .

وكانت إشارة الخليل وسيبويه تنبيهاً لمن جاء بعدهما ، فهذا ابن دريد يضع كتابه "الاشتقاق" على أساس من هذه النظرية كتعليقه أسماء الأعلام والقبائل في الجزيرة العربية ، " ... ف " هذيل " من الهذل وهو الاضطراب ... إلخ " ^(٦١٩) .

وقد جاء في الصاحبي : " لا يكون قلماً إلا وقد بُري وأصلح وإلا فهو أنبوبة " ^(٦٢٠) .

وكان ابن جنبي أكثر اللغويين المتحمسين لفكرة الصلة بين اللفظ والمدلول ، إذا بسط المسألة ، وأخذ على عاتقه تفتيقها وتفصيل دقائقها حيث عقد لها فصلاً أربعة في الخصائص ، متلمساً هذه الصلة فيما يعرض له من ظواهر صوتية، معتمداً على قوة في التصريف أورثته دقة النظر في الأصوات ؛ وجرس الحروف طبع في ذهنه دلالات خاصة لطول مخالطته إياها وكثرة تعامله بها ومعها ،

(٦١٦) ينظر : الدلالة اللغوية عند العرب ، للدكتور عبد الكريم مجاهد ، بدون طبعة ، بدون تاريخ الطبع ، دار الضياء ، عمان - الأردن، ص : ٢٠٦ .

(٦١٧) ينظر : كتاب العين ، ج : ١ ، ص : ٥٦ .

(٦١٨) ينظر : الكتاب ، لسيبويه ، ج : ٤ ، ص : ١٤ .

(٦١٩) ينظر : الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بدون طبعة ، ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، المكتب التجاري ، بيروت - لبنان ، مكتبة المثنى ، بغداد - العراق ، ص : ١٧٦ .

(٦٢٠) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي ، ص : ١٠٠ .

والأبواب التي عقدها هي : تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني ، والاشتقاق الأكبر ،
تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني .^(٦٢١)

(٦٢١) ينظر : الخصائص لابن جني ، ج : ١ ، ص : ٤٧٤ ، ٤٩٠ ، ٤٩٩ ، ٥٠٥ .

الدلالة اللغوية عند العرب ، عبد الكريم مجاهد ، ص : ٢١٩ .

وينظر لمناسبة حروف العربية لعانيها : دراسات في فقه اللغة ، د: صبحي الصالح ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م ، دار

العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ص : ١٤١-١٧٢ .

المبحث الثالث : اهتمامه بإحياء اللغة

أولاً : الاهتمام باللغة القديمة.

ثانياً : إحياء الألفاظ المهجورة.

ثالثاً : التنبيه على ما أغفل من الصيغ الصرفية.

رابعاً : اهتمامه بتوظيف الاشتقاق.

اهتمَّ أبو فهر بإحياء اللغة العربية في عصر مضطرب ، تعرضت فيه العربية لهجمات شرسة ،
واتهمت بالصعوبة والتخلف والجمود ، وعدم القدرة على مواكبة العصر .

ومن حسن الحظ ، لم تزد الشيخ هذه الدعوات المغرزة إلا قوةً إلى قوته ؛ ليُصبح حارساً لتراث
العربية ، يبعثها من رقادها ويجعلها حيَّةً متفاعلةً مع الحياة ، بالرغم من كلِّ الهجمات .

من أجل ذلك ، وجدنا شيخ العربية يعكف على قراءة كتب التراث العربي ، ويغوص في
الأعماق ؛ ليعرف الدقائق ويكشف الأسرار ، ويستخرج المختبئ الدفين من كنوز هذه اللغة ؛ إحياءً
للغة البيان والإفصاح ، وتأكيداً لطواعيتها وقدرة استيعابها لكل جديد ومستحدث .

وقد تمثَّل اهتمامه بإحياء العربية في اتجاهات عديدة منها :

١- الاهتمام باللغة الفصحى القديمة (أساليب العربية القديمة) .

٢- إحياء الألفاظ المهجورة .

٣- التنبيه على ما أغفل من الصيغ الصرفية (أي لم تُدون في المعاجم) .

٤- اهتمامه بتوظيف الاشتقاق .

أولاً : اهتمامه باللغات القديمة :

اهتمَّ محمود شاعر بإحياء أساليب اللغة العربية التي استعملت في الأزمان الغابرة ، والتي تُمثِّلُ في نفس الوقت طوراً للعربية المتألِّقة ، التي بلغت أوج الألق والجمال والكمال ، بعدها تطوَّرت عبر العصور من طورٍ إلى طورٍ أكثر رونقاً وبهاءً^(٦٢٢) ، وقد تمثل اهتمامه فيما يلي :

١- مخالفته النحاة في توكيد المضارع بالنون للضرورة :

وهذا في قول جذيمة الأبرش^(٦٢٣) :

رُبَمَا أوفيتُ في علم **تَرَفَعْنَ ثوبي شمالات**^(٦٢٤)

فالنحاة يرون أن زيادة نون التوكيد في الفعل المضارع " ترفعن " ضرورة ؛ وذلك لأن هذه النون سواء أكانت ثقيلة أم خفيفة لا تدخل إلا على مستقبل فيه معنى الطلب ؛ لتأكيدِه وتحقيق أمر وجوده، وليس في الفعل " ترفعن " معنى الطلب ، وإذا امتنع الطلب امتنع التأكيد^(٦٢٥).

وقيل : إن نون التوكيد لا تدخل على مدخول " ربما " إلا للضرورة ؛ وقد يكون ذلك لأن "ربما" يراد بها الإخبار ، وسواءً أرادوا بها التقليل أم التكثير فالجملة بعدها خبر ، وليس فيها معنى الطلب^(٦٢٦) .

أما عن الموقع الإعرابي لجملة " ترفعن " فقيل : إنها تقع صفة ، وقيل : إنها كلامٌ منقطعٌ عما قبله ، كأنه استأنف الحديث^(٦٢٧) .

(٦٢٢) العربية القديمة ولهجاتها ، دراسة مقارنة بين ألفاظ المعجم السبئي وألفاظ ولهجات عربية قديمة (الجبالية والمهريّة) ، لعادل محار مسعود مريخ ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، المجمع الثقافي ، أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة ، ص : ٩ .

(٦٢٣) جذيمة الأبرش : هو جذيمة الوضاح بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، من بني الحارث بن كعب ، من الأزد ، كان من أفضل ملوك العرب رأياً وأشدهم نكابة ، وأظهرهم حزمًا ، عاش في أواسط القرن الخامس قبل الهجرة وأواخر القرن الرابع تقريباً ، ينظر : الأعلام، للزركلي ، ج: ٢ ، ص: ١١٤ .

(٦٢٤) " أوفى على الشيء " : أشرف . و " العلم " : الجبل المرتفع . و " الشمالات " : هي ريح الشمال الباردة الشديدة الهبوب . ينظر : لسان العرب ، مادة : " وفى " ، " علم " ، " شمل " .

(٦٢٥) ينظر : الكتاب، لسيبويه ، ج : ٣ ، ص : ٥٠٨ ، المقتضب ، للمبرد ، ج : ٣ ، ص : ١٣ ، شرح المفصل، لابن يعيش ، ج : ٩ ، ص : ٤٠ ، النوادر، لأبي زيد الأنصاري ، ص : ٥٣٦ .

(٦٢٦) ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للإمام جلال الدين السيوطي ، ج : ٤ ، ص : ٣٩٩ .

(٦٢٧) ينظر : خزانة الأدب ، ج : ١١ ، ص : ٤٠٥ .

وفي الحالتين سيكون دخول نون التوكيد في هذا الموضع ضرورةً عند النحاة ؛ لأن موقع نون التوكيد من هذا الفعل ليس من مواقع التوكيد التي ذكرها النحاة . (٦٢٨)

وللأستاذ محمود شاکر رأيٌ خالف فيه النحاة ، فهو يرى أنها لغة قديمة ، ولكن لم يحدد هذه اللغة (٦٢٩) .

ويبدو أنها لغة يمانية قديمة ، فقد وُجدَ في لغة النقوش اليمنية قواعد نحوية للاسم وللـفعل ومشتقاته وللحرف ، فمما ورد بشأن الفعل : تقسيمه إلى مجردٍ ومزيدٍ ، ومما ورد بشأن النون : إضافتها إلى كلٍّ من المجردِ ومزيدِ الثلاثيِّ والرُّباعيِّ ، الماضي ، المضارع ، فمثالٌ إضافتها إلى المضارع: يثوبن : يثيب ، يستامنن : يامن ، يستملانن : يأمل ، يشيمن : يشيد ، يهوكبن : يساعد أو يناصر (٦٣٠) .

وإضافةً هذه النون لها مدلولٌ عندهم ، فهي تعبر عن اختصارٍ لعبارة " كان من المفروض أن تفعل كذا " مع العلم أن هذه النون لا تردُّ إلا إذا كان الفعلُ مسبوقةً بأداة شرط كأن نقول : " حينما حصل كذا كان من المفروض أن تفعل كذا " ، ولكن دون اللجوء إلى هذه العبارة الطويلة ، مكتفين بإضافة النون. (٦٣١)

وصيغة المضارع المنون ظاهرة موجودة في لهجة " الأحقاف " باليمن ، وخاصة اللهجة " الجبالية " ؛ واللهجة " الجبالية والمهرية " لهجتان كبيرتان استوطنتا المنطقة التي سميت بـ " الأحقاف " ، والتي كانت لـ " عاد " ذات يوم ، كما أطلق على هاتين اللهجتين تسمية " لهجات الأحقاف " ؛ وذلك لأن أقدم صورةٍ نطقت بها العربية هي تلك التي نطقت بها قبائلُ " عاد " وهم أقدمُ طبقات العرب ، التي خرجت منها قبائلُ قحطان ، ويؤيد هذا القول ما ذكره بعض

(٦٢٨) ينظر لمواقع نون التوكيد من الأفعال : الكتاب، لسيبويه ، ج : ٣ ، ص : ٥٠٨ ، المقتضب ، ج : ٣ ، ص : ١٣ .

(٦٢٩) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ٣٨ .

(٦٣٠) ينظر : لهجات اليمن قديماً وحديثاً ، تأليف : أحمد حسين شرف الدين ، قدم المؤلف هذا البحث إلى مجمع اللغة العربية في دورته الخامسة والثلاثين المنعقدة في يناير سنة ١٩٦٩م وهي مدونة في محاضر المجمع بدون طبعة ، تاريخ الطبع : ١٩٧٠م ، مطبعة الجبلاوي ، شارع الترعة البولاقيية ، ص : ٢٦ .

(٦٣١) ينظر : العربية القديمة ولهجاتها ، ص : ١٠١ .

العلماء من أن "هوداً" عليه السلام هو أول من تكلم بالعربية القديمة ، والتي تطوّرت عنها باقي لهجات العرب ، وكذلك لأن هذه اللهجات لازالت تحتفظ بخصوصيتها في منطقة الأحقاف . (٦٣٢)

وإذا كان قولهم بأن هذه النون في الفعل المضارع تعني : " كان من المفروض أن تفعل كذا " ولا بدّ أن تكون مسبوقه بأداة شرط ، فإنه من الممكن أن يأتي الفعل : " ترَفَعن " على هذا المعنى ونقدّر فيه معنى الشرط ، فيكون التقدير : " إذا هبّت ريحُ الشَّمالِ كان من المفروض أن ترفعِ ثوبي " .

وفي هذا التقدير إشارةٌ إلى أنّ قميصَه لا يَلصقُ بجلده لخمصه وهذا مدح عندهم لا سيما من كان مثله من أهل النعمة .

ومن جهة أخرى ثوبه يجب أن يرفع ؛ لشدة هذه الرياح ، ولإشراف المرقبة ، فهو ينظر لقومه ويصعد على موضع عالٍ ويرقبهم ، وينظر من يأتيهم ، والريح إذا هبّت من مكانٍ عالٍ على ثوبٍ رفعتَه (٦٣٣) .

وقد أشار الشيخ إلى دلالة هذه النون في تحليله لهذا البيت الشعري إذ قال : " ... وقال : "ترفعن ثوبي" ، ولم يقل : " ترفع أثوابي " ، وارتكبت تأكيد الفعل بالنون في غير موضع تأكيده ؛ لأنه جعله في حيزٍ كلامٍ مؤكّد حذفه ؛ ليبدل على معنى ما حذف كأنه قال : " ترفع ثوبي شمالات ، ولترفعنّه هذه الرياح الهوج ، مهما جهدت أضْمُ عليّ ثوبي وأجمعه " ، فلما حذف " ولترفعنّه " ارتكبت تأكيد الفعل الأول في غير موضع تأكيد " (٦٣٤) .

وأياً كان معنى هذه النون فاللغة – كما يبدو – لغة يمانية قديمة ، فجذيمة الأبرش الوضاح التنوخي أزدي يماني ، وهو آخر ملوك قضاة بالحيرة ، وبنو قضاة من حمير ، وحمير من قحطان ، كما أن اللهجة " الجبالية " عدّها بعض المحققين من بقايا الحميرية القديمة (أي أن حمير تكلمت بهذه اللهجة) ، فاللغة التي نطق بها جذيمة لغة عصره كما هي لغة قومه .

(٦٣٢) المرجع السابق ، ص : ١٠ ، ١٢ .

(٦٣٣) ينظر : الخزانة ، ج : ١١ ، ص : ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ .

(٦٣٤) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٣٨٧ .

٢- رأيه في قولهم : " هو لك حلٌ ويلٌ " :

وضح الشيخ هذه العبارة ، ففسرت " حل " بأنها : حلال مباح ، و " بلٌ " بأنها : مباح مطلق ، عقب ذلك بيّن أن هذه اللغة يمانية حميرية (٦٣٥).

٣- قوله في " هو " و " هي " بالتشديد :

جاء هذا في قول الشاعر :

فأبعثها وهي صنيعٌ حولٍ كركنِ الرعنِ ، ذعبلَةٌ وقاحا (٦٣٦)

ذكر أبو فهر أن " هو " و " هي " بالتشديد ، لغة لهمدان (٦٣٧) ، مستشهداً بقول الشاعر :

وإن لسانِي شُهدةٌ يَشْتَفِي بها وهو على من صبه الله علقم

وكذلك قول القائل :

والنفس ما أمرت بالعنفِ آبيةً وهي - إن أمرت باللطفِ تَأْتِمِرُ (٦٣٨)

وفي شأن " هي " و " هو " المشددة ، جاء في اللسان : " إن " هو " أصله " هو " على ثلاثة أحرف ، ومن العرب من يخففه فيقول : " هو " (٦٣٩).

ولم يُصرِّحْ أبو فهر بأنهما لغتان قديمتان ، ولم يجزم بأنهما الأصل ، ولكن معرفته بأنهما لغتان لهمدان ، دلّ على تتبُّعه لتاريخ مفردات اللغة ، ودرأيته بأصولها الأولى ، فهو إن لم يصرِّحْ بأنهما الأصل ، إلا أنه عرف الناطقين بالأصل .

(٦٣٥) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٦١٧ .

(٦٣٦) لم يذكر الشيخ قائل البيت ، ولم يجده في مكان - على حدّ تعبيره - ، وقول الشاعر : " أبعثها " أراد ناقته . " صنيعٌ حول " أي : قد رعت حولاً كاملاً ، حتى سمتت وقويت . " الرعن " : الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً ، أي أن ناقته في قوتها كركن الجبل . " ذعبلَةٌ " : سريعة باقية على السير . " وقاح " : صلبة صبور .

(٦٣٧) همدان ، قبيلة يمنية ، ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د . عبده الراجحي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص : ٣٣ .

(٦٣٨) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٨٤ .

(٦٣٩) ينظر : لسان العرب ، مادة : " هو " .

ملحوظة : بناءً على قول أبي فهر وماورد في اللسان ، نستطيع القول بأن الأصل في " هو " و " هي " لغة همدان اليمانية " هو " و " هي " بالتشديد .

ثانياً : إلتنامه بإحياء الألفاظ المهجورة : (٦٤٠)

عمد محمود شاكر في مقالاته إلى إحياء ألفاظ مهجورة ، وكان يأتي بها ويشرحها قاصداً الإفادة منها ويهدف بإحيائها لفت الانتباه إلى سعة العربية وألفاظها التي هُجرت من غير علة تشوبها ، فلم تُهجر لنبوها أو لعجزها عن التعبير؛ بل هُجرت للجهل بها والتعامي عنها وعن مدلولها ، وهي ألفاظ سهلة لذيدة على السَّمع في الغالب ، ومنها ما تحتاجه اللغة ، إن لا يوجد نظير لها مستخدم في حياتنا بمثل دقتها وإيجازها ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها : الهولة : وهو كل كريبه المنظر يهول ويفزع ، ويشنقُ عنقه : أي يرميها إلى الورااء مرفوعاً (كبرياءً) ، التهؤكُ : هو التحيرُ ، والدّهارييس: وهي الدّواهي ، ولقم الطريق : أي وسطه أو رأسه ، مُتَلَجَّن : وسخ يتزلج ، الثَّرّة: بمعنى الثأر ، وكذلك قوله : " كان هذا الحديث هجّيراي : أي دأبي وعادتي من فرط النشوة " (٦٤١).

ومن الكلمات التي أحيها واللغة في حاجتها كلمة " صبّا " وهي نقيض كلمة " فصاعداً " (٦٤٢) ، وكذلك " الخنّابتان " وهما حرفا المنخرين عن يمين وشمال (٦٤٣).

ومن إحياء المهجور أن يأتي بتصريف غير مألوف ، نحو قوله : " لا أقول هذا عن ظنّ " (٦٤٤) والتظنّي مأخوذ من الظن ، وقد ورد في اللسان الفعل " تَظَنَيْتُ " (٦٤٥) وهذا مصدره قياساً ، ومثل هذا إيراده الجمع " أظانين " (٦٤٦) ، ومن جميل ذلك إيراده كلمة " المُحزَّبين " للدّاعين إلى الحزبية ، المفريقين الجماعة (٦٤٧) ، فهذه كلمة واحدة دالة كلّ الدلالة على المعنى ، ومثله " الخباط " وهو :

(٦٤٠) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ١٥ ، ٦٥ ، ١١٢ ، ٢٨٤ ، ٤٢٤ ، ٤٥٧ ، ٤٦٣ .

وينظر : لسان العرب ، مادة: " أهول ، شنق ، هوك ، لقم ، لجن ، تور ، ثأر ، دهس " .

(٦٤١) ينظر : المتنبّي ، ص : ١١ . لسان العرب، مادة: " هجر " .

(٦٤٢) أباطيل وأسمار ، ص : ٣٠٤ . لسان العرب ، مادة: " صيب " .

(٦٤٣) ينظر : جمهرة المقالات ، ص : ٧٣١ . لسان العرب ، مادة : " خنب " .

(٦٤٤) ينظر: جمهرة المقالات ، ص : ٢٨٨ .

(٦٤٥) ينظر: لسان العرب ، مادة : " ظنن " .

(٦٤٦) ينظر : جمهرة المقالات ، ص : ٩٠٤ . لسان العرب ، مادة : " ظنن " .

(٦٤٧) ينظر : جمهرة المقالات ، ص : ٤ . لسان العرب ، مادة: " حزب " .

التخبط بلا عقل ، وبلا مثنوية أي : بلا استثناء^(٦٤٨) ، وكذلك قوله : " يدرسون تاريخنا كأنه نقشٌ على مقبرة عادية قديمة " ، ف " عادية " منسوبة إلى " عاد " قوم هود عليه السلام^(٦٤٩) .
ومما قعد له شاكر أن يجد كلمة أعجمية تُترجم ترجمة حرفية إلى العربية ، فيجد لها أصلاً عربياً قديماً لم يُلتفت إليه ، فيحاول إحياء ذلك الأصل ، وذلك مثل كلمتي : " دائرة المعارف وحديقة الحيوان " فكان يسمى الأول : " جمهرة " ^(٦٥٠) ، ويطلق على الثانية : " حير الوحش " ^(٦٥١) .

(٦٤٨) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ١١١ ، ٣٢٤ . لسان العرب ، مادة : (خبط)

(٦٤٩) ينظر : المتنبي ، ص : ١٣ . لسان العرب ، مادة : " عود " .

(٦٥٠) ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٢٧٣-٢٧٤ . و"الجمهرة" : المجتمع . ينظر : لسان العرب ، مادة : " جمهر " .

(٦٥١) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٣٦٩ . لسان العرب ، مادة : " حَيْر " .

ثالثاً: التنبيه على ما أغفل من الصيغ الصرفية :

أشار العلامة محمود شاکر إلى صيغ لم تذكر في كتب اللغة-على حد تعبيره- ، كما أفادنا بأنها صحيحة وقياسية في العربية ، فهذه الصيغ وإن أغفلتها كتب اللغة ، إلا أن العرب الثقات نطقوا بها ، إضافة إلى ذلك فقد جاءت على أوزان قياسية مذكورة عند أهل اللغة ، ولم تأت هذه الصيغ على تلك الأوزان إلا لفائدة؛ وذلك لأن كل صيغة من صيغ الأفعال لها معانٍ عديدة تميّزها عن الصيغة الأخرى ، والمتحدّث بهذه اللغة بالطبع يشتقُّ من الأصول الموجودة ما يَنسَجِمُ مع مراده ، وهذا الاشتقاق لا يكون عبثاً ، بل هو وفق قواعدٍ مضبوطة ، اتَّفَقَ على وضعها .

ويبدو أن الشيخ لما أشار إلى هذه الصيغ أراد أن يرشدنا إلى سعة العربية وإلى ثروتها اللفظية، التي لا تعرف الوقوف عند حدود المعاجم وكتب اللغة ، بل تتسع ويزداد ثراؤها كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

وفي الوقت نفسه ، يحثُّنا على ضرورة الرجوع إلى الثراث العربي الأصيل ؛ لنستخرج المختبئ الدفين من كنوز اللغة الشريفة ، مستخدماً في ذلك عدّة عبارات للإشارة إلى هذه الصيغ نحو : "لم تثبت ، لم تذكر ، لم أجده في المعاجم ، لم أر ذلك في معاجم العربية ، هذه الصيغة لم ترد في كتب اللغة ، هو جَمْعٌ عزيز في اللغة ، معنىً لم يذكره النحاة " .

كما استخدم عدّة عبارات ليشير إلى صحتها مثل : " وهي قياس صحيح ، صريح في القياس ، عربية عريقة ، عربية جيدة ، عربيّة صحيحة ، عربية محضة ، ولكنه قياس العربية ، وهو حسن في العربية " .

أمّا الصيغ التي أشار إليها فهي متنوّعة : أفعال ، مصادر ، أسماء ، صيغ جمع ، صيغ مبالغة ، صفات ... إلخ .

١- الأفعال :

أ - ما جاء على وزن " تفعل " نحو :

• " تحفظ " في قول الشاعر عمرو بن شأس (٦٥٢) :

ونحن بنو خير السباع أكيلةً وأحجرةً لما تحفظً عادياً (٦٥٣)

فالشيخ يرى أن " تحفظ " لم تذكر في كتب اللغة ، وهي عنده قياس العربية (٦٥٤).

وفي قوله نظر ؛ لأن صيغة "تحفظ" وردت في كتب اللغة، يقول الزمخشري: "حفظ...تحفظ"، "احترز من العدو تحرّز: تحفظ...".^{٦٥٥}.

والملاحظ أن " تحفظ " جاءت على وزن " تفعل " ، ويبدو أن الفعل جاء على هذه الصيغة لإفادة معنى التكلف ، أي للدلالة على أن الفاعل يعاني ويتكلف أصل ذلك الفعل ويريد حصوله فيه حقيقة ، ولا يقصد إظهار ذلك إبهاماً على غيره ، فالشاعر تكلف هذا التحفظ ليحصل له حقيقة ، فهو متحفظٌ حقاً ، ولا يقصد إبهام غيره بذلك (٦٥٦) ؛ لأنّ المقام مقام فخر ، والشاعر يخبرنا عن حاله وحالة قبيلته إذا انتهكت لهم حرمة أو تعرّضوا لإساءة موحشة أو ضيم ، فحينها سيعدو على من يَنْتَهِك حُرْمَتَهُ فيفترسه ولا يبالي ؛ فمحال أن يكون غضبه في هذه الحالة للخداع ، وإيهام الغير

(٦٥٢) عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي ، أبو عرار ، شاعر جاهلي مخضرم ، أدرك الإسلام وأسلم ، عدّه الجمحي في الطبقة العاشرة من فحول الجاهلية ، وقال فيه كثير الشعر في الجاهلية والإسلام ، أكثر أهل طبقته شعراً ، وكان ذا قدر وشرف في قومه .

ينظر : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، د: عفيف عبد الرحمن ، رقم الترجمة : ٣٩٣ ، ص : ٢٣٦ .

(٦٥٣) " أكيلة الأسد " : صاحبه التي تؤاكله . " أحجرة " ، يقول أبو فهر : قد يكون صواب القراءة " أجزية " جمع " جزو " وهو ولد الأسد ، والمعنى : نحن بنو خير السباع صاحبةً وولداً . " تحفظ " : من " الحفيظة " ، وهو الغضب والأنفة لحرمة تنتهك . ينظر : لسان العرب ، مادة : " أكل " ، " جرا " ، " حفظ " . وفي رواية الديوان " أجزيةً لما تنفّس عادياً " ، وأجزية ، أي أنه : أحرب الناس وأشدّها في الحرب . و" تنفّس " أي : إذا انتفش واقشعرّ ونشر عفرته (أي الشعر الذي قفاه) . ينظر : لسان العرب ، مادة : " حرب " ، " نفش " .

ينظر : شعر عمرو بن شأس الأسدي ، تحقيق : دكتور يحيى جبوري ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ص : ١٠٨ .

(٦٥٤) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١٩٨ .

(٦٥٥) ينظر : أساس البلاغة ، للزمخشري ، مادة : " حفظ " ، " حرز " .

(٦٥٦) ينظر : المغني في تصريف الأفعال ، للدكتور : محمد عبد الخالق عزيمة ، بدون تحقيق ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، دار الحديث ، القاهرة - مصر ، ص : ١٢٣ .

بهذا الغضب لا يتناسبُ مع المقام المذكور إطلاقاً ؛ فهو حقاً غَضِبَ ، ومن شدّة الغضب افترس المعتدين دون مبالاة .

• ومنه : " تَخَلَّل " :

وهذا في قول الفرزدق :

أَلَمْ يَأْتِهِ أَنِّي تَخَلَّلُ نَاقَتِي بِنِعْمَانِ أَطْرَافِ الْأَرَاكِ النَّوَاعِمِ^(٦٥٧)

ف " تَخَلَّلُ " من " تَخَلَّلْتُ الإبل " ، أي : رعت الخُلَّة ، ويعلق الأستاذ محمود شاكر على هذا بأن أهل اللغة لم يذكروا سوى " أخلت واختلت " ، إلا أن "تخلل" عربية جيدة ؛ والشاعر اشتق " تَخَلَّلُ " من " الخُلَّة "^(٦٥٨) .

والملاحظ أنها وردت في أساس البلاغة، قيل: "خَلَّلَ أسنانه وتخلَّل"^{٦٥٩}.

• وكذلك " تَعَبَّثَ به " :

وردت هذه الصيغة في قول مصعب بن عكاشة بن مصعب بن الزبير بن العوام عندما طغت فئة الحرورية وقتلت من قتلت ، حينها قال لقومه : " ألا ترون ما يصنع هؤلاء بكم ؟ لأن يُقْتَلَ الرَّجُلُ وهو يقاتل بسيفه خيرٌ له أن يتعَبَّثَ به هؤلاء (أي الحرورية) ... إلخ " .

أما أبو فهر فقد ذكر أن صيغة " تعَبَّثَ به " من فصيح العربية مثل قولهم : " تَلَعَّبَ به " ، وإن لم تذكر عند أصحاب المعاجم^(٦٦٠) .

وهذه الصيغة يُحْتَمَلُ أن تكون بمعنى المجرَّد أي: " عبث به " ، ولكن صيغت على هذا الوزن لإفادة المبالغة .^(٦٦١)

(٦٥٧) " تَخَلَّلُ نَاقَتِي " من " تَخَلَّلْتُ الإبل " بمعنى : رعت الخُلَّة . و " الخُلَّة " كلُّ نَبْتٍ فيه حلاوة من نبت المرعى ، والمعنى : أن ناقته شبعت من الخُلَّة ، واشتهت الحمض ، وهو كلُّ نبت فيه ملوحة . " نعمان " : وإِدْ لهذيل قريب من عرفات ، بين مكة والطائف ، وهو كثير الأراك . " الأراك " : شجر معروف وهو الذي تُتَّخَذُ منه أجود المساويك . ينظر : لسان العرب ، مادة : " خلل " ، " نعم " و " أرك " . ينظر : شرح ديوان الفرزدق ، د : سوزان عكاري ، ص : ٤٢٨ .

(٦٥٨) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٣٠٨ .

(٦٥٩) ينظر: أساس البلاغة، للزمخشري ، مادة : "خلل".

(٦٦٠) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش وأخبارها ، للزبير بن بكار ، ج : ١ ، ص : ٣٢٦ . لسان العرب ، مادة : " عبث " .

(٦٦١) ينظر : المعنى في تصريف الأفعال ، ص : ١٤٠ .

• " تحجج " :

وهذا الفعل من " الحجّة " وهو الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، يقال : " حاجّه " ،
إذا خاصمه ونازعه الحجّة^(٦٦٣) ؛ وقد وردت صيغة " تحجج " في قول حمّاش الأبرش الكلابي^(٦٦٣)
يمدح أبا بكر عبد الله الزبيري :

أُرُوغَ ذَا قُدْمُوسٍ مَجْدِ أَتْبَجَا لُوْ خَاصَمَ النَّاسَ وَقَدْ تَحَجَّجَا^(٦٦٤)

ب- ما جاء على وزن : " فَعَلَّ " نحو :

• " طيّر " :

قال الأخطل يمدح سماك بن مخرمة الأسدي لما أعاده ومنعه :

نَعَمَ الْمُجِيرُ سِمَاكٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بِالْمَرْجِ ، إِذْ قَتَلَتْ جِيرَانَهَا مُضْرُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَيْنًا وَأَنْبُوهُ فَالْيَوْمَ طَيَّرَ عَنِ أَثْوَابِهِ الشَّرْرُ^(٦٦٥)

ذكر لنا أبو فهر أن " طيّر " لم تذكر عند أصحاب المعاجم ، إلا أنها عربية محضة^(٦٦٦).

وفي قوله نظر ؛ لأنها مستعملة بكثرة ، جاء في اللسان : " أطاره ، وطيّره ، وطار به " ، وفي الصحاح :
" أطاره غيره ، وطيّره وطيّره " ^{٦٦٧}.

(٦٦٢) ينظر : لسان العرب ، مادة : " حجج " .

(٦٦٣) حمّاش الأبرش هو : حمّاش الأبرش المقعد الكلابي ، شاعر ذكره الزبير بن بكار في كتابه " جمهرة نسب قريش " ، وذكر بعضاً من أشعاره ، يبدو أنه كان محبوباً لأحفاد الزبير بن العوام ، يمدحهم ويرثيهم عند الوفاة. ينظر : جمهرة نسب قريش وأخبارها ، للزبير بن بكار ، ص : ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ٢١٥ .

ملحوظة : لم يشر الشيخ محمود شاكر إلى أي مرجع أورد ترجمةً للشاعر .

(٦٦٤) " قدموس " : قديم . " الأتيح " الذي ارتفع ظهره . ينظر : لسان العرب ، مادة : " قدم " ، " ثيح " .

تنبيه : لم يذكر الشيخ أي مرجع ذكر فيه البيت الشعري .

ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ١٧٣ .

(٦٦٥) " المرّج " قبيل : المكان الذي اقتتلوا فيه بالجزيرة ، وقيل : أرض واسعة كثيرة النبت ترعاها الدواب . ينظر : طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٤٧٠ . لسان العرب ، مادة : " مرج " . شرح ديوان الأخطل التغلبي ، تحقيق : إيليا سليم الحاوي ، ص : ٣٣٨ .

(٦٦٦) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٤٧٠ .

(٦٦٧) ينظر : لسان العرب ، مادة : " طير " . الصحاح ، مادة : " طير " .

والملاحظ أن " طير " أفادت هنا معنى السلب والإزالة^(٦٦٨) ، فالشاعر كان يظن أن سماكاً قينٌ
وعبدٌ لا يحسن إلا نفخ الكير ، ولكن بأفعاله أزال ما كان يُظنُّ به ، أي أنه أزال ما يُظنُّ به ، كونه
ليس من الكرام ، كما يُزالُ حُبُّ الكيرِ والشَّرارِ الذي ينبعثُ منه من أن يصيبَ الثوبَ بأذى .

• " ضلّع " :

قال حمّاش بن الأبرش الكلابي^(٦٦٩) ، يرثي عبد الله بن مصعب :

لقد بَقِيَتْ مِنْهُمْ قَنَاةٌ صَلِيْبَةٌ سَتَسْقِيْ عِدَاَهَا السَّمَّ حَتَّى تُضَلَّعَا^(٦٧٠)

قال الشيخ في معنى : " حتى تُضَلَّعَا " :

" أي : حتى تُضَلَّعَهُمْ ، والمعنى : هم يُجَرِّعُونَ أعداءهم من السَّمِّ جُرْعاً تُنْفَخُ أضلاعهم ، وتُمددُ
جنوبهم من كثرتها " .

وقد أشار الشيخ إلى أن صيغة " تُضَلَّعَا " لم تُذكر في معاجم اللغة ، وأن " حمّاشا " جاء بها على
" ضلّع القوم يُضَلَّعُهُمْ " ، وهي عنده صحيحة جيدة في العربية " ^(٦٧١) .

• صيغة " تَيِّح " :

لم تذكر معاجم اللغة -على حد قول الشيخ- " تَيِّح " بالتضعيف ، والتي اشتقَّ منها الشاعر
قوله : " متيِّحا " بمعنى : مهياً ومُقَدَّر له ، و " أُتِيح له كذا " أي : قُدِّر له وهبئ له ، وهذا في قوله
:

نَعَمْ ، رُبَمَا كَانَ الشَّقَاءُ مُتَيِّحًا فغَطَّى عَلَى سَمْعِ ابْنِ آدَمِ وَالبَصْرُ^(٦٧٢)

(٦٦٨) ينظر : المغني في تصريف الأفعال ، للدكتور عبد الخالق عزيمة ، ص : ١٣١ .

(٦٦٩) تقدمت ترجمة حمّاش في ص : ٢٤٦ .

(٦٧٠) ينظر : جمهرة نسب قريش ، ص : ١٥٣ ، ولم تذكر أيُّ إشارة إلى ذكر البيت في مصدر آخر .

(٦٧١) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ١٥٣ ، ١٥٤ . لسان العرب ، مادة : " ضلع " . المغني في تصريف الأفعال ، ص

: ١٣١ .

(٦٧٢) لم يذكر قائل البيت ، ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ٤٩٠ . لسان العرب ، مادة : " تيح " .

• " سَنَى " :

قال محمد بن بشير الخارجي^(٦٧٣) يبكي أبا عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَةَ :

وَكُنْتَ إِذَا فَاخَرْتَ سَنَيْتَ وَالِدًا يَزِينُ كَمَا زَانَ الْيَدَيْنِ الْأَسَاوِرُ^(٦٧٤)

المذكور في كتب اللغة " أسناه " بمعنى رفع ذكره ، أما " سَنَيْتَ " من " سَنَى الشيء " فيرى الشيخ أنها لم تُذكر ، ولكنها عربية عريقة " (٦٧٥) .

والملاحظ مجيء "سَنَى" في كتب اللغة، جاء في اللسان: "سَنَيْتَ الشيء إذا فتحته،... وتسَنَى الشيء: علاه.." (٦٧٦) .

ويبدو أنّ صيغة " تَيَّح " و " سَنَى " في البيتين السابقين أريدَ بهما التكثر^(٦٧٧) .

• " تُهَجِّيْهَا " :

قال جرير لعبيد بن حصين^(٦٧٨) :

(٦٧٣) الخارجي هو : محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل الخارجي ، من بني خارجة بن قيس عيلان بن مضر ، يكنى بأبي سليمان ، شاعر فصيح حجازي مطبوع من شعراء الدولة الأموية ، كان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة القرشي أحد بني أسد بن عبد العزى ، له مدائح مراثٍ مختارة هي عيون شعره ، وكان يقيم في المدينة فلا يكاد يحضر مع الناس . ينظر : كتاب الأغاني ، لأبي فرج الأصبهاني ، من عمل : عبد الستار أحمد فرج ، بدون طبعة ، ١٩٨٣م ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، المجلد : ١٦ ، ص : ٦٠ .

(٦٧٤) المرجع نفسه ، ص : ٧٧ .

(٦٧٥) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ٤٩٥ .

(٦٧٦) ينظر: لسان العرب، مادة: "سنا".

(٦٧٧) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ، تأليف : الشيخ رضي الدين محمد الحسن الإسترباذي ، تحقيق : محمد نور الحسن ، محمد الزقراف ، محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون طبعة ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ج : ١ ، ص : ٩٢ .

(٦٧٨) عبيد بن حصين هو : الراعي النميري ، كان من رجال العرب ووجه قومه ، وكان بذياً هجاءً لعشيرته ، ولكنه شاعر لا يحتذى شعر ولا يعارضه ، لُقّب بـ " الراعي " لكثرة وصفه الإبل ، وقيل : لأنه كان راعي إبل ، من أهل بادية البصرة ، عاصر جرير والفرزدق، وكان يفضّل الفرزدق ، فهجاه جرير هجاءاً مُراً . ينظر : طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٥٠٢ . ينظر : الأعلام، للزركلي ، ج : ٤ ، ص : ١٨٨ .

وَقَرَضُكَ فِي هَوَازِنَ شَرُّ قَرَضٍ تَهَجِّيْهَا وَتَمْتَدِحِ الْوُطَابَا^(٦٧٩)

ف " تهجّيها " من الهجاء ، وهو الشتم بالشعر وغيره ، وأشار شيخنا إلى أن جريراً أتى بها على التضعيف (أي على وزن فَعَل) للمبالغة والتكثير ، وكان هذا جيّد في العربيّة .^(٦٨٠)
وفي هذا نظر؛ لأن " تهجّيها " وردت في اللسان، إلا أنها استعملت لغير المعنى المذكور، قيل: " هجوت الحروف وتهجّيتها وهجّيتها تهجية"^{٦٨١}.

ج- ما جاء على وزن " أفعل " :

• " أذمّل " : وردت في قول أبي المَشْمَعَل^(٦٨٢) ، يرثي عبد الله الزبيري :

وما استلم البيت الحجيج وزاره وما أذملوا العيس الحجاج خضعا
وما رحلوا من بعيد حجة وما تهموها سالمات وظلعا^(٦٨٣)

و " أذمّل " عند شيخنا عربية عريقة وإن لم تثبت في رأيه— في كتب اللغة، فما ثبت هو قولهم: " ذمّل العيس"^(٦٨٤) ، و " أذمل " هنا جاءت بمعنى " ذمّل " ، ومجيئها بهذا المعنى متفق مع

(٦٧٩) " القرَضُ " : في الأصل ما يعطيه الرجل من المال ليقضاه ، ثم استعير للفعل يجازي به الإنسان ، يقال لك : عندي قرَضٌ حسن أو قرَضٌ سيء . " هوازِن " : قبيلة الرّاعي من قيس عيلان. " الوطابا " : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن خاصة يكون من الجلد ، والمعنى : تهجو قومك وعشيرتك ولا تبالي بأعراضهم ، ولا هم لك إلا بطنك من خستك وشرك ؛ لذا تكثر مدح الإبل وذكر ألبانها .
ينظر : لسان العرب ، مادة: " قرَض " ، " وطب " . شرح ديوان جرير ، تحقيق : محمد إسماعيل الصاوي ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، دار الأندلس ، بيروت — لبنان ، ج : ١ ، ص : ٧٧ . ينظر : ديوانه ، تحقيق : حمدو طمّاس ، ص : ٥٨ .

(٦٨٠) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٥٠٢ .

(٦٨١) ينظر : لسان العرب، مادة: " هجا " .

(٦٨٢) أبو المَشْمَعَل هو : كَثِير مولى عبد الله بن مصعب الزبيري ، ويعرف بأبي المضاء . ينظر : جمهرة نسب قريش ، ص : ١٥٤ ، وينظر : معجم الشعراء ، للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، تحقيق : الأستاذ الدكتور ف. كرنكو ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ، دار الجيل — بيروت ، ص : ٢١٥ .

(٦٨٣) " العيس " : إبل بيضاء تخالطها شقرة . " حجاج " : جمع " حرجوج " وهي الناقة الجسيمة الطويلة وربما كانت ضامرة . " خضعا " : جمع " خاضع " ، وهي الإبل المسرعات في السير إذا جدّت ، ويقال لها : " خواضع " ؛ لأنها إذا جدّت في السير خضعت أعناقها ، إذا طأطأت من انتصابها شيئاً . " تهم الإبل " : إذا أتى بها تهامة . " ظلعا " : الذي أصابه الظلّع ، وهو شبيهه بالعرج ، وهذا يكون من التعب . ينظر : لسان العرب ، مادة: " عيس " ، " حرج " ، " خضع " ، " تهم " ، " ظلّع " .

تنبية : لم يذكر العلامة محمود شاعر أي مرجع ذكرت فيه الأبيات ، غير الجمهرة . ينظر : جمهرة نسب قريش ، ص :

مع السياق، وفي نفس الوقت لا يخالف قواعد اللغة ؛ لأن مجيء " أفعلَ " بمعنى " فعل " كثير في اللغة ، ويبدو أن المعنى هنا للتعدية^(٦٨٥) ؛ لأن " أذمل العيس " معناها : حملها على الذميل ، وهو ضربٌ من سير الإبل ، لين سريع^(٦٨٦) .

• " أنكى " :

قال مُصْعَبُ بن عبد الله بن مصعب يرثي أبا بكر بن عبد الله بن مصعب^(٦٨٧) :

وكان متى ما يُسأل الحق يعطيه
هنيئاً وينكي حده من تترعاً^(٦٨٨)

يرى الشيخ أن كتب اللغة لم تذكر " أنكأ " و " أنكى " ^(٦٨٩)، والملاحظ أنها ذكرت، قيل: "ننكي العدا"^{٦٩٠}، ويحتمل أن تكون " أنكى " هنا بمعنى " نكى " ^(٦٩١) .

• " أسهلتها " و " سهلتها " :

وردت في قول الشاعر سعية بن العريض^(٦٩٢) :

وإذا عمدت لصخرة أسهلتها
أدعوب أفلح مرةً وربّاح^(٦٩٣)

ويذكر شيخنا رواية أخرى لهذا البيت ، وهي رواية صاحب الأغاني :

(٦٨٤) المرجع نفسه ، في الهامش ، ص : ١٥٤ .

(٦٨٥) ينظر : المغني في تصريف الأفعال ، ص : ١٥٤ .

(٦٨٦) ينظر : لسان العرب ، مادة : " ذمل " .

(٦٨٧) هو : مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، راوية شاعر ، وهو عم الزبير بن بكار ، وهو صاحب كتاب نسب قريش . ينظر : جمهرة نسب قريش ، للزبير بن بكار ، ص : ١٨٧ .

(٦٨٨) " تترع " : تسرع إلى ما لا ينبغي له من الشر . ينظر : لسان العرب ، مادة : " ترع " .

تنبيهه : لا توجد أي إشارة إلى وجود البيت الشعري في مصادر أخرى غير الجمهرة .

(٦٨٩) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ١٨٨ .

(٦٩٠) ينظر : لسان العرب ، مادة : " نكا " .

(٦٩١) ينظر لمجيء " أفعلَ " بمعنى " فعل " : المغني في تصريف الأفعال ، ص : ١٣١ .

(٦٩٢) هو : سعية بن عريض بن عادية الأزدي ، جاهلي ، يهودي ، أخو السَّمَوَال ، له أخبار وأشعار كانت مما يُغنى بها .

ينظر : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، د: عفيف عبد الرحمن ، رقم الترجمة : ٢٢٢ ، ص : ١٤٩ . شعراء اليهود في الجاهلية

وصدر الإسلام ، للدكتور أحمد محمد النجار ، بدون طبع ، ١٩٧٨م ، دار النهضة العربية ، مصر ، ص : ٩٩ .

(٦٩٣) يقول أبو فهر : " أفلح " و " رباح " بطنان من قبائل اليهود ، يريد أن يستعين بهؤلاء مرة ، وبهؤلاء مرة ، وقد يكونان من

أسماء العبيد ، فيكون عُنِيَ بعضُ عبيده . ينظر : طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ٢٨٧ .

وَإِذَا دُعِيَتْ لِصَعْبَةٍ سَهَّلْتُهَا ^(٦٩٤) أَدْعَى بِأَفْلَحٍ تَارَةً وَنَجَاحٍ ^(٦٩٤)

ف "أَسَهَّلْتُهَا" و "سَهَّلْتُهَا" بمعنى : صيرتها تراباً سهلاً ، بناؤها عربيٌّ صحيح ، وإن لم يُذكَرَا في معاجم اللغة ، كما ذكر أبو فهر ^(٦٩٥) .

كما لاحظنا أن الفعل "سَهَّلَ" أَشْتُقُّ مِنْهُ "أَفْعَلَ" و "فَعَّلَ" ، ففعل : "سَهَّلَ" و "أَسَهَّلَ" ، وكلتا الصيغتين أفادت معنى واحد ، وهو التعدية ^(٦٩٦) .

ومما يجب التنبيه عليه هو كثرة ورود هاتين الصيغتين في كتب اللغة، قيل: "سَهَّلَهُ: صيره سهلاً...، أسهلوا القوم: إذا استعملوا السهولة مع الناس ^(٦٩٧)".

د - ما بُنِيَ عَلَى زِنَةِ "افْتَعَلَ" ، وهذا نحو :

• "تَشْتَعِبُنِي" :

يقول ذو الرِّمَّة :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَمُوتَنَّ عَاصِمٌ ^(٦٩٨) وَلَمْ تَشْتَعِبْنِي الْمَنَايَا شُعُوبَهَا ^(٦٩٨)

ف "تشتعبني" بُنِيَ مِنْ "شَعَبَ" و "اشتعب" كأنها تنتزعه انتزاعاً شديداً ، وهو بناء عربيٌّ صحيح لم يجده الشيخ في كتب اللغة ^(٦٩٩) .

ويبدو أن هذه الصيغة أفادت معنى "التصرف" الذي يُعَبَّرُ عَنْهُ بِـ "التسبب" ، فالشعوب اسم للمنية ؛ سُميت بذلك لأنها تَشْعُبُ النَّاسَ وتفرِّقُهم وتذهب بهم ، فمعنى "تشتعبني المنية" أي : تَسَبَّبَتْ فِي هَذَا الْفِعْلِ (الاشتعب) ^(٧٠٠) .

(٦٩٤) ينظر : كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، المجلد : ٣ ، ص : ١٢٥ .

(٦٩٥) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ٢٨٧ .

(٦٩٦) ينظر : المغني في تصريف الأفعال ، ص : ١٢٤ ، ١٣١ . أدب الكاتب ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون طبعة ، بدون تاريخ الطبع ، دار الطلائع ، القاهرة - مصر ، ص : ٢٦٦ .

(٦٩٧) ينظر : لسان العرب ، مادة : "سهل" .

(٦٩٨) يرجو الشاعر أن يموت "عاصم" الذي تزوج حبيبته "مى" قبل أن يموت هو ؛ حتى يخلو له وجه حبيبته . ينظر : ديوان ذي الرِّمَّة غيلان العدوي ، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي ، رواية الإمام أبي العباس ثعلب ، تحقيق : الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، مؤسسة الإيمان ، بيروت - لبنان ، ج : ٢ ، ص : ٦٩٥ .

(٦٩٩) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٥٦٣ . لسان العرب ، مادة : "شعب" .

• " ابتطح " :

قال المنذر بن عبد الله الحزامي^(٧٠١) :

وقاع قُرَيْقِرٍ حَتَّى الْمَمَاتِ

أَنْسَى عَيْشَنَا بَبِيوتِ يَحَى

إِذَا ابْتَطَحَ بِصُوبِ الْغَادِيَاتِ^(٧٠٢)

وَلَا طَيْبَ الْمَشَاشِ وَوَادِيَيْهِ

ف " ابتطح " الوادي والسييل مثل " تبطح " أي : استوسع وانبسط في البطحاء ، و " ابتطح " كما ذكر الشيخ - من الصيغ التي لم تثبت في كتب اللغة^(٧٠٣) ، وهي هنا بمعنى " تبطح " ، والقياس الصري يؤيد ذلك ، فقد أشير إلى مجيء صيغة " أفتعل " بمعنى " تفعل " ، وذلك نحو : ابتسم تبسم .^(٧٠٤)

(٧٠١) هو : المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام ، أمه من بني سليم ، وكان من سَرَوات قريش وأهل الهدى والفضل . ينظر : جمهرة نسب قريش ، ص : ٣٩٥ . ينظر : كتاب التاريخ الكبير . لشيخ الإسلام أبي عبد الله إسماعيل البخاري ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ الطبع ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، المجلد السابع ، القسم الأول من الجزء الرابع ، ص : ٣٥٨ . ينظر : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ الطبع ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ج : ١٣ ، ص : ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٧٠٢) يقول أبو فهر : " ببيوت بحي " : يرجح أن تكون خارج المدينة . و " قاع قريقر " : يُظن أن المعنى به " قرقرة الكدر " وبينها وبين المدينة ثمانية برد ، وهي في ديار بني سليم . " المشاش " قيل : إنه يتصل بجبال عرفات ، ويتصل إلى مكة ، وقيل : موضع بين ديار بني سليم وبين مكة . ينظر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، تحقيق : مصطفى السقا ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، بيت المغرب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة - مصر ، ج : ٣ ، ص : ١٠٦٥ . معجم البلدان لياقوت الحموي ، ج : ٥ ، ص : ١٣١ ، ينظر : ج : ٤ ، ص : ٣٢٦ .

" الغادية " : السحابة التي تنشأ غدوة فتمطر . " صوبها " : مطرها .

ينظر : لسان العرب ، مادة : " صوب " ، " غدا " .

(٧٠٣) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ٣٩٨ ، ولا توجد إشارة إلى ورود البيت في مصدر آخر . ينظر : لسان

العرب : مادة : " بطح " .

(٧٠٤) ينظر : الهمع ، للسيوطي ، ج : ٦ ، ص : ٢٦ .

• " يَطَّافٌ " :

قال إبراهيم بن يسار النساء^(٧٠٥) :

لِذَاكَ أَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَمَنْ يَطَّافُ بِالْبَيْتِ مِنْ وَقْفٍ وَزُورٍ

" يَطَّافٌ " هنا على وزن " افْتَعَلَ " من " طاف يطوف ، وتطوَّف واستطاف " ، وهي صيغة – كما دُكِرَ – لم تثبت في معاجم اللغة ، ولكنها صحيحة في العربية^(٧٠٦) . وعلى أية حال ، فإن " اطَّاف ويَطَّاف " وردت باطراد في كتب اللغة ، قيل : " اطَّاف يَطَّاف اطْيَافاً : إذا ألقى ما في جوفه " ^{٧٠٧} . وفي " يَطَّافٌ " التي أصلها " يططوف " أدغمت التاء في الطاء ، وقلبت الواو ألفاً ؛ لتناسب الفتحة قبلها .

وأما معناها فيبدو أنها بمعنى المجرد " يطوف " ^(٧٠٨) ، وهو معنى متَّفَقٌ مع السياق .

هـ - ما جاء على وزن " استفعل " :

• " استبعث " :

قال عمر بن لجأ^(٧٠٩) :

هَبْتُ الْفَرَزْدَقَ وَاسْتَبَعْتَنِي عَبْنًا لِمَوْتِ تَعَمُدٍ ، وَالْمَوْتُ الَّذِي تَدْرُ (٧١٠)

(٧٠٥) إبراهيم بن يسار النساء : شاعر ذكره الزبير في كتابه " الجمهرة " وقال فيه : " لا نعلمه مدح أحداً غير أبي بكر بن عبد الله بن مصعب الزبيري ، وعبد الله بن محمد بن عمران الطلحي " ، وذكر أبو فهر محمود شاكر أن إبراهيم بن يسار هو أخو " إسماعيل بن يسار النساء " الذي ورد ذكره في الأغاني ، قال أبو الفرج في ترجمة إسماعيل : " وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً ، وهم من سبي فارس " . ينظر : كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، ج : ٤ ، ص : ٤٢٦ .

(٧٠٦) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ١٧٩ ، ٣٠٦ .

تنبيهه : لا يوجد ما يشير إلى ذكر البيت في مصدر آخر .

(٧٠٧) ينظر : لسان العرب ، مادة : " طاف " .

(٧٠٨) صيغة " افْتَعَلَ " تأتي بمعنى المجرد " فعل " . ينظر : المعنى في تصريف الأفعال ، ص : ١٤٧ .

(٧٠٩) هو عمر بن لجأ بن حُدَيْر بن مَصاد بن ربيعة بن جُلهم بن امرئ القيس بن ثعلبة بن سعد بن زهل بن تميم بن عبد مناة بن مضر ، من تميم الرباب ، شاعر أموي راجز ، عاصر جريراً والفرزدق ، جعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الإسلاميين .

ينظر : طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٥٨٣ . ينظر : منتهى الطلب من أشعار العرب ، ج : ٧ ، ص : ٢٤٣ .

(٧١٠) في رواية الديوان ، ومنتهى الطلب : " فاستعفيتني جزعاً " . ينظر : شعر عمر بن لجأ التميمي ، تحقيق : يحيى الجبوري ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، دار القلم - الكويت ، ص : ٩٣ . منتهى الطلب من أشعار العرب ، ج : ٧ ، ص : ٢٤٤ .

ف " استبعثه " بمعنى استثاره ، من قولهم : " بعث الشرُّ " ، أي : أثاره وهيجاه ، وهذه الصيغة لم يجدها الشيخ في كتب اللغة ، وهي قياس صحيح عنده^(٧١١) ، ويبدو أن " استبعث " هنا جاءت بمعنى المجرد ، أي بمعنى " بعث " نحو : قرّ في مكانه ، واستقر .

• " استضلع بالشيء " :

" استضلع بالشيء " أي : احتمل ثقله وأطاقته أضلاعه ، من قوّته وشدته ، وجاءت هذه الصيغة في قول عبد الله بن عمر بن مصعب^(٧١٢) :

وَإِنِّي لِأَمْضِي الْهَمَّ مُسْتَضْلِعًا بِهِ إِذَا الْهَمُّ مِنْ وَاهِي الْقَوَى مَلَأَ الصَّدْرَ^(٧١٣)

ويبدو أن الشاعر أتى بهذه الصيغة ليدلّ على قوّة المعنى ، فاستضلع به أي : قوي احتمالاه^(٧١٤) .

و- صياغة الأفعال المتعدّية :

• " تهمه " :

في قول الشاعر أبي المشمعلّ :

وَمَا رَحَلُوهَا مِنْ بَعِيدٍ لِحِجَّةٍ وَمَا تَهَمُّوهَا سَالِمَاتٍ وَظُلَعَا

ف " تَهَمَه " فعلٌ متعدي ، وهو حرفٌ لم يجده الشيخ في كتب اللغة - على حدّ تعبيره - فما وجد هو قولهم : " أتهم " و " تاهم " إذا أتى تهامة ، وهي أفعال لازمة^(٧١٥) .

فكأن الشيخ يريد أن ينبه علينا أنه بإمكاننا صياغة المتعدّي واللازم من الفعل " تهم " أو غيره من الأفعال ، فما دامت الصياغة على القياس وقواعد العربية فهي صحيحة .

(٧١١) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٥٨٩ . لسان العرب ، مادة : " بعث " .

(٧١٢) هو : عبد الله بن عمر بن مصعب بن الزبير بن العوام ، يقول أبو فهر : " إنه لم يجد له خبراً في مكان آخر (أي : مكان غير جمهرة نسب قريش) ، بل ذكر أخاه مصعب بن عمر " . ينظر : جمهرة نسب قريش وأخبارها ، ص : ٣٣١ ، ٣٣٣ .

(٧١٣) المرجع نفسه ، ص : ٣٣٢ . ينظر : لسان العرب : مادة : " ضلع " .

(٧١٤) ينظر لمعاني " استفعل " : المغني في تصريف الأفعال ، ص : ١٥٣ .

(٧١٥) سبق ترجمة الشاعر وذكر البيت وشرحه في ص : ٢٤٩ . ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ١٥٤ .

فنصوغ اللازم إن أردنا الإخبار عن دخول الفاعل في المكان فنقول : " أتهم الرجل وتاهم " بمعنى دخل هذا المكان ووصل إليه .

ونصوغ المتعدّي نحو : " تهمه " أي : أدخل غيره (ناقة ، جمل ، أو أيّ مفعولٍ آخر) في هذا المكان (تهامَة) وأوصله إليه .

• " نتخرّف به " :

نتخرّف بالشيخ أي: نستهزئ بخرفه ، والخرف : فساد العقل من الكبر ، والوارد في اللسان "خَرِفَ الرجل " وهو لازم و " أخرفه الهرم " متعدّد ، أمّا صيغة " نتخرّف به " فالفعل هنا متعدّد لكن بحرف الجر^(٧١٦) .

• " استؤلّه " :

" استؤلّه الحب " أي: أدخل عليه الوله ، وهو زهاب العقل والتحيّر من شدّة الوجد ، والمذكور: " وَلَهُ يَوْلَهُ ، وَلَهَا وَلَهَانًا ، وتَوَلَّه وأتَّله .. " وهي صيغٌ لازمة ، صيغٌ منها المتعدّي "استوليه " وذلك بزيادة الألف والسين والتاء^(٧١٧) .

(٧١٦) المرجع السابق ، ص : ٣٧٢ . لسان العرب ، مادة : " خرف " .

(٧١٧) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ٤٨٩ . لسان العرب ، مادة: " وَلَهُ " .

ينظر لموضوع التعدّي واللزوم : شرح شافية ابن الحاجب ، ج : ١ ، ص : ٨٣ ، ٩٠ .

شذا العرف في فنّ الصرف ، للشيخ أحمد الحملاوي ، تقديم مصطفى السقا ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٩٥٧م ، دار إحياء التراث الإسلامي ، المدينة المنورة ، ص : ٤٨٦ .

٣- الأسماء :

كما أشار الشيخ محمود شاکر إلى صیغ أفعال لم تذكرها كتب اللغة ، أشار أيضاً إلى صیغ أسماء لم يجدها في المعاجم ومنها :

• " رَفَاع " :

وذلك في الحديث عن الصحابي الجليل ربيعة بن أمية بن خلف الجُمُحِيّ يوم حُجّة الوداع :
"أنه كان الذي يُسْمَعُ النَّاسَ عنه صلى الله عليه وسلم وكان في صوته رَفَاعٌ " .

إن يقول شيخنا : " رَفَاعَةُ الصوت ورفُاعته (بالفتح والضم) جهارته ، ورجل رفيع الصوت جهيره ، ولم أجد " الرفاع " في المعاجم ، ولكن فعال وفعالة يتعاقبان كثيراً في المصادر فيما تتبعته منها " (٧١٨) .

ومن الملاحظ أن " رفاع " موجودة في معجم اللسان ، إلا أنها لم تستخدم لرفاعة الصوت وجاهارته إنما استخدمت لمعان أخرى :

الرَّفَاعَةُ بالضم : ثوب ترفع به المرأة الرَّسَاءَ عجيزتها تُعْظَمُها به والجمع الرفائع .

الرفاع : حبل يُشَدُّ في القيد يأخذه المقيّد بيده يَرْفَعُهُ إليه ، ورفاعة المقيّد : خيط يرفع به قيده إليه.

ويبدو أن الجامع بين هذه المعاني الارتفاع ، سواءً أكان للثوب ، أم للحبل ، أم للصوت .

وقال أيضاً :

"الرَّفَاعُ والرَّفَاعُ : اكتنارُ الزرع ورفُوعه بعد الحصاد . ورفَع الزرع يرفُعه رفعاً ورفَاعاً : نقله من الموضع الذي يحصده فيه إلى البَيْدَر" (٧١٩) .

ويُسْتَدَلُّ بهذا القول على ما أشار إليه الشيخ ، وهو تعاقب " فَعَال " و " فَعَالِه " بكثرة في المصادر. (٧٢٠)

(٧١٨) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ٧٤ .

(٧١٩) ينظر : لسان العرب ، مادة : " رفع " . ومعنى " البيدر " : المكان الذي يُداس فيه الطعام ، ويجمع فيه ما يحصد من برّ وقمح وشعير . ينظر : لسان العرب ، مادة : " بدر " .

(٧٢٠) ملحوظة : الرَّفَاعُ والرَّفَاعَةُ نحو "السَّلام والسَّلامَة" .

٣- صيغ الجمع :

أ- ما كان على وزن " فُعَال " وذلك نحو :

" دِيَان " جمع دائن ، وهو على وزن جُهَال ، وقد عبّر الشيخ عنه بقوله : " وهو جمع عزيز وجوده في كتب اللغة " ، وهذا هو الأصل في جمع فاعل ، إذا كان وصفاً ، نقول : جُهَال ، وزُوَار ، وغِيَاب ، في جاهل ، وزائر ، وغائب .^(٧٢١)

ب- ما جاء على وزن " فُعَل " نحو :

" وُشَع " جمع " وشيع " ، والذي في كتب اللغة جَمَعُ " وشيع " على " وشائع " ، وذكر الأستاذ محمود شاكر بأن جمعه صريح في القياس ، فمما تطرد فيه صيغة " فُعَل " الأسماء الرباعية التي قبل آخرها مدّ ، وتكون صحيحة الآخر ، مثل : رغيف ورُعْف ، وقضيب وقُضْب ، والوشيع هو ما يجعل حول الحديقة التي لا حائط لها ، من الشجر والشوك ليمنع من أراد أن يدخل عليها .^(٧٢٢)

ج- ما جاء على زنة " فُعَل " مثل :

نُكْس جمع " ناكس " والمذكور " نِكْس " جمع " أنكاس " وهو السهم الذي يُنكس أو يُنكسِرُ ، فيجعلُ أعلاه أسفله ، فلا يرجعُ كما كان ، ولا يكون فيه خيرٌ وهو أضعفُ السهام .^(٧٢٣)
وصيغةُ " فُعَل " كـ " فُعَال " تطردُ في وصفِ على وزن " فاعل " .

د- ما ورد على وزن " فُعَل " مثل :

" كُشْر " جمع " أكشر " من قولهم : " كَشَرَ السبع عن نابه " إذا أبداه متنمراً موعداً ، والجمع هنا على القياس ؛ لأن " فُعَل " يقاس في " أفعل " ، مثل : " حُمَر " جمع " أحمر " .^(٧٢٤)

(٧٢١) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٦٨٧ .

(٧٢٢) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ج : ١ ، ص : ٢٦٦ . لسان العرب ، مادة : " وشع " .

(٧٢٣) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ٤٩٩ ، ١٩٠ . لسان العرب ، مادة : " نكس " .

(٧٢٤) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ١٩٠ . لسان العرب ، مادة : " كشر " .

ينظر لصيغ الجمع : شذا العرف في فن الصرف ، ص : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

هـ - " فِعَال " :

صيغة " غِلَال " من " غُلَّ " :

قال أصحاب اللغة : إنَّ " غُلَّ " جمعها " أغلال " ، ولا يُكسرُ على غير ذلك^(٧٢٥) ، بينما أبو
فهر يرى أن " غُلَّ " تُجمع على " غِلَال "^(٧٢٦) ، وجعل بيت الفرزدق حُجَّةً عليهم ، وهو قوله في
مدح سليمان ابن عبد الملك :

كثيراً من الأيدي التي قد تَكَنَّعَتْ فَكَّكْتَ أَعْنَاقاً عَلَيْهَا غِلَالِهَا^(٧٢٧)

فما يبدو أنَّ صيغة " غُلَّ " إذا أردنا جمعها جمع قلة ، جمعت أو كسرت على " أفعال " فنقول
: " أغلال " ، وإذا أردنا جمعها جمع كثرة ، كسرت على " فِعَال " ، فنقول : " غلال " .
وجمع " غُلَّ " على " غلال " قياسي ؛ لأنَّ صيغة الجمع " فِعَال " تطرد في ثمانية أنواع ، ومنها
: ما كان على وزن " فُعَل "^(٧٢٨) ، و " غُلَّ " على وزن " فُعَل " ، وجمعت على " غِلَال " ، على وزن
" فِعَال " ، مثل : " رُمَح " جمعت على : " رِمَاح " .

(٧٢٥) ينظر : لسان العرب ، مادة : " غلل " .

(٧٢٦) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٣٣٨ .

(٧٢٧) " تَكَنَّعَتْ يده وأصابه " : تَقَبَّضَتْ وَيَبَسَتْ تَشَنَّجَتْ . " غلال " : جمع " غُلَّ " وهو جامعة توضع في العنق واليد كالقيد ،

وهو على باب " عَشَّ " و " عَشَّاش " . ينظر : لسان العرب ، مادة : " كنع " و " غلل " .

شرح ديوان الفرزدق ، لسوزان عكاري ، ص : ٣٣٤ .

ولكن بغير هذه الرواية ، فمما ورد " كثيراً من الأسرى ... " .

(٧٢٨) ينظر : شذا العرف في فنَّ الصرف ، ص : ١٠٤ .

٤- المصادر :

ومنها :

أ- المصادر الثلاثية : ومنها القياسية ومنها السماعية ، فمن أمثلة القياسية :

١ . ما كان على صيغة " فعالة " ، نحو :

• " سَهَامَةٌ " :

في قول أم سلمة : " دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساهم الوجه " ، قال : أبو جعفر الطبري : " إنها تعني بقولها : " ساهم الوجه " متغير الوجه بالضمور ، وأصل " السَّهَامَةُ " الضمور " (٧٢٩) .

• فَتَاكَةٌ :

وردت في قول الحطيئة^(٧٣٠) :

حَمَالَةٌ مَا جَرَّتْ فَتَاكَةٌ ظَالِمٍ حَمَالَةٌ مَلَكٍ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهَا بَعْدُ^(٧٣١)

وهذه الصيغ (فتاكة وسهامة) وإن نطق بها من يوثق بفصاحتهم ، إلا أن صياغتها على وزن (فعالة) صياغة نادرة ؛ لأن الغالب في صيغة " فعالة " أن يكون من " فَعَلَ " نحو " كَرَّمَ كَرَامَةً " ، أما " فَتَاكَةٌ وَسَهَامَةٌ " فقد دُكِرَ أنها من " فَتَكَ وَسَهَمَ " (٧٣٢) .

(٧٢٩) ينظر : هامش تهذيب الآثار ، لأبي جعفر الطبري ، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، تحقيق : أبو فهر محمود شاكر ، بدون طبعة ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، مطبعة المدني ، القاهرة - مصر ، دار المدني ، جده ، السفر الأول ، ص : ٣٠٨ .

(٧٣٠) الحطيئة : جرول بن أوس بن مالك بن جويه العبسي ، يكنى بأبي مُلَيْكَةَ ، ويعرف بالحطيئة لقصره ودمايته ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٢ ، ص : ١١٨ .

(٧٣١) الحمالة : الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم . " ظالم " أي : بني ظالم بن فزارة بن زبيان ، أو ظالم بن جذيمة بن يربوع بن مرة ، والد " الحارث بن ظالم المري " . ينظر : لسان العرب ، مادة : " حمل " .

ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي ، وأبي عمر الشيباني ، تحقيق : أبي سعيد السكري ، بدون طبعة ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ص : ٤٤ . هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ١٧ .

(٧٣٢) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ، ج : ١ ، ص : ١٥٦ .

٢- ما جاء على وزن "فَعَلَ" :

• "زَلَجَ" :

في قول حماس بن الأبرش المقعد الكلابي^(٧٣٣) ، يمدح أبا بكر بن عبد الله بن مصعب الزبيري :

إِنِّي لَأَتِيكَ وَلَوْ تَدَحْرُجًا زَحْفًا عَلَى كَوْعِ يَدِي أَوْ زَلَجًا^(٧٣٤)

قال الشيخ محمود شاكر : " الزَّلَجُ بفتح الحاء ، والذي في كتب اللغة بسكون اللام ، يعني الانزلاج والانزلاق " ^(٧٣٥) .

ومما لوحظ هو وجود صيغة " زَلَجَ " بفتح الحاء في معجم اللسان ، فمما ورد في اللسان :

" زلج : الزَّلَجُ ، والزَّلْجان : سيرٌ لين . الزَّلَجُ : السرعة في المشي وغيره ؛ زَلَجَ يَزْلُجُ ، زَلْجًا زَلْجانًا وزَلْجًا ، وانزَلَجَ .

وناقة زَلَجَى وزَلُوج : سريعة في السير ، الزَّلِيجَةُ : الناقة السريعة ، و " الزَّلَجُ " : سرعة زهاب المشي ومضيه .

ومكان زَلَجَ ، وزَلَجَ أيضاً (بالتحريك) ، أي : زلق " ^(٧٣٦) .

٣- ما جاء على وزن "فُعُولَ" :

• "سُهُودَ" :

قيل : إنَّ أبا زمعة الأسود بن المطلب^(٧٣٧) لما سمع امرأةً تبكي بعد هزيمة المشركين في بدر

— وكانت قريش قد تأمروا بينهم أن لا يبيكوا قتلاهم — قال أقد بكت قريش قتلاها ؟ فقيل له : إنما تبكي على بكرٍ ضل لها ، فقال أبو زمعة :

(٧٣٣) حماس الأبرش : تقدمت ترجمته في ص: ٢٤٦ .

(٧٣٤) لا توجد إشارة إلى وجود البيت الشعري في غير الجمهرة .

(٧٣٥) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ١٧٤ .

(٧٣٦) ينظر : لسان العرب ، مادة : " زلج " .

(٧٣٧) أبو زمعة هو : الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وقيل : هو الأسود

بن عبد يغوث بن المطلب بن نوفل ، كان من عظماء المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنه عمي بدعاء النبي صلى الله

عليه وسلم . ينظر : معجم الشعراء في تاريخ الطبري ، للدكتور : عزمي سكر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، المكتبة

العصرية ، صيدا - بيروت ، ص : ١٠٩ .

وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ

تُبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ

على بَدْرٍ ، تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ^(٧٣٨)

فَلا تَبْكِي على بَكْرٍ وَلَكِنْ

يرى الشيخ أن " السُّهُود " مصدر لـ " سَهَدَ يَسْهَدُ " ، إلا أنه لم يذكر في معاجم اللغة^(٧٣٩) .

ومن المعروف عند الصرفيين أن الغالب في " فَعَلَ " اللازم أن يكون مصدره على " فُعُول " نحو :
رَكَعَ رُكُوعاً ، وَأَمَّا " فَعِلَ " اللازم فمصدره على " فَعَلَ " نحو تَرَبَّ تَرَباً وَسَهَدَ سَهْداً^(٧٤٠) .

ويبدو أن مجيء " سُهُود " من الفعل اللازم " سَهَدَ " كان نادراً ليس من الغالب .

ومن أمثلة المصادر السماعية :

• " فريسة " :

وردت في قول الفرزدق :

تَقَادَى مِنْ فَرِيَسَتِهِ الْأَسُودُ^(٧٤١)

فَرَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ لَيْثٍ هَزْبَرٍ

فشيخنا يرى أن " فريسة " في هذا البيت مصدر كالنصيحة والفضيلة ، إلا أن هذا المصدر لم
تذكره كتب اللغة^(٧٤٢) .

و" فريسة " في معجم اللسان جاءت بمعنى " ما يَفْرِسُهُ " أي : بمعنى " المفعول " ، ولم يذكر
مجيئها مصدراً^(٧٤٣) .

(٧٣٨) " السُّهُود " : الأرق . " على بدر " : أي على أهل بدر ، والمعنى : ولكن على أهل بدر فابك . " الجدود " جمع جد ، وهو
الحظ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " سهد " ، " جدد " .

الحماسة ، لأبي تمام حبيب أوس الطائي ، تحقيق : الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيان ، بدون طبعة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ،
إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (المجلس العلمي) ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ج : ١ ،
ص : ٤٢٢ ، رقم المقطوعة : ٢٩١ .

(٧٣٩) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ٤٦٧ .

(٧٤٠) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ، ج : ١ ، ص : ١٥٦ .

(٧٤١) " هزبر " : الأسد الشرس . " تقادى " : تتفاده الأسود وتتحاماه وتنزوي عنه مخافة من افتراسه . ينظر : لسان العرب
مادة : " هزبر " . ينظر للبيت الشعري : كتاب النقائض ، لأبي عبيدة معمر بن مثنى ، ج : ٢ ، ص : ٥٦ .

(٧٤٢) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٣٠٦ .

(٧٤٣) ينظر : لسان العرب ، مادة : " فرس " .

ولكن ما نُنبّه عليه هو أنّ الصرفيين أشاروا إلى مجيء " فعيل " للمصدر ، إذ قيل : " إن فعيلاً يأتي مصدرًا ، وبمعنى الفاعل ، وبمعنى مفعول ، وصفة مشبّهة ، ويأتي أيضاً بمعنى مُفاعل ، كـ " جليس " بمعنى : مُجالس ، وبمعنى مُفعل ، كـ " حكيم " بمعنى مُحكم ، وبمعنى مُفعل ، كـ " بديع " بمعنى مُبدع .. " (٧٤٤) .

• " زيبًا " :

وهي من الفعل " زوى " ، يزوي ، زياً وزويًا ، و" زيبًا " — كما ذكر شيخنا — ليست في معاجم اللغة^(٧٤٥) ، فمن المحتمل أن تكون " زيبًا " مصدر سماعي آخر لـ " زوى " مثل " زويًا " ، أو تكون " زيبًا " أصلها " زويًا " ، فحدث أن نُقلت حركة الواو لما قبلها ، وبعدها قلبت الواو إلى ياء ؛ لوقوعها بين الكسر والياء ، نحو " خوف " ، قول " دور " ، لتصبح بعد الإعلال بالنقل والقلب " خيف " ، قيل ، دير " (٧٤٦) .

(٧٤٤) ينظر : شذا العرف في فنّ الصرف ، ص : ٧٧ .

تنبيه : المصادر السماعية كثيرة ، وقد سُمع من مصادر (فَعَل) ما يأتي على " فعيله " ، نحو : " شبّ شبيبة " . ينظر : التبيان في تصريف الأسماء ، تأليف : أحمد حسن كحيل ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، مطبعة السعادة ، مصر ، ص : ٤٣ .
(٧٤٥) ينظر : هامش تهذيب الآثار لأبي جعفر الطبري ، مسند عبد الله بن عباس ، السفر الأول ، ص : ٣١٠ . لسان العرب ، مادة : " زوي " .

(٧٤٦) ينظر : المنصف ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، ص : ٢٢٤ .

المتع في التصريف ، لأبي عصفور الإشبيلي ، ج : ٢ ، ص : ٤٥١ . تحفة المجد الصريح في شرح الكتاب الفصيح ، لأبي جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي ، تحقيق : الدكتور عبد الملك بن عيضة بن رداد الثبيتي ، بدون طبعة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، مكتبة الآداب ، القاهرة — مصر ، السفر الأول ، ص : ٣٣٨ .

ب- المصادر الرباعية :

١. ما جاء على زنة " تفعيل " نحو :

• " تبئيس " :

قال محمد بن الضحّاك^(٧٤٧) :

وابن الزُّبير الأسدَ الرِّيسا

عمداً أذقنا مُضراً التَّبئيسا^(٧٤٨)

اعتبر الشيخ صياغة المصدر " تبئيس " على هذا الوزن جرأةً من الشاعر ؛ لأنه لم يُذكر في معاجم اللغة^(٧٤٩) ؛ بل - كما يبدو - لأنه لم يذكر من أين أوتي به ، ومن أيّ فعل كانت صياغته ؛ لأن المصدر إذا كان على وزن " تفعيل " ، لا بد أن يكون فعله على زنة " فَعَلَّ " ، ولم يُعثر على هذا الفعل ، فما وجد هو قولهم : " البأس : العذاب ، البأس : الشدة في الحرب ، ورجل بئس : شجاع ، بئسَ بأساً ، وبؤسَ بأساً ، وبؤسَ الرجلُ يبؤسُ بأساً ، إذا كان شديد البأس شجاعاً " ^(٧٥٠) .

ومجيء هذا المصدر على هذا الوزن ، لم يكن إلا لفائدة أرادها الشاعر ، فيُحتملُ إرادة التكتثير ؛ لأن الغالب في صيغة " فَعَلَّ " أن يؤولَ بها للتكتثير نحو : " غلَّقَ و طوَّفَ " ، ومن المعلوم أن الغالب في التكتثير أن يكون في المتعدّي ، ولكنه قد يأتي من اللازم نحو " جوَّلَ و طوَّفَ و موَّتَ " ، فالشاعر لم يأت بهذا الفعل اللازم ، بل أتى بمصدره ، وأراد التكتثير^(٧٥١) .

(٧٤٧) هو : محمد بن الضحّاك بن عثمان بن الضحّاك بن عثمان ، من ولد خالد بن حزام بن خويلد ، وهو شيخ الزبير بن بكار ، هلك شاباً ، وكان صاحب علم وأدب . ينظر : جمهرة نسب قريش ، ص : ١٨٨ ، ٤٠٤ . التاريخ الكبير للبخاري ، المجلد الأول ، القسم الأول من الجزء الأول ، ص : ١١٩ .

(٧٤٨) " الرِّيسا " : هو الجلدُ الدَاهِيَة . " التَّبئيس " : أخذ من البأس وهو العذاب الشديد . ينظر : لسان العرب ، مادة : " ريس " ، " بأس " . ورد هذا الرجز في الكامل ، ينظر : الكامل ، لأبي العباس محمد المبرد ، ج : ٢ ، ص : ٦٦٠ .

(٧٤٩) ينظر : هامش جمهرة نسب قريش ، ص : ٣١٤ .

(٧٥٠) ينظر : لسان العرب ، مادة : " بأس " .

(٧٥١) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ، ج : ١ ، ص : ٩٢ .

تلخيص الملاحظات السابقة:

- بالرغم من سعة ثقافة الشيخ وإحاطته الفريدة المتميزة بكتب اللغة والمعاجم، إلا أنه من المؤكد أنه لم يطلع على جميع كتب اللغة، ولو افترضنا اطلاعه على جميع كتب اللغة والمعاجم، فلا مفر من القول بأنه أغفل الكثير من الصيغ المثبتة فيها، وهذا نحو ما ذكرناه في صيغة "تحفظ، تخلل، سئى، أسهل وسهل، طير، أنكى".
- بعض الصيغ التي أخبر عنها الشيخ بأنها مغفلة لم تثبت، وردت واستعملت، ولكن لمعان أخرى غير التي أوردتها، مثل: "أطاف، تُهَجِّبها، رفاع، فريسة"
- تُعدُّ بعض الصيغ المذكورة من الصيغ النادرة وإن وردت على القياس ووافقت السياق، نحو: "سهامة، فتاكة، سُهود، تبييس"
- بعض الصيغ ممنوعة عند أهل اللغة، مثل: جمع "غل" على "غلال"، إلا أن الشيخ تنبه لها، واستشهد على صحتها بفصيح الشعر.
- جميع الصيغ المذكورة نطق بها من يوثق بعربيتهم، ولا خلاف على صحتها، ويبدو أن الشيخ لما حكم بصحتها أراد تنبيهنا على موافقتها للقياس والسياق.

رابعاً : اهتمامه بتوظيف الاشتقاق :

كان أبو فهر – رحمة الله عليه – مُتَمَكِّناً من اللغة ، يشتقُّ ما قد يحتاجه ، فهو يرى أن من ضلَّ عن تبين الاشتقاق والتصريف ، فقد ضلَّ عن العربية كلها ؛ لأنها لم تبين إلا عليهما^(٧٥٢) ، كما كان كثيرَ النظر في أهميَّة الاشتقاق وأهميَّة تبين أصل اشتقاق اللفظ ، وأصل معناه ؛ لأنه حين يُهمَلُ هذان الأمران تضطرب دالات الكلام^(٧٥٣) .

وقد تبدت قدرة أبي فهر على الاشتقاق في مقالاته لاحتياجه إلى ذلك ، تمثَّل ذلك فيما يلي :

١- اشتقاقه لمصطلحات نقدية ، أهمُّها مصطلح " التشعيث " ، وهو مصطلح واسع جداً ، أطلقه على عدَّة مسائل نقدية^(٧٥٤)

ومن المصطلحات التي وضعها الشيخ أيضاً مصطلح " التجريد " وهو إخراج مواضع الحركات والسكنات في القصيدة كلها ، كما في الكتابة العروضية^(٧٥٥) ، ومنها أنه أطلق أسماء على الأوتاد في التفاعيل ، فإذا جاء الوتد في التفعيلة أسماه : " بدءاً " وإذا كان في آخرها سماه : " طرفاً " ، وإذا كان في وسطها جعله : " وسطاً " ^(٧٥٦) .

وكذلك فإنه يرى أن للتفعيلتين الأوليين من البحور شأناً في ضبطها ؛ ولذا فهو يسمي التفعيلة الأولى: " الصوت أو حادي النغم " ، والثانية: " الصدى أو المجيب " ^(٧٥٧) .

(٧٥٢) جمهرة المقالات ، ص : ٢٦٢ .

(٧٥٣) ينظر : المرجع نفسه ، ص : ٢٤٨ .

(٧٥٤) سبق الحديث عن كيفية اهتمامه بمصطلح " التشعيث " في ص: ١٤٦ .

(٧٥٥) ينظر : نمط صعب ونمط مخيف ، ص : ٦ ، ١٥ .

(٧٥٦) المرجع نفسه ، ص : ٩١-٩٣ .

(٧٥٧) المرجع نفسه ، ص : ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٢ .

ومن أمثلة براعته في هذا المجال ، اشتقاقه لأفعال ومصادر لم تسمع عن العرب ، منها قوله :
" يتثقف " ^(٧٥٨) لمن يدعي أنه " مثقف " ، و " يتنفخ " و " يتنفش " ^(٧٥٩) ، وفي اشتقاق الشيخ
لهذه الأفعال على هذه الصيغ قولٌ ونظر ؛ فالشيخ يجعل " تفعل " بمعنى " تفاعل " ، وأكثرُ
الصرفيين لم يذكروا هذا المعنى لهذه الصيغة ، بل فرقوا بينها ، فـ " تفعل " عندهم تفيد التكلُّف ،
والتكلُّف فيها: يتكلف صاحبه أصل ذلك الفعل ويريد حصوله فيه حقيقة ، ولا يقصد إظهار ذلك
إيهاماً على غيره ، أما في " تفاعل " فصاحبه لا يريد ذلك الأصل حقيقة ولا يقصد حصوله فيه ، بل
يوهم غيره أن ذلك فيه ، لغرض له ، نحو : تجاهل ^(٧٦٠) .

ولكن بعضهم ألح إلى أن " تفعل " قد تأتي بمعنى " تفاعل " ^(٧٦١) ، وهناك من يرى أن غفلة
الصرفيين عن هذا المعنى لا يعني عدم وجوده ، فهو من كلام العرب مستدلاً بقولهم : " تصنع " فهي
تدلّ على تكلف حسن السمت وإظهاره والباطن مدخول ^(٧٦٢) .

ومن المصادر التي أتى بها الشيخ كلمة " تلافيق " جمع " تلفيق " ^(٧٦٣) وقال عن هذا الاشتقاق :
" ابتدعته لهذه المناسبة الطريفة " ، وبالطبع هذه المناسبة هي السخرية من أكاذيب " لويس عوض

(٧٥٨) ينظر : أباطيل وأسما ، ص : ٤٦٦ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " ثقف " .
(٧٥٩) ينظر : أباطيل وأسما ، ص : ٦٥ ، ٦٦ ، ٩١ ، ١٣٧ ، ٣١٢ . " المنتفخ " هو : المتلنى كبراً وغبضاً ، وجعلوا " التنفش "
لشعر الحيوان وريشه ، فاستخدمه أبو فهر مجازاً . ينظر : لسان العرب ، مادة : " نفخ " و " نفش " .
(٧٦٠) ينظر : المغني في تصريف الأفعال ، د . محمد عزيمة ، ص : ١٤٠ . ينظر : أدب الكاتب ، لابن قتيبة الدينوري ، ص :
٢٦٨ . ينظر : المبدع في التصريف لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد سيد طلب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ -
١٩٨٢م ، مكتبة دار العروبة ، الصفاة - الكويت ، ص : ١٠٩ .
(٧٦١) في الصرف العربي نشأة ودراسة ، للدكتور : فتحي عبد الفتاح الدجني ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، مكتبة الفلاح
، الكويت ، ص : ٤١ - ١٠١ .

(٧٦٢) ينظر : مقالات حارس التراث أبي فهر ، لإبراهيم أبا نمي ، ص : ٢٢١ . ينظر : لسان العرب ، مادة : " صنع " . ومن
أمثلة ذلك صيغة " تشعب " بمعنى : تزيّن بما ليس عنده ، وتكثر بأكثر ممّا عنده ، وفي الحديث : " المتشعب بما لا يملك كلابس
ثوبي زور " . ينظر : لسان العرب ، مادة : " شبع " . ينظر : صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح ، للإمام أبي الحسين بن الحجاج
بن مسلم القشيري النيسابوري ، مراجعة : هيثم خليفة الطعيمي ، بدون طبعة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، المكتبة العصرية ، صيدا -
بيروت - لبنان ، كتاب اللباس والزينة (٣٧) ، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره ، والتشعب بما لم يعط ، رقم الحديث :
٥٥٨٣ ، ص : ٨٢١ .

(٧٦٣) التلفيق والأحاديث الملفة في لغة العرب هي : الأكاذيب المزخرفة . ينظر : لسان العرب ، مادة : " لفق " .

” الذي حمل شهادة ” الدكتوراه ” في الأدب العربي^(٧٦٤) ، وكذلك كلمة ” تفاريح ” ؛ قالها سخريّةً بأكاذيب هذا المبشر^(٧٦٥) .

ومن ذلك قوله : ” السخف الساخف ”^(٧٦٦) و ” خبل خابل ”^(٧٦٧) ؛ قال ذلك مبالغة في سخريته بالمبشر ” لوييس عوض ” ، وهي قياسية ؛ لأن العرب تشتقُّ نعت الشيء من اسمه عند المبالغة فيه ، كقولهم : ” يوم أيوم ، وظل ظليل ، وحرز حريز ”^(٧٦٨) .

إن ، اشتقاق الشيخ لأفعال ومصادر ليست من مقول العرب لم ينشأ من فراغ ، ولم يكن مجرد تَلَاَبٍ بقواعد الاشتقاق ، بل كان لغرضٍ معنويٍّ يهدف إليه ؛ فقد أتى بها ليظهر سخريته من ناحية ، ويشير إلى معنى ” الادعاء بغير الحقيقة ” من ناحية أخرى .

ومن صور الاشتقاق عنده اشتقاقه المصدر والفعل من كلمة أعجمية ، نحو : ” الشَّرْلَتان ” ، اشتق منها المصدر ” شرلثة ”^(٧٦٩) والعربُ قد تشتق من الأعجمي إذا أدخلته في كلامها^(٧٧٠) .

ومن الطرق التي لجأ العلامة أبو فهر إليها لتنمية اللغة :

” التركيب ” : تمثل ذلك في قوله عندما دعا إلى الوحدة الوطنية بين مصر والسودان : ” فكلُّ مصر سودانيّ هو اليوم جنديٌّ ” ، فلفظة ” مصر سوداني ” مُركَّبة من لفظتين ألصقهما ، وجعل النسبة إليهما واحدة ؛ ولم يأت بها إلا لأتته يرى أنّ مصر والسودان شعبٌ واحدٌ^(٧٧١) .

ومن جهود الشيخ في هذا المجال إدخاله عدداً من المصطلحات الجديدة في اللغة للتعبير عن وسائل واختراعاتٍ حديثة من نوع ” الطائرة النَّفاثة ” ، وذلك عندما شارك في إخراج مجلة المختار

(٧٦٤) أباطيل وأسمار ، ص : ٤٢٦ .

(٧٦٥) المرجع نفسه ، ص : ١١٢ .

(٧٦٦) المرجع نفسه ، ص : ٣٠٦ .

(٧٦٧) المرجع نفسه ، ص : ٨٠ .

(٧٦٨) ينظر : فقه اللغة وسرُّ العربية ، لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ، المكتبة الفيصلية ، ص : ٣٧٢ . ينظر مقالات حارس التراث أبي فهر ، لإبراهيم أبا ندى ، ص : ٢٢١ .

(٧٦٩) ” الشَّرْلَتان ” : أصل الشَّرْلَتان عند الأعاجم هو : المشعوز الذي يقف على لقم الطريق ، يُحسِّن بضاعته ، ويزين عوارها وفسادها بألفاظ مفخمة لتتنفق عند الناس ؛ قد يكون استعماله هذا اللفظ لأجل السخريّة . ينظر : أباطيل وأسمار ، ص : ٤٢٤ .

(٧٧٠) ينظر : الخصائص ، لابن جني ، ج : ١ ، ص : ٣٥٧-٣٥٨ .

(٧٧١) ينظر : جمهرة المقالات ، ج : ١ ، ص : ٣٦٢ .

بناء على دعوة من صديقه " فؤاد صروف " وساهم في اختيار وترجمة موادها ترجمةً اتضحت من خلالها قدرة أبي فهر اللغوية الفذة في إيجاده بديلاً لهذه المواد باللغة العربية .

وقد أفادنا بعض من تحدث عنه بإدخاله هذه المصطلحات ولكن دون تفصيل أو توضيح ، فلم يأتوا بأمثلة مبرهنة لما يقولون مكتفين بقولهم: " مصطلحات للتعبير عن وسائل حديثة من نوع الطائرة النفاثة " (٧٧٢) دون زيادة على ذلك ، وسنذكر فيما يلي بعضاً من هذه المصطلحات على سبيل الظنِّ والتَّرجيح لا على سبيل الجزم بأنها من اشتقاقه :

١- " مركبة الهواء " ، و " آلات الصعود المباشر " لطائرة " الهليكوبتر " ؛ و " قاذفة الأسطول الأولى " لطائرة فيجافتورا (P٧ - ١) وهي القاذفة الأمريكية الأولى ذات المحركين التي تستند إلى قاعدة برية ، وتستخدم في حراسة سفن الحلفاء وطرق قوافلهم ، شديدة الخطر على السفن الحربية المغيرة أو الغوّاصات ، إذا هي حملت بالطوربيد أو بقنابل الأعماق .

" قاذفة القنابل " للطائرة المعروفة باسم " بلطيمور " ، وهي طائرة حربية بنيت في أمريكا (٧٧٣) .

كما لوحظ في مجلة المختار مُخطط ظهر فيه عددٌ من المصطلحات الأجنبية لطائرات حربية ، وأمامها ما يقابل معناها بالعربية ، كانت كالتالي :

" ليبريتور : قاذفة بأربعة محركات " ، و " ليبريتور اكسبرس : طائرة نقل " ، و " كورونادو: قاذفة دورية " ، و " كاتالينا : قاذفة دورية " ، و " فاليانت : طائرة تدريب أساسية " ، و " فنجنس: قاذفة انقراض " ، و " ريليانس: طائرة تدريب للملاحة " ، و " سننينل : الجيب الطائر " (٧٧٤) .

(٧٧٢) ينظر : مقدمة دراسات عربية وإسلامية ، ص : ١٥ . مقالات العلامة الدكتور محمد الطنّاحي ، صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت - لبنان ، ج : ٢ ، ص : ٤٨٣ . شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود شاعر ، للرضواني ، ص : ٢٧ . مقالات حارس التراث أبي فهر ، لإبراهيم أبا نمى ، ص : ٢١٨ .

(٧٧٣) ينظر : مجلة المختار من مجلة ريدرز دايجست ، تحرير : فؤاد صروف ، السنة الأولى ١٩٤٣م ، المجلد الأول ، العدد: ٢ ، ٤ ، ٦ .

(٧٧٤) المرجع نفسه ، السنة الأولى ، يولييه ١٩٤٤م ، المجلد : ٢ ، العدد : ١١ .

وقد تكرر هذا المخطط مراراً في صفحات المختار وبالتحديد الأعداد التي تولّى تحريرها " فؤاد صروف " .

ومن المصطلحات أيضاً :

" بوينج ب-١٧ : القلعة الطائرة " ، " لاتينج ب - ٣٨ " : المقاتلة السريعة " ، "كونستليشن س-٦٩ : طائرة النقل " ، " فنتورا ب ف : قاذفة الأسطول الدورية " (٧٧٥) ، كذلك طائرة "شوتنج ستار أي: الشهاب التي تسير بقوة النفط" ، " الدفع المتفجر : وهي طائرة تفوق كل ما جاء قبلها في السرعة" (٧٧٦) .

كما وردت في نصوص المختار بعض المصطلحات والتي بالتأكيد هي ترجمة لمصطلحات أجنبية وإن لم يُصرح بذلك ، وقد تكون مسميات اشتقها ليعبر بها عن هذه المخترعات وهذا نحو : " الطائرة المائية " : وهي تسمية لطائرة تجارية تطير طبقاً لمواعيد منتظمة عبر المحيط الباسفيكي . (٧٧٧)

" قاذف اللهب " : وهو اسم لمدفع استخدمته أمريكا في حربها مع اليابان ، وهذا المدفع سلاح مزدوج ، يطلق وقوداً مكثفاً ، ثم يشعله ويقذفه بقوة عظيمة على الهدف ، كما يستطيع كذلك أن يقذف وقوداً سائلاً (٧٧٨) .

وكذلك " الطائرات السابحة " : (الشراعية) السوداء (٧٧٩) .

كما لوحظ أن بعض المخترعات بعد ترجمتها إلى العربية ، تسمى أيضاً بوصفها ، فمثلاً : "الطائرات " ، اشتقاق عربي صحيح ، ولكنه سماها تسمية أخرى ، فقد سميت بـ : " الناقلات ؛ وذلك لأن الطائرات - وإن تعددت أنواعها - تجمع بينها صفة واحدة وهي " النقل " (٧٨٠) . وكذلك السفن التي حُصِّصَت لنقل الزيت ، سميت بـ : " ناقلات الزيت الغبراء " (٧٨١) .

(٧٧٥) المرجع السابق ، السنة الثانية ، يونيه ١٩٤٥ م ، المجلد : ٤ ، العدد : ٢٢ .

(٧٧٦) المرجع نفسه ، السنة الثالثة ، أكتوبر ١٩٤٥ م ، المجلد : ٥ ، العدد : ٢٦ .

(٧٧٧) المرجع نفسه ، السنة الأولى ، يناير ١٩٤٤ م ، المجلد : ١ ، العدد : ٥ .

(٧٧٨) المرجع نفسه ، السنة الأولى ، أغسطس ١٩٤٤ م ، المجلد : ٢ ، العدد : ١٢ .

(٧٧٩) المرجع نفسه ، السنة الأولى ، أغسطس ١٩٤٤ م ، المجلد : ٢ ، العدد : ١٢ .

(٧٨٠) المرجع نفسه ، السنة الثانية ، يوليو ١٩٤٥ ، المجلد : ٤ ، العدد : ٢٣ .

(٧٨١) المرجع نفسه ، السنة الأولى ، أغسطس ١٩٤٤ م ، المجلد : ٢ ، العدد : ١٢ .

أما سفينة " هيجنز " فقد عبّر عنها بأنها : " ذات لسعة مهلكة " ؛ وذلك لصلابتها وقوتها وسرعتها ، وامتيازها بسهولة المناورة والقدرة على الهجوم والإنقاذ والمراوغة تحت نيران العدو^(٧٨٢).

كما تعتبر عناوين المختار زمن اشتراك أبي فهر فيها مثلاً يُحتذى؛ لسموّها وارتقائها ، بل إن بعضها كانت معربة تعريباً أصيلاً ، مثل : " ويل للخلي من الشّجي " ^(٧٨٣) وهو عنوان كان الحديث فيه عن المنكوبين بعادة التدخين ، وكذلك : " نار آكلة " ^(٧٨٤).

ومن تلك العناوين أيضاً ، والتي لا نستطيع الجزم بأنها من اشتقاقه :

أ. " العين الكهربائية " : ويقصد بها الإشعاع الذي تطلقه بعض الأجهزة فيكتشف الأجسام الحية.^(٧٨٥)

ب. " العلم الكهربّي " : والمقصود به " علم الإليكترونات " ، والقوة الكهربائية قوة لعبت دوراً عظيماً في الحرب ، فهي تستطيع أن تفتح الأبواب وتغلقها وترشد السفن والطائرات وتضبط الآلات وتنقي الحبوب وتصنفها ، وتضاهي الألوان وتبصر في الظلام ومن أصولها نبت " الراديو " والتلفزة ، والأشعة السينية والضوء المتألق^(٧٨٦).

و " التلفزة " فسرت في مجلة المختار بأنها : " الرؤية عن بعد " ^(٧٨٧).

سبب الترجيح والتشكيك في المواد المترجمة :

إن المصطلحات المذكورة سابقاً ترجّح بأنها من ترجمة الشيخ ، وذلك للأسباب الآتية :

١. وجود هذه المصطلحات في مجلة المختار ، والتي تولّى تحريرها " فؤاد صرّوف " الذي دعا الشيخ ليساهم في ترجمة وإخراج موادها .

(٧٨٢) المرجع السابق ، السنة الأولى ، يوليه ١٩٤٤م ، المجلد : ٢ ، العدد : ١١ .

(٧٨٣) ينظر : المرجع نفسه ، السنة الرابعة ، يوليو ١٩٤٧م ، المجلد : ٨ ، العدد : ٤٧ ، ص : ١٢٨ .

(٧٨٤) المرجع نفسه ، ص : ٨٩ .

(٧٨٥) المرجع نفسه ، السنة الرابعة ، أبريل ١٩٤٧م ، المجلد : ٨ ، العدد : ٤٤ ، ص : ٣٤ .

(٧٨٦) المرجع نفسه ، السنة الثانية ، مارس ١٩٤٥م ، المجلد : ٤ ، العدد : ١٩ .

(٧٨٧) المرجع نفسه ، وينظر : المرجع نفسه ، السنة الرابعة ، أبريل ١٩٤٧م ، المجلد : ٨ ، العدد : ٤٤ ، ص : ٣٤ .

٢. مشاركة الشيخ في مجلة المختار كانت ابتداء من العدد الثاني لها ، وتوقف بعد فترة وجيزة ، فمحال أن يكون في عام ١٩٥٠م وما بعدها مشتركاً في إخراج موادها ؛ لأنه منذ عام ١٩٥٠م بدأت صلته بالحزب الوطني ، كما كان يساهم بالكتابة في مجلة " اللواء الجديد " ، وفي عام ١٩٥٢م ، انقطع تماماً عن الكتابة في الصحف والمجلات^(٧٨٨) ؛ لذا نُرجحُ أن مشاركته في مجلة المختار كانت في الأعداد التي أصدرت عام : ١٩٤٣م ، ١٩٤٤م ، ١٩٤٥م ، ١٩٤٦م ، ١٩٤٧م ، وهي التي تولّى تحريرها " فؤاد صروف " وهي التي اشتملت على ترجمة ، ومسميات لمخترعات حديثة متعلقة بالطائرات والأسلحة الحربية .

كما صرّح باسم الشيخ " محمود شاعر " مديراً للتحرير في السنة الثالثة والرابعة من تاريخ إصدار هذه المجلة ، أي في عام " ١٩٤٥م ، ١٩٤٦م ، ١٩٤٧م " ، وكان " صروف " مديراً عاماً ورئيساً للتحرير ، وهو وإن لم يُصرّح باسمه في السنة الأولى والثانية ، فهناك من أفادنا بمشاركته في المختار ابتداء من عددها الثاني .

وفي الوقت نفسه لا نستطيع الجزم بأن هذه المصطلحات من وضع الشيخ ؛ لأن المتحدثين عنه اکتفوا فقط بذكر مشاركة أبي فهر في إخراج مجلة المختار ، ابتداءً من عددها الثاني بناءً على دعوة " فؤاد صروف " دون أن يذكروا أي شيء عن تاريخ الإصدار أو المجلد أو العدد على الإطلاق^(٧٨٩) . إضافة إلى ذلك لم نجد ما يشير إلى أن هذه المواد المترجمة من وضع أبي فهر أو غيره ، ولم نجد تلميحاً يلمح بمشاركة أبي فهر في الترجمة ، أو بمشاركة غيره .

(٧٨٨) ينظر : مقدمة دراسات عربية وإسلامية ، ص : ١٥ .

(٧٨٩) المرجع نفسه . ينظر : مقالات حارس التراث أبي فهر ، ص : ٢١٧ ، ٢١٨ . شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود

شاعر ، ص : ٢٧ . مقالات محمود الطنّاحي ، ج : ٢ ، ص : ٤٨٣ .

ملاحظات على جهوده في إحياء اللغة :

مما سبق وقفنا على بعض من القضايا التي حاول الشيخ أن يحيي العربية وتراثها من خلالها ، إذ رجع إلى الأزمان الغابرة وإلى العربية الفصحى وهي في بدايتها الأولى ليفتح لنا نافذة صغيرة على العربية القديمة التي خرجت منها اللهجات العربية وتطوّرت إلى أن وصلت إلى طور النضج والكمال والألق .

ثم انتقل بعدها ليقف بنا على بطون المعاجم ؛ ليحي ألفاظاً مهجورة كانت في مرآد الإهمال والنسيان ، ويصيرها بعد ذلك وكأنها موضوعةٌ وضاعاً جديداً ؛ ليُطْلِعَنَا بعمله هذا على عظم ثروة اللغة اللفظية التي احتوتها معاجم العربية ، والتي تجاهلناها في نفس الوقت .

ولم يقف عند هذا الحدّ فحسب ، بل أطلعنا على التراث العربيّ والشعر الفصيح ؛ ليفتح لنا آفاقاً للعربية ، ويفرز من ذخيرتها اللغوية التي لا تنضبُ صيغاً قياسية قالها من تُرضى عربيتهم ويُستشهدُ بأشعارهم وأقوالهم ، بعضها لم يحظَ بالتدوين والدخول في كتب اللغة .

كلُّ هذا ليُثَبِّتَ سعةَ العربية ، وعجزَ معاجمِ اللغة بما احتوته في بطونها عن الإحاطة والإلمام بها ، وقد قيل : " إنه لم يصلنا من كلام العرب إلا القليل " ، ولاسيما المشتقات التي لا تنمو ولا تكثر إلا حين الحاجة إليها ، فليس من الضروري أن تكون جميع المشتقات في كلِّ مادةٍ من مواد اللغة مروية في نصوص اللغة ، فقد تظل اللغة قروناً وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده ، حتى تدعو الحاجة إلى ما يُشتق منهما .^(٧٩٠)

وهذا بالتأكيد برهن عليه أبو فهر حينما اشتقَّ أسماءً وأفعالاً طابت له ، وأوجد للمخترعات الحديثة والمصطلحات العلمية ما يقابلها في العربية ؛ حفاظاً على عروبة اللغة ، ولا غرو في ذلك ، فاللغة العربية لغة اشتقاق ، اتسمت بالطواعية والقدرة على مواكبة العصر ، واستيعاب كلِّ جديد .

(٧٩٠) فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب ، ص : ٢٩٢ .

ينظر : من أسرار اللغة ، تأليف : الدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة السابعة ، ١٩٩٤م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة -

المبحث الرابع استعماله للغة العالية

أولاً: الحروف.

ثانياً: الألفاظ.

ثالثاً: الصيغ الصرفية.

رابعاً: المسائل النحوية.

خامساً: طرق تفسير الألفاظ.

يصادف القارئ والمطلع على كتب اللغة والأدب مصطلح " اللغة العالية " (٧٩١) ، وكثيراً ما نجد أهل اللغة والنحو يستحسنون ويجوّدون رأياً دون الآخر ، ويفضّلون قولاً على غيره معتمدين في اختياراتهم وآرائهم على أسس قد تختلف فيما بينهم ، وقد تتفق في حين آخر ، فظاهرة اختلاف الروايات موجودة ، وكثيراً ما نلمح اختلاف الآراء ، فكلُّ يأخذ برأى ويستحسنه ، ونريد هنا الوصول إلى مفهوم اللغة العالية عند الشيخ ، والتعرّف على كيفية استعماله إيّاها ، كما نهدف إلى معرفة الأحسن والأجود عنده ، والأسس التي اعتمد عليها في ذلك ، فالمتصفح لمؤلفات الشيخ والكتب التي قام بتحقيقها يراه يحسن ويجود آراء دون الأخرى ، مستخدماً في ذلك بعض العبارات نحو : "أجود ، كان أحبُّ إليّ ، وأنا أستجيد ذلك ، وهذا أبلغ عندي ، وإنما هو عندي كذا ، ... " .

كما لوحظ أن استعماله للغة العالية تضمّن كلا من :

أولاً : الحروف .

ثانياً : الألفاظ .

ثالثاً : الصيغ الصرفية .

رابعاً : المسائل النحوية .

خامساً : طرق تفسير الألفاظ .

وفيما يلي إشارة إلى ما استجاده الشيخ محمود شاکر :

(٧٩١) يبدو أن اللغة العالية أو "العلوية" عند أهل اللغة هي : اللغة العربية الفصحى المشتركة بين العرب جميعاً (لغة الخاصة من أبناء القبائل المختلفة) ؛ وذلك لأنها جمعت الأجود من كل لغة ، ممثلة في لغة الأدب من شعر وخطابة وكتابة ، وهي فوق مستوى العامّة ، فلم تكن في متناول جميع العرب ، بل كانت في مستوى أرقى وأسمى ، مما يمكن أن يتناوله العامّة .

ينظر : فصول في فقه العربية ، د . رمضان عبد التّوّاب ، ص : ٧٨-٨٤ .

كما عرفها الشيخ بقوله : " كلُّ ما كان جهة نجد من أرض الحجاز ، وأهل فصحاء العرب ، والنسبة إليها علوي " . ينظر : طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١٦ . فقه اللغة في الكتب العربية ، الدكتور : عبده الراجحي ، بدون طبعة ، ١٩٩٣ م ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية - مصر ، ص : ١١٨ .

أولاً : الحرف الأَجود :

اهتمَّ العلامة أبو فهر في هذا المجال بالحروف اهتماماً أخذ صوراً متعددة ، فكان يَسْتَحْسِنُ إبدالَ الحروف تارةً ، وكان يَسْتَحْسِنُ حَذْفَهَا أو إثباتها تارةً أخرى ، وذلك حسب ما يلزمهم به معنى السِّياق الذي يتطلَّبُ الأَجودَ حتى من الحروف ؛ ليتَّضِحَ بعدها أكثر ، ويُحسِنَ الإفادة بوجهٍ أبلغ ، فمن الأمثلة على ما ذُكِرَ ما يلي :

١ - في الحذف ، مثل :

ما ورد في تفسير قوله تعالى : **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (٧٩٢) إذ ذكر الطبري أن الله نهى أن يُشرك به شيئاً فقال : " كما لا شريك لي في خلقكم ، وفي رزقكم ... ، ونعمتي التي أنعمتها عليكم ، فكذلك فأفردوا لي الطاعة .. ولا تجعلوا لي شريكاً ونداً من خلقي فإنكم تعلمون أن كلَّ نعمة عليكم فمني " .

ففي قوله : " فمني " ، حذف الفاء أجود^(٧٩٣) ؛ ويبدو أن الشيخ استحسِن ذلك لأن الجملة المذكورة " أن كلَّ نعمةٍ عليكم فمني " لم تتضمن معنى الشرط ؛ فمن مسوغات دخول " الفاء " على الخبر ، أن تتضمن الجملة معنى الشرط والجزاء ، ومن ذلك أن يكون المبتدأ نكرة موصوفة بفعل أو ظرف نحو : " كلُّ رجل يأتينا ، أو كلُّ رجل في الدار ، فله درهمان " .

فالجملة وإن كانت النكرة فيها موصوفة بظرف ، إلا أن الظاهر أنها لم تتضمن معنى الشرط؛ لأن المقصود نعمة مستقرة عندهم ، وليس المقصود نعمة يُحتمل إتيانها إليهم أو وجودها عندهم ، فلم يكن المراد كلَّ نعمةٍ إن أتتكم أو وُجِدَتْ عندكم فمني ، بل المراد كلَّ نعمةٍ مستقرة وموجودة لديكم مني .

وبالنسبة لدخول " الفاء " على خبر " أن " فسيبويه ذهب إلى جواز دخول الفاء في خبرها ؛ لأنها وإن كانت عاملة فإنها غير مغيرة معنى الابتداء والخبر^(٧٩٤) .

(٧٩٢) سورة البقرة ، آية : ٢٢ .

(٧٩٣) ينظر : تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ١ ، ص : ٣٧٠ .

(٧٩٤) ينظر : الكتاب ، لسيبويه ، ج : ٣ ، ص : ١٠٢ ، ١٠٣ .

شرح المفصل ، لابن يعيش ، ج : ١ ، ص : ١٠١ . لباب الإعراب ، للإسفراييني ، ص : ٢٥٢ .

٢- في الإثبات ، نحو :

قول أبي جعفر الطبري في تأويله لقوله تعالى : ﴿ فَكَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾^(٧٩٥) : " إن الله أمرهم أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب ، ولا دلالة في الآية ، ولا [في] هذا خبر تقوم به حجة ، على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به " ^(٧٩٦) .
فإثبات " في " في هذا الموضع أولى من الحذف ؛ لاستقامة السياق واتّصاحه .

٣- في الإبدال ، نحو :

ما رآه في قول المخبل وهو يهجو الزبرقان :

فَإِنْ كُنْتَ لَا تُمَسِّي بِحَظِّكَ رَاضِيًا فَدَعْ عَنكَ حَظِّي ، إِنِّي الْيَوْمَ شَاغِلُهُ^(٧٩٧)

فأبو فهر هنا استحسن رواية أخرى وهي : " إنني عنك شاغله " ، وفي معناها يقول : إن الشاعر يقول لخصمه : إن كنت لا تقتنع بحظك من المنزلة التي أنزلكها الله في الناس ، وتطمح في أن تنال عزّ غيرك ، فلا تمن نفسك الطمع في عزّي وشرفي ، فإنني مانعه منك ، وشاغلك بما يملك ويؤذيك. وفيه قلب وأصله : " إنني عنه شاغلك " ، وأما رواية الأصل فيرى الشيخ أنّ الشاعر أراد بالشاغل : المانع لحوزته .^(٧٩٨)

ويُفهم من رواية الأصل أنّ الشاعر يريد أن يُبلِّغ خصمه أنه هو المشتغل بالخطّ فقط ، ولا يسمّح لأحد أن يشتغل به ؛ وهذا بالطبع لا يُعتبر معنى خاطئاً ، ولكن الظاهر أنّ الشيخ اختار ما هو أكثر اتساقاً مع السياق ، وهي رواية : " إنني عنك شاغله " ؛ لأن الشاعر لا يريد أن يتحدث عن نفسه وعن شغله للخطّ ومنعه له عن غيره فحسب ، بل يريد أن يخبر عن شغله للخطّ ومنعه له عن الغير ، وفي نفس الوقت يخبر عن شغله لخصمه (الزبرقان) بما يؤذيه ؛ لأن السياق - كما يبدو - قائم على المقابلة بين حالة الشاعر وحالة خصمه .

(٧٩٥) سورة البقرة ، آية : ٧٣ .

(٧٩٦) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٢٣١ .

(٧٩٧) ينظر : ديوان المخبل السعدي ، صنعه : حاتم الضامن ، ص: ٣٠٦-٣١٠ . منتهى الطلب من أشعار العرب ، ج : ١ ، ص: ٣٩٨ .

(٧٩٨) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١١٨ .

أما ظاهرة القلب التي أشار إليها العلامة أبو فهر (إنني عنك شاغله ، أصلها " إنني عنه شاغلك ") فيبدو أن مردّها إلى اعتبار لطيف قُصد به المبالغة^(٧٩٩) ، فبدلاً من شغله عن العزّ والمنزلة الرفيعة ، جعل العزّ مشغولاً عنه ، وهذا أبلغ في الإفادة ببُعد الشرف والمنزلة الرفيعة عنه .

ومن الأمثلة أيضاً ما استحسنه في قول الفرزدق حين طلق النّوّار :

وَكُنْتُ كِنَافِيءٍ عَيْنِيهِ عَمَدًا فَأَصْبَحَ مَا يُضِيءُ بِهِ النَّهَارُ^(٨٠٠)

يقول الشيخ : " إن الوارد في أكثر الكتب " يضيء له نهار " ، إلا أن الوارد في مخطوطة الطبقات رواية أخرى وهي " يضيء به النهار " ، فالشاعر في هذه الرواية جعل " أضاء " بمعنى دخل به في الضوء ، كما يقال : " أصبح بهم " أي : دخل بهم في الصبح ، والمعنى : أنه فقا عينيه فَبَطَلَ معه عَمَلُ النَّهَارِ الذي يُدخِلُ الناس جميعاً في الضوء ، حتى يبصروا هداهم ويستمتعوا بدنياهم " .

لذلك كانت هذه الرواية عند الشيخ رواية جيدة في العربية والبيان ، فهي أبلغ في التّحسُّر والنَّدَامَةِ^(٨٠١) .

ويبدو ذلك لأن الشاعر جعل محبوبته كالمكان الذي يمكن أن يصل إليه ، ولكنه لا يستطيع ، وهذا أبلغ في الألم من فقدها ، فهو مطلق محروم من زوجته ، وبسبب ما فعله لا يستطيع الوصول إلى زوجته ، محروم منها وهي أمامه موجودة على قيد الحياة ، حاله كحال الأعمى الذي حُرِمَ من الدخول في الضوء وهو في وضح النهار .

(٧٩٩) ينظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، أستاذ : عبد المتعال الصعيدي ، ج : ١ ، ص : ١٢٢ .

(٨٠٠) ينظر : ديوان الفرزدق ، شرح : سوزان عكاري ، ص : ٢٠٢ .

(٨٠١) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٣١٨ .

ثانياً : اللفظ الأجود :

من المؤكد أن أبا فهر اختار ما هو أبلغ في إفادة المعنى ، لكن ما لوحظ أن اختياره للألفاظ وتفضيله بعضها على بعض كان لأسباب عدّة منها :

١- الزيادة في دلالة المعنى ، تجلّى هذا في :

اختياره لفظ " على جمّد " بدلاً من " على جمزى " في قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الصَّوَّارَ ، إِذْ تَجَاهَدْنَ عُدُوَّهٗ على جمزى ، خَيْلٌ تَجُولُ بِأَجْلَالِ^(٨٠٢)

يتحدّث الشاعر عن صيده لبقر الوحش ، والمعنى : أنهن بذلن غاية الوسع واجتهدن في العدو لما روعهن ، ف " جمزى " : عدو شديد فيه نزو ، وقيل : موضع .

و " على جمّد " وهي الأجود عند الشيخ معناها : المكان الصلب الغليظ ، اختارها الشيخ معللاً بأن ذلك أجهدُّ لهنّ (أي : السير على مكان صلب)^(٨٠٣) .

ومما يبدو أن اللفظتين وإن اتفقت مع السياق ، إلا أنّ " على جمد " أكثر ملاءمةً لقوله : "تجاهدن" ؛ لأنّ السير على المكان الصلب الجامد أدعى للجهد ، واختيار " على جمّد " لا ينفي الدلالة على شدة العدو والنزو ، فقوله : " تجاهدن " ثمّ تشبيهه هذه البقر بالخيل المجللة المسرعة دلّ على المعنى المراد ، كما أن السير على أرض صلبة دون سرعة لا يجهدُّ .

إنّ لفظ " جمزى " يفيد معنى السرعة في العدو والنزو فقط ، أي أنّ بقرة الوحش اجتهدت في السرعة ، أمّا " على جمد " فيفيد الاجتهاد في السرعة على أرض صلبة ، ولا شكّ في أن هذا أجهدُّ لهنّ.

(٨٠٢) ينظر : ديوان امرئ القيس ، شرح الدكتور محمد الإسكندراني ، الدكتورّة : نهاد رزوق ، بدون طبعة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، رقم القصيدة : ٢ ، ص : ٥١ .

(٨٠٣) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ٨٣ . لسان العرب ، مادة : " جمد " ، " جمزى " .

٢- تقوية المعنى :

تفضيله " أَخْرَت " على " أَخْبَرَت " ، في قول ذي الرّمة للحكم بن عوانه^(٨٠٤) :

فلو كنت من كلب صحيحاً هَجَوْتُكُمْ جميعاً ، ولكن لا إخالك من كلب
لكنما أَخْرَتَ أَنَّكَ مُلْصِقٌ كما أُلْصِقَتْ من غيرها ثُلْمَةُ الْقَعْبِ^(٨٠٥)

في قوله : " أَخْرَت " قصد أنه صار آخراً مؤخراً مطروحاً ، وقد وردت هذه الرواية في أصل الطبقات فقط ، وهي في جميع الروايات " أَخْبَرَت " بالببناء للمجهول من " الخبر " ، واختار أبو فهر " أَخْرَت " ؛ لأنها الأجود عنده^(٨٠٦) .

والنَّاطِرُ إلى هاتين اللفظتين بالطبع سيدرك أنهما تتفقان مع السياق ؛ لأن معنى البيت هو أن الرجل (وهو الحكم بن عوانة) ملصق بقبيلة " كلب " وليس منهم بنسب .
ولكن مما يبدو أن هناك فرقاً بين اللفظين ، ففي " أَخْبَرَت " كان الشتم مرة واحدة وهو كونه ملصق بـ " كلب " .

أما في " أَخْرَت " فلوحظ أنها ساهمت في تقوية المعنى ؛ لأن فيه إيغال (استقصاء)^(٨٠٧) ، كأنه يقول : أنت آخر بني كلب ، ثم يستدرك ويقول : بل أنت ملصقٌ بهم وليس منهم بنسب .
كما يبدو أن هذا الإيغال فيه إشباعٌ للمعنى بزيادة الشتم وعرض المعنى في صورتين مختلفتين (آخر - ملصق) حتى يكونَ هذا المعنى أقوى على النفسِ ، وأبلغَ في التأثير .

(٨٠٤) الحكم بن عوانة بن عياض الكلبي ، ولي السند ، ثم ولاة هشام بن عبد الملك خراسان كان أبوه عبداً خياطاً وكانت أمّه سوداء أمة لآل أيمن بن خريم الأسدي .

ينظر : جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، مراجعة وضبط لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ص : ٤٥٨ .

(٨٠٥) "الملصق" : الرجل المقيم في الحيّ وليس منهم بنسب ، وهي الدّعي أيضاً . " ثلمة الإناء " موضع الكسر من شفته . " القعب " : القدر . ينظر : لسان العرب ، مادة : " لصق " ، " ثلم " ، " قعب " . ينظر : ديوان شعر ذي الرمة ، تحقيق : كارليل هنري هيس مكارتنى ، طبع على نفقة كمبريج في مطبعة الكلية ، سنة ١٩١٩م ، وسنة ١٣٣٧هـ ، ص : ٥٣ .

(٨٠٦) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٥٦٨ .

(٨٠٧) الإيغال : قيل هو : ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها . وله صورٌ عدّة . ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، ص : ١٨٩ .

٣- الدقة في التصوير :

تمثل في اختياره " تأكل الحب " بدلاً من " تقضم الحب " في قول النابغة الجعدي^(٨٠٨) وهو يهجو زوجته ويصفها بالشراة :

تَسْتَخْنُتُ الْوَطْبَ لَمْ تَنْقُضْ مَرِيرَتَهُ **وَتَأْكُلُ الْحَبَّ صَرَفًا غَيْرَ مَطْحُونٍ**^(٨٠٩)

يرى الأستاذ محمود شاكر أن رواية " تأكل الحب " أجود من " تقضم الحب " ^(٨١٠) .

ولعله اختار ذلك لأن " القضم " وإن كان لأكل الشيء اليابس ، إلا أنه أكلٌ بأطراف الأسنان، وقيل : بأطراف الأسنان والأضراس ، وهذا يعني أن القضم أكلٌ برفق ، إذا قيل : " يُبَلِّغُ الْخَصْمُ بِالْقَضْمِ " أي : أن الشبعة قد تَبَلَّغَ بالأكلِ بأطرافِ الفم ، ومعناه أن الغاية البعيدة قد تُدْرَكُ بالرفق . كما أن الفعل " قضم " يوحي لنا أن القاضم أكل جزءاً وأبقى الآخر .

والحبُّ الخالص الذي لم يُطْحَنَ ولم يطبخ لا يقضمُ ، بل يؤكل ، وفي نفس الوقت هو يتحدث عن امرأة مجنونة وشرة جائعة ، ومن كان في حالة جوع وشرة لا يأكل برفق وهدوء ولا بأطراف الأسنان ، بل يأكل بجميع الفم ، ولا سيما أن الحب خالص لم يمزج ولم يخلط،^(٨١١) وفي هذه الحالة يكون اللفظ " يأكل " أدقَّ في تصوير المعنى .

(٨٠٨) النابغة الجعدي : قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري ، أبو ليلى ، شاعر مفلق صحابي من المعمرين اشتهر في الجاهلية ، ثم أسلم ، وتوفي في عهد معاوية ، جاوز المئة وأخباره كثيرة . ينظر : الأعلام، للزركلي ، ج : ٥ ، ص : ٢٠٧ .

(٨٠٩) " تستخنت " : من خنت القربة ، واختنتها أي : ثنى فاهها إلى الخارج فشرب منها ، وجاءت على وزن " استفعل " . "الوطب" : سقاء اللبن خاصة ، والمعنى : أنها مجنونة تعجل إلى وطب اللبن فتثني فمه قبل أن تحلَّ رباطه ولا تتحرج أن يكون في فمه أذى أو حشرة أو قدر . " صرف " : أي خالص .

ينظر : لسان العرب، مادة : " خنت " ، " وطب " .

ينظر : النابغة الجعدي ، حياته وشعره ، للدكتور خليل إبراهيم أبو زياب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، المنارة ، بيروت - لبنان ، ص : ٢٠٧ .

(٨١٠) ينظر هامش : طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١٢٩ .

(٨١١) ينظر : المخصص، لابن سيده الأندلسي ، ج : ٥ ، المجلد : ١ ، ص : ٢٤ .

٤- مراعاة النظير (ائتلاف اللفظ مع اللفظ)^(٨١٢) نحو تفضيله :

" رأيت الزهد " في قول الفرزدق لما طلق النّوار :

وما فارققتها شبعاً ، ولكن رأيت الدهر يأخذ ما يعار^(٨١٣)

للبيت رواية أخرى ، وهي " رأيت الزهد " وهي التي فضلها الشيخ محمود شاعر ؛ وذلك لأنه يرى أن الشاعر أراد أن يقول : إنه لم يطلقها لأنه شبع منها وفرغت حاجته إليها ، بل لعلّية أخرى تعرض للناس ، وهي أن الشيء الممكن السهل الحاضر ، يقل حرص النفوس عليه ، فيغلبها الزهد فيه وقلة الاحتفال به ، كما يرى العلامة محمود شاعر أن قوله : " يعار " في هذا المعنى تشمُّ طرفاً من معاني الإمكان والسهولة وقرب المأخذ ، ومادة اللغة تدلُّ عليه ، فقد قالوا : "تعاوروا الشيء" : تداولوه بينهم ، ولا يتداول إلا الشيء الذي يقلُّ حرصُ الناس عليه ، وقالوا أيضاً : " أعور لك الشيء " إذا أمكنك من نفسه .^(٨١٤)

ومن هنا نستنتج أن الشاعر متحسراً نادماً بسبب الحالة النفسية التي اعترضته وجعلته يُطلق زوجته ويفرط فيها ؛ فكأن زوجته شيءٌ مستعار ، استعارها من أهلها ثم ردها زهداً منه ؛ وحالة الزهد (أو التعود على الشيء) التي انتابته لا تعني كرهها وعدم الحاجة إليها ، بخلاف الشبع الذي يوحي بأنها لم تعد لها مكانة في نفسه .

وبناءً على ذلك ، تكون " رأيت الزهد " أكثر ملاءمةً للسياق من " رأيت الدهر " لا سيما أنه قال في بداية البيت : " وما فارققتها شبعاً " ، فالحديث في السياق عن سبب الطلاق ، إذ لم يكن شبعاً بل زهداً ، وهذا يعني أن الطلاق كان بمحض إرادته ومن تفريطه ، وهذا أدعى للندم .

أما قوله : " رأيت الدهر " فيوحي إلى فقدّها رُغماً عنه دون تفريطٍ منه ، كأنه لا حيلة له في الأمر ولا قوّة .

(٨١٢) يُسمّى هذا اللون من البديع أيضاً : الائتلاف ، التناسب ، أو التوفيق . ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن ، لعبد الفتاح لاشين ، ص : ٣٥ .

(٨١٣) ينظر : ديوانه الفرزدق ، شرح : د . سوزان عكاري ، ص : ٢٠٢ .

(٨١٤) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٣١٨ .

لسان العرب ، مادة : " شبع " ، " زهد " ، " عير " ، " دهر " . هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٣١٨ .

٥- التناسب بين المشبه والمشبّه به ، وهذا في ترجيحه :

” نلنا سقاطاً ” في قول ذي الرمة :

فَنَلْنَا صَدُورًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ **جَنِي النَّحْلِ مَمْرُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ**^(٨١٥)

ففي روايةٍ أخرى قيل : ” نلنا سقاطاً ” ، وهي في رأي العلامة أبي فهر الأجود .

” فصدور الحديث ” عني بها : أطراف الأحاديث ، و ” نلنا سقاط الحديث ” تعني : أن يتحدث الواحد وينصت له الآخر ، فإذا سكت تحدّث الساكت ، فكأنه ينال من الحديث شيئاً بعد شيء^(٨١٦) .

ولو نظرنا إلى المشبه به في الشطر الثاني من البيت وهو ” جني النحل الممزوج بماء الوقائع ” سيبدو لنا أن ” سقاط الحديث ” تكون أكثر ملاءمة مع التشبيه المذكور ؛ وذلك لأن في ” سقاط الحديث ” إطالة وتمهل وتأنّي ، فالمتحدّث يتحدّث حتّى ينتهي ويبلغ مقصده دون أن يكون في حديثه تلويحٌ أو تعريضٌ ، ف ” سقاط الحديث ” لا يشبه العسل الممزوج بماء الوقائع في الحلاوة فقط ؛ لأن المعنى صوّر بدقّة فائقة ، فقلوه : ” جني النحل ” يوحي بأن هذا العسل لم يتمّ الحصول عليه بسهولة ويسر ، فجنّيه يحتاج إلى تريثٍ وانتظار ، حتى انتهاء النحل من جمع الرحيق ، ثم إخراج العسل بعده ؛ ليمتزج هذا العسل بعد ذلك بماء عذب صافٍ وهو ” ماء الوقائع ” والذي في نفس الوقت مكث زمناً ليصفو ، ثم مكث زمناً لتضربه الرياح فيبرد .

إذن ، جني العسل احتاج زمناً ليجنّي ، وماء الوقائع احتاج زمناً ليصفو وزمناً ليبرد .

أما ” صدور الحديث ” ففيها مفاوضةٌ ، ومبادلةٌ ، وتلميحٌ ، وتعريضٌ ، فلا إطالة في الحديث ، ولا انتظاراً للصمت ، وبالتالي لا استغراقاً للزمن^(٨١٧) .

(٨١٥) ” الوقائع ” : جمع وقيع ووقيعه ، وهي مكان صلب في الجبل أو غيره يمسك الماء فيستتقع فيه زمناً ، فيصفو ، وتضربه الرياح ، فيبرد ، وهو أذ ماء تشربه في البوادي .

ينظر : فقه اللغة وسرّ العربية ، للثعالبي ، ص : ٢٨١ . ينظر : لسان العرب ، مادة : ” وق ” . ينظر : ديوان شعر ذي الرمة ، تحقيق : كارليل هنري ، ص : ٣٥٨ ، وهناك من نسب هذا البيت لكثير عزة . ينظر : ديوان كُثير عزة ، جمع وشرح : الدكتور إحسان عباس ، بدون طبعة ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ص : ٢٤٠ .

(٨١٦) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٥٥٠ .

(٨١٧) ينظر : لسان العرب ، مادة : ” صدر ” ، ” سقط ” .

٦- تفضيله الوصف المناسب مع السياق ، نحو اختياره :

" بِجَمَّتِهِ " في قول عدي بن الرقاع^(٨١٨) لَمَّا سَقِيَ من ماءٍ لبني تغلب يقال له " خالة " :

فَجَاءَ بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ الزُّلَالِ لَنَا مَا دَامَ يُمْسِكُ عُوْدَى دَلُونَا الْكَرْبُ
مِنْ مَاءِ خَالَةٍ جِيَّاشٍ بِجَمَّتِهِ مِمَّا تَوَارَتْهُ الْأَوْحَادُ وَالْعُتَبُ^(٨١٩)

وفي رواية أخرى للبيت يقال : " بِذِمَّتِهِ " ، أما الأصحُّ والأجودُ عند الشيخ فهي الرواية الأولى " بِجَمَّتِهِ " ^(٨٢٠) .

فقد قيل في معنى " جمّة " إنها : المكان الذي يجتمع فيه الماء ، و " بئر جمّة " أي : كثيرة الماء ؛ ويظهر أنها أُسْتُحْسِنَتْ لأن قولهم : " بئر جمّة " لا تعني الكثرة والغزارة فحسب ، بل تفيد معنى الاجتماع والارتفاع والعظمة^(٨٢١) ، الذي يتضافر مع معنى ما قبله (جِيَّاش) ؛ ليكون بعد ذلك وصفاً دقيقاً متنسقاً لهذا الماء ، فهو ماءٌ غزيرٌ ، كثر واجتمع ، فزخر وارتفع ، فتدفق لغزارته .

أما " البئر الذميمة " فهي من الأضداد ، قيل : هي الغزيرة الماء ، وقيل : القليلة الماء ، وإن أريد بها الماء الغزير فهي لا تعني الاجتماع الذي يقتضي الارتفاع والتدفق الواردين في السياق ، فهي وإن كانت غزيرةً إلا أنها مذمومةٌ غير معتلية ، وقد قيل : إنه قد يجوز أن يكون المرادُ بـ " بئر ذمة " : الغزيرة والقليلة الماء ، أي : قليلة كثير ^(٨٢٢) .

(٨١٨) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع ، شاعر كبير ، من أهل دمشق ، يكنى أبا داود ، كان معاصراً لجريير ، مهاجياً له ، مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم ، لقبه ابن دريد بشاعر أهل الشام. ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٤ ، ص : ٢٢١ .

(٨١٩) " الكرب " : حبل يشد على عراقي الدلو ، ثم يثنى ثم يثلاث ليكون هو الذي يلي الماء . " جياش " : من جاش إذا زخر وارتفع وتدفق . وقوله : " العتب " : أولاد سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن تغلب وهم : عتبه ، وعتاب ، وعتبان ، و " الأوحاد " : عوف وكعب ابنا سعد أيضاً . ينظر : لسان العرب ، مادة : " كرب " ، " جيش " .

ينظر : ديوان عدي بن الرقاع ، جمع وتحقيق ودراسة : د . عبد الله الحسيني البركاتي ، بدون طبعة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ص : ٤٥ .

(٨٢٠) ينظر هامش : طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٧٠٤ .

(٨٢١) " الجَمّ " : الكثير المجتمع ، وجمّت البئر : إذا كثر ماؤها واجتمع ، وقولهم : " اجتمعت جُمَّتها وجَمُّها " أي : ما جَمَّ منها وارتفع . ينظر : لسان العرب مادة : " جمم " .

(٨٢٢) ينظر : لسان العرب ، مادة : " ذمم " .

ثالثاً : الاختيار في الصيغ :

وهنا جرت المقارنة بين :

١- صيغ المصدر ، نحو اختياره :

” العود ” في قول أبي جعفر الطبري : ” إنَّ السَّعْيَ بين الصفا والمروة واجب ، ولا يجزي منه فدية ، ومن تركه فعليه العود ” والوارد في المطبوعة ” فعليه العودة ” ، والأجود عند أبي فهر : ” العود ” .

ومعنى ذلك أنَّ الحاجَّ إنَّ تَرَكَ السَّعْيَ بين الصفا والمروة ناسياً ورجع إلى بلده فعليه العودُ إلى مكة ، فالسعيُّ بين الصفا والمروة ، وهذا ما بيَّنه الإمام مالك والإمام الشافعي^(٨٢٣) .

كما ورد في اللسان إن المراد بقولهم : ” لك العود والعودة والعودة ” أي: لك أن تعود في هذا الأمر^(٨٢٤) .

بناء على ذلك يكون المقصود أن يعودَ الناسي إلى النسك ويؤديه .

ويبدو أن أبا فهر اختار مصدرَ ” العود ” ؛ لأنه أكثر اتساقاً مع السِّيَاق ، فقد دلَّ على المعنى دلالةً كافية لا زيادة فيها .

وأما ” العودة ” – وإن دلَّ على المعنى – فهو مصدرٌ مرّة ، أي : عليه العودة مرّة واحدة ، ويبدو أن السياق لا يحتاج إليه .

وكذلك ” العثا ” وهو شدة الإفساد ، بل هو أشدُّ الإفساد ، وهو من ” عَثَى يَعْثَى ” ، كَرَضِيَ يَرْضَى ، وهي لغة الحجاز ، وهذا المصدر (العثا) لم يجده الشيخ إلا في تاج العروس ، ولا يعلم أهو بفتح العين أم بكسرهما ، ولكنه يرى أنَّ فتح العين هو الأرجح .^(٨٢٥)

(٨٢٣) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٢٤١ . ينظر : الموطأ ، الإمام مالك بن أنس ، إعداد : محمد بن ناصر العجمي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ، مصورة عن نسخة من أوائل المخطوطات في الكويت ، ص : ٣٠٥ .

الأم ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق : رفعت فوزي عبد المطلب ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، دار الوفاء ، المنصورة ، ج : ٣ ، ص : ٥٤٣ ، ٥٤٤ .

(٨٢٤) ينظر : لسان العرب ، مادة : ” عود ” .

(٨٢٥) ينظر : تاج العروس ، للزبيدي ، مادة : ” عثا ” . هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ١٢٣ .

ويبدو أن الشيخ حاول الترجيح بين كل من " العنَّا " بفتح العين و " العِثي " بكسر العين؛ ليرجح بعد ذلك " العنَّا " ؛ وذلك لأن الغالبَ في " فَعِل " اللّازم أن يأتي مصدره على " فَعَل " صحيحاً كان كـ " فَرِحَ - فَرَحاً " ، أو معتلاً كـ " جَوَى جَوَى ، وَوَجِلَ وَجِلاً " .^(٨٢٦)

٢- بين الفعل والمشتق ، مثل :

ترجيحُه للمشتقاتِ في قول أبي جعفر في تأويله لقوله تعالى : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٨٢٧) : " ويعني : وما الله بغافل عما تفعلون من أعمالكم الخبيثة وأفعالكم الرديئة ، ولكنه محصياً عليكم ، فمجازيكم بها في الآخرة أو معاقبكم بها في الدنيا " .

ففي المطبوعة كانت " يحصيها .. فيجازيكم .. أو يعاقبكم " فاستجاز أبو فهر ردّها إلى الاسمية ؛ لأن هذا هو الأبلغ والأقوم^(٨٢٨) .

يبدو أن العلامة أبا فهر استجاز ذلك مراعاةً لحسن التلاؤم بين النصوص ، فما ورد في الآية الكريمة اسم وهو " غافل " ، وهو اسم فاعل ؛ لذلك اختيرت الأسماء في نصّ الطبري لتأويل هذا الاسم وشرحه ، " وما الله بغافل .. ولكن محصي .. فمجازي أو معاقب " وجميعها أيضاً على صيغة اسم الفاعل .

٣- بين الفعل والمصدر نحو :

استحسانه المصدر " تمادياً " بدل عن الفعل " تمادوا " مراعاة لحسن التلاؤم في نصّ أبي جعفر الطبري إذ قال عن بني إسرائيل : " لم يزدادوا إلا معصية ، وتمادوا في الشر " ، فاختار " وتمادياً في الشر " ، أي : بصيغة المصدر ، وليس الفعل^(٨٢٩) .

(٨٢٦) ينظر : همع الهوامع في شرح الجوامع ، للسيوطي ، ج : ٦ ، ص : ٤٩ .

ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ، للشيخ رضي الدين الاستربادي ، ج : ١ ، ص : ١٦٠ .

(٨٢٧) سورة البقرة ، آية : ٧٤ .

(٨٢٨) ينظر : هامش تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٢٤٣ .

(٨٢٩) نفس المرجع ، ج : ٥ ، ص : ٤٤٩ .

ويبدو أنه اختار ذلك لأن " معصية " مصدر ، فاستحسن أن يكون المعطوف عليه مصدر وهو " تمادي " ، ولو قلنا : " تمادوا في الشر " ، أصبحت جملة فعلية معطوفة على " لم يزدادوا" ، والمعنى المراد لدينا هو الإخبار عن الازدياد في المعصية ، والازدياد في التمادي في الشر ، وليس المراد من المعنى الإخبار عن الوقوع في المعصية والإخبار عن التمادي في الشر .

رابعاً : المسائل النحوية :

اهتمَّ الشيخُ بنحو المعنى – كما ذكرنا سابقاً – فتفرد ببعض الآراء ، فكان إما مستدرِكاً على النحاة معانٍ أغفلوها ، وإما مصوّباً لآرائهم لحقَّ ظهر له ، أمّا هنا فقد نظر إلى الخلافات النحوية بين أهل اللغة ، تلك الخلافات التي وردت فيما حققه من التراث ، ولم يخالف أيّ رأيٍ ، ولم يُنكرْ على أحدٍ قوله ، إلا أنه استجاد آراءً دون الأخرى استجادةً اعتادت الأخذ بما هو أكثر انسجاماً مع السياق ، تمثّلت في عدّة أوجهٍ منها :

١- الموقع الإعرابي .

٢- العامل .

٣- عود الضمير .

وفيما يلي توضيح لهذه الآراء المستحسنة :

١- الموقع الإعرابي ، مثل :

• قول الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا
بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ القُطْنِ مَنثورِ
على عمائمنا يُلْقَى وَأَرْحَلِنَا
على زواحفٍ تُزجى ، مُخْهَارِيرِ^(٨٣٠)

فالشَّيْخُ يرى أَنَّ قولَه : " على زواحفٍ " مُتعلِّقٌ بقولَه : " مستقبليْنِ شمالِ الشَّامِ " ، وما بينهما حال معترضة ، وفي قولَه : " أرحلنا " ذكر أنها ضبَطت في المخطوطة بالرفع ، وهو وجه لا يستجيدُه^(٨٣١) .

(٨٣٠) البيت من قصيدة مدح فيها يزيد بن عبد الملك .

" الشمال " : الريح الباردة والتي تأتي من قبل الشام . " الحاصب " : ما تنثر من دقائق البرد والثلج ، والعرب تسمي الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار ، أو الثلج ، أو البرد ، أو الجليد حاصباً . شبه بالقطن المنذوف تلقيه الشمال على عمائمهم . " الزواحف " : الإبل التي أعييت من السفر ، فهي تزحف من الكلاله . " أزجى الدابة " : ساقها سوقاً رفيقاً لتلحق رفاقها . " الرير " : المخ = الرقيق ، " مخهاريِر " أي : جهدها السير حتى أنضاهها الهزال ورقَّ جلدُها ، وذاب مخُّ عظامها . ينظر : لسان العرب ، مادة : " شمل " ، " حصب " ، " زحف " ، " رير " ، " زجا " .

شرح ديوان الفرزدق ، لسوزان عكاري ، ص : ١٥١ .

فجملته " تضرِبنا ... " حال معترضة ، و" أرحلنا " معطوف على " عمائِنا " ، والتقدير :
" يُلقى على عمائِنا وأرحلنا " ، وقد ورد هذا البيت في الخزانة على الصورة الآتية (دون الجملة
المعترضة) :

مستقبلين شمال الشام تضرِبنا **على زواحف تزجى مُخهارير**

وقيل : إن هذا البيت مُركب من بيتين وهما :

مُستقبلين شمال الشام تضرِبنا **بحاصب كنديف القطن منثور**

على عمائِنا يُلقى وأرحلنا **على زواحف تزجيهها محاسير^(٨٣٢)**

ومن المحتمل أن تكون " أرحلنا " رفعت بالضم على اعتبار أن الواو واو الحال ،
و" أرحلنا " مبتدأ ، وما بعدها خبر ، والجملة في محل نصب الحال ، ولكن في هذه الحالة تكون "
على زواحف " مرتبطة بجملة الحال المعترضة الدخيلة ، دون الجملة الأصلية .

ويبدو أن الشيخ محمود شاكر اختار الجر ؛ لأنه نظر إلى المعنى ، فلو نظرنا إلى معنى
" أرحل " نجد أنها بمعنى : البعير أو الإبل النجيبة القوية على الأسفار والأحمال^(٨٣٣) ، وقد ذكر أن
المراد بالزواحف : الإبل التي أعيت وأنضأها السَّفر ، فكيف تكون " أرحلنا " على " الزواحف "
!؟

لذلك كان الجرُّ في " أرحلنا " أولى من الرفع وهو ما يتناسب مع المعنى .

ومن جهة أخرى يبدو أننا لما عطفنا " أرحلنا " على " عمائِنا " كان ذلك أبلغ في الدلالة
على أن الجار والمجرور " على عمائِنا " كانا معمولين للفعل " يلقى " ؛ لأن المعمول تقدّم على
عامله الفعل وقد قيل : إن المعمول إذا تقدّم على الفعل يَضَعُ الفعل قليلاً^(٨٣٤) ، وقد يقع الوهم
قليلاً إذا رفَعنا ، ويُظنُّ أن الجار والمجرور " على عمائِنا " مُتعلِّق بما قبله " تضرِبنا " ؛ ويكون
التقدير : " تضرِبنا بحاصب على عمائِنا " .

(٨٣١) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١٧ .

(٨٣٢) ينظر : خزانة الأدب ، ج : ١ ، ص : ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٨٣٣) ينظر : لسان العرب ، مادة : " رحل " .

(٨٣٤) ينظر : المقتصد في شرح الإيضاح ، للجرجاني ، ج : ٢ ، ص : ٨٢٨ .

ولكن لما عطفنا " أرحلنا " على " عمائمنا " قويت الدلالة على تعلق الجار والمجرور بما بعده، ويكون تقدير المعنى : " يلقي الثلج والبرد على عمائمنا وأرحلنا " .

• في قول الشاعر امرئ القيس :

ديمة هطلاء فيها وطفٌ طبق الأرض تحرى وتدر^(٨٣٥)

ذكر الشيخ أن " طبق " منصوب بقوله : " تحرى " ، كما أشار إلى أن هناك رواية بالرفع : " طبق الأرض تحرى " إلا أن النصب كان أحب إليه^(٨٣٦) .

فهو لم يعارض من رفع ، إلا أنه استحسن النصب ؛ لأننا لو تأملنا قوله : " طبق الأرض تحرى " نجد أن " طبق " مفعولٌ به مُقدَّمٌ على فعله ، ولهذا التقدم فائدة ، ففي تقدمه توكيدٌ للفعل وتكريرٌ له ، ف " طبق " منصوب بفعل محذوفٍ والتقدير : " تحرى طبق الأرض تحرى " ^(٨٣٧) ، والشاعر أراد إخبارنا بفعل هذه الديمة التي عمّت الأرض وشملتها ، كما أراد توكيد ذلك ، فكان هذا التكرير أبلغ في الإفادة ^(٨٣٨) .

ويختلف الأمر إذا رفعنا ، فإذا قيل : " طبق الأرض تحرى " ، فطبق يرفع بالابتداء ، و" تحرى " خبرٌ عنها ، وفي هذا إخبارٌ عن طبق الأرض بأن الديمة قد عمّته وشملته ، وفيه تكرير لذكر المبتدأ " طبق " ؛ لأن الفعل " تحرى " اشتمل على ضمير مقدّر يعود على المبتدأ .

(٨٣٥) " الديمة " : مطر ساكن ليس فيه رعدٌ ولا برقٌ ، ولكنه يشدُّ ويدوم ، قد يبلغ عدة أيام . " الهطلاء " : الهطل ، هو المطر المتفرق العظيم المتتابع المسترخي . " الوطف " في السحاب : أن يندلي ويتساقط من نواحيه مسترخياً كأنه يحمل حملاً ثقيلاً من كثرة مائه ، وتكون في السحاب أهداب كأهداب الخميطة . " طبق الأرض " : وجهها وأديمها الواسع . " تحرى الشيء " : قصده واجتهد في طلبه وعزم على بلوغه . أي أن هذه الديمة تتحرى وجه الأرض تحرياً كأنها طالبةٌ جاهدةٌ ساعيةٌ سعي صاحب الحزم على بلوغ ما أراد . ينظر : لسان العرب ، مادة: " دوم " ، " هطل " ، " وطف " ، " طبق " ، " حري " .

ينظر : ديوانه ، رقم القصيدة : ٢٧ ، من : ١٦١ .

(٨٣٦) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف ، الطبعة الثامنة ، ١٩٦٠م ، دار المعارف ، القاهرة- مصر ، ص: ٢٥٦ .

(٨٣٧) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص: ٩٤ .

(٨٣٨) ينظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، لعبد المتعال الصعيدي ، ج : ١ ، ص : ١٧٦ .

والشاعرُ لا يريدُ أن يخبرنا عن " طبق الأرض " الذي غطته الديمة ، فهو ليس موضع اهتمام حتى نخبرَ عنه ونكرِّره ، فما يهَمُّه هو الإخبار عن ديمة غطَّت طبق الأرض وعمَّته ؛ لذلك كان النصبُ عند الشيخ أبلغ .

ومن جهة أخرى ، يبدو أن في اختيار النصب تتابع للأخبار ، فالشاعر ابتداءً بقوله : "ديمة" وبعدها تتابعت الأخبار " فيها وطف ، تحرَّى طبق الأرض ، وتدرّ " ، ولو اخترنا الرفع لقطعنا هذا التتابع ؛ لأننا أخبرنا عن " طبق الأرض " بدلاً من أن نخبر عن الديمة ، فكأنها جملة منقطعة عمّا قبلها ، وهذا لا يتناسب مع معنى البيت ، خاصة وأن بعدها فعل معطوف على قوله : " تحرَّى " وهو " تدرّ " وفاعله ضمير مستتر يعود على " ديمة " ، فالتقدير : " ديمة هطلاء فيها وطف ، تتحرَّى طبق الأرض تحرّياً وتدرُّه " .

• قول الشاعر النَّمْر بن تولب (٨٣٩) :

أَعَاذِلْ إِنْ يُصِيحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ بَعِيدٌ نَأْيِي صَاحِبِي وَقَرِيبِي (٨٤٠)

أشار الشيخ إلى رواياتٍ أخرى لهذا البيت ، وفيها ينصب قوله : " بعيداً " على أنه خبر لـ " يصيح " (٨٤١) ، بينما شيخنا يستجيد الرفع ، ويجعل قوله : " بعيداً " خبراً لمبتدأ محذوف ، ويراه الأبلغ في إفادة المعنى (٨٤٢) .

ويبدو أن شيخنا أخذ بالوجه الذي فيه تكريرٌ للمعنى ؛ لما في هذا التكرير من تأكيد للمعنى ، فلَمَّا قال : " صداي بقفْرَةٍ " أشار إلى البعد الذي يكون بينه وبين أصحابه وأقربائه ، ولَمَّا

(٨٣٩) النمر بن تَوْلِب العُكَلِيُّ : صحابي جليل - رضي الله عنه - أحد بني عُكْل بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن اليأس بن مضر ، شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو كبير في السن . ينظر : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، د : عفيف عبد الرحمن ، رقم الترجمة : ٦٥٨ .

(٨٤٠) "الصدى " هنا : ما يبقى من الإنسان في قبره بعد موته . " القفر " : الخلاء من الأرض . " نأني " : أصله نأى عنى . ينظر : لسان العرب ، مادة : " صدى " ، " قفر " .

(٨٤١) ينظر : الكامل ، للمبرد ، ج : ١ ، ص : ٤٧٩ . الخزانة ، ج : ٢ ، ص : ٨٤ ، ج : ٤ ، ص : ٢١٤ . شعر النمر بن تولب ، تحقيق : الدكتور نور حمودي القيسي ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ص : ٣٩ . كلها رويت فيها " بعيداً " بالنصب . ورويت بالرفع في : طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١٦١ ، والأغاني ، ج : ١ ، ص : ١٦١ .

(٨٤٢) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١٦١ .

قال : "بعيداً" وجعلها خبراً لمبتدأ محذوف ، كانت هذه الجملة بمثابة تكرير وإعادة لمعنى البعد ، وهذا أبلغ في تأكيد المعنى .

٢- العامل ، وقد تمثل في :

• قول جرير :

أَعْبَدًا حَلَّ فِي شُعْبَى غَرِيبًا أَلُؤْمَاءُ - لَا أَبَا لَكَ - وَاعْتَرَابًا^(٨٤٣)

قيل : إن النحاة استهلكوا هذا البيت تأويلاً وإعراباً ، فقالوا فيه عدة آراء :

أ- قالوا : إن " أعبدًا " يكون على النداء على أن جملة " حلّ " صفة للمنادى قبل النداء ؛ وهو من قبيل الشبيهه بالمضاف ، وغريباً حال من ضمير " حل " ، وقيل : صفة أخرى للمنادى .
ب- ومنهم من رأى أن " أعبدًا " قد تكون منادى منكور ، وقد تنصب على الحال ، كأنه قال : أتفخر في حال عبودية ولا يليق الفخر بالعبودية ، وعلى هذا فالهمزة للاستفهام ، و" عبداً " وجملة حلّ وغريباً أحوال من ضمير تفخر^(٨٤٤) .

ج- وشيخنا مخالف لهم ؛ إذ يرى أن قوله : " أَعْبَدًا " منصوب على حذف الفعل ، أي : أرى عبداً ، أو ما يشبهه ؛ لأنّ الشاعر أراد التعجب من عبدٍ يحلُّ في دار غريبة فيجمع اللؤم والغربة معاً ، ويتعجب من جراته ، ولا حامٍ له من عصبية أو أهل أو شرف أو نخوة^(٨٤٥) .

وللتعليق على ما سبق نقول :

(٨٤٣) " أعبدًا " قيل : يعني به العباس بن يزيد الكندي ، وهو من أصحاب شعبي ، وكان نازلاً في غير قومه ، إذ كان حليفاً لبني فزاره ، فعيره جرير بذلك . ينظر : طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ .

" شعبي " : من جبال طيء ، وقيل : في بلاد كلاب ، وقيل جبال منيعة متدانية بين أيسر الشمال ، وبين مغيب الشمس ، من ضربة على قريب من ثمانية أميال . ينظر : لسان العرب ، مادة : " شعب " .

ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٤٤٥ . ديوانه ، شرح : حمدو طماس ، ص : ٥٠ .

(٨٤٤) ينظر : الكتاب ، ج : ١ ، ص : ٣٣٩ ، ٣٤٤ . الخزانة ، ج : ٢ ، ص : ١٨٣ .

(٨٤٥) ينظر : هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ٢ ، ص : ٤٤٧ .

١- إن النداء قد يفيد معنى التعجب^(٨٤٦) ، ولكن إذا قدرنا النداء في هذا البيت لا يكون هناك تعجب من وجود العبد في ديار الغربية ؛ لأن جملة " حلّ " صفة للمنادى قبل النداء ، إن ناداه ثم استفهم .

٢- وفي تقديرهم : " أتفخر عبداً " تعجب من حالة العبد كيف يفخر وهو عبد في حال عبودية ، ثم يكون الإنكار والتوبيخ على الجمع بين اللؤم والغربة .
ونلاحظ هنا أن الاستفهام أفاد التعجب والتوبيخ والإنكار .

٣- ولو تأملنا تقدير الشيخ : " أرى عبداً " نجد أن الاستفهام أفاد المعاني السابقة ، إلا أننا لا نجد التعجب من حالة العبد وافتخاره وهو على هذه الحالة ، إنما التعجب من وجود العبد في ديار الغربية ، ثم التوبيخ والإنكار على اللؤم ، وقبح الفعال ، والتعجب من جراته وإقباله على أمور دنيئه وهو لا حامي له من عصبية أو أهل أو شرف أو نحوه .

ولما قدر شيخنا فعلاً محذوفاً : " أرى " كان حذف الفعل أبلغ في إفادة معنى التعجب .

(٨٤٧)

ورأي الشيخ هو الرأي الراجح ؛ لأن الشاعر لا يريد الإنكار والتوبيخ على لؤمه فحسب ، وعلى جمعه بين اللؤم والغربة ، ولا يريد التعجب من تفخره وهو في حال عبودية ، بل يريد التعجب والإنكار والتوبيخ ، فالتعجب من وجود هذا العبد في دار غربة ، والتوبيخ والإنكار على لؤمه ؛ لأن الديار الغربية هي دياره^(٨٤٨) ، فقد كان العباس الكندي من أصحاب شعبي ، فكان غريباً نازلاً في غير قومه ؛ لأنه حليف لبني فزاره ، وشعبي من بلادهم وهو كندي والحلف عندهم عار ، ولذلك عيره جرير .^(٨٤٩)

(٨٤٦) ينظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، تأليف : عبد المتعال الصعيدي ، ج : ٢ ، ص : ٥١ .

(٨٤٧) ينظر : دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، ص : ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٨٤٨) الاستفهام في الشطر الثاني تأكيد للشطر الأول من البيت :

أعبداً حلّ في شعبي غريباً ألؤماً - لا أبالك - واغتراباً

(٨٤٩) ينظر : الخزانة ، ج : ٢ ، ص : ١٨٦ .

لذا كان رأيُ الشيخِ الأقرب للمعنى المراد ؛ لأنه أشار إلى تعجّب من وجود العبد في دار
الغربة ، إلا أن التعجّب لم يكن من وجوده غريباً في دار غربة ، إنما التعجب من وجوده غريباً في
دياره ، وهذا أدعى للتعجب والتوبيخ والإنكار .

٣- عود الضمير ، وهذا مثل :

ما قاله كعب بن زهير :

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ^(٨٥٠)

(٨٥٠) ينظر : قصيدة البردة ، لكعب بن زهير ، شرح وتحقيق : أبي البركات الأنباري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٠م ،

تهامة ، جدة ، ص : ٧٨ ، ١١٦ .

يقول الشيخ محمود شاكر : " يقول السكري^(٨٥١) وغيره : الهاء في " به " راجعة على النبي صلى الله عليه وسلم . وهو ليس بشيء عندي . ومن أعجب البيان قوله : " سيف يستضاء به " ، وقطع ثم قال : مهتد ، فهو خبر لمحدوفٍ لا صفةً لقوله : " لسيف " ؛ ولذلك يجب الوقوف عند آخر الشطر الأول " (٨٥٢) .

فالشيخ يرى أن الهاء في " به " راجعة إلى " سيف " ؛ لأن جملة " يستضاء به " صفةٌ لـ"سيف" ، ولم تكن صفة للرسول صلى الله عليه وسلم، إذ يقول : " إنه من أعجب البيان قوله : " لسيف يستضاء به " ؛ وذلك لأن وصف السيف بأنه يستضاء به وصفٌ نادر للسيف، وإنما هي إشارة إلى أنه سيف يحمي الحق ، ولا يقهر الضعيف ، وإنما يقوى به الضعيف ، ويعزُّ به الدليل ، والسيف الذي يستضاء ، هو السيف الذي يكفُّ الظلم والظلمات ، وفي هذا التشبيه إشارة إلى أن دين الله الذي جاء به المختار إنما هو شرع ، وحق ، ونور ، وهو أيضاً قوة ، تحمي وتدفع وتمنع " (٨٥٣) .

ويبدو أنه لو لم تكن جملة " يستضاء به " صفة لـ " سيف " ، لشعرنا بأن القوة صفةٌ مستقلة عن الإضاءة لا تقترب بها ، ولما جعلت صفة لـ " سيف " ، وقلنا : " إن الرسول لسيف يستضاء به " ، جمعنا بين الصفتين في آنٍ واحد ، فاقترنت القوة بالإضاءة وتلازمت معها ، ولم تكن بمعزلٍ عنها ، وهذا الدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم دين قوة وحق ونور ورحمة في آنٍ واحد .

أمّا قول الشيخ بأن " مهتد " خبرٌ لمحدوفٍ ففيه نظر ؛ فهناك من يرى أن " مهتد " خبر آخر ، أي أنه خبر بعد خبر ، والخبر موصوف^(٨٥٤) ، وأغلب النحاة يذهبون إلى جواز تعدد الخبر

(٨٥١) ينظر: ديوان كعب بن زهير ، شرح الإمام : أبي سعيد الحسن بن الحسن السُّكْرِي ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م ، مكتبة وهبة ، القاهرة - مصر ، ص : ٢٣ .

(٨٥٢) ينظر: هامش طبقات فحول الشعراء ، ج : ١ ، ص : ١٠١ .

(٨٥٣) ينظر: قراءة في الأدب القديم ، د . محمد محمد أبو موسى ، الطبعة الثانية ، ربيع ثاني ١٤١٩هـ - أغسطس ١٩٩٨م ، مكتبة وهبة ، القاهرة - مصر ، ص : ٨٣ .

(٨٥٤) يُنظر: قراءة في الأدب القديم ، د . محمد أبو موسى ، ص : ٨١ .

لمبتدأ واحد ، أما المانعون فيقدرون مبتدأ محذوف للخبر الثاني^(٨٥٥) ، فيكون التقدير مثلاً : " هو مهتدٌ ."

وقد أخذ شيخنا برأيهم لما فيه تكرير للمبتدأ ، وفي هذا التكرير توكيد وتقوية للحكم ، وقد يكون للاستئناس بذكره صلى الله عليه وسلم .

كما أنه لا يرى بمجيء " مهتدٌ " صفة لـ " سيف " ؛ لأن الشاعر لا يريد أن يعدد في أوصاف الخبر ، بل يريد تأكيد قوة الدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولهذا جعلت خبراً ؛ لأنه لما أخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه " سيف يستضاء به " أخبرنا عن القوة التي جاء بها صلى الله عليه وسلم ، ولما كان قوله " مهتدٌ " خبراً ثانياً ، كان هذا تكرير لخبر القوة ، وفي هذا التكرير تأكيد لقوة الدين الذي جاء به صلى الله عليه وسلم .

ويقول الدكتور محمد أبو موسى في هذا البيت :

" تأمل في هذا البيت الشريف :

إنَّ الرسولَ لسيفٌ يُستضاءُ به مهتدٌ من سيوفِ الله مسلولٌ

ذكر الركنين الأساسيين في جوهر الرسالة ، وهما المنعة والرحمة ، ثم قال : " مهتدٌ " فأعاد يؤكد القوة ، والحسم ، والقطع ، ثم قال : " من سيوفِ الله " فأكد معنى الرحمة ، والهداية ، يعني طرَّق هنا طرَّقاً ، وطرَّق هناك طرَّقاً ، فأكد المعنيين معاً ، ثم قال : " مسلولٌ " وهو صالح لأن يرجع إليهما معاً " (٨٥٦) .

(٨٥٥) ينظر: أوضح المسالك، لابن هشام، ج: ١، ص: ٢٠٦ .

(٨٥٦) ينظر: قراءة في الأدب القديم، د. محمد أبو موسى، ص: ٨٤ .

خامساً : التفسير الأجود للألفاظ ، وهذا نحو تفسير :

١- لفظ " المرو " :

فأهل اللغة فسروه بأنه : " حجارة بيض برّاقة ، تكون فيها النار ، وتقدح منها النار ، ويتخذ منها أداة كالكسكين يذبح بها ، وهي صلبة وقيل : هي أصلب الحجارة ، وفي التنزيل العزيز قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الصَّخْرَةَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ ﴾^(٨٥٧) قيل : المروة جبل مكة شرفها الله^(٨٥٨) .

أما الطبري ففسر " المروة " في هذه الآية بأنها الحصاة الصغيرة . والأجود عند العلامة أبي فهر محمود شاكر تفسير أهل اللغة ، فتفسيرهم أجود وأوضح من تفسير الطبري ، الذي لم يؤيده أبو فهر ولم يستحسنه .^(٨٥٩)

وفي قول الطبري نظر ؛ لأن من المعروف أن الصفا والمروة هما جبلان بين بطحاء مكة والمسجد ، وهي العلائم التي ندب الله إليها وأمر بالقيام بها^(٨٦٠) ، فكيف تكون المروة جبلاً وعلماً وهي حصاة صغيرة ؟

٢- " أبك " في قول الكميت بن زيد^(٨٦١) :

أنى ومن أين - أبك - الطرب ؟ من حيث لا صبوة ولا ريب^(٨٦٢)

(٨٥٧) سورة البقرة ، آية : ١٥٨ .

(٨٥٨) ينظر : لسان العرب ، مادة : " صفو " .

(٨٥٩) ينظر : تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٢٢٥ . وينظر الهامش .

(٨٦٠) ينظر : البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان الأندلسي ، ج : ٢ ، ص : ٦٢ .

ينظر : لسان العرب ، مادة : " مرو " .

(٨٦١) الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي ، أبو المستهل ، شاعر الهاشميين ، من أهل الكوفة ، اشتهر في العصر الأموي ، منحازاً إلى بني هاشم ، كثير المدح لهم ، أشهر شعره " الهاشميات " . ينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج : ٥ ، ص : ٢٣٣ .

(٨٦٢) " الطرب " : الخفة من فرح وحزن جميعاً . ينظر : لسان العرب ، مادة : " طرب " .

ينظر : شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي ، بتفسير أبي ريش أحمد بن إبراهيم القيسي ، تحقيق : الدكتور داود سلوم ، والدكتور حمودي القيسي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت - لبنان ، ص :

ف " آبك " عند أبي جعفر بمعنى : " راجعك الطرب " ، من الأوبة ، أي : " أننى ومن أين راجعك الطرب " ، وهو وجه من التأويل لا ينكره شيخنا ، ولكنه يرى أن التأويل الأجود أن يكون قوله : " آبك " معترضة بين كلامين ، كما يقال : " ويحك " بين كلامين ، وسياقه " أننى ومن أين الطرب؟ " ، و " آبك " بمعنى : " ويلك " ، يقال لمن يُنصح ولا يقبل ثم يقع فيما حُذر منه ، كأنه بمعنى : أبعدك الله ! دعاء عليه ، كما استشهد بعد ذلك بقول رجل من بني عقيل :

أخبرتني يا قلب أنك ذو غرى بليلي؟ فذق ما كنت قبل تقول
فآبك ! هلاً والليالي بغرة تلم ، وفي الأيام عنك غمُولُ !! (٨٦٣)

ومن الملاحظ أن الاستفهام في بيت الكميت استفهامٌ توبيخي ، لذلك كان تفسير الشيخ أكثر اتساقاً مع السياق ؛ لأن تفسير " آبك " عند الطبري لا يفيد إلا معنى الرجوع فقط ، بينما تفسير أبي فهر فيه دعاء على المويخ بجانب دلالته على الرجوع ، وهذا أبلغ وأقوى في الدلالة على التوبيخ .

(٨٦٣) ينظر : تفسير ابن جرير الطبري ، ج : ٤ ، ص : ٤١٥ .

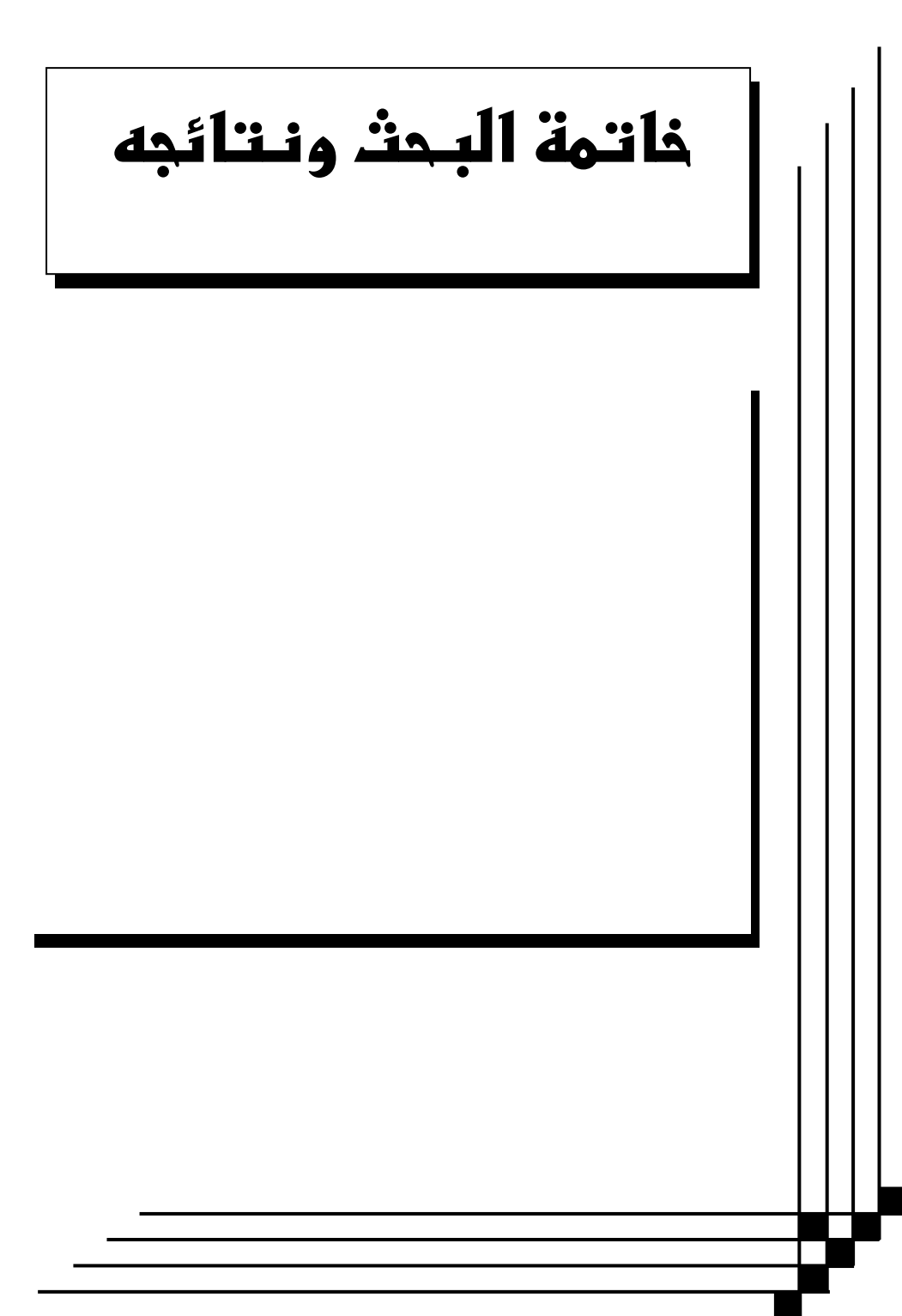
ينظر : لسان العرب ، مادة : " أوب " .

الخلاصة من استعماله للغة العالية :

إن هذه الآراء المختلفة المذكورة تتفق جميعها مع السياق ، ولكن المتذوق أبا فهد لا يختار إلا الأبلغ في إفادة المعنى ، والذي يضيف إلى معنى النص معنى آخر يجعله أقوى في التأثير، وأبلغ في الإفادة ، وفي الوقت نفسه يختار ما هو أكثر ملاءمةً للسياق من غيره ، كما نراه يستجيد ما يظهر المعنى في صورة أوضح مزيلاً عنه كل ما يبهمه أو يلبسه الغموض ؛ ليكون بعد ذلك أقرب إلى الفهوم، وأنس للنفوس .

كل ذلك يحققه شيخنا العلامة أبو فهد دون الخروج عن ضوابط اللغة أو الشذوذ عن قواعدها ، لا يريد إلا أن يرتقي بالقارئ بإطلاعه على الأصيل من خصائص هذه اللغة و النقي الصافي من صفاتها، وبإثراء عقله بالرفيع الثمين من قيمتها ومزاياها المتمثل في انتقاء الألفاظ والأساليب التي تعبر عن أرقى الأفكار وأدق المشاعر؛ هادفاً بذلك تحريك المشاعر العليا عند القراء ، وإثارة تفكيرهم السامي، وإيقاظ روحهم الأدبية المبدعة التي لا تقف عند حدٍّ معين ، بل تتذوق كل رونقٍ وحلاوة ، وكلِّ حسنٍ ومزية ، حتى تصل إلى النمط العالي الشريف .

خاتمة البحث ونتائجه



خاتمة البحث ونتائجه :

قام هذا البحث على دراسة جهود الشيخ العلامة محمود شاكر الذي عمل على حفظ التراث وجمعه ، والمحافظة على اللغة العربية الفصحى ، ومنعها من الانحسار والدُّوبان ؛ بُغْيَةَ الوقوف على آرائه ومنهجه في معالجة نصوص الشعر العربي وكتب التراث ، وانتهى البحث إلى النتائج الآتية:

١. قراءة الشعر العربي - خاصة الجاهلي منه- وتذوقه، و الانعكافُ على تراث العربية وتحقيقه، ثم النظرُ إلى قضية "الإعجاز القرآن" وربطُ هذه القضية بقضية التذوق والشعر الجاهلي، هي مدارُ حياة الشيخ الأدبية، وشغله الشاغل.
٢. الدفاع عن الدين والتراث العربي قضية آمن بها الشيخ، ودعا إليها، و خاض من أجلها معارك شرسة ضدّ المبشرين وتلاميذهم المستغربين، الذين حاولوا تشويه الدين والثقافة الإسلامية بإدخال مفاهيم مغلوطة حول الإسلام واللغة العربية.
٣. إن هدف أبي فهر من مدارسته الشعر الجاهلي وكتب التراث هو إثبات ثراء العربية الفصحى، واتساعها، وطواعيتها، ودقّتها في تصوير المعاني في عصر مضطرب أتهمت فيه بالصعوبة والتخلف والجمود .
٤. شارك الشيخ في الكتابة في الصحف والمجلات، التي زاعت علمه ونشرت أفكاره وجهوده في الترجمة، فكانت له منبراً اتخذه للدفاع عن الدين والتراث والهوية.
٥. اهتم بضبط أصول معاني الألفاظ، والتدقيق فيها ، وبالتأمل ، وحسن التذوق لنصوص الشعر ؛ لمعرفة معاني الألفاظ الجديدة ؛ وذلك لأن الألفاظ إذا جرت على ألسنة الشعراء لا تقفُ عند حدٍّ معيّن، بل تكتسب معاني جديدة زائدة عن تلك التي وردت في كتب اللغة، وهذا أمرٌ يتطلب الإحاطة التامة بالشعر، والفهم لمناهج الشعر والشعراء .
٦. حثّ على التريث والانتباه عند تفسير الألفاظ، وحثّ في الوقت نفسه من الاعتماد على المؤلف المعتاد في تفسيرها ؛ وذلك للكشف عن معناها الذي وضعت له سواء أكان حقيقياً أم مجازياً .

٧. اهتم عند تفسيره للألفاظ بمعرفة أصول الكلمات، وفروعها، ومشتقاتها؛ لفهم النصوص، فعند اتفاق الألفاظ، يتبين من أصولها بالنظر والتأمل في السياق الذي وضعت فيه؛ لأن من ضلَّ عن معرفة الاشتقاق، وعجزَ عن ردِّ الفروع إلى الأصول، ضلَّ عن معاني النصوص، بل عن العربية كلها؛ لأنها لم تبين إلا على الاشتقاق.

٨. حذر من التهاون في استخدام الألفاظ المترادفة، دون النظر في الفروق بينها؛ لأن الواجب تجاه هذه المترادفات هو الاجتهاد في إزالة الغموض الذي يعترى مدلولاتها؛ حتى تظهر الفروق المعنوية الدقيقة بينها، وتُعرف دلالة كلِّ لفظٍ على معناه الذي خُصَّص له. وكذا الحال إذا دلَّ اللفظ الواحد على أكثر من معنى، فحينها لا يؤخذ من معانيها إلا ما اتفق مع السياق الذي تقع فيه.

٩. اعتمد على نحو المعنى في شرح النصوص وتفسيرها، فكشف به عن كثير من مكنونات المعاني في الشعر، وعرف أبعاده اللغوية، وهذا يعني أنه أسس شرحه على الأساس السليم؛ لأن مدلول الكلمات في النص آت من صيغتها (البنية الصوتية الصرفية)، ووظيفتها النحوية وسياقها معاً، وإغفال النظام النحوي في معالجة النصوص، إنما هو إهمالٌ لما يمدُّ المفردات بالمعنى الأساسي العميق.

١٠. واصل الشيخ السير على هدي القدماء، فاجتهد في توضيح العلاقة بين صوت الحرف ومخرجه وبين معنى الكلمة التي تتألف منه، محاولاً بذلك البناء على جهودهم السابقة في هذا المجال، وهو أمرٌ يتطلب ثقافة خاصة، ودربة عالية، وقادرة على البحث عن أسرار سليقة اللغة.

١١. التزم بالدقة وشدة الضبط في الاستشهاد، فلا نراه يستشهد إلا بالشعر الجاهلي المعرق، والأحاديث الشريفة الصحيحة، أو أقوال الثقات، ولا يأخذ بأقوالهم إلا بعد التحقق مما نُسب إليهم، وبعد التحقق من صدق وضبط الراويين عنهم؛ وهو في منهجه يحث على مدارس الشعر الجاهلي وكتب التراث مدارس تامة واعية؛ لفهم اللغة واستيعاب أسرارها.

١٢. منهج الشيخ قائم على تذوق الكلام، ومعالجة نظمه معالجةً تستخرج المعاني المختبئة، والدلالات الخفية، وهو منهجٌ يسيرٌ فيه على سنن السابقين الأوائل من علماء الإسلام

و العربية، لا على منهج المستشرقين الذين يقفون عند النص المكتوب ولا يتجاوزونه، مكتفين بالانقياد للتقليد دون تمحيص أو حذر؛ لعجزهم عن البيان، والإفصاح عن أسرار العربية.

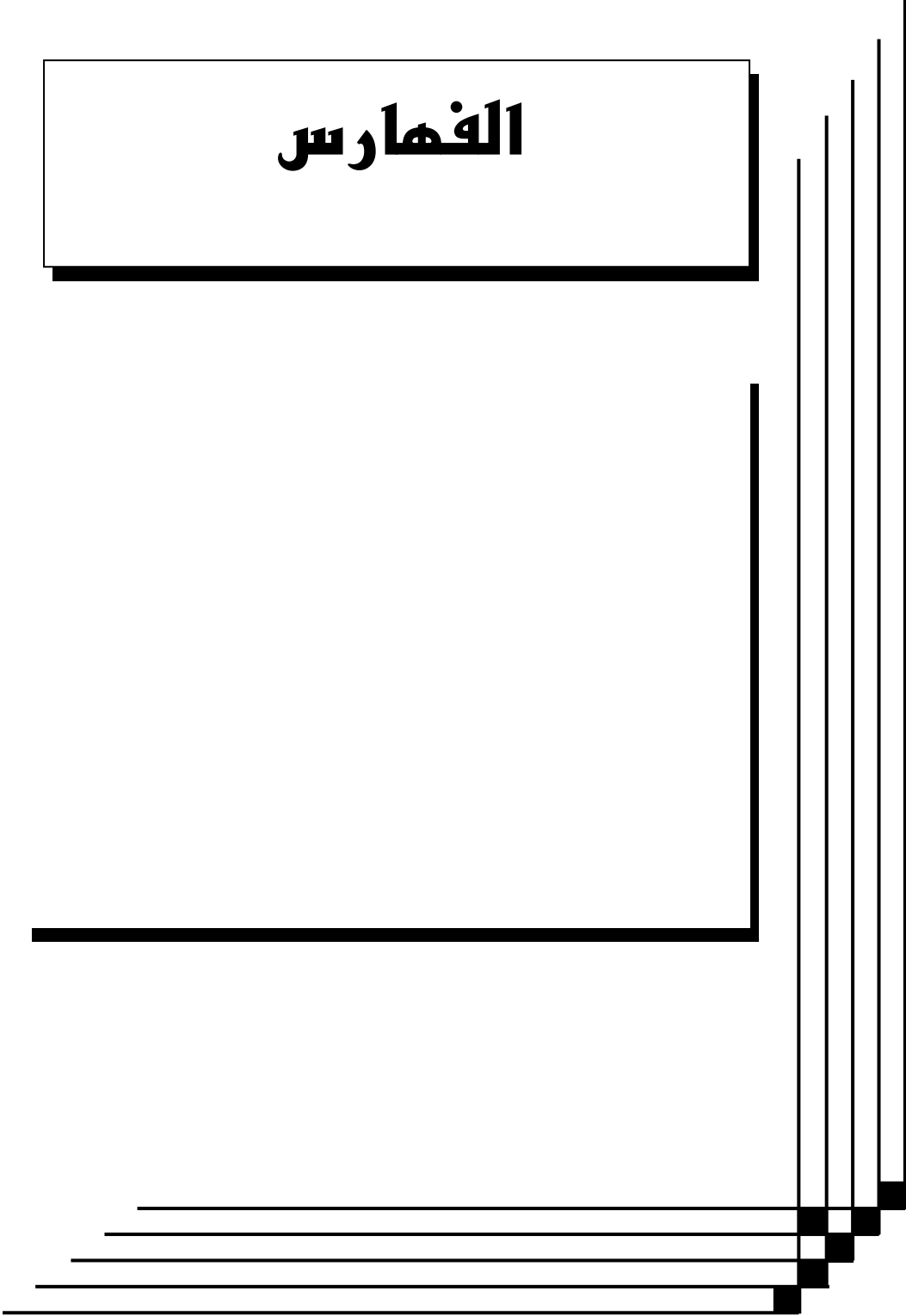
١٣. آراء الشيخ - وإن كانت من اجتهاده وتأملاته - لم تكن بمنأى عن قواعد اللغة، ولم تخرج عن نظامها، فما هي إلا فروع عن هذه القواعد الأصيلة الثابتة، لا تنفك عنها ولا تتعارض.

١٤. اهتم في تحقيقه لكتب التراث بتحرير النصوص ومراجعتها على جميع النسخ الواردة فيها؛ لتمام معانيها واتصالها وكتابتها كما كتبها المؤلف لا الناسخ ولا الناشر؛ فكان يأخذ الروايات التي تتناسب مع العربية ومعناها من جهة، وتتفق مع علم المؤلف وثقافته من جهة أخرى، مستنداً في كل ذلك على ثقافة متنوعة، وعلم غزير، وإمام بالمصادر والمراجع التي يمكن الإفادة منها في إقامة النصوص.

١٥. حرص على تتبع تاريخ الألفاظ، فبحث عن نشأتها، وسبب نشأتها، وكيفية نشأتها؛ لأن تتبع معانيها في جميع المراحل التي مرت بها يبين معانيها الأصيلة، ويكشف اللثام عن المعاني الدخيلة التي لحقتها، لاسيما تلك المعاني الزائفة التي يلصقها بها الجهلة من أعداء الإسلام.

١٦. حث على الوقوف على شروح المستشرقين للشعر العربي، والتعرف على آرائهم مع أخذ الحيطة والحذر عند النظر إلى تفسيرهم لألفاظ اللغة؛ حتى يرد المخطئ منهم إلى الصواب بالعلم والحجة والبيان.

الفهارس



أولاً : فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
٧	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	٩١
٢٢	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٢٧٥
٣٠	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	١٥٨
٧٣	﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا ﴾	٢٧٦
٧٤	﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٢٨٥
٧٨	﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾	٨٢
٩٤	﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ﴾	٩٠
٩٧	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾	٩٤
١٠٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾	٨٢
١٢٠	﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	١٠١
١٢٨	﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾	١٠٢ ، ٨٤
١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾	٩٣

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
١٥٨	﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾	٢٩٥
١٦٤	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	٩٢
٢٢٨	﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾	٩٢
٢٢٩	﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾	٨٦ ، ٨٤
٢٢٩	﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَتِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾	٨١
٢٤١	﴿وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَمِّينَ﴾	٩٤
٢٥٥	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	٨٧
٢٦٠	﴿فَصَرُّهُنَّ إِلَيْكَ﴾	٨٦
٢٧٥	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾	٩٦
٢٨٣	﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ﴾	٥٩
سورة آل عمران		
١٩	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٠٤ ، ٩٨
٥٢	﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾	١٠٣
٥٩	﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٩٦

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٦٦	﴿ هَاتُم هَوْلَاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾	٩٥
٨٥	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾	١٠٤
١١٣	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾	٨٨
سورة النساء		
٤	﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُنَّ فَاكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾	٢١٦
٦٠	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾	٤٧
١١٢	﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾	٩٥
١٥٧	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾	١٢١
سورة المائدة		
٣	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾	١٠٣
٣	﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾	٥٧
٧	﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾	١٧٨
سورة الأنعام		
١٠٩	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٧
١٦٤	﴿ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ آبِغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	١٠٣

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
١٢٦	﴿ وَمَا تَنْقُمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	١٠٢
سورة التوبة		
٣٣	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾	١٠٤
سورة يونس		
٧٢	﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	١٠٢
٨٤	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾	١٠٢
سورة هود		
٤٨	﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١٧١
سورة يوسف		
٣٨	﴿ وَاتَّبَعَتْ مَلَأَةَ آبَائِي إِِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ . . . ﴾	١٠١
٣٩	﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ الرَّبَّابُ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾	١٠٣
١٠١	﴿ . . . أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾	١٠٢
سورة مريم		
٤٩	﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾	١٢٠
سورة النمل		

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٤٤	﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٠٢
سورة القصص		
٦٨	﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	١٧٣
٨٨	﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	١٠٣
سورة العنكبوت		
٥٠	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	١٠٧
سورة يس		
٧٤	﴿ وَاتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يُنصَرُونَ ﴾	١٠٣
سورة الزمر		
١٢	﴿ وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	١٠٣
سورة فصلت		
٥٣	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾	١١٦
سورة الذاريات		
٢١-٢٠	﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصَرُونَ ﴾	١١٦
سورة النجم		
٤-٣	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾	١١٦
سورة الرحمن		

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٣٧	﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾	١٢١
٦٦	﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴾	٢٢٠
سورة الصف		
٩	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾	١٠٤
سورة المدثر		
٢٥-١٨	﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾	١٨١ ، ١٨٣
سورة النازعات		
٣٤	﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾	٢٣٢
سورة العاديات		
٨	﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾	١٧٥
سورة قريش		
٢ ، ١	﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾	٢٣١

ثانياً : فهرس الأحاديث الشريفة :

رقم الصفحة	الحديث
١٦٩	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم أمضي لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد بن خوله)
١٠٢	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلاتٍ أمهاتُهُم شَتَّى ودينُهُم واحد)
٧٦	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ... المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب)
٧٥	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير الخيل الأدهم الأقرح الأرثم ، ثم الأقرح المحجل طلق اليمين ، فإن لم يكن أدهم ؛ فكميت على هذه الشيه)
٨٣	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشهداء على بارق ، نهر بباب الجنة ، في قبة خضراء - وقال عبده : في روضة خضراء - يخرج عليهم رزق من الجنة بكرة وعشياً)
٦٥	(فما يشير بيده صلى الله عليه وسلم إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة (من كلام سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه) .
٥٧	(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضع عرك عارضيه بعض العرك ، ثم شبك لحيته بأصبعه من تحتها) حديث ابن عمر عن الرسول صلى الله عليه وسلم .
٥٩	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا عيش إلا عيش الآخرة)
١٦٩	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكن حمزة لا بواكي له)
٢٦٦	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المتشعب بما لا يملك كلابس ثوبي زور)
٧٦	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جرَّ ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة)

ثالثاً : فهرس الشعر :

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٢٨٣	عدي بن الرقاع	البسيط	الكربُ
٢٩٥	الكميت بن زيد	الكامل	رِبُّ
١٤٨	شبيب بن البرصاء	الطويل	سَلِيبُ
٦٧	جرير	الوافر	انْصِبَابًا
٢٩١	جرير	الوافر	اغْتِرَابًا
٢٤٩	جرير	الوافر	الوطابَا
١٧٥	شبيب بن البرصاء	البسيط	الأربَا
٥٦	أبو الغول الطهوي	الطويل	عَائِبِي
٢٧٩	ذو الرمة	الطويل	كَلْبُ
٢٩٠	النمر بن تولب	الطويل	قريبِي
٢٥١	ذو الرمة	الطويل	شُعُوبُهَا
٢٣٧	جذيمة الأبرش	المديد	شمالات
٢٥٢	المنذر عبد الله الحزامي	الوافر	المَمَاتِ
٥٣	أعشى ثعلبة	الكامل	الكَشْحُ
٢٤٠	غير معروف	الوافر	وَقَاحَا
٢٥٠	سعية بن العريض	الكامل	رَبَاحِ
٢٥٠	سعية بن العريض	الكامل	نجاح
٢٥٩	الحطيئة	الطويل	بَعْدُ

الصفحة	الشاعر	البحر	القفية
٦٤	عروة بن الورد	الطويل	جَاهِدُ
٢٦١	الفرزدق	الوافر	الأسود
٢٦١	أبو زمعة الأسود بن المطلب	الوافر	السهُودُ
١٧٤	عوف بن الخرع	الكامل	بصفادِ
٦٣	دريد بن الصمة	الطويل	المقددِ
٥٧	النابغة الذبياني	الكامل	مقعدِ
٢٤٧	غير معروف	الطويل	والبصرُ
٧٨	عمرو بن أحمر	السريع	يفتقرُ
٢٨١	الفرزدق	الوافر	يعارُ
٢٧٧	الفرزدق	الوافر	النهارُ
١٧٣	الفرزدق	الوافر	الخيارُ
٢٨٩	أمرؤ القيس	البسيط	تدرُ
٢٥٣	عمر بن لجأ	البسيط	تدرُ
٢٤٦	الأخطل	البسيط	مُضَرُّ
٢٤٠	غير معروف	البسيط	تَأْتِمِرُ
٢٤٨	محمد بشير الخارجي	الطويل	الأساور
٢٥٤	عبد الله بن عمر بن مصعب	الطويل	الصَّدْرَا
١١٢ ، ٤٥	النابغة الذبياني	السريع	الإنذار
٢٥٣	إبراهيم بن يسار النساء	البسيط	زوارِ

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٧٢	الأخطل	الطويل	وتري
٢٨٧	الفرزدق	البسيط	منثور
٢٨٨	الفرزدق	البسيط	محاسير
٦٧	الحارث بن حلزة	الكامل	النفس
١٨٠	عبد الله بن عمر العبلي	المتقارب	المنفس
١٩٨	أبو مسلمة موهوب الكلابي	الطويل	المجالس
١١١	النابعة الذبياني	الطويل	سابع
٢٥٠	مصعب بن عبد الله	الطويل	تترعاً
٢٤٩	كثير أبو المشعل	الطويل	خضعا
٢٤٧	حماس الأبرش الكلابي	الطويل	تضلعاً
٢٥٤	أبو المشعل	الطويل	ظلعاً
٢٨٢	ذو الرمة	الطويل	الوقائع
١٦٠	عبد الله الزبيري	الرملي	مقل
١٦٢ ، ١٥٢ ، ٧٤ ، ٧٠	أبن أخت تأبط شراً	المديد	أبل
١٣٨ ، ١٣١ ، ١٤٦ ، ١٤٤	ابن أخت تأبط شراً	المديد	الأجل
١٦٣ ، ٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٠	ابن أخت تأبط شراً	المديد	حلوا

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
١٣٩	ابن أخت تأبط شراً	المديد	تحلُّ
١٣٩	ابن أخت تأبط شراً	المديد	ما تُحلَّ
١٣٥ ، ١٥٢ ، ١٧١	ابن أخت تأبط شراً	المديد	يحل
٧٣	ابن أخت تأبط شراً	المديد	لخلَّ
٦٣ ، ٦٦ ، ٧١ ، ١٤٥ ، ١٥٢	ابن أخت تأبط شراً	المديد	مدل
٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٠	ابن أخت تأبط شراً	المديد	ما يُدَلُّ
٧٤ ، ١٥٢ ، ١٦١	ابن أخت تأبط شراً	المديد	أزلُّ
١٨٣	ابن أخت تأبط شراً	المديد	يُيسَلُّ
١٧٢	ابن أخت تأبط شراً	المديد	وشلُّ
١٣٢ ، ١٤٨	ابن أخت تأبط شراً	المديد	صلُّ
١٧٢	ابن أخت تأبط شراً	المديد	الأظلُّ
١٣٤ ، ١٥١	ابن أخت تأبط شراً	المديد	وظلُّ
١٨٣ ، ١٩٥	ابن أخت تأبط شراً	المديد	فاشمعلوا
١٧٢	ابن أخت تأبط شراً	المديد	يفلُّ

الصفحة	الشاعر	البحر	القفية
٤١ ، ٤٥ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦	ابن أخت تأبط شراً	المديد	الأقلُّ
٦٨	ابن أخت تأبط شراً	المديد	تَسْتَقِلُّ
١٣٩	ابن أخت تأبط شراً	المديد	مُسْتَقِلُّ
١٤٠	ابن أخت تأبط شراً	المديد	يَمَلُّوا
١٧٥	ابن أخت تأبط شراً	المديد	يستهلُّ
٢٩٦	رجل من بني عقيل	الطويل	تقولُ
٢٩٤ ، ٢٩٢	كعب بن زهير	البسيط	مسلولُ
١٦٩	جرير	البسيط	أشبالي
٢٧٨	امرؤ القيس	الطويل	بأجلالِ
٥٢	جرير	الوافر	الهلالِ
٤٧	بلعاء بن قيس	الطويل	طوال
٩٩	الأعشى الكبير	الخفيف	وصيالِ
٥٥	ابن هرمة	الوافر	السيولِ
٢٧٦	المخبل السعدي	الطويل	شاغلُهُ
٢٥٨	الفرزدق	الطويل	غلالُها
٦٩	الشمّاح بن ضرار	الطويل	أنالها

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٢٤٠	غير معروف	الطويل	عَلَقَمُ
٧٢	المسيب بن علس	الطويل	المُصَمِّمُ
٦٧	المخبل السعدي	الكامل	شهُمُ
٧٩	عارق الطائي	الوافر	تسومُ
١١٢	الحصين بن الحمام المري	الطويل	أَتَكَلِّمًا
٥١	الفرزدق	الوافر	الزحامِ
٢٤٥	الفرزدق	الطويل	النواعم
١٧٦	أبو حية النميري	الطويل	الفمِ
٧٧	النابغة الذبياني	الوافر	رفنُ
٧٨	نافع بن لقيط أو محمد بن عبد الله الثقفي	الطويل	بعدانِ
١٢٢	أبو العلا المعري	الخفيف	كالدهانِ
٢٨٠	النابغة الجعدي	البسيط	مطحونِ
٢٤٤	عمرو بن شاس	الطويل	عاديا
٧٧	الأخطل	الطويل	الأمانيا

رابعاً : فهرس الأرجاز :

الصفحة	الشاعر	القافية
٢٤٦	حماش الأبرش الكلابي	أثبجاً
٢٦٠	حماش الكلابي	تدحرجاً
٢١٩	غير معروف	فخاً
٤٦	رؤبه بن العجاج	القسيسُ
٢٦٣	محمد الضحاك	الربيساً
٥٠	رؤبه بن العجاج	الأتيعاً
٤٩	الأغلب العجلي	جلاجلِ
٥١	غير معروف	أجمهاً

فهرس المصادر والمراجع

- أولاً: المصادر :

(أ) مؤلفات الشبب :

١. أباطيل وأسمار ، الشبب محمود محمد شاكرا ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبعا ، مطبعا المدني ، القاهاة - مصر .
٢. جماهرا مقالات الأستاذ محمود شاكرا ، الدكتور جمال سللمان جمال ، الطبعا الأولى ، ٢٠٠٣م ، مكتبا الخانجا ، القاهاة- مصر .
٣. رسالا في الطربق إلى ثقافتنا ، أبو فها محمود محمد شاكرا ، بدون طبعا ، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م ، مكتبا الخانجا ، القاهاة - مصر ، دار المدني ، جاها .
٤. المتنبا ، أبو فها محمود شاكرا ، بدون طبعا ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، مكتبا الخانجا ، القاهاة - مصر ، دار المدني ، جاها .
٥. مداخل إعجاز القرآن ، أبو فها محمود شاكرا ، تحقيق : فها محمود شاكرا ، الطبعا الأولى ، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م ، مطبعا المدني ، القاهاة - مصر .
٦. معجم محمود محمد شاكرا ، إعداد : منذر أبو شعا ، الطبعا الأولى ، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م ، دار البشائر ، دمشق - سوراا .
٧. نمط صعب ونمط مخبف ، الشبب أبو فها محمود شاكرا ، الطبعا الأولى ، ١٤١٦هـ ، مطبعا المدني ، القاهاة - مصر ، دار المدني ، جاها .

(ب) الكتاب النبا حقاها :

١. إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنبا والأموال والحفاة والمتاع ، تقبا الاءن أحمد بن على المقربزا صحاها وشراها : محمود شاكرا ، بدون طبعا ، بدون تاريخ طبعا .
٢. تفسير ابن جربا الطبرا ، جامع الببان عن تأويل آبا القرآن ، أبو جعفر محمد بن جربا الطبرا ، تحقيق : محمود محمد شاكرا ، مراجاا وتخربا أحابا :

أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ طبع ، دار المعارف ، القاهرة
- مصر .

٣. تهذيب الآثار ، أبو جعفر الطبري ، تحقيق : أبي فهر محمود محمد شاكر ،
بدون طبعة ، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م ، مطبعة المدني ، القاهرة - مصر ، دار المدني -
جده .

٤. جمهرة نسب قريش ، الزبير بن بكار ، تحقيق : أبي فهر ، محمود محمد شاكر
، بدون طبعة ، ١٣٨١هـ ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة - مصر .

٥. طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه : أبو فهر
محمود محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، جده ، مطبعة المدني ، القاهرة - مصر .

٦. كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى ، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، علق
عليه وحققه : عبدا لعزيم الميمني الراجكوتي ، زاد في حواشيه : محمود محمد
شاكر ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ طبع ، دار المعارف ، القاهرة - مصر .

(ج) المجلات :

١. مجلة الأدب الإسلامي ، سنة ١٤١٨هـ ، المجلد ٤ ، العدد : ١٦ ، عدد خاص
بالشيخ شاكر ، نشر بعد وفاته .

٢. مجلة الثقافة ، السنة السادسة ، أكتوبر ، ١٩٧٨م ، العدد ٦١ ، والعدد ٦٣ .

٣. مجلة الفيصل ، جماد الآخر ، ١٤٠٥هـ ، العدد : ٩٦ .

٤. مجلة المختار من مجلة ريدير زد ايجست ، تحرير فؤاد صروف :

- السنة الأولى ، سبتمبر ١٩٤٣م ، المجلد : ١ ، العدد : ٢ ، ٤ .
- السنة الأولى ، يناير ١٩٤٤م ، المجلد : ١ ، العدد : ٥ .
- السنة الأولى ، يوليه ١٩٤٤م ، المجلد : ٢ ، العدد : ١١ .
- السنة الأولى ، أغسطس ١٩٤٤م ، المجلد : ٤ ، العدد : ١٩ .
- السنة الثانية ، مارس ١٩٤٥م ، المجلد : ٤ ، العدد : ١٩ .

- السنة الثانية ، يونيه ١٩٤٥م ، المجلد : ٤ ، العدد : ٢٢ .
- السنة الثانية ، يوليو ١٩٤٥م ، المجلد : ٤ ، العدد : ٢٣ .
- السنة الثالثة ، أكتوبر ، ١٩٤٥م ، المجلد : ٥ ، العدد : ٢٦ .
- السنة الرابعة ، إبريل ١٩٤٧م ، المجلد : ٨ ، العدد : ٤٤ .
- السنة الرابعة ، يوليو ١٩٤٧م ، المجلد : ٨ ، العدد : ٤٧ .

ثانياً : المراجع :

١. الإتيقان في علوم القرآن ، الإمام جلال الدين السيوطي ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م ، دار الفكر ، بيروت .
٢. الأدب العربي المعاصر في مصر ، الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الحادية عشر ، بدون تاريخ ، دار المعارف ، القاهرة - مصر .
٣. أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون طبعة ، بدون تاريخ الطبع ، دار الطلائع ، القاهرة - مصر .
٤. الأدوات النحوية في كتب التفسير ، الدكتور محمود أحمد الصغبر ، بدون طبعة ، ٢٠٠١م ، دار الفكر ، دمشق - سوريا ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان .
٥. الأديان في القرآن ، الدكتور محمود الشريف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠م ، دار المعارف ، القاهرة - مصر .
٦. ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : الدكتور رجب عثمان محمد ، مراجعة : الدكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر .
٧. أساس البلاغة ، الإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ، تحقيق : الأستاذ عبدالرحيم محمود ، عرف به : الأستاذ أمين الخولي ، الطبعة الأولى الجديدة ، ١٣٧٢هـ=١٩٥٣م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة - مصر .

٨. أسرار اللغة ، الدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة السابعة ، ١٩٩٤م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة - مصر .
٩. الأسس النفسية لعملية الإبداع الفني في الشعر خاصّة ، الدكتور مصطفى سويف ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٩م ، دار المعارف ، مصر .
١٠. الاشتقاق ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بدون طبعة ، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، المكتب التجاري ، بيروت - لبنان ، مكتبة المثني ، بغداد - العراق .
١١. أصوات اللغة العربية، الدكتور عبد الغفار حامد هلال، الطبعة الثالثة، ١٤١٦-١٩٩٦، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر.
١٢. الأصوات اللغوية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٧م ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر .
١٣. الإعجاز البلاغي ، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، الدكتور محمد أبو موسى ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م ، مكتبة وهبة ، القاهرة - مصر .
١٤. الإعجاز الصوتي في جزء عمّ ، الأستاذ أناهيد عبد الحميد حريري ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، دار الشبل ، الرياض .
١٥. الأعلام ، قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، الطبعة الخامسة عشر ، ٢٠٠٢م ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان.
١٦. أمالي ابن الشجري ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي ، تحقيق : الدكتور محمود محمد الطناحي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر .
١٧. الأم ، الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق : الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، دار الوفاء ، المنصورة .

١٨. إنباه الرواة على أنباه النحاة ، الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق: الدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة - مصر .
١٩. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، الإمام ابن هشام الأنصاري ، ومعه كتاب عدّة المسالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، تأليف : محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون طبعة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت - لبنان .
٢٠. الإيضاح ، أبو علي الحسن أحمد عبد الغفار النحوي ، تحقيق : الدكتور كاظم المرجان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان .
٢١. الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، مراجعة وتصحيح : الشيخ بهيج غزّاوي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، دار إحياء العلوم ، بيروت - لبنان .
٢٢. البارع في علم العروض ، أبو القاسم بن جعفر بن القطّاع ، تحقيق : الدكتور محمد أحمد عبد الدائم ، بدون طبعة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، مكتبة الفيصلية ، مكة .
٢٣. البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي الغرناطي ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، بدون طبعة ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م ، دار الفكر ، بيروت - لبنان .
٢٤. البديع ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق : أغناطيسوس كراتشكوفسكي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، دار المسيرة ، بيروت - لبنان .
٢٥. البديع في ضوء أساليب القرآن ، الدكتور عبد الفتاح لاشين ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، دار المعارف ، مصر .
٢٦. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي ، بدون طبعة ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م ، مكتبة الآداب ، القاهرة - مصر ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض .
٢٧. البلاغة العربية في نشأتها وبعض بحوثها ، الدكتور محمد لطفي عبد التواب ، مذكرة في علم البلاغة ، طبعت في عام ١٩٨٥م ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، المنصورة .

٢٨. البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .

٢٩. تاج العروس من جواهر القاموس ، الإمام اللغوي محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ، بدون تحقيق ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٦هـ ، المطبعة الخيرية ، مصر .

٣٠. تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثامنة ، ١٩٦٠م ، دار المعارف ، القاهرة - مصر .

٣١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ =١٩٩٤م ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

٣٢. تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر الطبري ، بدون تحقيق ، طبعة جديدة ومنقحة ومفهرسة ، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م ، دار الفكر ، مصر .

٣٣. تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

٣٤. تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها في مصر، تأليف: الدكتورة نفوسة زكريا سعيد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤-١٩٦٤، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

٣٥. التبشير والاستعمار في البلاد العربية، عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، تأليف: الدكتور مصطفى خالدي، الدكتور عمر فروخ، الطبعة الرابعة، ١٣٩٠-١٩٧٠، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان.

٣٦. التبيين في تصريف الأسماء ، الدكتور أحمد حسن كحيل ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٢هـ =١٩٨٢م ، مطبعة السعادة ، مصر .

٣٧. تتممة الأعلام للزركلي ، محمد خير رمضان يوسف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م ، دار ابن حزم ، بيروت - لبنان .

٣٨. تجديد ذكرى أبي العلاء ، الدكتور طه حسين ، الطبعة الثالثة ، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م ، مطبعة المعارف ، مصر .

٣٩. تحت شمس الفكر، الدكتور توفيق الحكيم، بدون طبعة، بدون تاريخ طبع، مكتبة الآداب، الجمايز- مصر.

٤٠. تحفة المجد الصريح في شرح الكتاب الفصيح ، أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي ، تحقيق : الدكتور عبد الملك بن عيضة الثببتي ، بدون طبعة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، مكتبة الآداب القاهرة - مصر .

٤١. تذوق الأدب طرقه ووسائله ، الدكتور محمود ذهني ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر .

٤٢. تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ، الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة .

٤٣. تفسير ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، صُحِّح بإشراف فضيلة الشيخ: خليل الميسن ، الطبعة الثانية، بدون تاريخ طبع ، دار القلم ، بيروت - لبنان .

٤٤. تفسير الكشاف ، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري ، تحقيق : الدكتور خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

٤٥. تقريب التهذيب ، الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد الوهاب عبداللطيف ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

٤٦. تهذيب التهذيب ، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ، بدون تحقيق ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٧هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد = الدكن - الهند.

٤٧. تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة تحاصر الإسلام وتحمل لواء هدم قيمه الأساسية، الأستاذ أنور الجندي، بدون طبعة، بدون تاريخ طبع، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة - مصر.

٤٨. جمهرة أنساب العرب ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، مراجعة وضبط : لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
٤٩. الجنى الدّاني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان .
٥٠. الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، مطبعة المدني ، القاهرة - مصر .
٥١. الحروف اللاتينية لكتابة العربية، الدكتور عبد العزيز فهمي، بدون طبعة، ١٩٩٣م، دار العرب، القاهرة - مصر.
٥٢. الحماسة ، أبو تمام حبيب أوس الطائي ، تحقيق : الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيان ، بدون طبعة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المجلس العلمي ، الرياض .
٥٣. الحماسة البصرية ، صدر الدين علي أبو الفرج بن الحسن البصري ، تحقيق : مختار الدين أحمد ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان .
٥٤. الحيوان ، عمرو أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ طبع ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
٥٥. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة = مصر .
٥٦. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جنّي ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هندواي ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
٥٧. الخيل في أشعار العرب ، حسن محمّد النَّصّيح ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، مطبوعات الملك عبد العزيز ، الرياض .

٥٨. دراسات أدبية، الدكتور لويس عوض، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، دار المستقبل العربي، القاهرة- مصر.
٥٩. دراسات في علم اللغة، الدكتور كمال محمد بشر، الطبعة التاسعة، ١٩٨٦م، دار المعارف القاهرة - مصر.
٦٠. دراسات في فقه اللغة، الدكتور صبحي الصالح، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
٦١. دراسات في النقد والأدب، الدكتور لويس عوض، بدون طبعة، ١٩٦٣م، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.
٦٢. دراسة الصوت اللغوي، تأليف: الدكتور أحمد مختار عمر، بدون طبعة، ١٤١١- ١٩٩١، عالم الكتب، القاهرة - مصر.
٦٣. دراسة عربية وإسلامية، مهداة إلى أديب العربية أبي فهر محمود شاعر بمناسبة بلوغه السبعين، لمجموعة مؤلفين، بدون طبعة، ١٤٠٣هـ، مطبعة المدني، القاهرة - مصر.
٦٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، دار القلم، دمشق - سوريا.
٦٥. دلالات التراكييب، دراسة بلاغية، الدكتور محمد أبو موسى، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، مكتبة وهبة - القاهرة - مصر.
٦٦. دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، الدكتور خالد قاسم بني دومي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن.
٦٧. الدلالة اللغوية عند العرب، الدكتور عبد الكريم مجاهد، بدون طبعة، بدون تاريخ طبع، دار الضياء، عمان - الأردن.
٦٨. الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، الدكتور محمد عبد الله دراز، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م، دار القلم، الكويت.

٦٩. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق : الدكتور محمد حسين ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، مكتبة الآداب ، الجماميز ، المطبعة النموذجية ، الحلمية الجديدة - مصر .

٧٠. ديوان امرئ القيس ، شرح : الدكتور محمد الإسكندراني ، الدكتور نهاد رزوق ، بدون طبعة ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

٧١. ديوان جرير ، شرح : الدكتور حمدو طماس ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

٧٢. ديوان الحارث بن حلزة ، جمع وتحقيق : الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

٧٣. ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمر الشيباني ، تحقيق : أبي سعيد السكري ، بدون طبعة ، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م ، دار صادر ، بيروت - لبنان .

٧٤. ديوان دريد بن الصمة ، تقديم : شاعر الفحام ، جمع وتحقيق وشرح : محمد خير البقاعي ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار قنبة .

٧٥. ديوان ذي الرمة غيلان العدوي ، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، صاحب الأصمعي ، رواية الإمام أبي العباس ثعلب ، تحقيق : الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م ، مؤسسة الإيمان ، بيروت - لبنان .

٧٦. ديوان شعر ذي الرمة ، تحقيق : كارليل هنري هيس مكارتنى ، بدون طبعة ، ١٣٣٧هـ .

٧٧. ديوان الشَّماخ بن ضرار الغطفاني ، شرح : الدكتور أحمد بن أمين الشنقيطي ، بدون طبعة ، ١٣٢٧هـ ، مطبعة السعادة ، مصر .

٧٨. ديوان عديّ بن الرِّقاع ، جمع وتحقيق ودراسة : الدكتور عبد الله الحسيني البركاتي ، بدون طبعة ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .

٧٩. ديوان عروة بن الورد ، شرح : يعقوب بن إسحاق السكيت ، تحقيق : الدكتور عبد المعين الملوحي ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم .

٨٠. ديوان كثير عزة ، جمع وشرح : الدكتور إحسان عباس ، بدون طبعة ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .
٨١. ديوان كعب بن زهير ، شرح الإمام : أبي سعيد الحسن بن الحسن السكري ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة - مصر .
٨٢. ديوان المخبل السعدي ، صنعه : الدكتور حاتم الضامن ، شعراء مقلون ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م ، عالم الكتب .
٨٣. ديوان النابغة الذبياني ، شرح : الدكتور حمدو طمّاس ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .
٨٤. رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار ، شرحه وكتبه هوامشه : طلال حرب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
٨٥. رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر .
٨٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، السيد محمود الألوسي ، بدون تحقيق ، الطبعة الجديدة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، دار الفكر ، بيروت - لبنان .
٨٧. الزمن في القرآن الكريم ، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ، الدكتور بكرى عبد الكريم ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١م ، دار الفجر ، القاهرة - مصر .
٨٨. الزمن في النحو العربي ، الدكتور كمال إبراهيم بدري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ، دار أمية ، الرياض .
٨٩. سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد حسن محمد إسماعيل ، أحمد رشدي شحاته عامر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
٩٠. سر الفصاحة ، الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي ، شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدي ، بدون طبعة ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ميدان الأزهر .

٩١. السنن الكبرى ، إمام المحدثين الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ،
بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار الفكر .
٩٢. الشافي في العروض والقوافي ، الدكتور هاشم صالح مناع ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٥م ،
دار الفكر العربي ، بيروت - لبنان .
٩٣. الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، الأستاذ أنور الجندي ، بدون طبعة ، بدون
تاريخ طبع ، دار الاعتصام ، القاهرة - مصر .
٩٤. شذا العرف في فن الصرف ، الشيخ أحمد الحملوي ، تقديم : مصطفى السقا ، الطبعة
الثانية عشرة ، ١٩٥٧م ، دار الإحياء التراث الإسلامي ، المدينة المنورة .
٩٥. شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : الدكتور
عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، المكتبة الأزهرية
للتراث ، القاهرة - مصر .
٩٦. شرح التسهيل ، ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الحياتي الأندلسي ، تحقيق :
الدكتور عبد الرحمن السيد ، الدكتور محمد بدوي المختون . الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ -
١٩٩٠م ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الجيزة - مصر .
٩٧. شرح ديوان الأخطل التغلبي ، صنعه وكتب مقدماته وشرح معانيه : إيليا سليم الحاوي ،
بدون طبعة ، ١٩٦٨م ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .
٩٨. شرح ديوان جرير ، تحقيق : محمد إسماعيل الصاوي ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ،
دار الأندلس ، بيروت - لبنان .
٩٩. شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد المرزوقي ، نشره : أحمد أمين ، عبد السلام هارون ،
الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ = ١٩٥١م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة -
مصر .
١٠٠. شرح ديوان الحماسة " أبو تمام " ، شرح الإمام الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي
، الشهير بالخطيب ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان .

١٠١. شرح سقط الزند ، التبريزي ، بدون طبعة ، ١٩٤٥م ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة - مصر ، لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري .
١٠٢. شرح شافية ابن الحاجب ، الشيخ رضي الدين محمد الحسن الإسترياذي ، تحقيق : الأستاذ محمد نور الحسن ، محمد الزقراف ، محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون طبعة ، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
١٠٣. شرح المفصل ، الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان .
١٠٤. شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي ، بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي ، تحقيق : الدكتور داود سلوم ، الدكتور حمودي القيسي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت - لبنان .
١٠٥. شعراء أمويون ، تحقيق : الدكتور نوري حمودي القيسي ، بدون طبعة ، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، العراق .
١٠٦. شعراء بني تميم في الجاهلية والإسلام ، الدكتور عبد القادر فياض حرفوش ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، دار البشائر دمشق - سوريا .
١٠٧. شعراء اليهود في الجاهلية و صدر الإسلام ، الدكتور أحمد محمد النجار ، بدون طبعة ، ١٩٧٨م ، دار النهضة العربية ، مصر .
١٠٨. شعر إبراهيم بن هرمة ، تحقيق : الدكتور محمد نفاع حسين عطوان ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق .
١٠٩. شعر الحرب في العصر الجاهلي ، الدكتور علي الجندي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦م ، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت - لبنان .
١١٠. شعر أبي حية النميري ، جمعه وحققه : الدكتور يحيى الجبوري ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق - سوريا .
١١١. شعر عمر بن لجأ التميمي ، تحقيق : الدكتور يحيى الجبوري ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ=١٩٨١م ، دار القلم ، الكويت .

١١٢. شعر عمرو بن أحمر الباهلي ، جمعه وحققه : الدكتور حسين عطوان ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، مطبوعات اللغة العربية ، دمشق - سوريا .
١١٣. شعر عمرو بن شأس الأسدي ، تحقيق : الدكتور يحيى جبوري ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف .
١١٤. شعر النمر بن تولب ، تحقيق : الدكتور نور حمودي القيسي ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، مطبعة المعارف ، بغداد .
١١٥. شيخ العربية وحامل لوائها ، أبو فهر محمود محمد شاكر ، بين الدرس الأدبي والتحقيق ، الدكتور محمود إبراهيم الرضواني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر .
١١٦. الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها ، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازى ، تحقيق : الدكتور عمر فاروق الطباع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م ، مكتبة المعارف ، بيروت - لبنان .
١١٧. صحيح البخارى ، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، مراجعة وضبط وفهرسة : الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخارى ، بدون طبعة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت - لبنان .
١١٨. صحيح سنن الترمذى ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذى ، تأليف : محمد ناصر الألبانى ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض .
١١٩. صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح ، الإمام أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، مراجعة : هيثم خليفة الطعيمي ، بدون طبعة ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت .
١٢٠. الطبقات الكبرى ، ابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار صادر ، بيروت - لبنان .

١٢١. العربية القديمة ولهجاتها ، دراسة مقارنة بين ألفاظ المعجم السبئي وألفاظ لهجات عربية قديمة (الجبالية والمهرية)، الدكتور عادل محاد مسعود مريخ ، بدون طبعة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، المجمع الثقافي ، أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة .
١٢٢. العقيدة الإسلامية ، العلامة محمد المكي بن مصطفى عزوز ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م ، دار نور المكتبات ، جدة .
١٢٣. علم اللغة العام الأصوات ، الدكتور كمال محمد بشر ، الطبعة السابعة ، ٢٠٠٣م ، دار المعارف ، القاهرة - مصر .
١٢٤. علم اللغة المبرمج ، الأصوات والنظام الصوتي مطبقاً على اللغة العربية ، الدكتور كمال إبراهيم بدري ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م ، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود ، الرياض .
١٢٥. فتح البارئ بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، للإمام الحافظ : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبدا لقادر شيبه الحمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض .
١٢٦. الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : الدكتور محمد إبراهيم سليم ، بدون طبعة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، دار العلم والثقافة ، مدينة نصر - القاهرة - مصر .
١٢٧. فصول في فقه العربية ، الدكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر .
١٢٨. الفعل زمانه وأبنيته ، الدكتور إبراهيم السامرائي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان .
١٢٩. فقه اللغة في الكتب العربية ، الدكتور عبده الراجحي ، بدون طبعة ١٩٩٣م ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .
١٣٠. فقه اللغة وسر العربية ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م ، المكتبة الفيصلية .

١٣١. الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا، تأليف: الأستاذ أنور الجندي، بدون طبعة، ١٣٨٥-١٩٦٥، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة - مصر.
١٣٢. في أصوات العربية، دراسة تطبيقية، تأليف: الأستاذ مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، تصدير: الأستاذ الدكتور طاهر سليمان حمودة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ - ٢٠٠١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر.
١٣٣. في الصرف العربي، نشأة ودراسة، الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مكتبة الفلاح، الكويت.
١٣٤. في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الجديدة، بدون تاريخ طبع، دار الشروق، القاهرة - مصر، بيروت - لبنان.
١٣٥. القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، بدون محقق، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
١٣٦. قراءة في الأدب القديم، الدكتور محمد محمد أبو موسى، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر.
١٣٧. قصة الأدب في مصر، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت - لبنان.
١٣٨. قصيدة البردة، كعب بن زهير، شرح وتحقيق: الدكتور أبي البركات الأنباري، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، تهامة، جدة.
١٣٩. قواعد فانت النحاة (قواعد في أبحاث)، الدكتور أحمد حاطوم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان.
١٤٠. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: الدكتور محمد الدالي، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
١٤١. كتاب الأزمنة والأمكنة، الشيخ أبو علي المرزوقي الأصفهاني، بدون تحقيق، بدون طبعة، بدون تاريخ طبع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - مصر.

١٤٢. كتاب الأغاني ، أبي فرج الأصبهاني ، من عمل : عبد الستار أحمد فرج ، بدون طبعة ، ١٩٨٣م ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .
١٤٣. كتاب التاريخ الكبير ، شيخ الإسلام أبو عبد الله إسماعيل البخاري ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
١٤٤. كتاب دلائل الإعجاز ، الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن محمد الجرجاني ، قرأه وعلق عليه: الشيخ أبو فهر محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، دار المدني ، جدة .
١٤٥. كتاب السنن ، سنن أبي داود للإمام أبي داود بن الأشعث الأزدي السجستاني ، حققه وقابله بأصل الحافظ ابن حجر وسبعة أصول أخرى : محمد عوامة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، المكتبة المكية ، مكة ، مؤسسة الريان ، بيروت - لبنان .
١٤٦. كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٦م ، دار الجيل ، بيروت - لبنان .
١٤٧. كتاب العين ، أبو عبدا لرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي ، الدكتور إبراهيم السامرائي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ = ١٩٩٨م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان .
١٤٨. كتاب النقائض ، نقائض جرير والفرزدق ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري ، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز سالم ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
١٤٩. الكناش في فني النحو والصرف ، الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء الشهير بصاحب حماة ، تحقيق : الدكتور رياض خوام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت - لبنان .
١٥٠. لسان العرب ، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري ، بدون تحقيق ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م ، دار صادر ، بيروت - لبنان .

١٥١. اللغة الشاعرة ، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية ، الدكتور عباس محمود عقاد ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت - صيدا - لبنان .
١٥٢. اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسان ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، عالم الكتب ، القاهرة - مصر .
١٥٣. اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، الدكتور عبده الراجحي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض .
١٥٤. لهجات اليمن قديماً وحديثاً ، الدكتور أحمد حسين شرف الدين ، بدون طبعة ، ١٩٧٠م ، مطبعة الجبلاوي ، شارع الترعة البولاقية .
١٥٥. المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي ، تصحيح وتعليق : الدكتور : ف . كرنكو ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ = ١٩٩١م ، دار الجيل ، بيروت - لبنان .
١٥٦. (ما) المزعوم زيادتها ، إعداد : الدكتورة هدى متولي إبراهيم السداوي ، بدون طبعة ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م ، جامعة الأزهر ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، فرع الزقازيق - مصر .
١٥٧. المبدع في التصريف ، أبو حيان الأندلسي ، الدكتور عبد الحميد سيد طلب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م ، مكتبة دار العروبة ، الصفاة - الكويت .
١٥٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تقديم وتعليق : دكتور أحمد الحوفي ، دكتور بدوي طبانة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ طبع ، دار نهضة مصر ، الفجالة - القاهرة - مصر .
١٥٩. مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، عارضه بأصوله وعلق عليه : الدكتور محمد فؤاد سزكين ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر .
١٦٠. مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤية بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه ، تصحيح وترتيب : وليم بن الورد البروسي ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان .

١٦١. مختار الصحاح ، الشيخ الإمام محمد بن عبد القادر الرّازي ، طبعة مُدَقَّقة كاملة التشكيل ومميزة المداخل ، إخراج : دائرة المعاجم في مكتبة لبنان ، تحقيق : الدكتور محمود خاطر ، بدون طبعة ، ٢٠٠٤م ، مكتبة لبنان ، بيروت - لبنان .
١٦٢. المخصّص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ، المعروف بـ (ابن سيده) ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة - مصر .
١٦٣. المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد أبي الفضل إبراهيم ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
١٦٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المشرف العام على إصدار الموسوعة : الدكتور عبد الله بن عبدالمحسن التركي ، شارك في التحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، عادل مرشد ، إبراهيم الزبيق ، محمد رضوان العرقسوسي ، كامل خراط ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان .
١٦٥. المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله ، الرب ، العبادة ، الدين) ، أبو الأعلى المودودي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م ، دار التراث العربي ، المشهد الحسيني .
١٦٦. معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب .
١٦٧. معاني النحو ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م ، دار الفكر عمان - الأردن .
١٦٨. معجم البلدان ، الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي ، بدون تحقيق ، بدون طبعة ، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م ، دار صادر ، بيروت - لبنان .
١٦٩. معجم الشعراء ، الإمام أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، تحقيق : الأستاذ الدكتور ف. كرنكو ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ=١٩٩١م ، دار الجيل ، بيروت - لبنان .
١٧٠. معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، الدكتور عفيف عبد الرحمن ، بدون طبعة ، ١٤٠٣-١٩٨٣ ، دار العلوم للطباعة والنشر .

١٧١. معجم الشعراء في تاريخ الطبري ، الدكتور عزمي سكر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت .

١٧٢. معجم الشعراء وأروع ما قيل في النساء ، إعداد :الدكتورة مي علوش ، تدقيق وضبط وتصحيح : الدكتور حجر عاصي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، دار المؤلف ، بيروت - لبنان .

١٧٣. معجم الصّاح ، الإمام إسماعيل حمّاد الجوهري ، تحقيق :الدكتور خليل مأمون شيحا ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

١٧٤. معجم الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق : الدكتور عدنان درويش ، محمد المضري ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان .

١٧٥. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، تحقيق : مصطفى السقا ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، بيت المغرب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة - مصر .

١٧٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور أحمد مطلوب ، بدون طبعة ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، العراق .

١٧٧. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر .

١٧٨. المغني في تصريف الأفعال ، الدكتور عبد الخالق عضيمة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م ، دار الحديث ، القاهرة - مصر .

١٧٩. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون طبعة ، ١٤١١هـ = ١٩٩١م ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت - لبنان .

١٨٠. مفتاح العلوم ، الإمام سراج الملة والدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، بدون تحقيق ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ طبع ، المطبعة الأدبية ، مصر .
١٨١. المفضلّيات ، جمع : المفضلّ الضّبي ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، الطبعة السابعة ، بدون تاريخ طبع ، دار المعارف ، القاهرة - مصر .
١٨٢. مقالات حارس التراث ابي فهر محمود محمد شاكر ، دراسة الأستاذ إبراهيم بن محمد أبانمي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض .
١٨٣. مقالات العلامة الدكتور : محمود الطناحي ، صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت - لبنان .
١٨٤. مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م ، دار الفكر .
١٨٥. المقتصد ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق الدكتور كاظم المرجان ، بدون طبعة ، ١٩٨٢م ، دار الرشيد ، العراق .
١٨٦. المقتضب ، أبو العباس محمد المبرد ، تحقيق : الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة - مصر .
١٨٧. مقدمة في فقه العربية، الدكتور لويس عوض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.
١٨٨. الممتع في التصريف ، ابن عصفور الأشبيلي ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان .
١٨٩. من اسمه عمرو من الشعراء ، أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، تحقيق : الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر .

١٩٠. مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس الهجري ، الأستاذ أحمد بن فرج الربيعي ، تقديم : الأستاذ الدكتور عبده الراجحي ، بدون طبعة ، ٢٠٠١م ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر .

١٩١. منتهى الطلب من أشعار العرب ، جمع : محمد بن المبارك بن ميمون ، تحقيق : الدكتور محمد نبيل طريقي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م ، دار صادر ، بيروت - لبنان .

١٩٢. المنصف ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

١٩٣. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ، تأليف : ناصر عبد الله القفاري ، وناصر عبد الكريم العقل ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض .

١٩٤. موسوعة شعراء العصر الجاهلي ، إعداد : عبد عون الروضان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن .

١٩٥. الموطأ ، الإمام مالك بن أنس ، إعداد : محمد بن ناصر العجمي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت .

١٩٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، بدون طبعة ، بدون تاريخ طبع ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

١٩٧. النابغة الجعدي ، حياته وشعره ، الدكتور خليل إبراهيم أبو زياب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، المنارة ، بيروت - لبنان .

١٩٨. النبوات ، الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ، دراسة وتحقيق : محمد عبد الرحمن عوض ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ = ١٩٩١م ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

١٩٩. نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، دكتور عبد الرحمن الباشا ، تقديم الشيخ أبي الحسن الندوي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م ، دار الأدب الإسلامي ، القاهرة - مصر .

٢٠٠. النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م ، دار الشروق ، القاهرة - مصر .
٢٠١. نقائض جرير والأخطل ، الإمام الشاعر أبو تمام ، عني بطبعها لأول مرة على نسخة الآستانة الوحيدة وعلق على حواشيها : أنطون صالحاني اليسوعي ، بدون طبعة ، ١٩٢٢م ، دار المشرق ، بيروت - لبنان .
٢٠٢. نقد الشعر ، أبو الفرج قدامه بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر .
٢٠٣. النكت في تفسير كتاب سيبويه ، أبو الحجاج يوسف بن سلمان المعروف بـ " الأعمى الشنتمري " ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت .
٢٠٤. النوادر في اللغة ، أبو زيد الأنصاري ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، دار الشروق ، بيروت - لبنان ، القاهرة - مصر .
٢٠٥. هامش الغفران، الدكتور لويس عوض، بدون طبعة، بدون تاريخ طبع، دار الهلال.
٢٠٦. همع الهوامع في شرح الجوامع ، الإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، بدون طبعة ، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م ، دار البحوث العلمية، الكويت .
٢٠٧. وصف الخيل في الشعر الجاهلي ، الدكتور كامل سلامة الدقس ، بدون طبعة ، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م ، دار الكتب الثقافية ، الكويت .
٢٠٨. ياطالع الشجرة، الدكتور توفيق الحكيم، بدون طبعة، بدون تاريخ، مكتبة الآداب، الجمايز- مصر.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٨-١	المقدمة
٢٧-٩	التمهيد
	أولاً : حياة أبي فهر محمود شاكراً ، وآثاره
١٠	حياة أبي فهر
١٨	آثاره ومؤلفاته
	ثانياً : الأحداث التي أثرت على اللغة العربية في مصر
	والعصر الذي عاش فيه الشيخ
	أهم الأحداث التي أثرت على اللغة العربية
٢١	والثقافة في مصر
٢٥	العصر الذي عاش فيه الشيخ
٢٦	مفهوم التجديد عند المستشرقين
٢٦	مفهوم التجديد عند الشيخ محمود شاكراً
٤٢-٢٨	الفصل الأول : موقف الشيخ محمود شاكراً من اللغة
٢٩	المبحث الأول : موقفه من التجديد
٣١	أولاً : موقفه من الدعوة إلى العامية

الصفحة	الموضوع
	صراعات الشيخ مع دعاة العامية
٣٣	١. صراعه مع لويس عوض
٣٤	٢. صراعه مع أحمد لطفي السيد
٣٤	٣. صراعه مع توفيق الحكيم
٣٥	ثانياً : موقفه من إلغاء الإعراب
	ثالثاً : موقفه من الدعوة إلى كتابة العربية بالحروف
٣٥	اللاتينية
٣٨	المبحث الثاني : نظرة الشيخ إلى اللغة
	أولاً : اللغة العربية لغة القرآن والحديث التي وحدت
٣٩	العالم الإسلامي ووحدت ثقافته
٣٩	ثانياً : اللغة العربية بليغة موجزة
٤٠	ثالثاً : اللغة العربية لغة شجاعة
٤١	رابعاً : اللغة العربية واسعة لا تقف عند حدود المعاجم
١٦٥-٤٣	الفصل الثاني : تفسير الألفاظ :
٤٤	المبحث الأول : جهوده في تفسير الألفاظ
٤٥	أولاً : استدرأكاته على معاجم اللغة ومنهجه في ذلك :
٤٥	١. الإتيان بمعان واردة في كلام العرب
٤٨	٢. استنباط المعنى من نصوص اللغة والمعاجم

الصفحة	الموضوع
٥٢	٣. استنباط المعنى من السياق
٥٤	٤. استخلاص المعنى من مدلول الصيغة الصرفية
٥٥	٥. تفسير اللفظة بالتعويل على القياس في النيابة
٥٦	ثانياً : تعليقاته على أقوال المفسرين
٥٦	١. التنبيه على التفسير الفريد للفظه
٥٧	٢. التنبيه على الاستعمالات النادرة للفظه
٥٨	٣. التنبيه على استعمالات مجازية لم تثبت
٦٢	المبحث الثاني : تصويباته اللغوية
٦٣	أولاً : تصويب معاني الألفاظ في الشعر
	منهجه في التصويب :
٦٣	١. الرجوع إلى المعنى الصحيح للفظه
٦٨	٢. اختيار المعنى الصائب
٧٠	٣. الاعتماد على أصل الكلمة
٧٣	٤. التصويبات البيانية
٧٧	٥. تصويب الألفاظ المصحفة
٨١	ثانياً : التصويبات اللغوية في الكتب المحققة
٨١	١. تصويبات الحروف :
٨١	أ. حروف العطف
٨٤	ب. حروف الاستئناف

الصفحة	الموضوع
٨٦	ج. حروف الجر
٨٩	٢. تصويب الألفاظ
٨٩	أ. التصحيف في الحروف
٩٠	ب. التصحيف في النقط
٩١	ج. التصحيف في الصيغ الصرفية
٩١	د. حذف الألفاظ وزيادتها
٩٣	٣. تصويب الجمل
٩٤	أ. الزيادة لاتضاح السياق
٩٥	ب. الحذف لإصلاح المعنى
٩٦	ج. تصويب العبارات المختلة لاستقامة السياق
٩٨	ثالثاً: تصويباته لمعاني الألفاظ
٩٨	١. رفضه تسمية الملل المنحرفة بـ " الدين "
٩٨	- المراحل التي مر بها لفظ الدين
١٠١	- الفرق بين الدين والملة
١٠١	- قول المسلم " الأديان السماوية " قول مخالف لعقيدة المسلمين
١٠٥	٢. رفضه مرادفة " الآية " للفظ " المعجزة "
١٠٦	- معنى الإعجاز وتفسيره لغة
١٠٧	- المعنى المجازي لـ " المعجزة "

الصفحة	الموضوع
١٠٨	- معنى " التحدي " في أصل اللغة
١٠٨ ، ١٠٩	- المعنى المجازي لـ " التحدي "
١١٠	- ميلاد لفظ التحدي والإعجاز والمعجزة
١١١	- الفرق بين المعجزة والآية
١١٤	- الفرق بين العجز والإبلاس
١١٧	رابعاً : استدرآكاته على المستشرقين
١١٧	١. كشف المفاهيم الخاطئة للألفاظ
١١٧	- السلفية
١١٨	- الرجعية
١١٨	- القوانين الوحشية
١١٨	- التطور
١١٨	- الحرية
١١٩	- مرادفة " الكاهن " للفظ " النبوة " .
١٢٠	٢. رفضه الاعتقاد بمفاهيم مخالفة لعقيدة المسلم
١٢٠	- الخطيئة
١٢٠	- الصلب
١٢٠	- الخلاص
١٢٠	- الفداء
١٢١	٣. استدرآكاته على لويس عوض

الصفحة	الموضوع
١٢١	- في تفسيره لفظ " وردة " .
١٢٢	- طعنه في عقيدة أبي العلاء المعري
١٣٠	المبحث الثالث : تذوقه للغة
١٣١	أولاً : دلالة اللفظ مفرداً
١٣١	١. إيجاد العلاقة بين اللفظ والمعنى
١٣٢	٢. التنبيه على الألفاظ الجامعة
	ثانياً : دلالة الألفاظ في السياق الشعري (الإسباغ والتعيرية
١٣٤	في المعاني)
١٣٨	ثالثاً : أثر المصطلحات البلاغية في فهم النص الشعري
١٣٨	١. الحشو
١٤١	٢. الحذف
١٤٣	٣. التنبيه لمواضع السكت
١٤٦	٤. التشعيب
١٥١	٥. الحركة والسكون في النص الشعري
١٥٧	المبحث الرابع : آراؤه في علماء اللغة
١٥٨	أولاً : أبو عبيدة معمر بن المثنى
١٥٩	ثانياً : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٦٠	ثالثاً : أبو الحسين أحمد بن فارس
١٦١	رابعاً : أبو علي أحمد المرزوقي

الصفحة	الموضوع
١٦٣	خامساً : أبو بكر عبد القاهر الجرجاني
٢٩٧-١٦٦	الفصل الثالث : جهود الشيخ محمود شاكر اللغوية
١٦٧	المبحث الأول : اهتمامه بمسائل النحو والصرف
١٦٨	أولاً : نحو المعنى
١٦٩	١. حروف النسخ
١٦٩	معنى " لكن "
١٧٠	٢. حروف الجر
١٧٠	معنى " الباء "
١٧٣	معنى " على "
١٧٥	دلالة " اللام "
١٧٥	دلالة " من "
١٧٨	٣. الظروف
١٧٨	معنى " حيث "
١٨٠	تفسير " لدى "
١٨٠	٤. حروف العطف
١٨٠	معنى " ثم "
١٨٣	دلالة " الفاء "
١٨٥	ثانياً : اهتمامه بالأزمة

الصفحة	الموضوع
١٨٥	١. أزمنة الفعل (تفسيره أزمنة الفعل عند سيبويه)
١٩٣	٢. أثر الحروف على زمن الفعل
١٩٣	– لما
١٩٥	– الواو
١٩٨	ثالثاً : الصرف
١٩٨	– همز ما لا يهمز
٢٠٠	المبحث الثاني : اهتمامه بمعاني أصوات الحروف
٢٠١	أولاً : مقدمة الشيخ لعلم معاني أصوات الحروف
٢٠٨	ثانياً : التعبير الفطري عن الحاجات الأولية
٢١١	ثالثاً : احتفاظ العربية بالمعاني الفطرية للحروف
٢١٨	رابعاً : معاني الحروف الحلقية
	– العين
	– الغين
	– الحاء
	– الخاء
٢١٨	خامساً : اجتماع الحروف الحلقية ودلالاتها
٢١٨	١. اجتماعها على التضعيف
٢٢١	٢. اجتماعها مع حروفٍ أخرى

الصفحة	الموضوع
٢٢٢	- اللهوية
٢٢٤	- الشجرية
٢٢٦	- الذلقية
٢٣٥	المبحث الثالث : اهتمامه بإحياء اللغة
٢٣٧	أولاً : اهتمامه باللغات القديمة
٢٣٧	- توكيد المضارع النون
٢٤٠	- القول بـ " هو لك حلٌ وبلٌ "
٢٤٠	- القول بـ " هوٌ " و " هيٌ " بالتشديد
٢٤١	ثانياً : اهتمامه بإحياء الألفاظ المهجورة
٢٤٣	ثالثاً : التنبيه على ما أغفل من الصيغ الصرفية
٢٤٤	١. الأفعال
٢٤٤	- ما جاء على صيغة " تفعلٌ "
٢٤٦	- ما جاء على وزن " فَعَلٌ "
٢٤٩	- ما جاء على وزن " أَفْعَلٌ "
٢٥١	- ما بني على وزنه " افْتَعَلٌ "
٢٥٣	- ما جعل على وزن " استفعلٌ "
٢٥٤	- صياغة الأفعال المتعدية
٢٥٦	٢. الأسماء
٢٥٧	٣. صيغ الجمع

الصفحة	الموضوع
٢٥٧	- صيغة " فُعَال "
٢٥٧	- صيغة " فُعُل "
٢٥٧	- صيغة " فُعَل "
٢٥٧	- صيغة " فُعَل "
٢٥٨	- صيغة " فِعَال "
٢٥٩	٤. المصادر
٢٥٩	- المصادر الثلاثية
٢٦٣	- المصادر الرباعية
٢٦٥	رابعاً : اهتمامه بتوظيف الاشتقاق
٢٦٥	١. اشتقاقه لمصطلحات نقدية
	- مصطلح " التشعيث "
	- مصطلح " التجريد "
٢٦٦	٢. اشتقاقه لأفعال ومصادر لم تسمع عن العرب
٢٦٧	٣. اشتقاقه المصدر والفعل من كلمة أجمية
٢٦٧	٤. استعماله لـ " التركيب "
٢٦٧	٥. إدخاله مصطلحات جديدة للمخترعات الحديثة

الصفحة	الموضوع
٢٧٣	المبحث الرابع : استعماله للغة العالية
٢٧٥	أولاً : الحرف الأجود
	صور الاهتمام
٢٧٥	١. الحذف
٢٧٦	٢. الإثبات
٢٧٦	٣. الإبدال
٢٧٨	ثانياً : اللفظ الأجود
	أسباب تفضيل اللفظ
٢٧٨	١. الزيادة في دلالة المعنى
٢٧٩	٢. تقوية المعنى
٢٨٠	٣. الدقة في التصوير
٢٨١	٤. مراعاة النظير " ائتلاف اللفظ مع اللفظ "
٢٨٢	٥. التناسب بين المشبه والمشبه به
٢٨٣	٦. تفضيله الوصف المناسب مع السياق
٢٨٤	ثالثاً : الاختيار في الصيغ
	صور الاختيار :
٢٨٤	١. بين صيغ المصدر
٢٨٥	٢. بين الفعل والمشتق
٢٨٥	٣. بين الفعل والمصدر

الصفحة	الموضوع
٢٨٧	رابعاً : المسائل النحوية أوجه الاستجادة :
٢٨٧	١. الموقع الإعرابي
٢٩٠	٢. اختيار العامل
٢٩٢	٣. عود الضمير
٢٩٥	خامساً : التفسير الأجود للألفاظ
٣٠١-٢٩٨	خاتمة البحث ونتائجه
٣٥١-٣٠٢	الفهارس
٣٠٨-٣٠٣	أولاً : فهرس الآيات القرآنية
٣٠٩	ثانياً : فهرس الأحاديث الشريفة
٣١٥-٣١٠	ثالثاً : فهرس الشعر
٣١٦	رابعاً : فهرس الأرجاز
٣٣٩-٣١٧	قائمة المصادر والمراجع
٣٥١-٣٤٠	فهرس الموضوعات